

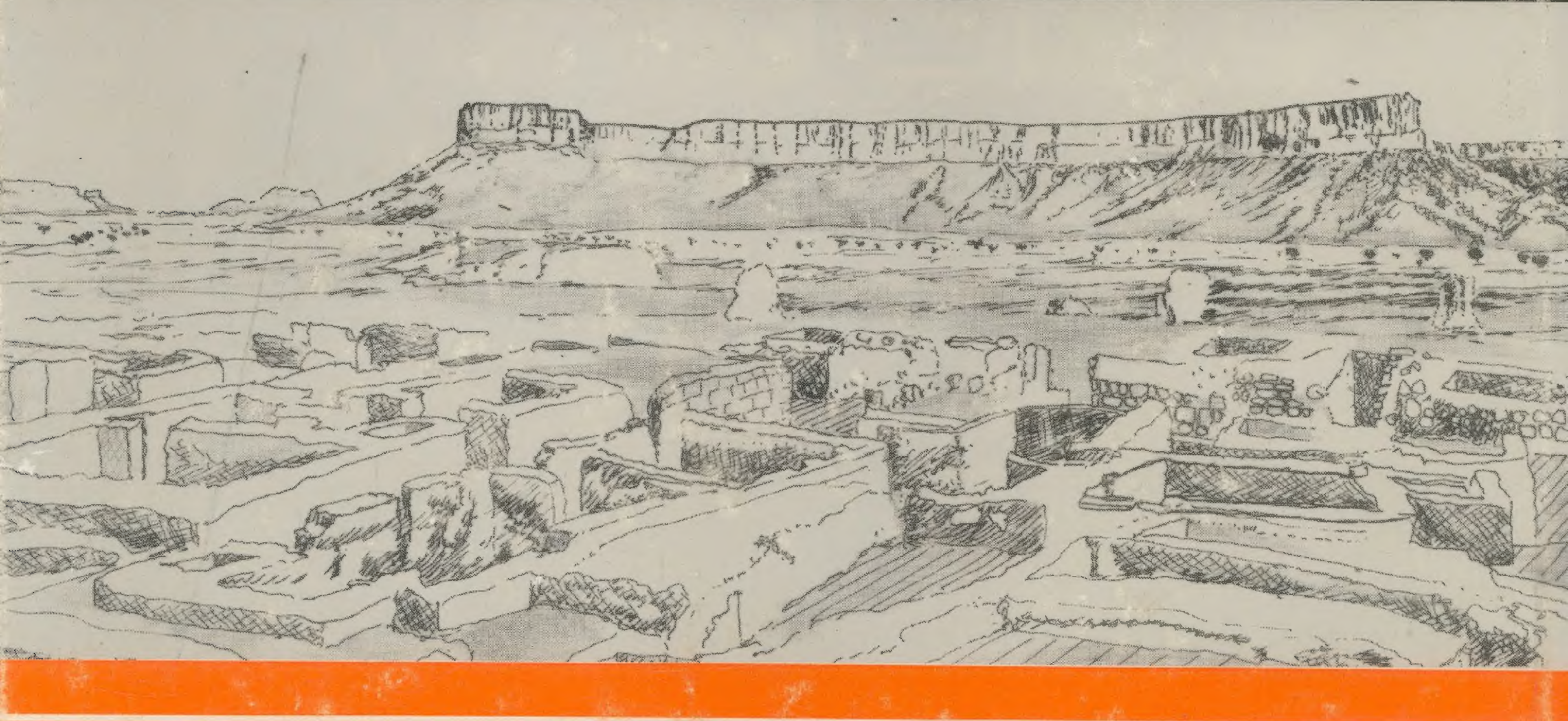
كلية الآداب
قسم الآثار والمتاحف

دراسات في الآثار

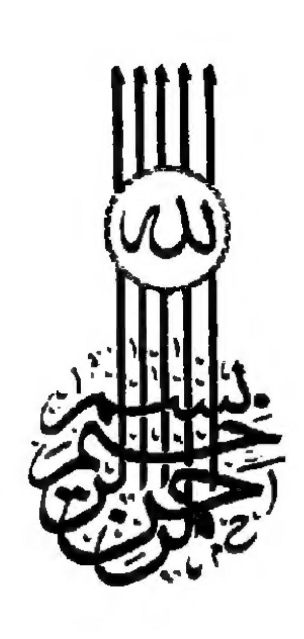
الكتاب الأول

«بحوث علمية محكمة»





بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود



دراسات في الآثار

(الكتاب الأول)

«بحوث علمية محكمة»

حقوق الطبع

الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

تصميم الغلاف ورسم الفواصل الداخلية من عمل:
الأستاذ محمد علي مصطفى

مطابع جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على
أفضل المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

١٤١٣هـ/١٩٩٢م

هذه السلسلة «دراسات في الآثار» هي مجموعة بحوث علمية محكمة سوف تصدر بمشيئة الله على فترات غير محددة. يحرر مادتها أعضاء هيئة التدريس بقسم الآثار والمتاحف، ويقوم بنشرها ـ مشكورًا ـ مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود.

دراسات في الآثار

«الكتاب الأول»

لجنة تحرير الكتاب

المحتويات

تصدير

يعود الفضل في صدور هذا الكتاب إلى سعادة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري عميد كلية الآداب حاليًا، ورئيس قسم الآثار والمتاحف سابقًا، حيث اقترح في أحد اجتماعات مجلس القسم إصدار كتاب تذكاري بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود، وذلك في عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ودعا أعضاء القسم إلى المشاركة في كتابة بحث، كلٌ في مجال تخصصه.

وقد تم اختيار لجنة تحرير للكتاب، اضطلعت بمهام المكاتبات والتحرير وإخراج الكتاب بما اتفق عليه آنذاك في اجتماعات اللجنة، وكان أهم هذه الاقتراحات:

أولاً: إخراج الكتاب ـ بمشيئة الله تعالى ـ في مستوى لائق علميًا وفنيًا.

ثانيًا: دعوة جميع الزملاء الذين عملوا بالقسم سابقًا للمشاركة ببحوث في هذا الكتاب.

ثم قامت لجنة التحرير بتوجيه الدعوة للزملاء داخل القسم وخارجه، وقد استجاب للمشاركة ـ مشكورين ـ ممن عملوا في القسم سابقا: الأستاذ الدكتور ولتر دوستال، والدكتور جيفري كنج، والدكتور اسماعيل حسين حجارة، والدكتور خالد الناشف.

ومن هذا المنطلق تم تحكيم الأبحاث أولاً على مستوى القسم والكلية، ثم تم تحكيمها مرة أخرى عن طريق مركز البحوث بالكلية، الأمر الذي استغرق كثيراً من الوقت.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب: آثار ما قبل التاريخ، وآثار قديمة وكلاسيكية، وآثار إسلامية، رُوعي في تسلسلها وتسلسل موضوعاتها أن تكون تسلسلاً زمنيًا وموضوعيًا بقدر الإمكان. كذلك رُوعي أن تكون الحواشي الخاصة بكل بحث أسفل كل صفحة لسهولة متابعة موضوع البحث، كما التزمت لجنة التحرير بتوحيد قوائم المصادر والمراجع في آخر كل بحث، بحيث يخرج الكتاب في تجانس تام بقدر الإمكان.

وتقدم لجنة التحرير باسم قسم الآثار والمتاحف الشكر الجزيل لكل من أسهم في هذا الكتاب، وتخصّ بالشكر مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود، الذي تفضّل مشكورًا بالموافقة على تمويل الكتاب وطبعه وتحكيم أبحاثه. كما تود اللجنة أن تعبر عن تقديرها العميق للجهود التي بذلها الأستاذ موسى عبدالله آل إسماعيل مدير عام مطابع الجامعة، وجميع العاملين معه في إخراج هذا الكتاب. كما يسعد لجنة التحرير في نهاية تصديرها أن تتقدم بالشكر الجزيل للدكتور وفيق محمد غنيم سكرتير اللجنة على المجهود الذي قام به لإخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود منذ أن كان فكرة حتى أصبح حقيقة ماثلة.

والله نسأل أن يمدنا بعونه وتوفيقه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

لجنة التحرير

قصة الآثار في جامعة الملك سعود
ربع قرن من العمل الدؤوب

بقلم ا. د. عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري

نبدو مناسبة إصدار كتاب علمي من قسم الآثار والمتاحف، ـ احتفالاً بمرور عشر سنوات على إنشائه ـ، فرصة طيبة للنظر بعين فاحصة فيما حققناه في مجال الآثار، فالمشروع الذي بدأناه منذ أكثر من نحو عشرين عامًا والمتعلق بعلم الآثار تدريسًا وممارسة ميدانية يتطلب مثل هذه الوقفة النقدية. وقبل الدخول في تفاصيل الإنجازات أو الصعوبات، علينا أن نذكر شيئًا عن الفكرة واختيارها وكيف بدأ التأسيس؟ لأن مراحل التكوين لابد وأن ألقت بظلالها، ولو في شكل محدود على الهيكل العام للنشاط الأثري في بلادنا، ولتكن هذه إسهامة منا في كتابة تاريخ ذلك النشاط.

أولا:

شاب يعود وهو يحمل درجة الدكتوراه في الكتابات القديمة في الجزيرة العربية من جامعة ليدز بالمملكة المتحدة في شهر يوليو ١٩٦٦م، الموافق رجب ١٣٨٦هـ إلى كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وراجع الشاب قسمه الذي ابتعث منه (قسم اللغة العربية)، ولكنه لم يشعر أن هذا القسم هو القسم الذي يمكن أن يحقق من خلاله طموحاته وطلب إمكان انتقاله إلى قسم التاريخ، ورحب به قسم التاريخ فكانت البذرة الأولى عن الآثار في هذا القسم.

بدأ الدكتور الشاب بتدريس جزء من مادة تاريخ الشرق الأدنى القديم مشاركة مع أستاذ المادة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز صالح ـ رئيس قسم التاريخ آنذاك ـ وفي هذا الجزء بدأ تدريس تاريخ الجزيرة العربية القديم إلى جانب تدريس مادة النصوص التاريخية في السنة الثانية وفي السنة الثالثة. وكان هذا العام عام خير وبركة على الدكتور الشاب، ففيه التقى بنخبة من طلاب الجامعة ربطته بهم رابطة العلم والتعليم، فأصبحوا ولله الحمد زملاء له في أقسام كلية الآداب يفخر بهم طلابًا ثم معيدين ثم زملاء أكاديميين.

كان هاجس الـدكتور الشاب الآثار تعلقها وتعلقته، مارسها تعلمًا وتدريبًا في بريطانيا، وفي صقلية، وفي القدس، تحت إشراف نخبة من خيرة علماء الآثار وذاق حلاوة الكشف. عاد إلى بلاده الحبيبة وهو يرجو نقل التجربة وممارستها، وإيجاد أرض صالحة لغرسها، فماذا يمكن أن يفعل؟ طرق الأبواب الممكنة، وكلها فتحت له ولله الحمد، طرق باب وكيل الجـامعـة الدكتور عبدالعزيز الخويطر فوجد الترحيب والتشجيع، وطرق باب مستشار الجامعة الأستاذ مصطفى عامر (الجغرافي وعالم آثار ما قبل التاريخ)، فوجد منه الأبوة والمساعدة وتقديم ما جمعه من لقي من مناطق مختلفة في وادي حنيفة. وطرق أبواب الإعلام فألقى عددًا من البرامج والأحاديث عن الآثار وأهميتها عن طريق الإذاعة المسموعة، وكتب في الصحف، وأجريت معه العديد من المقابلات الصحفية، وطرق أبواب النوادي الرياضية والاجتماعية والعسكرية في الرياض وفي غيرها من المدن، وألقى فيها عددًا من المحاضرات، كل ذلك في سبيل نشر الوعي الأثري بين الناس.

وكانت الخطوة التالية هي إنشاء «جمعية التاريخ والآثار» في كلية الآداب عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م، ومن أهدافها:

١ ـ بث التوعية التاريخية الأثرية بين الطلاب والأفراد.

٢ ـ نشر الثقافة التاريخية الأثرية على مستوى عام.

٣ ـ دراسة وبحث تاريخ وتراث الجزيرة العربية الحضاري لمختلف العصور.

٤ ـ تشجيع البحث التاريخي والأثري للجزيرة العربية.

٥ ـ تشجيع التعرف على المدن والمواقع التاريخية والأثرية.

وكانت الهيئة الإدارية للعام الأول مكونة من:

١ ـ الأستاذ الدكتور عبدالعزيز صالح ـ رئيس القسم	رئيسًا
٢ ـ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري	سكرتيرًا
٣ ـ الدكتور محمد سعيد الشعفي	عضوًا
٤ ـ الدكتور صبحي أنور رشيد	عضوًا
٥ ـ الدكتور عبدالأمير محمد أمين	عضوًا
٦ ـ الدكتور خالد الجادر	عضوًا
٧ ـ الدكتور عبدالرحمن الحجي	عضوًا

وفي العام الذي يليه ١٣٨٨/ ١٩٦٩م أصبحت على النحو التالي:

١ ـ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري	رئيسًا

٢ ـ الدكتور صبحي أنور رشيد	سكرتيراً
٣ ـ الدكتور محمد سعيد الشعفي	أمينًا للصندوق
٤ ـ الدكتور عبدالأمير محمد أمين	عضوًا
٥ ـ الدكتور خالد الجاذر	عضوًا
٦ ـ الدكتور عبدالرحمن الحجي	عضوًا
٧ ـ الدكتور فاروق عمر فوزي	عضوًا

وكانت عضوية الجمعية على النحو التالي:

١ ـ عضو أصيل: وهو الذي يكون من منتسبي جامعة الرياض من الأساتذة والطلاب والموظفين.

٢ ـ عضو مؤازر: وهو من غير منتسبي الجامعة. وله التمتع بالاشتراك في نشاط الجمعية ويدفع اشتراكًا.

٣ ـ عضو شرف: وهو كل من له نشاط ملحوظ من خارج الجامعة فيما يتصل بالدراسات الأثرية والتاريخية في المملكة العربية السعودية، أو في البلاد العربية أو الأجنبية أو كل من ساعد الجمعية مساعدة علمية أو فنية، ويعفى عضو الشرف من دفع الاشتراك السنوي.

وكان مقدار الاشتراك:

٢٠ ريالاً للأستاذ والموظف في الجامعة

٠٥ ريالات للطالب.

٢٠ ريالاً للعضو المؤازر.

وقد بلغ عدد الأعضاء عام ١٩٨٩/٨٨م كما يلي:

١٦٥ عضوًا أصيلاً.

٠٠٩ أعضاء مؤازرين.

٠٣٩ عضو شرف.

وكان لهذه الجمعية موسمًا ثقافيًا يشارك فيه الطلاب المتميزون، فقد ألقى الطالب سعد الناصر (د. سعد عبدالعزيز الراشد) في السنة الرابعة من قسم التاريخ بحثًا بعنوان: «مدينة سامراء وآثارها الإسلامية» مساء التاسع عشر من رمضان ١٣٨٨هـ، كما تكرم السيد/عبدالعزيز حكيم (د. عبدالعزيز درويش حكيم) المعيد بقسم التاريخ بتقديم الشاي وبعض المرطبات تبرعًا منه بعد كل محاضرة من المحاضرات في ذلك الموسم.

كما عرض في ذلك العام سبعة أفلام تاريخية وأثرية أشرف على عرضها الأستاذ محمود فتحي سعيد (المشرف الاجتماعي بالجامعة) والسيد الطالب/عبدالغفور روزى (د. عبدالغفور روزى) الطالب بالسنة الثالثة بقسم

التاريخ . ومما يذكر أن التليفزيون السعودي كان يذيع المحاضرات التي يلقيها الأساتذة في الموسم الثقافي للجمعية. وكان الفضل لله ثم لهذه الجمعية التي أمكن عن طريقها القيام برحلات علمية إلى مناطق بعيدة في المملكة، ولعلّ أهمها تلك الرحلة التي اشترك فيها ما يزيد على أربعين أستاذًا وطالبًا لمدة ثلاثة أسابيع بدأت من الرياض إلى القصيم فحائل فالحائط والحويط فخيبر فالعلا ومدائن صالح وتيماء وتبوك ثم المدينة فالرياض، وذلك في سنة ١٣٨٩هـ. ومن خلال هذه الرحلة كانت بذرة متحف الجامعة.

لقد وصل الدكتور الشاب إلى الحد الأدنى من طموحاته، وهو الشباب، طلاب الجامعة وحببهم إلى الآثار، ولكن الآثار ليست رحلات فقط ومشاهدات، وإنما هي دراسة وتعلّم، فأنى له ذلك؟ إذن لابد من إقامة متحف، نعم متحف، ولكن أين المكان؟ المكان يمكن أن يكون في الفضاء الواسع في أسفل الكلية التي كانت في الملز، ولكن كيف يمكن أن يكـون المتحف في الفضاء دون جدران؟ فكرت طويلاً فطلبت من السيد/رشيد بن عون الدوسري، وهو الذي لديه عهدة الكلية من دواليب وخلافه أن يعيرني بعض الدواليب المتبقية لديه، فأعطانيها ـ جزاه الله خيرا ـ، وصففنا الدواليب حول مجموعة من الأعمدة مما شكل غرفة كبيرة وضعت فيها مكتبًا وعددًا من الكراسي وصففت ما جمعناه من الآثار في رحلتنا التاريخية في تلك الدواليب، وأتيت بدفتر وبدأت في تسجيل الآثار ووصفها وأخذ مقاييسها والطلاب من حولي يشاهدون ويساعدون. وفجأة مر سعادة وكيل الجامعة د. عبدالعزيز الخويطر فسألني ما هذا الذي فعلته؟! قلت له: ما ترى، متحف، فابتسم وقال: خيرًا إن شاء الله، وذهب. وإذا به يأمر سعادته ببناء حوائط حول المكان فكان أول متحف في الجامعة، وذلك سنة ١٣٩٠هـ. وتحول المتحف من غرفة كبيرة إلى مساحة شملت كل الجزء الغربي من الفراغ السفلي في الكلية. وأصبحت هناك غرف للفنيين ودواليب عرض جلبت من ألمانيا، وكان يساعدني في كل ذلك الزميل الذي لا أنسى فضله ما حييت، الدكتور صبحي أنور رشيد ـ المدرس في قسم التاريخ ـ وهو رجل يعرفه كل من درس على يديه ومن زامله خلقًا وعلمًا وفضلاً.

ها قد تحققت أمنية من الأماني، فمرحبًا بالهدف الأكبر «التنقيب». لقد كان الدكتور الشاب منذ عودته يفكر في موقع أثري يبدأ فيه نشاطه، ويمارس فيه تجربته، فكر في مدينة العلا وهي التي كانت رسالته عنها، ولكنها تبعد عن الجامعة أكثر من ١٤٠٠ كيلومتر، وبعد بحث وقراءة دقيقة اختار قرية الفاو. أما أسباب اختياره لها فلذلك حديث آخر. وتقدم قسم التاريخ باسم جمعية التاريخ والآثار إلى إدارة الآثار والمتاحف في وزارة المعارف بطلب السماح بذلك، وصدرت الموافقة، وكانت فرحة لا توصف. وطلب الدكتور الشاب من وكيل الجامعة زيارة قرية الفاو، فسمح له مع نخبة من الأساتذة والطلبة. وذهب الركب العلمي الأول إلى الفاو. وكانت رحلة ليس هذا مجال وصفها، ولكن الذي يحسن منا ذكره هو أنه بعد يومين من وصولنا إذا بوكيل الجامعة ومعه أمين الجامعة الدكتور عبـدالله الـوهيبي وسـائقه الخاص لدينا في قرية الفاو، بل بيننا في تضاعيف خشم قرية، ونحن نصور النقوش ونقرؤها، فشاهدنا السرور في وجهه، إذ لم يجدنا نلعب أو نلهو، وعدنا مع غروب الشمس إلى الخيمة الوحيدة التي

كانت معنا، وتعشينا بخروفين أتى بهما معه الدكتور عبدالعزيز الخويطر، فامتلأت البطون بعد تعب، وغشينا النوم. وفي الصباح غادرنا وكيل الجامعة مسروراً، وكنا في منتهى السعادة لأننا شعرنا أن ثقة المسئولين في الجامعة وفينا ـ ولله الحمد ـ لم تذهب سُدًى. وحال عودتنا من رحلة الكشف الأول وكتابة تقريرنا قررنا أن يكون عام ١٣٩٢هـ هو بداية التنقيب في قرية الفاو.

لقد أصبح الدكتور الشاب ـ بفضل الله ـ أكثر ثقة بنفسه، لقد منحته الجامعة ثقتها، ومنحته الدولة ثقتها، ومنحه زملاؤه وطلابه ثقتهم، فماذا بقي بعد غير الاتكال على الله، فلابد من العودة إلى القرية. عدنا إلى قرية الفاو في بعثة مكونة من قسم التاريخ، وقسم الجغرافيا، وكلية الهندسة، أساتذة ومعيدين وطلابًا وموظفين، وذلك لمدة ثلاثة أسابيع، وقد منحنا سعادة وكيل الجامعة عشرة آلاف ريال، وبعض السيارات، وعددًا من العمال كانوا شغلنا الشاغل، وإذا ما ذكرت العمال ذكرت الجهد الجهيد الذي بذله الأستاذ عبدالرحمن المحيني ـ أمين المتحف آنذاك ـ في سبيل إيجاد عمال على حافة الربع الخالي حيث ينتهي الأسفلت في مدينة السليل، ولكم أن تتصوروا مدى صعوبة الحصول على عامل واحد، فكيف يمكن أن يسير العمل؟ لقد كنا جميعًا نحفر، الأساتذة والمعيدون والطلبة حتى السائقون كانو يشاركون في الحفر، وإذا عدنا إلى خيمتنا بعد تعب طول اليوم نبحث عن أكل فلا نجد إلا ما يجود به علينا السائقون! أو نكتشف أن أحدنا قد احتفظ ببعض ما زودته به زوجته قبل السفر، أو ما جف من خبز منذ أيام. أما الوضوء فمن ماء المدى الذي تشرب منه الإبل، وحتى هذا يمنعنا الحارس الخاص به من الإسراف فيه، (تلك قصة أخرى سوف أسجلها ـ إن شاء الله ـ). وعدنا إلى الرياض في حالة قاسية مزرية بسبب ما أصابنا من وهن ونصب في ذلك الموسم الأول، ولكن عدنا بكنوز تخرج من باطن أرض بلادنا لأول مرة في تاريخها، وبأيد سعودية، ولله الحمد.

وبعد العودة اشتغلنا بتنظيف القطع الأثرية، ودراستها ورسمها، وأقمنا أول معرض للآثار (المعرض الأول لآثار الفاو) في المملكة سنة ١٣٩٢هـ في جامعة الرياض، افتتحه معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ـ يرحمه الله ـ، وحضره القوم والمسئولون في الدولة. وكان المعرض حديث الرياض لمدة طويلة. كما تشرّف هذا المعرض بزيارة سمو أمير الرياض صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز.

بعد الظفر الذي حققته الآثار في قسم التاريخ كان لابد للدكتور الشاب أن يطمح إلى ما هو أبقى للآثار وأدوم، وهو تدريس الآثار. ولذا تفهم زملاؤه الكرام وجهة نظره، وأصبحت الآثار تخصصًا في قسم التاريخ، بحيث صار مطلوبًا من الطالب في قسم التاريخ وابتداء من المستوى الثالث أن يستمر في دراسة التاريخ أو يتخصص في الآثار. ووضعت الخطط الدراسية لذلك، وبدأ التطبيق سنة ١٣٩٣هـ وتخرجت أول دفعة للآثار سنة ١٣٩٥هـ.

أما بالنسبة للابتعاث في تخصص الآثار، فقد وفق الله الدكتور الشاب لإقناع عدد من الشباب من معيدي قسم التاريخ بالتخصص في علم الآثار، فابتعث أول مبتعث في الآثار سنة ١٣٩١هـ، وتوالت بعد ذلك البعثات . .

لقد كانت تجربة التخصص ضمن قسم التاريخ فكرة ناجحة، ولكن التخصص الجزئي ليس كافيًا لمتطلبات إدارة الآثار التي أصبحت في أمس الحاجة إلى مختصين وخاصة بعد صدور نظام الآثار وحمايتها سنة ١٣٩٠هـ. ولذا اقتضت الضرورة إنشاء قسم للآثار والمتاحف، ويسر الله للدكتور الشاب عددًا من الزملاء، وهم: الدكتور عبدالقادر محمود عبدالله، والدكتور وفيق محمد غنيم، والأستاذ الدكتور محمد جمال الدين مختار، والدكتور محمد عبودي إبراهيم، والدكتور سعد عبدالعزيز الراشد، اجتهدوا جميعًا في وضع الخطة الأولى المتكاملة للقسم الجديد، بعد أن راسلوا عددًا من أقسام الآثار في أوربا وأمريكا والبلاد العربية، وتم ـ ولله الحمد ـ فتح أول قسم للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية بل في الجزيرة العربية سنة ١٣٩٨هـ.

ثانيا:

أما الشق الأكاديمي من العمل الأثري فإنه يمثل المجال الذي حققنا فيه الكثير، فقسمنا اليوم بما يطرحه من برامج لنيل البكالوريوس والماجستير يعتبر أحد الأقسام النادرة في المنطقة التي تعنى بالفروع الأساسية في تخصص علم الآثار، إذ أن سمته الأساسية هي الشمولية والتخصص الدقيق في آن واحد. وهنا لابد من وصف موجز لهذه الخطط الدراسية. أما تفاصيلها فإنها متاحة في القسم أو الجامعة لمن يحب الاطلاع عليها. فخطة البكالوريوس التي بدأنا بها القسم كما أشرت عام ١٣٩٨هـ استمرت حتى ١٤١٠هـ، حيث تم استبدالها بخطة جديدة طموحة في شكلها وفي محتواها.

وبعد سنتين من تطبيقها أتاحت لنا الظروف مرة أخرى فرصة لإعداد خطة مطورة لتتماشى مع العودة إلى النظام الفصلي في الجامعة، وسوف يستمر تطبيق الخطتين معًا حتى يتخرج الطلاب القدامى.

فالخطة الأولى التي بدأنا بها تدريس علم الآثار كانت تهدف إلى تأهيل الطالب بطرح مقررات إجبارية عامة (٤٣ ساعة). تشتمل على مواد أولية في الآثار، ومزيج من المقدمات لآثار وتاريخ وكتابات الجزيرة العربية وأقطار الشرق الأدنى بصفة عامة. وينقسم الطلاب إلى شعبتين هما شعبة الآثار القديمة والكلاسيكية، وشعبة الآثار الإسلامية (٣٧ ساعة معتمدة لكل تخصص)، إضافة للمقررات الحرة ومواد الجامعة الإجبارية. كما يقضي الطالب فصلاً دراسيًا كاملاً في التدريب الميداني.

لقد اتضح لنا بمرور الوقت أن هذه الخطة، وإن أدت أغراضها المبدئية بنجاح، إلا أنها تحتاج للمراجعة،

خاصة فيما يتعلق بالتخصصات الفرعية، إضافة إلى أن ملاحقة التطور الهائل الذي حدث في علم الآثار سواء في الناحية المنهجية أو النظرية يتطلب تعديل الكثير من المقررات أو إدخال الجديد منها مثل التيارات النظرية الحديثة، والأنثروبولوجيا الآثارية، وتحليل ودراسة المعثورات. وقد توخت الخطة الجديدة، -إضافة إلى ذلك-، تكثيف التدريب الميداني والمخبري، ليشمل العلوم المساعدة من: ترميم، وتصوير، ورسم مساحي، وخرائطي، ليصبح ستة عشر ساعة للفصل الدراسي الذي يقضيه الطالب في إحدى حفريتي القسم، وذلك في أكبر برنامج للتأهيل الميداني، مما لا يتوافر في أماكن كثيرة. وقد أثبتت التجربة عمق أهدافه ونجاحه بالرغم من أننا نعلم أن طالب الآثار يحتاج لأن يتعرض لأكثر من تجربة في مواقع مختلفة قبل تخرجه.

وإذا أردنا أن نعدّد السمات العامة لهذه الخطة نقول: إنها تحتوي على مقررات أكثر، وفي تخصصات متنوعة، مما جعلها مرنة بحيث يمكن للطالب أن يدرس بعد الإجباري العام وإجباري التخصص ست ساعات حرة. ثم خمس عشرة (١٥) ساعة اختيارية، إما من تخصصه أو من الاختياري العام، أو من أي قسم من أقسام الجامعة، وهذا يتفق تمامًا مع التوجه العام نحو التداخل الأكاديمي بين الأقسام في الكلية. كما أنه يتيح للطالب فرصًا طيبة للتخصص فيما بعد في علوم أخرى غير علم الآثار، كما يوسع من فرص التوظيف المتاحة للطلاب حال تخرجهم.

وإذا نظرنا إلى لائحة المقررات الإجبارية العامة (٥٥) ساعة نجد أن التطور يتمثل في تحديث ثلاث مواد للمرة الأولى، تعنى بالمناهج والنظريات الحديثة. ثم تعديل بعض المقررات القديمة بحيث تتضمن المقدمات الضرورية لكل التخصصات اللاحقة. أما السمة الثانية فهي استحداث شعبة لدراسة ما قبل التاريخ، والهدف منها هو سد الثغرة في هذا المجال، والتهيؤ مبكرًا لمستقبل الأبحاث في المملكة، إذ أنها حتى الآن تعتبر منطقة غير معروفة، ويشهد على ذلك خلو الكتب العامة التي تعالج هذه الفترة من ذكر لدورها، كما أن الأبحاث والمسوحات الأولية التي قامت بها مصلحة الآثار السعودية تشير بوضوح إلى ثراء التراث الثقافي في حقب ما قبل التاريخ. وبما أن هذه الفترة تشكل الأساس الذي قامت عليه المدنيات القديمة اللاحقة، فإنه يصبح من نافلة القول التشديد على أهمية هذا التخصص. وقد روعي في برنامج هذه الشعبة الشمول والتنوع، مما جعل قسم الآثار أحد الأماكن القليلة أو ربما الوحيد في الشرق الأوسط الذي يقدم هذا التخصص بمثل هذا التركيز. وأما السمة الثالثة فهي إدخال مقررات الأنثروبولوجيا ضمن البرنامج بالقدر الذي يتطلبه تخصص علم الآثار، وهو الأمر المتبع منذ فترة في أقسام الآثار الرائدة في العالم، ومن هذه المقررات الأنثروبولوجيا الثقافية والطبيعية والأثنوأركيولوجيا، كما أن شعبة ما قبل التاريخ تطرح نحو ثمان مواد أنثروبولوجية مباشرة أو ذات صلة بها، هذا بالإضافة إلى أربع مواد إجبارية في التراث الشعبي مضمنة في تخصص علم المتاحف.

أما بقية التخصصات فهي الآثار القديمة والكلاسيكية، ثم الآثار الإسلامية والتي خضعت بدورها لتطوير

شامل في نوعية المقررات ومضامينها. ويبدو التوسع ـ أيضا ـ في مشروع المقررات الاختيارية العامة، إذ تشتمل على ثلاث وحدات يختار الطالب إحداها، وهي: الكتابات السامية الغربية، أو الترميم، أو المتاحف. لقد بلغ عدد المقررات الموصوفة في هذه الخطة مائة واثنين وثلاثين (١٣٢) مقرراً، يطرح القسم منها نحو ستين مادة في كل فصل دراسي. واستغرق إعداد هذه الخطة ما يقرب من ثلاث سنوات، عرضنا كل شيء فيها للنقاش المستفيض، وقد كانت التجربة بحق سمنارًا مفتوحًا، عرفنا فيه بعضنا جيدًا، وبلورنا أفكارنا وأهدافنا بوضوح أكثر.

إن تدريس بكالوريوس الآثار لا يخلو من مشكلات تستحق الانتباه والسعي لحلها، وأولها هو توفير الكتاب الجامعي المتخصص باللغة العربية، فقد حان الوقت لنفكر جديًا في الإعداد لمشروع التأليف والترجمة لعدد محدد من الأعمال، كشيء مبدئي يكون في متناول الطلاب، وهو أمر ضروري لنجاح أي برنامج دراسي، فعدد كبير من المقررات المطروحة لا يتوافر عنها مقال واحد باللغة العربية دعك عن كتاب.

لقد كان أحد الأهداف الرئيسة لإنشاء القسم إعداد جيل من الشباب يتحمل مسؤولية إدارة وتنفيذ العمل الأثري في البلاد، حيث عمل الدكتور الشاب منذ البداية على تعيين المتفوقين من خريجي قسم التاريخ، ثم من خريجي قسم الآثار والمتاحف، وابتعاثهم لنيل الشهادات العليا في مختلف الجامعات الأوربية والأمريكية والاسترالية. ومما يسعد المرء أن يرى أن القدر الذي نالوه من تعليم في مرحلة البكالوريوس كان أساسًا طيبًا لبدء دراساتهم العليا بالخارج، وقد عاد منهم خمسة عشر مبتعثًا في تخصصات مختلفة. ومن المؤمل أن يدعم هؤلاء مع الذين سبقوهم العمل الأثري في البلاد في مجالي البحث الميداني والنشر.

تنبه القسم منذ فترة إلى موضوع الدراسات العليا، وبخاصة بعد أن تأكد لنا توافر الإمكانات المادية والبشرية والمستوى المرضي للبكالوريوس، وبالفعل طرح القسم في عام ١٤٠٨هـ، أي بعد عشر سنوات من إنشائه، برنامجًا لنيل درجة الماجستير في تخصصين رئيسين هما: الآثار القديمة والكلاسيكية، والآثار الإسلامية. ففي الأول وضعت المقررات بحيث يكون التركيز على الجزيرة العربية (حضارة وكتابات) وما جاورها من أقطار، أما في الثاني فينصب الاهتمام على المراكز الرئيسة للآثار الإسلامية بما فيها الجزيرة العربية. ويدرس الطالب ثلاثين ساعة قبل التسجيل للرسالة، منها أربعة مقررات إجبارية عامة تعنى بالنظريات ووسائل التاريخ ودراسة المعثورات. والبرنامج يتصف ـ أيضا ـ بالمرونة إذ يتيح للطالب التخصص الدقيق، ففي الآثار القديمة ـ مثلا ـ هناك فرصة الاختيار بعد أداء إجباري التخصص من بين أربع مجموعات دراسية هي: الفن والعمارة، الحضارة، قضايا أثرية، ثم الكتابات. والأمر نفسه ينطبق ـ أيضًا ـ على الآثار الإسلامية حيث يتخصص الطالب إما في الآثار والعمارة، الفنون، الحرف والتقنيات أو الكتابات الإسلامية.

لقد كان الإقبال على البرنامج طيبًا، وسار الأداء على نحو جيد ليمدّ البلاد بمتخصصين أكفاء بخاصة في وزارة المعارف (إدارة الآثار والمتاحف)، والمصالح الحكومية الأخرى ذات الصلة، ومهما واجهتنا من صعوبات في التطبيق إلا أننا حققنا الكثير مما حفزنا إلى إعداد برنامج لنيل شهادة الدكتوراه حتى يكتمل عقد تأهيل الكوادر في مجال الآثار محليًا، وهو الآن في مراحله الأخيرة. وسوف يكون التركيز فيه على آثار الجزيرة العربية فقط.

ثالثًا: النشاط الميداني

١ ـ حفريتا الفاو والربذة:

بعد أن تمكنا من القيام بالمواسم الأولى في موقع الفاو حيث اتضحت لنا معالم الطريق، شرعنا في تأسيس الحفرية الثانية في موقع الربذة الإسلامي بعد إنشاء قسم الآثار والمتاحف لتدريب طلاب الآثار الإسلامية. إن العمل في هذين الموقعين كان بالغ الأثر، وسيحتلان مكانهما الطبيعي عندما يُكتب تاريخ العمل الأثري في المملكة العربية السعودية، وأقل ما يقال هنا: هو أن العمل المكثف في الموقعين ولمدة تزيد على عشرين عامًا إنه رفع من درجة الوعي العام بين المواطنين بأهميتها وبالعمل الأثري كمهنة. فوسائل الإعلام المحلية تتناقل أخبارهما بصفة مستمرة بكثير من التقدير والإشادة. وبما أن تقويم العمل الميداني في هذين الموقعين يحتاج لوقفة أطول إذ يرتبط ذلك بالنظر في الأهداف الأولية للمشروعين ومدى تحقيقهما، فإنه يكفي هنا أن نذكر بعضًا من النتائج والفوائد الماثلة أمامنا:

(أ) إن نتائج التنقيبات في موقع الفاو كانت من الأهمية بمكان، مما تتطلب النظر في مراجعة وإعادة كتابة التاريخ الحضاري القديم للجزيرة العربية ودورها المهم في محيطها الثقافي، وقد تم بالفعل نشر بعض هذه النتائج الأولية إلا أن الدراسات المفصلة في هذا الخصوص ما زالت قيد الإعداد، والأمر نفسه ينطبق على موقع الربذة الإسلامي حيث تكشفت معلومات مهمة حول الاستيطان والتاريخ الثقافي في العهدين الأموي والعباسي مما جعل مراجعة الكثير من المفاهيم السائدة من قبل عند المؤرخين أمرًا ضروريًا.

(ب) إن التنقيب في الموقعين أمدنا بكمية وفيرة من المعثورات الفنية النادرة ذات الأهمية من نقوش وقطع معدنية وفخارية وحجرية وعملات. . . إلخ، كانت موردًا لإثراء مقتنيات المتحف الجامعي، بقسم الآثار والمتاحف الذي أصبح الآن بالرغم من صغر حجمه، منارة ثقافية في خدمة الجامعة والمجتمع وزوار البلاد خاصة بعد أن شهد تطورًا ملموسًا في طريقة العرض وحفظ المعروضات على أحدث الطرق المتحفية المعروفة في العالم.

(جـ) كما أن لهذين الموقعين في تدريب طلاب البكالوريوس على التنقيب الأثري دورًا في أكبر محاولة لاكتساب الخبرات المطلوبة. فقد كان كذلك بالنسبة لتدريب المعيدين حيث يمكنهم الالتحاق بالحفرية أكثر من مرة، مما يؤهلهم مستقبلاً من القيام بأعمالهم الميدانية منفردين، وقد تحقق هذا ـ ولله الحمد ـ بكل جدارة وثقة.

(د) وخلال السنوات الماضية عمل معنا عدد كبير من الأساتذة العرب من أقطار مختلفة، وقد كانت تجربتنا في تكوين فريق العمل الميداني عبارة عن بوتقة لصهر تجارب الأثاريين العرب وتطويرها كما كانت فرصة سانحة للبعض منهم أن يبدأ نشاطه الميداني لأول مرة، وبما أن لكل منطقة وكل موقع ظروفه الخاصة، فقد تمكنا من تحسين الأداء وابتكار الوسائل الميدانية ذات العائد الأكاديمي الجيد مما يبشر بتكوين مدرسة عربية في هذا المجال.

(هـ) كان من الطبيعي أن تواكب أعمالنا الميدانية التطور الهائل الذي حدث في علم الآثار التطبيقي، فعملنا على الاستفادة من الخبراء المحليين في علوم التربة والنبات والحيوان من زملائنا المختصين في كلية العلوم، إذ شكل ذلك الإطار الطبيعي للموقع الأثري، كما حدّثنا من مختبرات القسم بدرجة تسمح بالتحليل العلمي للمعثورات وصيانتها وترميمها إلى جانب الاستفادة من المعامل العالمية في أوربا وأمريكا في مجال التحاليل المعملية المطلوبة للكربون والفخار والمعادن.

٢ ـ ومن الأعمال الميدانية التي ساهم فيها قسم الآثار والمتاحف المسح الأثنوغرافي لمنطقة عسير الذي قامت به البعثة النمساوية (في ١٩٧٩م و١٩٨٠م)، ونشرت تقريرها الأول عنه في ١٩٨٣م. وكان ذلك مدخل اهتمام القسم بدراسة التراث الشعبي ودوره في فهم عناصر الثقافة العربية الحاضرة والماضية، وفي الاتجاه نفسه كان القسم سباقًا في إدخال مواد الأنثروبولوجيا والاثنوغرافيا في برامجه الدراسية، كما ذكرنا أعلاه. ويسهم القسم بجناح سنوي في مهرجان الجنادرية للتراث الشعبي. لقد انعكس هذا الأمر من جانب القسم في وجه بعض طلاب الدراسات العليا للاهتمام بالعناصر المادية للتراث الشعبي كالعمارة التقليدية، وصناعة الفخار، ومختلف ضروب الفنون التقليدية.

٣ ـ تجدر الإشارة ـ أيضا ـ إلى الأعمال الميدانية التي قام بها المعيدون بغرض جمع المادة الميدانية لكتابة أطروحاتهم، وقد كان القسم يشرف على هذه الأعمال ويوجهها. وبما أن المعيدين متخصصون في فترات مختلفة فقد كانت نتائج المسوحات والحفريات التجريبية التي نفذوها ذات أهمية في كشف جوانب خفية من التاريخ الحضاري للبلاد، إن أهم شيء هنا هو أن يتمكن الشباب السعوديون من نشر نتائجهم الأولية ومتابعة أعمالهم ميدانيًا، فالمطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى تكثيف العمل الميداني الموجه لحل القضايا العالقة في آثار وتاريخ الجزيرة العربية خاصة، وأن ما نعرفه ما زال محدودًا في كثير من جوانبه.

رابعًا: النشـر

إن العمل الأثري بطبيعة الحال لا يكتمل إلا بنشر نتائج الأعمال الميدانية، ووضعها في سياق التسلسل الثقافي للمنطقة. ومن هذا المنطلق فقد قام القسم بنشر كتابين معروفين عن حفريتي الفاو والربذة إضافة للتقارير الأولية التي تظهر تباعًا عن المواسم الميدانية في الموقعين، ويتوقع صدور النتائج النهائية لهذه الأعمال في مجلدين في وقت قريب.

وخلال السنوات الماضية تمكن القسم ـ أيضا ـ من إصدار عدد من الكتب والأبحاث الموجهة، كما أنه أسهم بقدر كبير في إصدار ثلاثة مجلدات عن تاريخ وآثار الجزيرة العربية، وهي تمثل مدلولات الندوة العالمية لتاريخ الجزيرة العربية، والتي يعدها القسم بالاشتراك مع قسم التاريخ. وقد انعقدت الندوة الأولى قبل إنشاء القسم في ١٣٩٧هـ والتي كانت عن «مصادر تاريخ الجزيرة العربية» وكانت الثانية عام ١٣٩٦هـ عن «الجزيرة العربية قبل الإسلام» والثالثة عن «الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين» عام ١٤٠٤هـ. كما أصدر القسم أعمالاً أخرى من بينها موسوعة المصطلحات الأثرية للأستاذ/كمال صدقي، خبير الآثار في القسم، وساعد ـ أيضا ـ في إصدار كتاب باللغة الإنجليزية عن المساجد في المملكة العربية السعودية للدكتور جفري كنج.

إننا، دون شك، خطونا خطوات فعلية في تأسيس علم الآثار في المملكة العربية السعودية، والنتائج ماثلة أمامنا لا تخطئها العين، مما يحفزنا لبذل المزيد، فالطريق ما زال طويلاً وإن أردنا أن نعدّ العدة للمستقبل فلابد من وقفة مراجعة وتقويم شامل لما حققناه. وفي هذا الخصوص يسرني أن أشير إلى أنني الآن بصدد تحرير كتاب يسهم فيه بعض الزملاء المختصين عن: «الآثار في المملكة العربية السعودية». وفي سبيل إخراج ما يتوق إليه العلماء والباحثون منذ زمن بعيد وهو نتائج حفريات قرية الفاو ومثلها عن الربذة.

وإنني دائمًا أكرر المثل القائل: «كل آت قريب». والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فأما الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾. وعلى الله قصد السبيل، والله يتولانا برعايته، آمين.

الملاحـــق

مقدمة للملاحق

لقد رأت لجنة تحرير الكتاب أن تنتهز فرصة إصدار هذا المجلد من «دراسات في الآثار» لتعرض في ملحق به جزءًا من قصة العمل الأكاديمي الذي قام به أعضاء هيئة التدريس بالقسم، وهو الخطط الدراسية من البكالوريوس حتى الدكتوراه المقترحة حاليًا، ليتسنى للقاريء الكريم الوقوف على تطور الدراسات الأكاديمية بالقسم، خاصة وأنها جزء من قصة الآثار في جامعة الملك سعود، كما أشرنا في أول موضوع داخل هذا المجلد.

(١) الخطة الأولى للبكالوريوس ١٣٩٨ ـ ١٤١٠هـ

متطلبات التخصص وهي ٩٢ ساعة مقررة مقسمة كالتالي :

أ ـ مقررات عامة (إجباري ـ اختياري)

٤٣ ساعة إجبارية لجميع طلاب القسم				
رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
١٠٤	جيو	مبادىء علم الجيولوجيا	٤	
١١١	أثر	المدخل إلى علم الآثار	٢	
١١٢	أثر	ما قبل التاريخ	٢	
١١٣	أثر	مبادىء علم الأنثربولوجيا الطبيعية	٢	
١٢٢	ترخ	تاريخ الجزيرة العربية القديم	٣	
١٢٣	ترخ	تاريخ اليونان والرومان	٣	
٢٠١	أثر	مواد أثرية مساعدة	٢	
		(١)تصوير + مساحة + رسم هندسي		
٢٠٢	أثر	مواد أثرية مساعدة	٢	
		(٢) ترميم + صيانة آثار		
٢٢١	أثر	آثار الشرق الأدنى القديم	٢	
٢٣٢	أثر	الآثار اليونانية والرومانية	٢	
٢٤١	ترخ	السيرة النبوية والخلفاء الراشدون	٣	
٢٥٣	أثر	تطور الفنون الشعبية في العصور القديمة	٢	
٣١٨	أثر	طرق التنقيب عن الآثار ـ تدريب ميداني عملي	١٢	
٤٩٩	أثر	رسالة قصيرة	٢	

٦ ساعات اختيارية لجميع طلاب القسم (١٢ ساعة لمن سيتخصص في فن المتاحف)				
رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
١١٤	جمع	مبادىء علم الأنثربولوجيا الاجتماعية	٣	
١٢١	ترخ	تاريخ الشرق الأدنى القديم	٣	
٢٢١	ترخ	تاريخ الدولة الساسانية	٣	
٢٦٢	ترخ	الدولة البيزنطية	٣	
٣١٦	ترخ	الجزيرة العربية في كتب الرحالة	٣	
٣٥٢	أثر	الفن البيزنطي	٣	
٣٥٨	أثر	تطور الفنون الشعبية في العصور المتأخرة	٣	
٤١٢	أثر	تدريب متحفي	١٢	

ب ـ مقررات شعب التخصص (إجباري ـ اختياري)

١ ـ شعبة الآثار القديمة :

٢٢ ساعة إجبارية لطلاب الآثار القديمة

رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
٢٣١	أثر	آثار الجزيرة العربية قبل الإسلام	٣	
٢٣٥	أثر	آثار شرق أفريقيا	٢	
٣٢٢	أثر	آثار وادي الرافدين وحضارته حتى الإسكندر	٢	
٣٢٣	أثر	آثار بلاد الشام وحضارتها حتى الإسكندر	٢	
٣٢٤	أثر	آثار وادي النيل وحضارته حتى الإسكندر	٢	
٣٧١	أثر	كتابات الجزيرة العربية (١) مسند جنوبي	٣	
٣٧٢	أثر	كتابات الجزيرة العربية (٢) مسند شمالي	٣	
٤٢٤	أثر	حضارة الشرق الأدنى القديم في العصر الهلنستي	٢	
٤٧١	أثر	كتابات الجزيرة العربية (٣) آرامي	٣	

١٥ ساعة اختيارية لطلاب الآثار القديمة (٩ ساعات لمن سيتخصص في فن المتاحف)

رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
٢٣٦	أثر	آثار شمال وغرب أفريقيا	٣	
٢٥١	أثر	الفن البدائي القديم	٣	
٢٥٢	أثر	الفن العربي قبل الإسلام	٣	
٢٧١	أثر	نشأة الكتابة وتطورها	٣	
٣١٦	أثر	نصوص بلغة أوروبية عن الآثار القديمة	٣	
٣٢٥	أثر	موضوع من إحدى حضارات أمريكا ـ الهند إيران ـ أفريقيا ـ شرق آسيا	٣	
٣٥١	أثر	أساطير قديمة	٣	
٤٢١	ترخ	الجزيرة العربية في كتب اليونان والرومان	٢	
٤٥١	أثر	المسكوكات	٣	
٤٧٢	أثر	كتابات قديمة (عبري ـ حبشي) (١)	٣	
٤٧٣	أثر	كتابات قديمة (عبري ـ حبشي) (٢)	٣	
٤٧٤	أثر	كتابات قديمة (آكادي ـ مصري) (١)	٣	
٤٧٥	أثر	كتابات قديمة (آكادي ـ مصري) (٢)	٣	
٤٧٦	أثر	كتابات قديمة (يوناني ـ لاتيني) (١)	٣	
٤٧٧	أثر	كتابات قديمة (يوناني ـ لاتيني) (٢)	٣	

٢ ـ شعبة الآثار الإسلامية :

٢٢ ساعة إجبارية لطلاب الآثار الإسلامية

رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
٢٤٣	أثر	الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية	٣	
٢٥٤	أثر	تاريخ الآثار والعمارة الإسلامية	٣	
٢٥٥	أثر	الفنون الإسلامية	٣	
٢٧٢	أثر	الكتابات الإسلامية والبرديات	٢	
٣٥٤	أثر	الفن والعمارة في مصر والعراق والشام	٣	
٣٥٥	ترخ	تاريخ الإسلام السياسي والحضاري (١)	٣	
٣٥٦	ترخ	تاريخ الإسلام السياسي والحضاري (٢)	٣	
٤٥٢	أثر	المسكوكات الإسلامية	٢	

١٥ ساعة اختيارية لطلاب الآثار الإسلامية (٩ ساعات لمن سيتخصص في فن المتاحف)

رقم المقرر	الرمز	اسم المادة	عدد الساعات	التقدير
٢٥٦	أثر	الخزف الإسلامي	٣	
٢٥٧	أثر	الفن والعمارة في فارس والهند	٣	
٢٧١	عرب	اللغة الشرقية أو السامية (١)	٣	
٢٧٢	عرب	اللغة الشرقية أو السامية (٢)	٣	
٣١٧	أثر	نصوص بلغة أوروبية عن الآثار الإسلامية	٣	
٣٤٥	أثر	مدن ومواقع أثرية	٣	
٣٤٦	أثر	القلاع والحصون في العصر الإسلامي الوسيط	٣	
٣٥٣	أثر	المساجد	٣	
٣٥٥	أثر	الفن والعمارة في المغرب والأندلس	٣	
٣٥٦	أثر	الفن والعمارة في شمال وغرب أفريقيا	٣	
٣٥٧	أثر	أثر الفنون الإسلامية في أوروبا	٣	
٣٧١	عرب	اللغة الشرقية أو السامية	٣	
٤١١	أثر	أثر الحضارات القديمة في الحضارة الإسلامية	٣	
٤٥٣	أثر	الفن والعمارة في آسيا الصغرى	٣	

(٢) الخطة الثانية للبكالوريوس ١٤١٠ - ١٤١٢هـ

أولا: المقررات الإجبارية العامة

إجبارية لجميع طلاب القسم (٥٣ ساعة)

رقم المقرر	الرمز	اســـم المقـــرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق والنظري والعملي
١٠٤	جيو	مباديء علم الجيولوجيا	٤	
١١١	أثر	المدخل إلى علم الآثار	٢	
١١٢	أثر	آثار ما قبل التاريخ	٢	
١١٣	أثر	مباديء علم الأنثروبولوجيا الطبيعية	٢	
١١٦	أثر	مقدمة في علم المتاحف	٢	
١٢١	ترخ	تاريخ الشرق الأدنى القديم	٣	
١٢٢	ترخ	تاريخ الجزيرة العربية القديم	٣	
١٢٣	ترخ	تاريخ اليونان والرومان	٣	
١٤١	أثر	نشأة الكتابة وتطورها	٢	
٢٠١	أثر	مواد فنية مساعدة (١): تصوير + مساحة + رسم هندسي	٢	(٥ عملي)
٢٠٢	أثر	مواد فنية مساعدة (٢): ترميم + صيانة آثار	٢	(٥ عملي)
٢١١	أثر	مباديء علم الأنثروبولوجيا الثقافية	٢	
٢٢١	أثر	مقدمة في آثار الشرق الأدنى القديم	٢	
٢٢٢	أثر	مقدمة في آثار الجزيرة العربية قبل الإسلام	٢	
٢٢٤	أثر	الآثار اليونانية والرومانية	٢	
٢٤١	أثر	الحضارة الإسلامية	٢	
٢٤٢	أثر	مقدمة في الآثار الإسلامية	٢	
٢٦١	أثر	الأثنواركيولوجيا	٢	١١٢ و ٢١١ أثر
٣٣٩	أثر	طرق التنقيب عن الآثار: تدريب ميداني عملي	٨	نظري ٢ (ساعتان) عملي ١٥ (ساعة)
٤٢٢	جغر	مواد فنية مساعدة (٣): خرائط وتصوير جوي	٢	
٤١٣	أثر	مناهج ونظريات حديثة في علم الآثار	٢	

ثانيا: مقررات التخصصات الرئيسية (١ - ٣)

(٢ : ١) شعبة آثار ما قبل التاريخ (٤١ ساعة: إجبارية واختيارية)*

(أ) الإجبارية (٢٦ ساعة):

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
١١٤	أثر	الإنسان والبيئة القديمة	٢	
٢١٢	أثر	العصر الحجري القديم في أفريقيا	٢	
٢١٣	أثر	العصر الحجري القديم في أوروبا	٢	
٢١٤	أثر	العصر الحجري القديم في الشرق الأدنى	٢	
٢١٥	أثر	تقنية العصور الحجرية	٢	
٢١٦	أثر	مقدمة في الأنثولوجيا	٢	
٢٦٤	أثر	العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم	٢	
٢٦٥	أثر	استئناس الحيوان والنبات	٢	٢٦٤ أثر
٢٦٦	أثر	دراسة الفخار	٢	
٢٦٧	أثر	العصر الحجري الحديث في وادي النيل والصحراء	٢	
٢٦٨	أثر	العصر الحجري المعدني في الشرق الأدنى القديم	٢	٢٦٤ أثر
٤١٤	أثر	ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية والخليج	٢	
٤٩٩	أثر	رسالة قصيرة	٢	

(ب) الاختيارية (١٥ ساعة):

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
١١٥	أثر	طبيعة المواقع والمواد الأثرية	٣	
٢٠١	جمع	تاريخ الفكر الاجتماعي	٣	
٢١٧	أثر	العصر الحجري القديم في شرق آسيا وجنوبها	٣	
٢١٨	أثر	ما قبل التاريخ في العالم الجديد	٣	
٢١٩	أثر	فن ما قبل التاريخ	٣	
٢٦٣	أثر	أنماط الحياة المبكرة	٣	
٢٦٩	أثر	التبادل التجاري في ما قبل التاريخ	٣	٢٦٨ أثر
٣٤٣	جغر	جغرافية الأجناس البشرية	٣	
٤١٥	أثر	ظهور الحضارات القديمة	٣	
٤١٦	أثر	التغير والتنوع الثقافي في ما قبل التاريخ	٣	
٤١٧	أثر	معالجة مشكلات مختارة	٣	
٤١٨	أثر	الحيوانات والنباتات القديمة	٣	
٤٦١	جغر	الجغرافيا التاريخية	٣	

* يدرس الطالب المقررات الإجبارية وخمس عشرة ساعة من المقررات الاختيارية.

(٢ : ٢) شعبة الآثار القديمة والكلاسيكية (٤١ ساعة : إجبارية واختيارية)*

(أ) الإجبارية (٢٦ ساعة) :

رقم المقرر	الرمز	اســـــــم المقـــــر ر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق والنظري والعملي
٢٧٣	أثر	آثار وادي الرافدين حتى الإسكندر	٣	
٣٢٣	أثر	آثار بلاد الشام حتى الإسكندر	٢	
٢٧٤	أثر	آثار آسيا الصغرى حتى الإسكندر	٢	
٢٧٥	أثر	آثار وادي النيل وحضارته حتى الإسكندر	٣	
٢٧٦	أثر	آثار الجزيرة العربية قبل الإسلام	٢	
٢٧٧	أثر	آثار الخليج العربي	٢	
٣٦١	أثر	كتابات الجزيرة العربية : الآرامية (١)	٢	
٣٦٣	أثر	كتابات الجزيرة العربية : المسند (١)	٢	
٤٢١	أثر	المسكوكات القديمة	٢	
٤٢٣	أثر	آثار الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني	٢	٢٢٤ أثر
٤٢٥	أثر	الفخار في العصور القديمة	٢	
٤٩٩	أثر	رسالة قصيرة	٢	

* يدرس الطالب المقررات الإجبارية وخمس عشرة ساعة من المقررات الاختيارية.

(٢ : ٣) شعبة الآثار القديمة والكلاسيكية

(ب) الاختيارية (١٥ ساعة)*:

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
٢٢٣	أثر	الآثار الإيجية	٣	
٢٢٥	أثر	الحضارة اليونانية والرومانية	٣	١٢٣ ترخ
٢٢٦	أثر	آثار شمال أفريقيا وغربها	٣	٢٢٤ أثر
٢٢٧	أثر	مواقع أثرية قديمة	٣	
٢٢٨	أثر	نصوص بلغة أوروبية حديثة عن الآثار القديمة	٣	
٢٢٩	أثر	الأساطير القديمة	٣	
٣١٧	جمع	الأنثروبولوجيا اللغوية	٣	
٢٧٨	أثر	آثار شرق أفريقيا	٣	
٢٧٩	أثر	آثار فلسطين القديمة	٣	٣٢٣ أثر
٢٨١	أثر	الحياة اليومية في العصور القديمة	٣	
٣٤١	أثر	الكتابة المصرية القديمة (١)	٣	١٤١ أثر
٣٤٢	أثر	الكتابة المصرية القديمة (٢)	٣	١٤١ أثر
٣٤٣	أثر	الكتابة الأكدية (١)	٣	١٤١ أثر
٣٤٤	أثر	الكتابة الأكدية (٢)	٣	١٤١ أثر
٣٦٤	أثر	الكتابات الكلاسيكية : اليونانية (١)	٣	١٤١ أثر
٣٦٥	أثر	الكتابات الكلاسيكية : اليونانية (٢)	٣	١٤١ أثر

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
٣٦٦	أثر	الكتابات الكلاسيكية : اللاتينية (١)	٣	
٣٦٧	أثر	الكتابات الكلاسيكية : اللاتينية (٢)	٣	
٣٧٣	أثر	الفن العربي قبل الإسلام	٣	٢٧٦ أثر
٣٧٤	أثر	الفن الفارسي	٣	
٣٧٥	أثر	الفن البيزنطي	٣	٢٢٤ أثر
٤٢٢	أثر	الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية	٣	
٤٢٦	أثر	المدينة القديمة	٣	
٤٢٧	أثر	البيوت الدينية والدنيوية	٣	
٣٦٩	أثر	الأدب القديم (مقارنة)	٣	
٤٢٨	أثر	العلوم والتربية قديما	٣	

* على طالب الآثار الذي يرغب في دراسة إحدى الكتابات الأربع (المصرية، الأكدية، اليونانية، اللاتينية) أن يختار واحدة منها فقط ويدرسها بمقرريها.

(٢ : ٤) شعبة الآثار الإسلامية (٤١ ساعة : إجبارية واختيارية)*

(أ) الإجبارية (٢٦) ساعة

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
٢٤٤	أثر	أثر الحضارات القديمة في الحضارة الإسلامية	٢	
٤٤٥	أثر	العمارة في صدر الإسلام والعصر الأموي	٢	
٢٤٦	أثر	الدول الإسلامية وحضارتها	٣	
٢٤٣	أثر	الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية	٣	
٢٤٧	أثر	الفنون الإسلامية	٢	
٢٤٨	أثر	الفخار الإسلامي	٢	
٣٣١	أثر	العمارة العباسية	٢	
٣٣٢	أثر	كتابات إسلامية	٢	
٣٣٥	أثر	فنون الكتاب الإسلامي	٢	
٣٧٦	أثر	العمارة في العصرين الأيوبي والمملوكي	٢	
٤٥٢	أثر	المسكوكات الإسلامية	٢	
٤٩٩	أثر	رسالة قصيرة	٢	

(ب) الاختيارية (١٥ ساعة)

رقم المقرر	الرمز	اسم المقرر	عدد الساعات المعتمدة	المتطلب السابق النظري والعملي
٣٣٣	أثر	كتابات إسلامية (تطبيقات)	٣	٣٣٢ أثر
٣٣٤	أثر	العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس	٣	
٣٣٦	أثر	العمارة السلجوقية	٣	
٣٧٧	أثر	مدن ومواقع أثرية إسلامية	٣	
٣٧٨	أثر	آثار فلسطين الإسلامية	٣	
٤٣٢	أثر	العمارة الصفوية والمغولية الهندية	٣	
٤٣٣	أثر	العمارة العثمانية	٣	
٤٣٤	عرب	عمارة المساجد	٣	
٢٧١	عرب	اللغة الفارسية (١)	٣	
٢٧٢	عرب	اللغة الفارسية (٢)	٣	
٢٧٥	عرب	اللغة التركية (١)	٣	
٢٧٦	عرب	اللغة التركية (٢)	٣	
٤٦١	أثر	العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية	٣	
٤٦٢	أثر	أثر الفنون الإسلامية في أوروبا	٣	
٤٦٣	أثر	الآثار الإسلامية في شرق أفريقيا وغربها	٣	

* يدرس الطالب المقررات الإجبارية وخمس عشرة ساعة من المقررات الاختيارية.
على طالب الآثار الذي يرغب في دراسة إحدى الكتابتين (الفارسية، التركية القديمة) أن يختار إحداهما فقط ويدرسها بمقرريها.

ثالثا: المقررات الاختيارية العامة (١٥ ساعة):

يختار الطالب إما إحدى المجموعات الثلاث الآتية وهي: (١) الكتابات السامية الغربية (الشمالية والجنوبية)، (٢) الترميم، (٣) المتاحف. وإما (٤) المقررات الموجهة.

١ ـ الكتابات السامية الغربية (الشمالية والجنوبية) (١٥ ساعة):

رقم المقرر	الرمز	اســـــم المقـــــرر	عدد الساعات	المتطلب السابق والنظري والعملي
٣٤٧	أثر	الكتابة الفينيقية	٢	
٣٤٨	أثر	الكتابة العبرية القديمة (١)	٢	
٣٤٩	أثر	الكتابة العبرية القديمة (٢)	٣	
٣٦٢	أثر	كتابات الجزيرة العربية: الآرامية (٢)	٣	
٣٦٣	أثر	كتابات الجزيرة العربية: المسند (٢)	٣	
٣٦٨	أثر	الكتابة الحبشية القديمة	٢	

٢ ـ الترميم (١٥ ساعة):

رقم المقرر	الرمز	اســـــم المقـــــرر	عدد الساعات	المتطلب السابق والنظري والعملي
٣٨١	أثر	المدخل إلى علم الترميم	٢	
٣٨٢	أثر	كيمياء الآثار	٢	
٣٨٣	أثر	طرق فحص الآثار وعوامل التلف	٢	(١ نظري + ٢,٥ عملي)
٣٨٤	أثر	ترميم الفخار والزجاج	٢	(١ نظري + ٢,٥ عملي)
٤٨١	أثر	معالجة المواد العضوية وصيانتها	٣	(١ نظري + ٢,٥ عملي)
٤٨٢	أثر	ترميم المعادن وصيانتها	٢	(١ نظري + ٢,٥ عملي)
٤٨٣	أثر	ترميم الحجارة ومواد البناء	٢	(١ نظري + ٢,٥ عملي)

٣ ـ المتاحف (١٥ ساعة):

رقم المقرر	الرمز	اســـــم المقـــــرر	عدد الساعات	المتطلب السابق والنظري والعملي
٣٨٥	أثر	نشأة المتاحف وتطورها	٢	
٣٨٦	أثر	التنظيم والإدارة المتحفية	٢	
٣٨٧	أثر	التسجيل والتوثيق المتحفي	٢	
٣٨٨	أثر	النشاط العلمي في المتاحف	٢	
٤٨٤	أثر	الدور التربوي للمتحف	٢	
٤٨٥	أثر	متاحف مختارة	٢	
٤٨٦	أثر	تدريب متحفي	٣	(١ نظري + ٥ عملي)

٤ ـ المقررات الموجهة (١٥ ساعة):

يدرس الطالب خمس عشرة ساعة من قسم واحد من أقسام الجامعة.

(٣) الخطة الثالثة للبكالوريوس وفقا للنظام الفصلي الجديد ١٤١٣هـ

المستوى الأول

١٠٩	جمع	مبادىء علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية	٢
١١١	أثر	المدخل إلى علم الآثار	٢
١١١	ترخ	المدخل إلى علم التاريخ	٢
١١١	جغر	المدخل إلى علم الجغرافيا	٢
١١١	علم	مقدمة في الاتصال	٢
١١١	مكت	مقدمة في علوم المكتبات والمعلومات	٢
١٦١	عرب	المكتبة العربية	٢
١٠١	سلم	مدخل إلى الثقافة الإسلامية	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٦

المستوى الثاني

١١٦	أثر	مقدمة في علم المتاحف	٢
١١٧	أثر	آثار ما قبل التاريخ وفنونه	٣
١١٨	أثر	مبادىء الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية	٣
١٤١	أثر	نشأة الكتابة وتطورها	٢
١٣١	ترخ	تاريخ الشرق الأدنى القديم	٣
١٠٢	سلم	الإسلام وبناء المجتمع	٢
١٠١	نجم	اللغة الإنجليزية	٣
		مجموع وحدات المستوى	١٨

المستوى الثالث

٢٠٣	أثر	العصر الحجري في العالم القديم	٢
٢٠٤	أثر	العصور الحجرية في الجزيرة العربية	٢
٢٠٥	أثر	الفخار في العصور القديمة	٣
٢٨١	أثر	آثار وادي النيل حتى الإسكندر	٢
٢٨٢	أثر	آثار وادي الرافدين حتى الإسكندر	٢
١٢٣	ترخ	تاريخ اليونان والرومان	٣
١٠١	عرب	مهارات لغوية	٢
١٠٣	سلم	النظام الاقتصادي في الإسلام	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٨

المستوى الرابع

٢٠٦	أثر	آثار بلاد الشام وآسيا الصغرى	٢
٢٠٧	أثر	المسكوكات القديمة	٢
٢٠٨	أثر	آثار الجزيرة العربية القديمة وعمارتها	٣
٢٢٤	أثر	الآثار اليونانية والرومانية	٢
٢٤٨	أثر	الفخار الإسلامي	٢
٣٦١	أثر	كتابات الجزيرة العربية : آرامي (١)	٢
٣٦٣	أثر	كتابات الجزيرة العربية : مسند (١)	٢
١٠٣	عرب	التحرير العربي	٢
١٠٤	سلم	النظام السياسي في الإسلام	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٩

المستوى الخامس

٢٠٩	أثر	الكتابات الإسلامية	٣
٢٤٣	أثر	الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية	٣
٢٤٤	أثر	أثر الحضارات القديمة في الحضارة الإسلامية	٢
٢٤٥	أثر	العمارة الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي	٢
٢٤٩	أثر	العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية	٢
٣٣٨	أثر	الدول الإسلامية وحضارتها (١)	٢
٤٥٢	أثر	المسكوكات الإسلامية	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٦

		المستوى السادس	
٢٨٤	أثر	الفن والعمارة في المغرب والأندلس	٣
٣٣١	أثر	العمارة العباسية	٢
٣٣٦	أثر	الفن والعمارة في المشرق الإسلامي	٢
٣٣٧	أثر	الفنون الإسلامية	٣
٣٤٦	أثر	الدول الإسلامية وحضارتها (٢)	٢
٤٩٩	أثر	رسالة قصيرة ومنهج بحث	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٤

		المستوى السابع	
٢٠١	أثر	مواد فنية مساعدة (١)	
		تصوير + مساحة + رسم هندسي	٢
٢٠٢	أثر	مواد فنية مساعدة (٢)	
		ترميم + صيانة آثار	٢
٣٣٩	أثر	طرق التنقيب عن الآثار:	
		تدريب ميداني عملي	٨
		مجموع وحدات المستوى	١٢

يختار الطالب في المستوى الثامن أحد المسارات التالية:

(١) آثار قديمة «١»

٢١٨	أثر	ما قبل التاريخ في العالم الجديد	٣
٢٨٥	أثر	كتابات قديمة: مصري/أكادي	٣
٤١٥	أثر	ظهور الحضارات القديمة	٣
٤١٩	أثر	العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى	٣
٤٢٩	أثر	الكتابة العبرية القديمة	٣
		مجموع وحدات المستوى	١٥

(٢) آثار قديمة «٢»

٢٨٦	أثر	كتابات كلاسيكية: يوناني/لاتيني	٣
٣٥٢	أثر	كتابات الجزيرة العربية: مسند (٢)	٣
٣٦٢	أثر	كتابات الجزيرة العربية: آرامي (٢)	٣
٣٨٩	أثر	آثار البحر الأحمر وشرق أفريقيا	٢
٤٢٣	أثر	آثار الشرق الأدنى الهلنستية	٢
٤٣٥	أثر	الأساطير القديمة	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٥

(٣) آثار إسلامية:

٤٣٨	أثر	العمارة في العصرين الأيوبي والمملوكي	٣
٤٣٩	أثر	أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا	٢
٤٤١	أثر	العمارة السلجوقية والعثمانية	٣
٤٤٢	أثر	الآثار الإسلامية في شرق أفريقيا وغربها	٢
٤٤٣	أثر	فنون الكتاب والتصوير عند المسلمين	٢
٤٤٤	أثر	كتابات فارسية/تركية	٣
		مجموع وحدات المستوى	١٥

(٤) المتاحف والمعارض وصيانة الآثار:

٣٨٦	أثر	التنظيم والإدارة المتحفية	٢
٣٨٧	أثر	التسجيل والتوثيق المتحفي	٢
٤٤٥	أثر	المدخل إلى علم الصيانة والترميم	٢
٤٤٦	أثر	طرق فحص الآثار وتحليلها	٢
٤٤٨	أثر	معالجة المواد الأثرية	٣
٤٤٩	أثر	تدريب متحفي	٢
٤٥٥	أثر	الدور التربوي والعلمي للمتحف	٢
		مجموع وحدات المستوى	١٥

الخطة الدراسية الأولى للماجستير (١٤٠٨ ـ ١٤١٢هـ)

تدرس مقررات الماجستير على النحو الآتي: يقوم الطالب بدراسة المقررات الإجبارية العامة (الفصل الأول) ثم يختار تخصصه العام، وهو إما الآثار القديمة والكلاسيكية (الفصل الثاني)، وإما الآثار الإسلامية (الفصل الثالث). ويحدد تخصصه الدقيق داخل التخصص العام الذي يختاره. ويلاحظ أن الأرقام الفردية في خانة العشرات قد خصصت للآثار الإسلامية بينما خصصت الزوجية للآثار القديمة والكلاسيكية.

الفصل الأول: المقررات الإجبارية العامة (٨ ساعات):

يدرس كل طلاب الماجستير المقررات الآتية:

ـ ٥١١ نظريات في علم الآثار (ساعتان).

ـ ٥١٢ دراسة المعثورات وتحليلها (ساعتان).

ـ ٥١٣ طرق التاريخ ووسائله (ساعتان).

ـ ٥١٤ مهارات أثرية (ساعتان).

الفصل الثاني: الآثار القديمة والكلاسيكية (٢٢ ساعة):

تتم دراسة المقرر في الآثار القديمة والكلاسيكية بدراسة المقررين الإجباريين (الفقرة أولا) ثم المقررات التخصصية المناسبة لتخصصه حسبما هو مبين في الفقرة ثانيا. وذلك على النحو الآتي:

أولا: المقرران الإجباريان (٤ ساعات):

ـ ٥١٥ الاستيطان الحضري في العالم القديم (ساعتان).

ـ ٥١٦ الصلات الحضارية في العالم القديم (ساعتان).

ثانيا: المقررات التخصصية (١٨ ساعة):

يختار الطالب التخصص الذي يريده ابتداء بالمجموعة الأولى وما يتعلق بها من مقررات حسب ما هو منصوص عليه تحت المجموعات:

المجموعة الأولى: الفن والعمارة القديمة والكلاسيكية (٤ ساعات):

يدرس الطالب المقررين المناسبين لتخصصه من المقررات الآتية:

ـ ٥٢١ الفن والعمارة في مصر القديمة (ساعتان)

ـ ٥٢٢ الفن والعمارة في وادي الرافدين وإيران (ساعتان)

ـ ٥٢٣ الفن والعمارة في بلاد الشام والأناضول (ساعتان)

- ٥٢٤ الفن والعمارة في السودان القديم (ساعتان)
- ٥٢٥ الفن والعمارة في الجزيرة العربية قبل الإسلام (ساعتان)
- ٥٢٦ الفن والعمارة في شرق أفريقيا (ساعتان)
- ٥٢٧ الفن والعمارة اليونانية والهلينستية (ساعتان)
- ٥٢٨ الفن والعمارة الرومانية والبيزنطية المبكرة (ساعتان)

المجموعة الثانية: الحضارة القديمة والكلاسيكية (٤ ساعات):

يدرس الطالب المقررين المناسبين لتخصصه من المقررات الآتية:

- ٥٤١ حضارة مصر القديمة (ساعتان)
- ٥٤٢ حضارة وادي الرافدين وإيران (ساعتان)
- ٥٤٣ حضارة بلاد الشام والأناضول (ساعتان)
- ٥٤٤ حضارة السودان القديم (ساعتان)
- ٥٤٥ حضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام (ساعتان)
- ٥٤٦ حضارة شرق أفريقيا (ساعتان)
- ٥٤٧ الحضارة اليونانية والهلينستية (ساعتان)
- ٥٤٨ الحضارة الرومانية والبيزنطية المبكرة (ساعتان)

المجموعة الثالثة: قضايا أثرية قديمة وكلاسيكية (٤ ساعات):

يدرس الطالب المقررين المناسبين لتخصصه من المقررات الآتية:

- ٥٦١ قضايا أثرية من مصر القديمة (ساعتان)
- ٥٦٢ قضايا أثرية من وادي الرافدين وإيران (ساعتان)
- ٥٦٣ قضايا أثرية من بلاد الشام والأناضول (ساعتان)
- ٥٦٤ قضايا أثرية من شرق أفريقيا والسودان (ساعتان)
- ٥٦٥ قضايا أثرية من الجزيرة العربية قبل الإسلام (ساعتان)
- ٥٦٦ قضايا أثرية يونانية وهلينستية (ساعتان)
- ٥٦٧ قضايا أثرية رومانية وبيزنطية مبكرة (ساعتان)

المجموعة الرابعة: الكتابات القديمة والكلاسيكية (٦ ساعات):

يدرس الطالب ست ساعات من المقررات المتعلقة والمتجانسة الآتية (تقتضي دراسة المقرر الذي عليه نجمة

دراسة ما قبله، إن لم يكن قد درسه الطالب في البكالوريوس):

- ٥٨١ كتابات قديمة: مصري (٣)* (٣ ساعات)
- ٥٨٢ كتابات قديمة: أكادي (٣)* (٣ ساعات)
- ٥٨٣ كتابات الجزيرة العربية: آرامي (٢) (٣ ساعات)
- ٥٨٤ كتابات سامية: عبري (٣)* (٣ ساعات)
- ٥٨٥ كتابات الجزيرة العربية: المسند (٣) (٣ ساعات)
- ٥٨٦ كتابات الجزيرة العربية: المسند (٤) (٣ ساعات)
- ٥٨٧ كتابات ساميّة: حبشي (٣)* (٣ ساعات)
- ٥٨٨ كتابات كلاسيكية: يوناني (٣)* (٣ ساعات)
- ٥٨٩ كتابات كلاسيكية: لاتيني (٣)* (٣ ساعات)

* تقتضي دراسة هذا المقرر دراسة ما قبله إن لم يكن قد درسه من قبل.

الفصل الثالث: الآثار الإسلامية (٢٢ ساعة):

يدرس الطالب المقررات الإجبارية (الفقرة أولا: ١٦ ساعة) ومن المقررات الاختيارية (الفقرة ثانيا) ما مجموعه ست ساعات على نحو ما هو مشروح في موضعه.

أولا: المقررات الإجبارية (١٦ ساعة):

يدرس الطالب المقررات الآتية:

- ٥٣١ أصول العمارة والفنون الإسلامية (ساعتان)
- ٥٣٢ الكتابات والنقوش قبيل الإسلام (ساعتان)
- ٥٣٣ الآثار والعمارة الإسلامية في بلاد الشام (ساعتان)
- ٥٣٤ الآثار والعمارة الإسلامية في العراق وإيران (٢) (ساعتان)
- ٥٣٥ الآثار والعمارة الإسلامية في مصر (ساعتان)
- ٥٣٦ الفخار الإسلامي (ساعتان)
- ٥٣٧ الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية (١) (ساعتان)
- ٥٣٨ الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية (٢) (ساعتان)

ثانيا: المقررات التخصصية (٦ ساعات):

يدرس الطالب ما مجموعه ست ساعات يختارها من واحدة من المجموعات المذكورة أدناه:

المجموعة الأولى: الآثار والعمارة الإسلامية:

- ٥٥١ أثر الآثار والعمارة الإسلامية في شمال أفريقيا (ساعتان)
- ٥٥٢ أثر الآثار والعمارة الإسلامية في الأندلس (ساعتان)
- ٥٥٣ أثر الآثار والعمارة الإسلامية في أواسط آسيا (ساعتان)
- ٥٥٤ أثر الآثار الإسلامية في دول المحيط الهندي (ساعتان)
- ٥٥٥ أثر الآثار والعمارة الإسلامية في الهند (ساعتان)
- ٥٥٦ أثر الآثار والعمارة الإسلامية في آسيا الصغرى (ساعتان)
- ٥٥٧ أثر الآثار الإسلامية في غرب أفريقيا (ساعتان)
- ٥٥٨ أثر العمارة والفنون الزخرفية التقليدية الإسلامية (ساعتان)
- ٥٥٩ أثر العوامل المؤثرة في الآثار الإسلامية (ساعتان)

المجموعة الثانية: الفنون الإسلامية:

- ٥٧٢ أثر الفنون الإسلامية (١) (ساعتان)
- ٥٧٣ أثر الفنون الإسلامية (٢) (ساعتان)
- ٥٧٤ أثر الفنون الإسلامية (٣) (ساعتان)

المجموعة الثالثة: الحرف والتقنيات والوسائل:

- ٥٧١ أثر القنيات الحرفية في العالم الإسلامي (ساعتان)
- ٥٧٥ أثر المسكوكات الإسلامية (ساعتان)
- ٥٧٦ أثر الموازين والمكاييل (ساعتان)

المجموعة الرابعة: الكتابات:

(تقتضي دراسة المقرر الذي عليه نجمة دراسة ما قبله إن لم يكن قد درسه الطالب في البكالوريوس):

- ٥٩١ أثر الكتابات الإسلامية والبرديات (٢)* (ساعتان)
- ٥٩٢ أثر كتابات إسلامية: فارسي (٣)* (ساعتان)
- ٥٩٣ أثر كتابات إسلامية: تركية قديمة (٣)* (ساعتان)

* تقتضي دراسة المقرر دراسة ما قبله إن لم يكن قد درسه من قبل.

- ٦٠٠ أثر رسالة الماجستير (٦ ساعات)

الخطة الدراسية الحالية للماجستير وفقا للنظام الفصلي الجديد (آثار قديمة)

«مسار أ، ب، جـ»

المستوى الأول مشترك مع الإسلامي

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥١١ أثر	نظريات في علم الآثار	٢
٢	٥١٣ أثر	طرق التاريخ ووسائله	٢
٣	٥١٤ أثر	مهارات أثرية	٣
٤	٥١٧ أثر	منهج البحث الأثري	٢
٥	٥٣١ أثر	الصناعات التقليدية	٣

المستوى الثاني مسار (أ) عمارة

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥٢٩ أثر	العمارة في الشرق الأدنى القديم	٣
٢	٥٤٩ أثر	العمارة في الجزيرة العربية	٣
٣	٥٦٨ أثر	كتابات قديمة	٣
٤	٥١٨ أثر	آثار قديمة (موضوع خاص)	٣
٥			١٢

المستوى الثاني مسار (ب) فنون

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥١٩ أثر	فنون قديمة (موضوع خاص)	٣
٢	٥٦٩ أثر	الفنون في الشرق الأدنى القديم	٢
٣	٥٨٥ أثر	كتابات الجزيرة العربية	٣
٤	٥٩٥ أثر	الفن في الجزيرة العربية	٣
٥			١٢

المستوى الثاني مسار (جـ) كلاسيكي

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥٣٩ أثر	فن/عمارة	٣
٢	٥٩٦ أثر	الفن والعمارة في الفترة الكلاسيكية في الجزيرة العربية	٣
٣	٥٩٧ أثر	كتابات كلاسيكية	٣
٤	٥٩٩ أثر	الفن والعمارة في الفترة الكلاسيكية في الشرق الأدنى القديم	٣
٥			١٢

الخطة الدراسية الحالية للماجستير وفقا للنظام الفصلي الجديد (آثار إسلامية)
«مسار أ، ب»

المستوى الأول مشترك مع القديم

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥١١ أثر	نظريات في علم الآثار	٢
٢	٥١٣ أثر	طرق التاريخ ووسائله	٢
٣	٥١٤ أثر	مهارات أثرية	٣
٤	٥١٧ أثر	منهج البحث الأثري	٢
٥	٥٣١ أثر	الصناعات التقليدية	٣

١٢

المستوى الثاني مسار (أ) عمارة إسلامية

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥٧٧ أثر	العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية	٣
٢	٥٧٨ أثر	عمارة إسلامية (موضوع خاص)	٣
٣	٥٧٩ أثر	العمارة التقليدية في الجزيرة	٣
٤	٥٩٨ أثر	أصول العمارة الإسلامية	٣
٥			١٢

المستوى الثاني مسار (ب) فنون إسلامية

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٥٣٦ أثر	الفخار والخزف الإسلامي	٣
٢	٥٧٥ أثر	المسكوكات الإسلامية	٣
٣	٥٩١ أثر	الكتابات الإسلامية	٣
٤	٥٩٤ أثر	فنون إسلامية (موضوع خاص)	٣
٥			١٢

خطة الدكتوراه المقترحة الأولى

يختار الطالب واحدًا من التخصصات الأربعة الآتية، في حلقات بحث لعشر ساعات عن آثار الجزيرة العربية :

٥ : ١ ـ الجزيرة العربية فيما قبل التاريخ (عشر ساعات) :

تدرس جميع الموضوعات الآتية :

٦١١	أثر	التطور والتغير الثقافيان : النظريات	(ساعتان)
٦١٢	أثر	التطور والتغير الثقافيان : التطبيق	(ساعتان)
٦١٣	أثر	مواد مختارة : تصنيف ودراسة	(٣ ساعات)
٦١٤	أثر	موضوع خاص	(٣ ساعات)

٥ : ٢ ـ الممالك العربية (١٠٠٠ ق.م ـ ٥٠٠م) (عشر ساعات) :

تدرس جميع الموضوعات التالية :

٦١١	أثر	التطور والتغير الثقافيان : النظريات	(ساعتان)
٦١٢	أثر	التطور والتغير الثقافيان : التطبيق	(ساعتان)
٦٢٣	أثر	آثار الجزيرة العربية	(٣ ساعات)
٦٢٤	أثر	موضوع خاص	(٣ ساعات)

٥ : ٣ ـ العصور الإسلامية (عشر ساعات) :

تدرس جميع الموضوعات الآتية :

٦١١	أثر	التطور والتغير الثقافيان : النظريات	(ساعتان)
٦١٢	أثر	التطور والتغير الثقافيان : التطبيق	(ساعتان)
٦٢٣	أثر	الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية	(٣ ساعات)
٦٢٤	أثر	موضوع خاص	(٣ ساعات)

٥ : ٤ ـ الكتابات (عشر ساعات) :

يدرس الطالب الموضوعات ٦١١، ٦٤٣، ٦٤٤ وموضوعًا رابعًا مما يأتي :

٦١١	أثر	التطور والتغير الثقافيان : النظريات	(ساعتان)
٦٤٣	أثر	علم الكتابات	(ساعتان)
٦٤٤	أثر	موضوع خاص : اللغات السامية المقارنة	(٣ ساعات)

٦٤٥	أثر	نصوص عربية جنوبية	(٣ ساعات)
٦٤٦	أثر	نصوص عربية شمالية	(٣ ساعات)
٦٤٧	أثر	نصوص كلاسيكية	(٣ ساعات)
٦٤٨	أثر	نصوص آرامية ونبطية	(٣ ساعات)
٦٤٩	أثر	نصوص إسلامية	(٣ ساعات)

الخطة الدراسية الثانية المقترحة للدكتوراه وفقا للنظام الفصلي الجديد

«مسار ١، ٢، ٣، ٤»

المستوى الأول: مسار (١) الجزيرة فيما قبل التاريخ

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٦١٤ أثر	موضوع خاص	٣
٢	٦١٥ أثر	التطور والتغير الثقافيان	٣
٣	٦١٦ أثر	ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية	٣
٤			
٥			

المستوى الأول: مسار (٢) الممالك العربية

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٦١٥ أثر	التطور والتغير الثقافيان	٣
٢	٦٢٣ أثر	آثار الجزيرة العربية	٣
٣	٦٢٤ أثر	موضوع خاص	٣
٤			
٥			

المستوى الأول: مسار (٣) العصور الإسلامية

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٦١٥ أثر	التطور والتغير الثقافيان	٣
٢	٦٣٣ أثر	الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية	٣
٣	٦٣٤ أثر	موضوع خاص	٣
٤			
٥			

المستوى الأول: مسار (٤) الكتابات

م	رقم المقرر ورمزه	مسمى المقرر	عدد الساعات
١	٦٤٣ أثر	علم الكتابات	٣
٢	٦٤١ أثر	اللغات السامية المقارنة	٣
٣	٦٤٢ أثر	موضوع خاص (نصوص)	٣
٤			
٥			

الباب الأول

آثار ما قبل التاريخ



نظريات في الديموغرافيا ومدى تطبيقها على بعض المواقع الاثرية في العراق وايران

الدكتور إسماعيل حجاره

إن عمر الثقافة الإنسانية على الأرض يقدر بحوالي مليوني سنة. ٩٩٪ منها عاشها الإنسان كصياد وجامع للقوت، ومرّ عبرها بعدة تطورات بيولوجية وتحولات ثقافية (صناعة الآلات والأدوات الحجرية وتطورها، الصيد، والتقاط القوت وجمعه... إلخ).

وبدأ الإنسان منذ ما يقارب العشرة آلاف سنة بتدجين واستئناس كل من النبات والحيوان، وانتقل من مرحلة الصيد والجمع إلى مرحلة إنتاج القوت (الزراعة وتربية الحيوان) التي يشار إليها باسم ثورة العصر الحجري الحديث التي رافقتها تغيرات اقتصادية واجتماعية في حياة الإنسان. وعلى الرغم من صعوبة معرفة بداية ممارسات الإنسان للزراعة إلا أنه يمكن التخمين بأن تلك العملية قد ترجع جذورها لفترة العصر الحجري القديم الأعلى، وسارت ببطء، ومرت بمراحل ربما امتدت إلى عشرة آلاف عام إلى أن وصلت إلى شكلها النهائي في فترة العصر الحجري الحديث؛ وقدم الأثاريون والإنثروبولوجيون والمختصون بالمناخ أسبابًا عدة عن أصل ظهور الزراعة والتغير الثقافي. وسنعرض لنظرية العامل الديموغرافي (السكاني) التي استخدمت لتفسير أسباب ظهور الزراعة والتغير الثقافي ثم تطور المجتمع من مرحلة القرى إلى مرحلة الاستيطان المدني والدولة.

إن دراسة نمو السكان وأثره في المجتمع يمكن تتبعها من نهاية القرن الثامن عشر، ففي عام ١٧٩٨م نشر روبرت مالثوس Robert Thomas Malthus دراسته بعنوان «مقالة حول مبدأ السكان» An Essay on the Principle of Population as it Affect the Future Improvement of Society ناقش فيها العلاقة بين حجم السكان والموارد الغذائية المتاحة، ونبه الأذهان إلى زيادة السكان غير المتناسبة مع الموارد الغذائية. وقال إن السكان يزدادون بمتوالية هندسية، بينما الغذاء يزداد بمتوالية عددية. وإن زيادة السكان يرافقها الجوع والبؤس ما لم يُحسن الإنسان الإنتاج لزيادة مصادر الغذاء.

وقُدّمت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عدة دراسات في علم السكان (الديموغرافيا) من قبل الاقتصاديين والإحصائيين ودرست زيادة السكان من قبل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الذي يهتم بدراسة تطور الإنسان وثقافته من أجل تحليل المجموع الكلي للإنسان في منطقة معينة، لأن كل الثقافات تتكون من السكان، ويكوّن السكان ثقافة واحدة أو أكثر، وفي هذه الفترة سادت نظريات التطور في معظم الدراسات البيولوجية

(الأحياء) والاجتماعية؛ فنشر هربرت سبنسر Herbert Spencer كتابه «الأستاتيكيا الاجتماعية» Social Statics عام ١٨٥١م؛ حيث طرح آراءه في التطور سواء في مجال الكائنات العضوية أو المجتمع، وقال إن الحياة الاجتماعية تتطور من حياة بسيطة إلى حياة معقدة، ومن حياة متجانسة إلى حياة مختلفة، وفي عام ١٨٦٢م نشر سبنسر كتابًا آخر بعنوان «المبادىء الأولى»، حيث عرّف التطور بأنه التحول من التجانس المتنافر إلى اللاتجانس غير المتنافر المحدد نسبيًا، خلال تمايز وتكامل ناجح، كما قال بأثر الحرب Warfare في تطور المجتمع من حال الغزو إلى حالة الصناعة.

وفي عام ١٨٥٩م نشر تشارلس دارون Charles Darwin كتابه الشهير «أصل الأنواع» On the Origin of Species بعد اطلاعه عام ١٨٣٨م على مقالة مالثوس حول مبدأ السكان التي حفزته على صياغة نظرية الانتخاب الطبيعي وطبقها على جميع عالم الأحياء ماضيها وحاضرها؛ إذ تساءل: إذا كان ذلك صحيحًا بالنسبة للحيوانات فإنها يجب أن تُنافس من أجل البقاء، أي إن الطبيعة تعمل كقوة اختيار أو انتقاء فينقرض النوع الضعيف وتزدهر أنواع أخرى من الحيوانات الباقية تكون أقدر على الملاءمة مع بيئتها حيث البقاء للأصلح، ومعنى ذلك أن عملية الخلق الحي ليست عملية ساكنة جامدة؛ بل تتغير مع الزمن كما يظهر ذلك في التاريخ الطبيعي لحياة المخلوقات المختلفة والمنقرضة التي يعثر على متحجراتها في الطبقات الجيولوجية في القشرة الأرضية التي ظهر الإنسان في سجل طبقاتها المتأخرة جدًا، وبذلك فإنها تختلف عن قوانين الطبيعة ذات القوانين الثابتة التي لا تتغير.

وبعد عقدين من الزمن أي في عام ١٨٧٧م نشر لويس هنري مورجان Lewis Henry Morgan كتابه «المجتمع القديم» Ancient Society الذي طرح فيه نظريته في التطور الاجتماعي، وقدم مخططًا للمراحل التطورية التي يمرّ بها المجتمع الإنساني من مرحلة الوحشية إلى مرحلة البربرية، وأخيرًا مرحلة الحضارة، ويربط مورجان في مخططه بين المراحل المتعاقبة للثقافات ومراحل التطور التكنولوجي، إذ أن لكل مرحلة ثقافية مستوى تكنولوجيًا أكثر تعقيدًا، وأكثر كفاءة وفعالية من المرحلة السابقة؛ وبهذا يتخذ مورجان المستوى التكنولوجي مقياسًا للتطور الاجتماعي.

وأهملت كتابات مورجان في بداية القرن العشرين، ومضت سنوات عدة قبل أن تأخذ أعماله قيمتها التي تستحقها في الدراسات الأنثروبولوجية في نظرية التطور الحديثة، وذلك بأعمال كان من روادها جوليان ستيوارد Jolian Steward ولزلي وايت Leslie White وجوردن تشايلد Gordon Childe.

ويعد ستيوارد رائد الاتجاه التطوري المتعدد الخطوط Multilinear Evolution وواضع مخطط الأيكولوجيا الثقافية Culture Ecology التي هي دراسة تغير الثقافة الناشىء عن التكيف مع البيئة الطبيعية وتميز الأنماط الثقافية التي تميز مناطق ثقافية مختلفة. وقال إن التكنولوجيا والتنظيمات الاقتصادية أساس تطور الثقافة ونموها[1].

(١) Steward, Julian (1955), Theory of Culture Change, University of Illinois Press, Urbana, Chicago (Fourth paperback printing pp. 11-42); (1959) Irrigation Civilizations: A Comparative study Pan American Union, Social Science Monographs, No. 1, Washington D.C.

ويعد لزلي وايت Leslie white وجوردن تشايلد من رواد المدرسة التطورية العمومية Universal Evolution للثقافة، ولقد كانا على عِلْم بعيوب مخطط نظرية التطور العام، وحاولا الإبقاء على فكرة المراحل التطورية حية، ولكن ليس لتطبيقها على مجتمعات معينة كما فعل مورجان؛ بل اعتبراها مراحل تطورية للثقافة (طريق التطور الواحد)؛ ويعتقد وايت أن الثقافة بجملتها تتكون من ثلاثة فروع هي :

- الفرع التكنولوجي. وهو القاعدة للفروع الأخرى، ويتكون من المادة الميكانيكية، الفيزيائية، الكيميائية مع التقنية في طرق أو وسائل استخدامها.
- الفرع السسيولوجي. ويتكون من العلاقات القائمة بين الأشخاص والتي تظهر كنمط سلوكي مثل التنظيم الاجتماعي، القرابة، القيم والأخلاق، الاقتصاد، التنظيم السياسي والعسكري.
- الفرع الأيديولوجي. ويتكون من الأفكار والمعتقدات والمعرفة[٢].

ويرى وايت أن الفرع التكنولوجي هو المفتاح الذي يساعدنا على تفهم نمو الثقافة وتطورها بجملتها، وهو الذي يلعب الدور الرئيسي في التغير الثقافي الذي يحدث عندما يطور الإنسان الوسائل التكنولوجية حيث يستطيع بواسطتها الحصول على طاقة أكثر من السابق حتى يلبي احتياجاته. هذا ويمكن اقتباس أو استعارة الوسائل التكنولوجية من مجتمع لآخر، إذ أن الثقافة تنمو وترقى وفقًا لازدياد كمية الطاقة التي استغلتها أقدم الأنساق الثقافية في تاريخ تطورها والتي تبدو تتابعًا زمنيًّا في تاريخ الإنسان الذي استخدم في مراحله الأولى طاقته الجسمية، ثم استخدم طاقة النار (في العصور الحجرية القديمة)، ثم الطاقة الناتجة عن تأهيل النبات والحيوان (العصر الحجري الحديث) زيادة الغذاء، ظهور القرى الزراعية، زيادة السكان، ثم الطاقة الناتجة عن استخدام الري (الهايدروليك، زيادة الغذاء، زيادة السكان، ظهور المدن، تجارة المسافات البعيدة، الدولة الإمبراطورية) الطاقة الناتجة عن استخدام الوقود (القرن التاسع عشر)، ثم الطاقة النووية (القرن العشرين). ويعتقد وايت أن من الطاقات الرئيسية التي ابتكرها الإنسان الزراعة التي لم تكن نتيجة اختراع فرد أو اكتشاف واحد، أو عن طريق الصدفة، بل هي نتيجة لمجموعة عديدة من التجارب العملية. العلاقات بين الإنسان والنبات والتي استغرقت عشرات الآلاف من السنين؛ أي منذ أصبح النبات جزءًا من غذاء الإنسان، وقد طورت واخترعت أنواع مختلفة من الآلات والتقنيات، وأنواع لا تُحصى من الأنظمة الثقافية كانت قابلة لتزويد الإنسان بمصدر غذائي كافٍ يعتمد كليًّا على النباتات والحيوانات البرية. إن الأنظمة الثقافية تربط الإنسان ببيئته، وعندما يقوم توازن ثقافي بينهما يكون من الممكن أن يستمر لمدة غير محددة حتى يضطرب التوازن بسبب تطفل عامل جديد أو اقتحامه، واختفاء العامل القديم أو تغير جوهري في التشكيل الثقافي. وقد بدأت الزراعة عندما اختل التوازن القديم للصيادين جامعي

---

(٢) White, Leslie (1949), The Science of Culture, Farrar, Strauss and Co. New York, p. 364.

القوت، ومن خلال مراحل من التعايش والعلاقات مع النباتات أصبحت هناك أنواع أساسية للعيش، وإذا افترض أن العلاقات بين الإنسان ومصادر غذائه من النباتات البرية تجتاز تغيراً ليس في صالح الإنسان فإن الضغط السكاني على مصادر الغذاء يمكن أن يزداد بسبب الهجرة، أو أن مصادر الغذاء سوف تنخفض نتيجة لتغير المناخ، أو الظواهر الطبيعية، ففي كلتا الحالتين تنخفض كمية الغذاء إذا لم يتغير العامل التكنولوجي. وهذا سيعني انخفاض كمية الغذاء المنتجة لوحدة توسع طاقة الإنسان.

وإذا قلّ الغذاء في إحدى المناطق المجاورة، فإن الإنسان سيقوم بالتقصي والبحث عن الطعام في حقل آخر، وهذا يعني بذل جهد وطاقة أكثر؛ لذلك فإن احتمال حدوث نقصان في كمية الغذاء التي يمكن الحصول عليها من وحدة توسع طاقة الإنسان لسبب أو لآخر ستتبعه إحدى النتائج التالية:

١ - انخفاض في مستوى المعيشة (نكوص ثقافي).

٢ - اللجوء إلى الهجرة.

٣ - الاتجاه نحو الزراعة وتربية الحيوان أو كليهما.

فقد حدث في أزمنة وأمكنة محددة في مسيرة تاريخ الثقافة أن جاء التهديد من نقصان مصادر الغذاء من زيادة السكان التي كانت بسبب هجرة أو تدهور في النبات المحلي الناشىء عن تغير مناخي أو طبيعي، وجوبه هذا النقصان بدرجات مختلفة من السيطرة الثقافية على حياة النبات والتي تدعى مجتمعة باسم الزراعة، وسبب ظهور الزراعة عند وايت هو العامل الديموغرافي؛ إذ أن زيادة الضغط على مصادر الغذاء أخل بالتوازن بين الحاجة وكمية الغذاء المتاحة، ممهدًا محاولات للسيطرة على موارد الغذاء وذلك بواسطة استخدام تقنية جديدة[٣].

جوردن تشايلد Gordon Childe

اعتقد تشايلد أن نظرية العصور الثلاثة (العصر الحجري، العصر البرونزي، العصر الحديدي) التي صاغها بشكلها النهائي ثومبسن (١٧٨٨ - ١٨٦٥م) Christian Jurgenson Thomson ، على الرغم من أنها تمثل فكرة التطور التكنولوجي بشكل رائع لكنها لم تكن مراحل زمنية متعاقبة؛ إذ لم تظهر مجتمعات بهذا الشكل من التقسيم في العالم[٤].

وحاول تشايلد تمييز التطور العام المتعاقب في اقتصاد الإنسان وحياته الاجتماعية، وكان متأثرًا كثيراً بكتابات

---

(٣) White, Leslie (1949), The Evolution of Culture, New York, pp. 6, 10, 17-22, 40-41, 284-287.

(٤) Childe, V. Gordon (1951), Man Makes Himself (Twelfth Printing, mentor books), pp. 35, 41-42.

مورجان، واعتقد أن الدليل الوحيد الذي يمكن الوثوق به كشاهد للتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي هو الدليل الأثري (الآركيولوجي).

وطبق مخطط مورجان في التطور الاجتماعي على الإنسانية ككل، وبصفة خاصة من وجهة النظر الأثرية؛ إذ أن مرحلة الوحشية عند مورجان تقابلها عند تشايلد فترة العصر الحجري القديم بأقسامه، والعصر الحجري الوسيط الذي يقع في العصر الجيولوجي المعروف البليستوسين Pleistocene، وقال تشايلد إن إنسان العصر الحجري القديم الأعلى في أوربا كان يواجه مناخًا شبه قطبي، لأن طبقة الجليد العظمى كانت لا تزال تغطي السهوب الشمالية، وكانت مجموعات هذا الإنسان تعتمد على الصيد البري والمائي وجمع الأغذية، واستطاعت أن تحسن أساليبها وجهازها التقني، وتعلمت بفضل الاختيار المشترك للأجيال السابقة أن تستثمر الأحوال الطبيعية استثمارًا تامًا، وأن تصنع أدوات جديدة تتطلب حذقًا ومهارة (الحجر، الخشب، العظم، القرون والعاج) مكنتها من صيد القطعان الكبيرة من الماموث والوعول والثيران والمواشي البرية والخيول التي كان صيدها يتطلب تعاون جماعة أكبر من الأسرة الطبيعية، وربما ظهر مبدأ تقسيم العمل بين الجنسين، وظهر نوع من تبادل المواد، وتطور الجانب الروحي للإنسان في هذه الفترة أكثر من السابق (كما يظهر ذلك في مراسيم الدفن، الدمى الصغيرة للنساء المصنوعة من العاج أو الصخر، ولمعظمها ملامح جنسية ظاهرة وبارزة، والرسوم على جدران الكهوف وزخرفة الآلات وأدوات الصيد برسوم حيوانية) وبذلك أنتج إنسان هذا العصر خاصة في أوربا ثقافة رائعة تزايد خلالها عدد السكان تزايدًا محسوسًا؛ وذلك نتيجة لوفرة الموارد الغذائية التي سببتها الأحوال الجليدية، وكذلك النظام الاقتصادي اختصاصي النزعة الذي استطاع استغلال هذه الأحوال، وكذلك عملت جملة ظروف مناسبة خارجة عن سيطرتهم على تزويدهم بغذاء كاف لسد حاجة السكان الذين أخذ عددهم في الازدياد، وكان الحصول على الغذاء سهلاً لكن كميته كانت محدودة وقابلة للانتهاء، لذلك أصبح عدد السكان محدّدًا، وفي النهاية أخذ في التناقص عندما بدأت الأحوال المناخية المناسبة في الزوال(٥).

وفي فترة العصر الحجري الوسيط Mesolithic ذابت الثلوج، وطغت الغابات على مناطق التوندرة والسهوب الأوربية، وهاجرت قطعان الماموث والوعول والثيران البرية أو انقرضت، وبزوال هذه الحيوانات ذبلت ثقافة المجتمعات التي كانت تعيش عليها، لذلك نجد أناس هذا العصر يبدون في غاية الفقر إذا ما قورنوا بمجتمعات الفترة السابقة. وقد طور وابتكر أناس هذه الفترة مجموعة من الآلات والأدوات والفؤوس التي استخدمت في قطع الأخشاب وتصنيعها، وتوسعوا أكثر في مصادر الغذاء التي يمكن أن تقدمها الطبيعة(٦).

---

(٥) Ibid, pp. 45-58.

(٦) Childe, V. Gordon (1957), The Dawn of Eurpean Civilization (Sixth Edition Ventage books), pp. 1-14.

أما فترة العصر الحجري الحديث Neolithic Period والتي تُقابلها عند مورجان بداية مرحلة البربرية، وتقع في بداية الفـترة الجيولـوجية الحالية والتي تُعرف باسم الهلوسين Holocene فقد أعقبت فترة المناخ التي أنهت فترة البليستوسين فذوبان الكتل الثلجية الشمالية حول سهوب أوربا ومستنقعاتها إلى غابات معتدلة المناخ، كما بدأت المروج الممتدة جنوب البحر المتوسط وغرب آسيا تتحول إلى صحارٍ تتخللها واحات؛ وبسبب هذا التغير المفاجيء لجأ الإنسان والحيوان إلى موارد المياه الدائمة، فلجأ صيادو القوت وجامعوه إلى سكنى متفرقة حول وديان الأنهار (دجلة، الفرات، النيل) والواحات التي لم تجف[7]. واستمرت النباتات في النمو على نحو كثيف حول مصادر المياه الدائمة، حيث نبتت من تلقاء نفسها الأصول البرية للقمح والشعير، وفي الوقت نفسه كانت تعيش في هذه المناطق الأصول الوحشية للأغنام والماعز والأبقار والخنازير[8].

إن مجتمعات الشرق الأدنى قبل فترة العصر الحجري الحديث كانت في الأساس جامعة للغذاء بعدما كانت مجتمعات صائدي الحيوانات الكبيرة، وهذا الاقتصاد المتنوع جعل من السهولة تأثرهم بالانتقال إلى مرحلة إنتاج القوت[9]؛ إذ كان الإنسان يقوم بجمع النباتات الحبية الصالحة للأكل كالقمح والشعير، ثم قام بغرس بذور هذه النباتات في أراض صالحة، ثم زرع الأرض المبذورة بعد تنقية الحشائش وغيرها[10]، ومن ثم أصبحوا يجدون طعامًا يقدمونه لبقية الحيوانات التي كانوا يصطادونها من هذا الطعام المتمثل في البذور التي تبقى في الأرض بعد الحصاد والحسك الذي يغلف الحبوب نفسها.

ولما دفعت الصحراء الحيوانات الصالحة إلى التجمع حول الواحات استطاع الناس أن يدرسوا عادات تلك الحيوانات ويؤلفوها ويخضعوها بدلاً من قتلها فورًا، كما كانت الحال[11]. وكانت تربية المواشي نتيجة مباشرة للصيد. ولم يكن للزراعة شأن بذلك؛ فقد أدى تضاعف قطعان الأغنام والمواشي التي اصطادوها والملاحظات التي جمعوها عن هذه الحيوانات إلى التعرف على أنها قابلة لأن تكون صيدًا أليفًا ومستودعًا من الطعام والجلود بدون الحاجة إلى قتلها. وبسبب هذه العلاقات والمراقبة المستمرة من قبل الإنسان لكل من الحيوان والنبات استطاع تأهيل الأول وتدجين الثاني، وتعرف نظرية تشايلد هذه باسم فرضية الواحة Oasis Hypothesis في أصل ظهور الزراعة، حيث أصبح الإنسان بعدها منتجًا للغذاء مشاركًا الطبيعة في ذلك بدلاً من أن يكون عالة عليها، وقد أطلق تشايلد على

---

(٧) Childe, V. Gordon (1953), New Light on the Most Ancient East.

(٨) Ibid, pp. 25; (1951), p. 67.

(٩) Childe (1953), p. 41.

(١٠) Childe (1951), p. 71.

(١١) Ibid, p. 68.

هذه العملية مصطلح «ثورة العصر الحجري الحديث»؛ ولهذا فإن أسباب ممارسة الزراعة وتأهيل الحيوان كان نتيجة للضغط السكاني على موارد الغذاء المحدودة التي شحت نتيجة للتغير الذي حدث في المناخ.

وكان من نتائج ثورة العصر الحجري الحديث زيادة نمو السكان بشكل أكبر وأكثر عددًا من العصر الحجري القديم والوسيط، ولكن تناقضات الاقتصاد الحديث مع زيادة النمو السكاني أدت إلى تقييد هذا النمو وتمكن الإنسان من التغلب عليها بواسطة ثورة ثانية أطلق عليها تشايلد ثورة الاستيطان المدني Urban Revolution [١٢].

أثر الضغط السكاني على ظهور الزراعة

نظرية روبرت بريدوود Robert Braidwood في أصل ظهور الزراعة

يعتبر بريدوود من الرواد الأوائل الذين اهتموا بأسباب ظهور الزراعة ومناطقها في الشرق الأوسط، وتعد أعماله بداية عصر جديد للأبحاث، وكان على اطلاع بالنظريات السابقة التي تناولت أصل الزراعة وأسباب ظهورها التي طرحها عدد من الباحثين منهم هارولد بيك Harold Peacke وهربرت فلوير Herbert Fleure [١٣] وكذلك اطلع على نظرية تشايلد «الواحة» وأراد التأكد من صحتها على ضوء الدليل الأثري[١٤].

ترأس بريدوود بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو إلى موقع جرمو (١٩٤٨ - ١٩٥٥م) الواقع في منطقة السهول التلية المنخفضة لجبال زاكروس في منطقة جمجال بين السليمانية وكركوك في شمال العراق، وهي منطقة ملائمة للتسلسل الثقافي؛ إذ أنها تقع بين منطقة سكنى الصيادين جامعي القوت في الكهوف الجبلية، ومنطقة قرى المزارعين المستقرين في السهول، كما تنمو في منطقة السفوح التلية المنخفضة الأصول البرية للنباتات وتعيش فيها الحيوانات في بيئتها الطبيعية.

وقد ضمت بعثة جرمو بالإضافة إلى الأثاريين عددًا من المختصين في علم الحيوان Zoology والحيوانات القديمة Paleozoology والجيولوجيا Geology وغبار طلع النباتات القديمة Palynology والنباتات القديمة Paleobotany والمناخ. وقد جمعت هذه المجموعة من المختصين معلومات كثيرة سواء من تنقيبات البعثة في جرمو والمواقع الأخرى أو من المناطق المحيطة بمواقع أعمالهم، وقد مكنت بريدوود من صياغة نظريته في أصل ظهور الزراعة والتي تعرف باسم «نظرية منطقة النواة» Nuclear Zone Hypothesis أو «نظرية منطقة البيئة الطبيعية» Natural Habitat Zone التي رفض بها نظرية تشايلد «نظرية الواحة» Oasis Theroy وتقول نظريته إن أسباب ظهور

---

(١٢) Ibid, p. 35; (1957), pp. 15-16.

(١٣) Peake, H. J., and Feleure H. J. (1927), Peas-nts and Potters.

(١٤) Braidwood, R.J. and Howe B. (1960), Prehistoric Investigation in Iraqi Kurdistan, Chicago: Oriental Institute Studies in Ancient Oriental Civilizations: 31, p. 2.

الزراعة هو التغير الكبير الذي حدث في المناخ في فترة نهاية عصر البليستوسين. وقد طور بريدوود نظريته خلال سنوات عدة[١٥]؛ وعلى الرغم من أن نظرية بريدوود في أصل ظهور الزراعة تقوم على عدة عوامل تبدو نتيجة طبيعية للتطور الثقافي لأي مجتمعات عاشت في ظروف مناخية ملائمة، لكن جوهر النظرية ينصب على مشكلة إيجاد مصادر غذاء كبيرة لمواجهة زيادة السكان، وعناصر النظرية هي:

١ ـ وجود مناطق بيئة طبيعية Natural Habitat أو (مراكز نواة Nuclear Zones) في الشرق الأدنى تعيش فيها الأصول الوحشية للحيوانات الأليفة (ماعز، غنم، بقر. . . إلخ) والتي كانت موجودة في نهاية آخر زحف جليدي، وكانت مهيأة للتدجين، ومنطقة النمو الطبيعي توجد في مناطق الهضاب التلية والوديان المنخفضة بين القوس المكون من جبال زاكروس وطوروس (منطقة الهلال الخصيب) فوق المنطقة الحارة، ويتراوح معدل أمطارها ما بين (٣٥٠ ـ ٥٠٠ ملم٣) وارتفاعها ما بين ١٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، وهي منطقة لا توجد فيها واحات أو وديان للأنهار[١٦].

٢ ـ المناخ: إن مناخ منطقة الشرق الأدنى لم يتغير تغيراً كبيراً خلال الإثني عشر ألف عام الماضية، ولكن أصبحت الظروف الطبيعية للمناخ أكثر ملاءمة من السابق.

٣ ـ إن المناخ لم يكن العامل الرئيسي في أصل ظهور الزراعة؛ لأن منطقة الشرق الأوسط قد تعرضت عدة مرات للظروف المناخية نفسها التي تعرضت لها خلال الاثني عشر ألف عام الماضية، وذلك بعد كل زحف جليدي، ولكن لم تمارس الزراعة ولم يستأنس ـ يؤهل ـ الحيوان، وسبب ذلك أن الإنسان لم يكن مؤهلاً ثقافيًا، ولكن بعد الزحف الجليدي الأخير وخلال المراحل الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى Upper Paleolithic أصبح الإنسان أكثر تأهلاً ثقافيًا من السابق، وتمكن من تطوير تكنولوجيا صناعة الآلات والأدوات الحجرية المتعلقة بالاقتصاد الزراعي، وابتكار أساليب أكثر فعالية في الصيد أدت إلى تناقص المصدر الغذائي من الحيوانات التي ألف صيدها. لذلك توجه إلى الحيوانات الثديية وصيد الأحياء المائية، وقد مكن التحسن التكنولوجي وتنوع مصادر غذاء الصيادين جامعي القوت من تقليل أسلوب حياة التنقل، وبدأوا يميلون إلى استقرار أطول في عدد من المناطق المحدودة، ذلك الاستقرار الذي سمح للإنسان بمراقبة الحيوان والنبات عن قرب أكثر من السابق، ونشأت علاقات تعايش مع البعض منها، وتوسعت بواسطة التجارب العملية لحصد الحبوب وبذرها، أو صيد الحيوان والاحتفاظ به. إن هذه الفترة من مراحل التجارب العملية أطلق عليها بريدوود فترة بواكير الزراعة (الزراعة البدائية)، وربما بدأت في فترة نهاية العصر الحجري القديم الأعلى[١٧].

---

(١٥) Braidwood, R. J. and Howe B. (1960), p. 42; Braidwood, R. J. and Braidwood, L. (1953), The Earliest Village Communities of Southwestern Asia. J. World History 1, 278-31; Braidwood, R. J. (1958), Near Eastern Prehistory, *Science*, 127, 1419-143; Braidwood, R. J. (1967), *Prehistoric Man* (seven edition), p. 87; Braidwood, R. J. and Howe B. (1960), pp. 142-143; Braidwood, R. J. (1960), The Agriuculture Revolution, *Scientific American.* Vol. 203 No. 4m 130-148.

(١٦) Braidwood, R. J. and Howe B. (1960), p. 3; Braidwood, R. J. (1960), p. 174; Braidwood (1967), pp. 95-97, 100.

(١٧) Braidwood, R. J. (1967), pp. 67, 93; Braidwood, R. J. and Howe (1960), p. 13.

وفي عام ١٩٦٥م نشرت الاقتصادية استير بوسيروب Ester Boserup كتابها The Condition of Agricultural Growth ، وعلى الرغم من أنه كُتب بأسلوب عامّ، ولم تقدم فيه نموذجًا لمشكلة أصل الزراعة، إلا أنه أثار الكثير من الاهتمام لدى الأنثروبولوجيين المهتمين بالعلاقات بين حجم السكان ونموهم والأساليب المختلفة للزراعة والتغيرات المرتبطة بممارسة الزراعة عبر الزمن. فقد طرحت بوسيروب نظرية متفائلة تعارض بها نظرية مالثوس حيث ناقشت فيها العلاقات المتداخلة بين نمو السكان وإنتاج الغذاء، إذ قالت إن للنمو السكاني تغيراً مستقلاً بدلاً من كونه نتيجة للعلاقات الاجتماعية للإنتاج، وإن النمو السكاني كان العامل الرئيسي في حتمية تطور التكنولوجيا الزراعية وإنتاجها.

إنه يمكن في مناطق المجتمعات الزراعية البدائية ونظرًا لتوافر الأراضي الزراعية حولها أن تطبق أنظمة الزراعة الواسعة Extensive Systems ، حيث تُزرع الأرض موسمًا وتترك موسمًا أو أكثر لاستعادة خصوبتها، وتستخدم أنظمة الزراعة المكثفة Intensive Systems في المناطق المأهولة بكثافة سكانية عالية، وكلما أصبحت الأراضي الزراعية قليلة وجب على السكان أن يعملوا أكثر، كما أن زيادة الطاقة المبذولة في الزراعة تؤدي إلى زيادة الإنتاج، والاستجابة التكنولوجية تظهر عندما يُحتاج إليها وبعبارة أخرى نقول إن الضغط السكاني كان هو المسئول عن إبداعات (أفكار، أساليب، نظم، تقنية) اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية، وإن التغيرات التي حدثت في أساليب جمع الغذاء ونظم الزراعة لم تكن قرارات اختيارية لإنتاج غذاء أكثر، مما كان يحتاج لمواجهة الاستهلاك، ولكنها (أي التغيرات) كانت نتيجة لضغط زيادة السكان على مصادر الغذاء أي أن النمو السكاني هو المحرك الأول والمتسبب في تطور المجتمع من مرحلة إلى أخرى[١٨].

وفي عام ١٩٦٨م طرح لويس بنفورد Lewis Binford نظريته في أسباب ظهور الزراعة، ورفض بها نظرية بريدوود (قبل تطويرها)، إذ ادعى أنه لا يمكن التأكد من صحتها من خلال الدليل الأثري، ولكنه أخذ من بريدوود فكرة مناطق البيئة الطبيعية، مناطق النواة Natural Habitate Zone, Nuclear Zone[١٩].

يرى بنفورد أن الخصائص التي تميز العصر الحجري الوسيط Mesolithic عن العصر الحجري القديم Paleolithic هي التحول الرئيسي في مراكز نمو السكان في غرب أوربا، وحدوث توسع سكاني لافت للنظر في نهاية الفترة الجليدية الأخيرة، واختفاء الحيوانات القطبية الكبيرة التي حلّت محلها حيوانات السهوب الصغيرة الغنية

---

(١٨) Boserap, Ester (1965), The Condition of Agricultural Growth: The Economics of Agrarian Change under Population Pressure, London. (1981), Population and Technology Change, A Study of Longterm trends, the University of Chicago Press, Chicago.

(١٩) Binford, Lewis R. (1968), Post-Pleistocene Adaptions in, Binford, S.R. and Binford, L.R. eds., *New Prospectives in Archaeology*, pp. 313-341. Aldine Publishing Co. Chicago.

بالطرائد، وتناثر ثقافة العصر الحجري القديم إلى مجاميع ثقافية ذات خصائص محلية أطلق عليها جميعًا اسم ثقافة العصر الحجري الوسيط، حيث تغيرت أشكال الآلات الحجرية وأحجامها، وشاع استعمال وصناعة الآلات الصغيرة الهندسية الشكل المصنوعة من حجر الصوان، كما أن المخلفات الأثرية لهذه الفترة تظهر فيها خصائص جغرافية مختلفة تمثل استجابات لظروف البيئة.

وفي هذه الفترة ظهر اتجاه إلى صيد الحيوانات المائية والطيور البرية وحيوانات الطرائد الصغيرة، وظهر تغير في شكل اللقاح (الطلع) النباتي، وكذلك ظهر تغير في خطوط السواحل المتحجرة وجيومورفولوجيا أنظمة المجاري الرئيسية، وكل هذه التغيرات كانت نتيجة للتغير الذي حدث في مستوى البحر، وفي المناخ بعد نهاية الزحف الجليدي الأخير في فترة نهاية العصر الحجري القديم، واستنادًا إلى أدلة إثنوغرافية كثيرة تبين أن مجتمعات الصيادين جامعي القوت في الوقت الحاضر ليس لديهم مصادر غذائية فحسب، بل إنهم يتمتعون بأوقات فراغ كثيرة أكثر مما يتمتع بها العمال الصناعيون والزراعيون، وإنهم يمضون وقتًا قصيراً جدًا من وقتهم من أجل الحصول على الغذاء، ورفض بنفورد الفكرة القائلة إن الإنسان عندما يتحرر من الانشغال الكلي بالبحث عن الغذاء سيكون لديه الوقت الكافي ليطور ثقافته، وافترض بنفورد أن الصيادين جامعي القوت في نهاية عصر البليستوسين قد مارسوا نظام توازن Equilibrium System بين حجم السكان ومصادر الغذاء المتاحة، ونتيجة لذلك تمكنوا من تقليل تنقلهم الموسمي وزيادة استقرارهم نوعًا ما، وأدى ذلك بدوره إلى زيادة السكان الذين أصبحوا شبه مستقرين، ولكن طالما يمكن الافتراض أن الإنسان كان يحاول باستمرار زيادة مصادر غذائه فإن فهم أصل الزراعة محدد بتلك المناطق الجغرافية التي توجد فيها موارد الغذاء التي استفاد منها الإنسان بالضرورة.

ولا شك أن نظم التوازن تنظم كثافة السكان بدرجة أقل من قدرة تحمل البيئة، لذلك فمن الواجب البحث عن تلك العوامل التي سببت عدم التوازن وسببت هذه الضغوط، وأيضًا فوائد مختارة لزيادة الإنتاجية، وافترض بنفورد حدوث نوعين من العوامل:

١ - تغير البيئة الطبيعية الذي سبب نقصًا كبيراً في الغذاء (الحيوان والنبات) الذي كان متوافرًا في المنطقة وأخل بالتوازن السابق الذي كان قائمًا. بين حجم السكان ومصادر الغذاء.

٢ - التغير في البناء الديموغرافي لمنطقة ما، والذي أدى إلى تحول المجموعات إلى مجموعات منطقة أخرى أو الاعتداء عليها. وهنا أيضًا حدث خلل في نظام التوازن المستقر، وهذه العوامل تؤدي إلى زيادة كثافة السكان في منطقة ما أكثر مما تحمله طاقة البيئة الطبيعية، وفي هذه الظروف يجب البحث عن وسائل يمكن بواسطتها زيادة مصادر الغذاء.

إن عامل التغير في المناخ كان له أثره المباشر، ولكن هذا الأثر ضعيف في تفسير سبب ظهور الزراعة، ويمكن أن ينعكس في سجل دراسات علم اللقاح. أما العامل الديموغرافي فكان الحاسم في تطور إنتاج الغذاء، ويمكن أن ينعكس في كثافة المواقع الأثرية ونمط الاستيطان في السجل الأثري، ولفهم مؤثرات تغير البناء الديموغرافي يجب فهم نوعين من أنظمة السكان، هما:

- نظام السكان المغلق Closed Population System وهو الذي تكون فيه الولادات موازية لعدد الوفيات، وذلك بواسطة ميكانزم داخلي (الإسقاط، موانع الحمل، التقشف).
- نظام السكان المفتوح Open Population System ، ويتصف هذا النظام بمحافظته على كثافة السكان؛ إما بانفصال مجموعة من السكان من المجموعة القديمة، أو بهجرة فردية، والمجتمع الذي يهاجرون منه هو مجتمع متبرع Donor Type ، والمجتمع الذي يستقبل المهاجرين هو مجتمع مستلم Recipient Type ، ويظهر النوع الأخير تحت نوعين من الظروف هي:

١ ـ عندما يكون توسع الأنظمة المفتوحة ـ نوع المتبرع ـ في المناطق غير المأهولة سابقًا أو في أطراف مناطق النواة التي تسكنها مجموعات من السكان أقل من مناطق النواة، وبذلك سيكون في مناطق الأطراف ـ نظام المستلم ـ لفترة قصيرة، والتغير من النظام المستلم إلى النظام المتبرع يعتمد على الزيادة المحلية في السكان إلى الحد الأعلى من الكثافة.

٢ ـ إن الضغط الديموغرافي الخارجي كان لصالح تطور الزراعة التي ظهرت في مواقع الأطراف التي تمتاز بقلة أمطارها وسكانها الذين لديهم أفكار سابقة عن النباتات الصحراوية القابلة للتدجين، إن مثل هذه الحالة يمكن أن تميز بعدم التوازن بين السكان ومصادر العيش المتاحة. وفي المقابل فإن هذا التوتر سيقدم فوائد مختارة لزيادة مهارة تكنولوجية في موارد العيش، ولذلك يَفْتَرِض بنفورد أن أصل ظهور الزراعة لم يكن في وسط مناطق البيئة الطبيعية بل في مناطق الأطراف.

كنت فلنري Kent Flannery [٢٠]

بعد عمله في منطقة ده لوران (جنوب غرب إيران) قدّم نظريته في أصل ظهور الزراعة وتدجين الحيوان في الشرق الأدنى استنادًا إلى العامل الديموغرافي (الضغط السكاني وعدم التوازن) Population Pressure and Dis-equilibrium وصلته بطاقة تحمل البيئة، وذلك استنادًا إلى معلومات إثنوغرافية مأخوذة عن مجموعات الصيادين جامعي القوت التي تشير أيضًا إلى أن هذه المجموعات يمكنها الحصول على الغذاء الكافي بدون الحاجة إلى بذل جهد كبير، ولكن هذا لا يعني أن الناس في فترة العصر الحجري القديم لم يكونوا مقيدين بموارد الغذاء، ويمارسون أنواعًا من الأنماط السلوكية للمحافظة على كثافة السكان لدرجة أقل من مستوى المجاعة. ولكن ما الذي أقنع

(٢٠) Flannery, Kent, V. (1969), Origins and Ecological Effects of Domestication in Iran and the Near East in UCO, P.J. and Dimbleby, G.W., eds. *The Domestication and Exploitation of Plant and anamials*, pp. 73-100. Duckworth London.

الصياد الجامع للقوت بتغير مهمّ في نمط مصادر العيش كتبني الزراعة مثلاً؟ وللإجابة على هذا السؤال يستخدم فلنري مخطط التوازن Equilibrium Model الذي استخدمه بنفورد لتوضيح التغير الذي حدث في السجل الأثري، وفي موارد العيش في الشرق الأدنى خلال مراحل تمتد من ٢٠ ألفًا إلى ٣٠٠٠ ق.م.، وتشمل فترة العصر الحجري القديم الأعلى وفترة بداية التدجين وأخيراً فترة بداية الري.

وفي الحقيقة إن ما قدمه فلنري هو توضيح لنظرية بنفورد من خلال الدليل الأثري في الشرق الأدنى، وأولى مراحل التغير هي ثورة التنوع الواسع The Broad Spectrum Revolution، ويعتقد فلنري أن ثورة التنوع الواسع في الجمع الغذائي قد بدأت في العصر الحجري القديم الأعلى، قبل ٢٠ ألف سنة ق.م. في الشرق الأدنى، وتمثلت في الكميات الكبيرة والواسعة في مصادر الغذاء الأساسية المتضمنة حيوانات الطرائد الصغيرة (ذات الأظلاف والحوافر)، وكميات كبيرة متزايدة من الأسماك والسرطان البحري والسلاحف المائية والرخويات والقواقع البرية وطيور الحجل والطيور المائية المهاجرة واحتمال الأعشاب الحبية. إن هذا النمط من الاستثمار الواسع المتنوع لمصادر موارد الغذاء البرية الصالحة للأكل ظل من خصائص جمع الغذاء في الثقافات المتعاقبة في الشرق الأدنى حتى ٦٠٠٠ ق.م.، ويعتقد فلنري أن في مثل هذا الجمع الواسع المتنوع فقط يمكن أن يحدث التدجين. وقد صاحب التنوع الواسع عددًا من التكيفات السابقة لبداية ممارسة الزراعة، ومنها أحجار الطحن والسحق وحفر خزن المواد الغذائية. ويرى فلنرى أن التحول إلى نمط التنوع الواسع في الجمع الغذائي لم يكن نتيجة مباشرة لتغير المناخ، وأن الضغط السكاني على مصادر الغذاء المتنوعة الواسعة ـ ومنها الأعشاب الحبية ـ كان واضحًا بشكل أكثر في مناطق الأطراف البعيدة More Marginal Areas التي استلمت الفائض من توسع السكان في مناطق الصيد الرئيسية، فارتفعت كثافتها السكانية إلى حدود قدرة تحمل الأرض، فتحول السكان في هذه المنطقة إلى مصادر غذاء صغيرة، يمكن الحصول عليها بسهولة، ومواردها متوافرة في بعض الكميات وفي فصول السنة، وبذلك فإن ثورة التنوع الواسع في مصادر الغذاء كونت التحرك الذي أبطل الخلل في التوازن بين حجم السكان وكمية الغذاء المتوافرة في مناطق الصيد الأقل أفضلية Less Favourable في الشرق الأدنى.

فترة الحقول الجافة المبكرة Early Dry Farming

إن بداية الزراعة هي التحدي الثاني (بعد ثورة التنوع الواسع)، والتي حدثت في منخفضات المنطقة الأقل أفضلية ووديانها حول منطقة ذات طاقة عمل قصوى، ورفض فلنري الرأي الذي كان مقبولاً والقائل إن التدجين قد بدأ في المنطقة التي تعيش فيها الأصول الوحشية ـ البرية ـ للحيوانات والنباتات في بيئتها الطبيعية، وذلك استنادًا إلى البحث المقدم من هارلان وزهاري[٢١]، إذ أوضحا أن في الوقت الحاضر يمكن حصد القمح البري في مناطق

---

(٢١) Harlm, J. R. and Zohary, D. (1966), Distribution of wild and barly *Science*. (1953), pp. 1075-1080.

النمو الطبيعي في العديد من آلاف الهكتارات (في الأناضول) وبكثافة حقول القمح المزروعة، وأيضًا استنادًا إلى تجربة هارلان[٢٢] الذي استطاع في خلال ساعة واحدة من حصد كيلوجرام من حبوب القمح بواسطة منجل مصنوع من حجر الصوان، وبعد التحليل الكيماوي للقمح البري ظهر أنه يحتوي على بروتين ضعف ما يحتوي عليه القمح المدجن، ولذلك فإن التدجين لم يكن قد جرى في المناطق التي تنمو فيها الحبوب البرية بوفرة زائدة، إذن لماذا يقوم الفرد بزراعة الحبوب التي تنمو بشكل طبيعي وبكثافة تعادل كثافة الحقول المزروعة؟ وقد نشأت الزراعة في حد ذاتها في المناطق المحاذية بدلاً من المناطق ذات الوفرة الشائعة بالحبوب، وأوضحت تجربة حصاد هارلان أنه بإمكان العائلة ذات الخبرة في جمع النباتات أن تجمع من القمح البري في وقت نضوجه وبدون عمل شاقّ في مدة أكثر قليلاً من ثلاثة أسابيع أكثر مما تستهلكه في مدة عام، ومثل هذا الحصاد على الأكثر ضرورة بدرجة ما للإقامة الدائمة، وهذا ما كان يقوله جان بيرو عن الثقافة النطوفية في فلسطين. إن النطوفيين كانوا شبه مستقرين ومعتمدين على الجمع المكثف للحبوب البرية[٢٣]، وتدعم الأدلة الحديثة المأخوذة من تل مريبط[٢٤] هذه الحقيقة.

وهكذا فإن الضغط السكاني المؤدي إلى التدجين لم يكن قويًا في مناطق النمو الطبيعي للحبوب البرية، كما هو الحال في المناطق الأخرى. ويدعم فلنري رأيه بأدلة علمية تشير إلى أن أقدم عينات الحبوب المدجنة وصلت من مناطق الأطراف البعيدة جدًا عن مناطق النمو الطبيعي لنباتات الحبوب البرية، إذ عثر على هذه العينات في موقع البيضا (في منطقة وادي عربة جنوب الأردن) وفي على كوش (في سهوب خوزستان في جنوب غرب إيران) وهي مناطق لا تنمو فيها نباتات الحبوب بشكل كثيف وطبيعي إلا بواسطة الزراعة المتعمدة، لذلك بدأت الزراعة كمحاولة لإنتاج اصطناعي (في أطراف المناطق المفضلة) للحبوب بكثافة تعادل كثافتها في وسط مناطق النمو الطبيعي وسبب ذلك كما يرى بنفورد هو استجابة للضغط السكاني الذي جرى في مناطق الأطراف بعد استقرار المهاجرين من المناطق المفضلة في منطقة الأطراف.

فترة الزراعة الأروائية المبكرة Early Irrigation Farming

الري ويمثل ثالث الابتكارات التي حدثت في مناطق السكنى الأقل أفضلية (حظوة) Less Favourable المتاخمة لمناطق نمو السكان، وأوائل الأدلة على تقنية الري لم تصلنا من الأراضي العالية المسقية بصورة جيدة في كردستان ولورستان حيث تكون زراعة الحقول الجافة ناجحة جدًا، بل من أراضي السهوب المنخفضة في خوزستان الخالية من الأشجار والتي يصيبها فقط ٣٠٠ ملم[٣] من الأمطار سنويًا، ويعتقد فلنري أن منطقة السهوب في

---

(٢٢) Harlm, J. R. (1967), A Wild Wheat Harvest in Turkey. Archaeology 20 (3), pp. 197-201.

(٢٣) Perrot, J. (1966), Legisement Natufien de Mollaha (Eynan) *L'Anthropologie*. 70 (5-6), pp. 437-84.

(٢٤) Van Loon, M. (1966), Mureybat: An early village inland Syria, *Archaeology* (19), pp. 215-216.

خوزستان كانت تستلم الفائض من سكان المناطق الجبلية المكسوة بالأشجار، وذلك استنادًا إلى بعض الأعشاب الجبلية التي عثر عليها في على كوش إلى التشابه في المعثورات الأثرية في كلتا المنطقتين.

إن بداية الري في سهوب الأراضي المنخفضة رافقها تحول في أنماط الاستيطان، إذ بدلًا من وقوع المستوطنات قرب مناطق المستنقعات حيث يكون مستوى المياه الجوفية عاليًا، ويمكن استخدامه في حالات التقلب في كميات سقوط الأمطار، ولكن تظهر بعض مواقع هذه الفترة (٥٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م.) كأنها منتظمة بخطوط على طول المجاري القديمة للجداول التي يمكن الحصول منها على مياه بواسطة قنوات تتجه جنوبًا، حيث لا تكفي الأمطار الساقطة للزراعة كما بينتها مسوحات آدمز في خوزستان(٢٥).

وتظهر دراسة بعض حبوب النباتات التي تنمو في الحقول والتي تعتمد على الري، أنها أطول من التي تنمو في الحقول الديمية، وأخيرًا يقدم فلنري نتائج إحصاء الكثافة السكانية من أجزاء في جنوب غرب إيران في فترات مختلفة، فكانت الكثافة السكانية في فترة العصر الحجري القديم المتأخر (٠ ـ ١) شخص في الكيلومتر المربع الواحد وفي فترة الحقول الجافة المبكرة كانت كثافة السكان (١ ـ ٢) شخص في الكيلومتر المربع. أما في فترة بعد ظهور الري فقد أصبحت كثافة السكان ٦ أشخاص أو أكثر في الكيلومتر المربع.

أثر الضغط السكاني على ظهور الحضارة

طرحت عدة نظريات تناقش علاقة الضغط السكاني بظهور الحضارة في الشرق الأدنى، ومنها ما قدمه يونغ Young (٢٦) وسمث ويونغ Smith & Young (٢٧) وجبسون Gibson (٢٨)، وقد قدم يونغ فرضيته التي تقول بأثر الضغط السكاني على الحضارة في جنوب وادي الرافدين، إذ افترض أن السكنى في بلاد وادي الرافدين في فترة الألف السابع ق.م. كانت مقتصرة بالدرجة الأولى على مناطق الأراضي العالية، وانتشرت بعض المواقع في أطراف هذه المنطقة الصالحة لممارسة زراعة الحقول الجافة، واستند الافتراض كذلك على عدد من المواقع الأثرية التي تبين أن الكثافة السكانية كانت أعلى في وديان المناطق العليا التي تسقى بشكل أفضل من مناطق الأطراف المنخفضة، وفي فترة الألف السادس ق.م. ازداد عدد المواقع في شمال وادي الرافدين (غرب جبال زاكروس ـ الهضبة الآشورية)، إذ تظهر مواقع هذه الفترة (حسونة/ سامراء) منتشرة في معظم المنطقة وفي مناطق أخفض من مستوى ارتفاع المواقع

(٢٥) Adams, R. Mc (1962), Agriculture and Urban life in early South-Western Iran. *Science* (136), pp. 109-122.

(٢٦) Young, T. Cuyler (1972), Population densities and early Mesopotamian Urbanism in Ucko, P.J., Tringham, R. and Dimbleby, G.W., *Man, Settlement and Urbanism*. pp. 827-842, Duckworth, England.

(٢٧) Smith, E.L. and Young, T.C. (1972), The Evolution of Early Agriculture and Culture Change in Greater Mesopotamia: A Trial Model in Spooner, B. ed. *Population Growth:* Anthropological Implications, pp. 1-59; Cambridge Mass, M.I.T.

(٢٨) Gibson, McGuire (1972), Population shift and the rise of Mesopotamian Civilization in Renfrew C. ed. *The Explanation of Culture Change:* Models in Prehistory, pp. 447-463, Duckworth, England.

السابقة، وكذلك ظهرت بعض المواقع في أطراف المنطقة المطرية، وهذا يعني زيادة عدد السكان وكثافتهم، وكذلك الحال في منطقة زاكروس وأطرافها الشرقية (أذربيجان، كردستان، لورستان وحواف خوزستان) وإلى الهضبة الإيرانية. ويعتقد يونج أن المناطق العليا كانت تعاني بشكل واضح من زيادة السكان، واستجابة لهذا النمو من الضغط السكاني هاجرت أعداد كبيرة من سكان المناطق العليا إلى مناطق أبعد من تلك التي كانت مسكونة سابقًا، ولذلك انتشر السكان في معظم المناطق التي يمكن أن تمارس فيها زراعة الحقول الجافة (مناطق الجزيرة - شمال العراق - والهضبة الآشورية ومناطق الأطراف الجنوبية لسهل ده لوران وسهل سوسيانا)، حيث يظهر أن عدد السكان قد تضاعف في سهل ده لوران في فترة سابز ٥٥٠٠ ق.م.

وفي فترة الألف الخامس ق.م. ازداد عدد مواقع ثقافة حلف أكثر من مواقع ثقافة سامراء وكانت النتيجة زيادة عدد السكان، وكذلك في منطقة ده لوران (فترة خزينة ٥٥٠٠ ق.م.) وفي سهل سوسيانا وظهور مواقع في منطقة السهل الرسوبي (دجلة - الفرات) في منطقة أور - الوركاء وفي منطقة ديالي. ويعتقد يونغ أن عدد سكان وادي الرافدين قد تضاعف ثلاث عشرة مرة خلال الفترة ٦٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م. ومما يجدر ذكره أن هذا الانتشار قد شمل كل المناطق (منطقة الأراضي العليا، منطقة الأراضي المنخفضة، الأطراف، ومنطقة السهل الرسوبي). ويظهر أن الهجرة في هذه الفترة كانت المحرك المهم والأساسي لتخفيف الضغط من نمو السكان، كما أن الضغط السكاني في المناطق العليا في وادي الرافدين سبب تقليل فترة إراحة أراضي الحقول الزراعية وقيام الزراعة بشكل أكثر كثافة، وربما هذا الشكل المكثف من زراعة الأراضي أدى إلى إدخال المحراث في الزراعة في هذه الفترة، أما في جنوب وادي الرافدين فإن التقنية الرئيسية المبتكرة كانت اكتشاف الري الذي توسعت تقنيته، والتي تمثلت في الزراعة المكثفة، وكانت النتيجة زيادة هائلة في إنتاج المحاصيل الزراعية، مما انعكس بشكل مباشر على نمط الاستيطان المحلي. ويعتمد يونغ في فرضيته على بوسيروب Boseroup التي تقول إن إدخال الري كوسيلة لتكثيف الزراعة تبدأ بالظهور عندما تكون فترات إراحة الأراضي الزراعية قصيرة بشكل كبير، وذلك بسبب الضغط السكاني وأن مجموع طاقة الأيدي العاملة المبذولة في الهكتار الواحد (في الحقول المروية) لإنتاج محصولات تكون ضعف ما ينتجه الهكتار الواحد في زراعة الحقول الجافة. ويظهر أن كثافة المستوطنات العائدة لهذه الفترة في كل من سوسيانا وده لوران ازداد عددها بشكل ملحوظ، وتضاعف سكانها عما كان عليه في الفترة السابقة، أما في منطقة السهل الرسوبي (دجلة - الفرات) فإن عدد السكان وكثافتهم تظهر زيادة بطيئة نسبيًا في حجم السكان، إذ أن عدد المواقع العبيدية قليلة بشكل ملحوظ في كل من منطقة أور والوركاء ومنطقة ديالي، ولكن منطقة أور تبدو أكثر المناطق سكنى، لذلك يفترض يونغ أن السكنى الكثيفة في خوزستان ربما قد انعكست في هجرة من الجنوب إلى الشمال، وقد استمرت زيادة السكان خلال هذه الفترة في شمال وادي الرافدين ومنطقة الأطراف العليا. وانتشرت ثقافات وادي الرافدين (حلف، العبيد) من زاكروس شرقًا وإلى سواحل البحر المتوسط غربًا، ويعكس انتشار ثقافة العبيد نوعًا من الهجرة من الجنوب إلى الشمال.

وتبين المسوحات الأثرية في ضواحي الوركاء زيادة عدد المواقع العائدة إلى الفترة المبكرة في عصر الوركاء، وتوسع موقع الوركاء بشكل كبير، ولا شك أنه يعكس زيادة في حجم السكان أكثر مما كان عليه في فترة العبيد، وأن هذا الاتجاه بزيادة السكان استمر في فترة منتصف عصر الوركاء، ولكن في نهاية هذا العصر (القصير نسبيًا ١٥٠ ـ ٢٠٠ عام) ازداد خلالها عدد السكان بدرجة عالية وبشكل مفاجىء، ونتيجة لهذا النمو الكبير في السكان تحول نمط الاستيطان المحلي من النمط المتناثر الذي كان صفة أوائل هذا العصر إلى النمط المتجمع للمواقع الصغيرة في نهاية عصر الوركاء، وفي الفترات اللاحقة (جمدة نصر وعصر فجر السلالات الأول) بلغت مدينة الوركاء قمة اتساعها، وظهرت مدن كبيرة أخرى في المنطقة، ومنذ فترة جمدة نصر وما بعدها بدأ السكان يحتشدون في مراكز حضرية كبيرة ظهرت في مناطق مختلفة في منطقة الوركاء ـ نفر، وفي عصر فجر السلالات الثالث يظهر انخفاض في عدد المواقع (الصغيرة) المسكونة في المنطقة وهجرة معظم المنطقة التي كانت مأهولة أو مزروعة في السابق.

إن زيادة السكان وصعوبة الحصول على أراض زراعية جديدة لم تترك للسكان الخيار في المحافظة على وجود كثافة سكانية، وما يتصل بها من أنظمة اقتصادية واجتماعية، ويبدو في هذه الفترة أن مدة إراحة الأراضي الزراعية أصبحت قصيرة بشكل كاف للاقتراب من تبني زراعة محصول سنوي لظروف خاصة بالمناطق الجافة، ويعتقد أنه في هذه الفترة أدخل المحراث ـ الذي ظهر في السجل الأثري لجنوب وادي الرافدين منذ عصر الوركاء ـ ومن الأمور ذات الأهمية الكبرى لتطور التحضر انحلال التنظيم الاجتماعي البسيط (المجتمع المساواتي القائم على نظام القرابة)، وحل محله نظام مجتمعات ذات مراتب اجتماعية، وذلك لمواجهة تنظيم أعداد كبيرة من السكان وزيادة طرق الزراعة الكثيفة، وإن نمط السكنى هذا أدى إلى تحسن تدريجي للأنظمة الاجتماعية والتكنولوجية من أجل الحصول على مياه أكثر للأراضي وعلى أراض أكثر لزراعتها، ولكن يهدد التحسن في تقنية الري زيادة ملوحة التربة التي تؤدي إلى نقصان المحصولات الزراعية، وفي بعض الأحيان تقل مساحة الأراضي الزراعية، ووجود قيود على كمية الأراضي الجيدة سيؤدي إلى نزاع داخلي بين الزراع المتجاورين، ويتطلب حل مثل هذا النوع من النزاع وسائل أكثر تعقيدًا للقضاء وحفظ السجلات. وإن مثل هذا النزاع سيؤدي تدريجيًا إلى إعادة تجمع اقتصادي واجتماعي لنمو السكان وذلك بظهور ملاك أراض كبيرة وملاك أراض صغيرة وعمال بدون أراض. ورافق تحسن تقنية الري تطور تكنولوجي آخر، وذلك بزراعة مناطق الأطراف البعيدة التي لم تكن مسكونة في السابق، وذلك بشق قنوات وجداول ري جديدة، إن مثل هذه الأعمال تتطلب تنظيم جهد بشري بشكل متين، وبناء اجتماعي وسياسي أكثر تعقيدًا.

وهكذا يظهر وجود توازن بين البحث عن حلول للضغط السكاني والزراعة الكثيفة لمناطق الأطراف، ولكن مصادر المياه لهذه المناطق كانت قليلة بالإضافة إلى تعرض أراضي هذه المناطق للملوحة نتيجة للري، وربما رافقت هذه المشكلات عوامل معقدة أخرى أدت إلى انهيار داخلي لبيئة الاستثمار الزراعي لهذه المناطق أجبر السكان على

الهجرة من هذه المناطق والتوجه نحو المدن والبلدان التي احتشد بها السكان، وبدأت تحمي نفسها بأسوار دفاعية، وإن هذا التجمع السكاني في مراكز كبيرة، ولكنها ليست كثرة تجبر السكان على تطوير الزراعة الكثيفة وأساليب الري، وتطورت بذلك المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ومن الفرضيات الأخرى التي تقول بأثر الضغط السكاني على نمو الحضارة في وادي الرافدين فرضية ماك كواير كبسون، تقول هذه الفرضية إن بيئة جنوب وادي الرافدين خلقت مشكلات دورية للانتقال، وزيادة كبيرة نسبيًا في عدد السكان، وذلك لأن نظام مجري نهري دجلة والفرات بشكله المتعرج عبر جنوب وادي الرافدين يجعله يغير مجراه دوريًا ـ نحو الغرب ـ وبما أن معظم السكان في هذه المنطقة يسكنون على ضفاف هذين النهرين، ويعتمد عليهما في ري حقولهم الزراعية، لذا كان من الطبيعي أنه كلما غير نهر الفرات مجراه سيصبح السكان الذين يسكنون على طول مجراه عرضة للضغط السكاني الذي يكون ضروريًا لتغيرات تنظيمية. وقد اقترح كبسون ست مراحل من التغيرات انتقل خلالها المجتمع في جنوب وادي الرافدين في مسيرته نحو الحضارة، وهذه المراحل هي:

أولاً: أن السكنى في جنوب وادي الرافدين في بدايتها كانت غير مشروطة، حيث انتشرت مجموعات من السكان الذين كانوا يمارسون مستوى بسيطًا من زراعة الحقول القائمة على الري، وفي الوقت نفسه ظهر نوع من شبكة التبادل التجاري للحصول على الموارد الأولية الرئيسة التي لا تتوافر في المنطقة، والزراعة الناجحة الناتجة عن خصوبة الأرض حتى بمستوى بسيط من الري نتج عنها زيادة في السكان بالإضافة إلى دخول أعداد من الناس من خارج المنطقة، لذلك ظهر مزيد من المستوطنات.

وفي المرحلة الثانية ازداد السكن والأراضي والتركيز المكثف لتنظيم اجتماعي، والتوسع في شبكة التبادل التجاري لخدمة منطقة أوسع، واحتمال تطور التخصص الحرفي لتجارة معينة ومواد ترفيه والنمو الداخلي للسكان أو ظهور إضافات من الخارج نتج عنها ظهور مواقع جديدة.

وفي المرحلة الثالثة ظهر اتجاه في تجمع المستوطنات، واستمرت المستوطنات القديمة في التوسع، وكذلك توسعت شبكة التبادل التجاري، وظهر حرفيون متخصصون طوال الوقت، واستيراد مواد وإعداد بضائع للتصدير، زيادة في عدد السكان. وفي هذا المستوى تأثر معظم أجزاء السهل الرسوبي بتغير مجرى النهر وتحول السكان إلى مناطق أخرى، ونتيجة لذلك ظهرت زيادة كبيرة من السكان ونقصان في الأراضي الزراعية، وكذلك ظهرت تقيدات بالانتقال إلى مناطق أخرى، وذلك لأن معظم الأراضي الصالحة للزراعة بواسطة تقنية المستوى الواطىء للري قد استوطنت. وفي هذا المستوى من التطور لم يكن مستوى التنظيم كافيًا لحشد طاقة بشرية كافية لاستغلال بعض مناطق الأطراف، ولمواجهة تنظيم الأعداد الكبيرة، وما نتج عنها من ضغوط على الموارد الأولية، كان لابد من تكثيف الزراعة والري والأنظمة الاجتماعية والشبكة الاقتصادية، وبالتالي حدث توسع مؤقت للمستوطنات.

وفي المرحلة الرابعة استمرت المستوطنات كبيرة إلا أنها ما لبثت أن تحولت إلى مستوطنات صغيرة توزعت في الضواحي بعد أن عجزت المستوطنات الكبيرة.

وفي المرحلة الخامسة بدأت الوحدات العائلية فيما يبدو تعمل في قطع صغيرة من الأراضي بأساليب مكثفة، وإن هذا التكثيف بالإضافة إلى حصيلة في زيادة التجارة الخارجية ومزيدًا من التنظيمات الاجتماعية المعقدة سمح بزيادة السكان، كما أن التنظيمات الاجتماعية والتوسع التجاري والمزيد من التخصص الحرفي أصبحت أكثر كثافة وتطورت المستويات الاجتماعية المختلفة القائمة على الملكية الخاصة للأراضي بالإضافة إلى تراكم رأس المال الفردي، والتي تبدو كمؤثرات سريعة للتغير للأنظمة الاجتماعية. وأصبحت هنالك منافسة على الأراضي والبضائع، وبالتالي شاعت الحروب والتي قادت بدورها إلى المزيد من التنظيم ودعمت اقتصاديًّا بواسطة التجارة والحروب، وأصبحت بالتالي الحياة في المستوطنات الصغيرة المنتشرة غير مرغوب فيها بسبب انتشار الحروب وتوزيع الثروة بين الريف والمدن النامية، أما المرحلة السادسة فتمثل ظهور دولة المدينة(٢٩).

تقدير السكان في المواقع الأثرية

ويستشهد غالبًا بأثر التحولات الديموغرافية بوصفة عاملاً مسببًا في التغيرات التي طرأت على استثمار الأرض والتكنولوجيا والتنظيمات الاجتماعية والسياسية لعصور ما قبل التاريخ في العالم، وقد قدمت دراسات عديدة في هذا الموضوع أسهم فيها آثاريون وأنثربولوجيون ومختصون بالأنثروبولوجيا البايولوجية(٣٠).

ولقد اتبعت عدة طرق للاستدلال بها لتقدير عدد السكان في المواقع والمناطق الأثرية، وفي فترات مختلفة من التاريخ، وهذه الطرق هي:

١ - الباليوديموغرافي، وتقوم هذه الطريقة على دراسة نتائج تنقيبات الهياكل العظمية (المقابر)، وذلك لمعرفة جنس السكان، وكذلك معرفة معدل العمر في تلك الفترات بالنسبة للجنس، ومعرفة أسباب الوفيات (طبيعية، مرضية، حوادث... إلخ)، ومحاولة معرفة الصلة بين حجم السكان وكثافتهم ومعدل زيادتهم في الظروف الأيكولوجية(٣١). إن مثل هذه الدراسات لم تجر بشكل كاف في منطقة الشرق الأدنى، ولكن هناك محاولات لدراسة مقابر البحرين لمعرفة عدد سكان الجزيرة في فترة العصر البرونزي(٣٢).

٢ - المستوطنات، وقد استخدمت المستوطنات الأثرية سواء أكانت المنقبة أو غير المنقبة في تخمين أعداد سكانها أو حجم مجموع السكان الذين يعيشون في منطقة معينة، ويمكن أن يعتمد تخمين السكان في المستوطنات على عناصر استخدمها الإنسان في تلك المستوطنات وهي:

---

(٢٩) Ibid., pp. 458-460.

(٣٠) Polgar, Steven, editor (1971), Culture and Population Centre. Monograph 9, Cambridge, Massachusetts: Schenkman.
Spooner, Brian-editor (1972), *Population Growth:* Anthropological Implication Cambridge, Massachusetts MIT Press.
Polgar, Steven - editor (1975), *Population, Ecology and Social Evolution*. The Hagu: Mouton.

Hassan, A. F. (1981), *Demographic Archaeology*. Academic Press.

(٣١) Hassan, A. F. (1979), Demography and Archaeology. *Annual Review of Anthropology*. (8), pp. 173-190.

(٣٢) Lamberg, Karlovsky (1982), Dilmun: Gateway to Immortality. *JNES* 14, No. 1.

(أ) البيت أو مساحة الأرض التي يحتاجها الفرد في سكناه داخل الوحدة السكنية (البيوت) في المواقع الأثرية المنقبة، وبصورة عامة فإن هنالك اعتمادًا على دراسات اثنوغرافية تتخذ كأساس لذلك، إذ قام نارول بدراسات إثنوغرافية لعدد من المجتمعات في العالم، وتوصل إلى أن الشخص الواحد يحتاج إلى ١٠م٢ من أرض البيت (المسقوف)[٣٣]، ولكن لابلانك قدم إضافات أكثر حول ذلك، واقترح إضافة مساحة المنطقة المسورة إلى المنطقة المسقوفة في البيت لأجل الوصول إلى تقدير أفضل.[٣٤]

ولكن هناك بعض الصعوبات في تخمين عدد سكان البيوت التي تحتوي على عدد من الغرف، إذ يتطلب ذلك معرفة عدد الغرف بصورة أكيدة وعدد غرف العائلة الواحدة، وغرض استخدام الغرف (سكني، استقبال، خزن) وعدد الغرف التي سكنت في وقت واحد، وتحديد حجم العائلة[٣٥].

(ب) مساحة الموقع: إن الأصل الذي قامت عليه هذه الطريقة اعتمد على أدلة إثنوغرافية لعدد من القرى في مناطق مختلفة من العالم، وتقوم طريقة تخمين سكان المواقع على معرفة عدد السكان في البيت (الوحدة السكنية) في الموقع، وعدد البيوت في الموقع، ثم حساب عدد السكان في الهكتار الواحد. إن هذه الطريقة كانت ولا تزال أكثر شيوعًا في تخمين عدد سكان مواقع ما قبل التاريخ، والفترات التاريخية في الشرق الأدنى، ولكن جون أوتسن تعتقد أنه من المستحيل معرفة عدد البيوت التي كانت مسكونة في وقت واحد من حياة المستوطن[٣٦].

(جـ) حجم أنقاض الموقع: إن تقدير عدد سكان المستوطن بموجب هذه الطريقة يعتمد على حساب حجم الأنقاض (الرديم) الذي يتكون منه الموقع الأثري، ومعرفة حجم أنقاض البيت الواحد الذي تسكنه العائلة الواحدة.

(د) تخمين سكان المنطقة: إن تقديرات عدد سكان المنطقة يقوم على تخمين عدد السكان في المواقع الموجودة فيها.

٣ ـ تخمين عدد السكان اعتمادًا على المواد الأثرية مثل الكسر الفخارية خاصة العائدة لأواني الطبخ، وذلك لمعرفة عدد هذه الأواني وكمية الطعام الذي يطبخ فيها، وما يحتاجه الفرد والعائلة من هذه الأواني، ونسبتها إلى الأواني الأخرى، وتستخدم أيضًا جرار الخزن الكبيرة التي تستخدم لخزن الحبوب أو مواد غذائية أخرى، واستخدمت أيضًا

(٣٣) Naroll, R. (1962), Floor Area and Settlement Population. *American Antiquity* 27: 551.

(٣٤) Le Blanc, S. (1971), An addition to Naroll's suggested floor area and settlement population relationship. *American Antiquity*, 36 (2) 210-211.

(٣٥) Hassan, F. H. (1978), pp. 55-58.

(٣٦) Oatis, Joan (1977), "Mesopotamian Social Organisation Archaeological and Philological evidence" in *Evolution of Social Systems*, pp. 447-455, edited by J. Friedman and M.J. Rowlands Duckworth Co.

أحجار الطحن كوسيلة لتخمين عدد السكان أيضًا.

٤ ـ البقايا الغذائية: تقوم هذه الطريقة على معرفة كمية الغذاء الذي استهلك في الموقع خلال فترة معينة وذلك للتوصل إلى معرفة ما يستهلكه الشخص من غذاء؛ إن مثل هذه الدراسات يمكن أن تجرى على صنف معين من الغذاء مثل بقايا عظام الأسماك أو الحبوب[٣٧].

إن معظم دراسات الآثار الديموغرافية (السكانية)، لفترات عصور ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى استخدمت المستوطنات سواء أكان المنقب منها أو عبر المنقب في إحصاء السكان، ومعظم المعلومات التي استند عليها في هذه الدراسات قائمة على دراسات إثنوغرافية وإثنوآركيولوجية أجريت في منطقة الشرق الأوسط خاصة في منطقة زاكروس التي تعتبر من المناطق المفضلة لمثل هذه الدراسات حيث لم يجر في هذه المنطقة تغير تكنولوجي حديث كبير، وما زال اقتصاد قراها يقوم على الزراعة التقليدية وتربية الحيوان. وقدمت العديد من الدراسات عن قرى أقاليم هذه المنطقة، وقد تناولت هذه الدراسات عدد السكان، وبيوت القرى، وأحجام البيوت، وعدد الغرف، ومساحة المنطقة المسقوفة في البيت واستخدامها، وحجم مخازن الحبوب، وما يحتاج إليه الشخص الواحد خلال العام الواحد، ومساحة الحقول الزراعية التي تحتاجها العائلة[٣٨]، ويمكن تتبع تاريخ دراسات الآثار السكانية في الشرق الأدنى من دراسة هنري فرانكفورت حيث نشر تقديراته لعدد سكان مدن الشرق الأدنى معتمدًا على عدد سكان مدن الشرق الأوسط الحديثة (حلب ودمشق) وعلى مساحة الأبنية المنقبة في وادي الرافدين (أور، خفاجي، تل اسمر، وأشنونا)، وذلك بحساب حجم البيت، وعدد السكان في كل بيت، وعدد البيوت في «الأكر» الواحد (٤٠٤٧م²)؛ فوجد حوالي ٢٠ بيتًا في «الأكر» الواحد و٦ ـ ١٠ أشخاص في البيت الواحد، وبذلك يكون ١٢٠ ـ ٢٠٠ شخص في «الأكر» أو ٢٩٧ ـ ٤٩٤ شخصًا في الهكتار (١٠ آلاف متر مربع) الواحد[٣٩].

وفي أوائل الخمسينات قام فريدريك بارث بدراسة عدد من القرى الكردية في شمال العراق (منطقة زاكروس)، وأظهرت دراساته أن حجم العائلة في هذه المنطقة يتكون من خمسة أشخاص[٤٠]، واستخدم كل من بريدوود وريد نتائج إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧م لأربع وستين قرية في منطقة جمجال، وظهر أن معدل السكان في هذه القرى هو ١٥٨ شخصًا، واستخدما هذه المعلومات في تقدير سكان قرية جرمو، وكان موقع جرمو (٦٧٥٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م.)، والمساحة ١٠٣ هكتارات، وعدد السكان ١٥٠ شخصًا، وعدد البيوت ٢٥ بيتًا، وعدد أفراد

---

(٣٧) Hassan, F. A. (1978), pp. 59-63.

(٣٨) Kramer, Carol, editor (1979). *Ethnoarchaeology*, the implication of Ethnography for Archaeology, New York, Columbia University Press; Kramer, Card (1952), Village, *Ethnoarchaeology Rural Iran in Archaeological Perspective*. Academic Press, New York; Watson, Patty, Jo (1978) *Archaeological Ethnography in Western Iran.* Fund Publications in Anthropology 57. Tucson: University of Arizona Press; Watson, Patty Jo (1980), The Theory and Practice of Ethnoarchaeology with special Reference to the Near East. *Paleorient* Vol. 6: 55-64.

(٣٩) Frankfort, H.. (1950), Town Planning in ancient Mesopotamia. *Town Planning Review*, 21: 98-111.

(٤٠) Barth, Fredrik (1953), *Principles of Social Organization in Southern Kurdistan.* Univ. Etnog. Mus. (Oslo), Bull 7: 1-146.

العائلة ٦ أشخاص، وأعتقد أن حجم العائلة والكثافة السكانية في قرى المنطقة لم يتغيرا خلال سبعة الآلاف سنة الماضية[٤١]، وخلال المسح الصحي الذي قام به كريمليزا Gremliza لمنطقة دز بيلوت (في خوزستان) حيث أظهرت المعلومات أن منطقة دز بيلوت (٥٤ قرية) وكان حجم القرية ١,١ هكتار، وعدد السكان ٢١٣ شخصًا في القرية، وحجم العائلة ١,٥ شخص[٤٢]. وأظهرت نتائج هذا المسح أن القرى الأكبر لها كثافة سكانية أقل حيث بلغت ١٥٩ شخصًا في الهكتار الواحد، والقرى الأصغر لها كثافة سكانية عالية ٢٦٧ شخصًا في الهكتار الواحد[٤٣].

وتقديرات آدمز لعدد السكان في المواقع الأثرية في وادي الرافدين تقوم على حساب مساحة المواقع غير المنقبة (الملتقطات السطحية)، حيث اقترح ٢٠٠ شخص للمواقع التي تبلغ مساحتها هكتارًا واحدًا، وذلك استنادًا إلى نتائج إحصاء السكان لمدن الجزء الأوسط من العراق وقراه[٤٤].

وقد استخدم آدمز بعد ذلك الرقم ١٢٥ شخصًا في تخمين سكان المستوطنات التي تبلغ مساحتها الفعلية هكتارًا واحدًا و١٠٠ شخص للمواقع التي يبلغ قياس أقصى أبعادها (الطول والعرض) هكتارًا واحدًا[٤٥]، وقدمت باتي جو واتسن في دراستها الأثنوغرافية لقرية حسن أباد في منطقة زاكروس معلومات مهمة لنموذج قرى هذه المنطقة من حيث الكثافة السكانية وحجم العائلة في الموقع.
حسن أباد: كانت المساحة ١,٥ هكتار، وعدد السكان ١٨٠ شخصًا وحجم العائلة ٤,٤ شخص، وكثافة السكان في الهكتار الواحد ١٢٠ شخصًا[٤٦].

ويعتمد فرانك هول في تخمينه لعدد سكان المواقع الأثرية على مساحة الموقع، وتخمين عدد السكان الذين سكنوا فيها، وهو يعتمد بذلك على ما قدمه كل من فرانكفورت وكريمليزا من معلومات سكانية، ويفترض وجود عدد من ١٢ ـ ١٥ بيتًا في الأيكر الواحد، ومن ٤ ـ ٦ أشخاص في الغرفة الواحدة (العائلة)؛ حيث استخدم هذه المعلومات أساسًا في تخمينه لسكان مستوطن علي كوش في فترة محمد جعفر.
علي كوش: (٦٧٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م.) ومساحة الموقع هكتار واحد، وعدد السكان ١٠٠ شخص.

---

(٤١) Braidwood, R.J. and Reed, Charles, H. (1957), *The Achievement and Early Consequencies of Food Production:* A consideration of the Archaeological and Natural-Historical Evidence. Cold Spring Harbar Symposia on Quantitative Biology, Vol. XXII, 19-31.

(٤٢) Gremliza, F.G.L. (1962), *Ecology of academic diseases in Dez Irrigation Pilot Area*, New York, Development Resources Corporation.

(٤٣) Lienke, R. (1975-1976), Development Cycles in early empires: A test case from Southwestern Iran *Mesopotamia*. 10-11: 31-221.

(٤٤) Adams, R. MC. (1965), *Land Behind Baghdad* A history of settlement on the Diyala Plain University of Chicago Press, Chicago, pp. 41-42, 122-125.

(٤٥) Adams, R. McCand and H. Nissen (1972), *The Uruk Country Side:* University of Chicago Press; Adams, R. McC (1981), *Heartland of Cities*. Chicago University of Chicago Press. pp. 69, 349-350.

(٤٦) Watson, Patty Jo (1978); (1979), The Idea of Ethnoarchaeology: Notes and Comments in, *Ethnoarchaeology*, edited by Carol Kramer Columbia University Press, New York, pp. 277-287.

محمد جعفر: (في موقع على كوش ٦٠٠٠ ـ ٥٦٠٠ ق. م.) ومعدل مساحة الموقع ثلاث إيكرات، وعدد السكان ١٤٥ ـ ٢٧٠ شخصًا، وعدد البيوت ٣٦ ـ ٤٥ بيتًا، وعدد أفراد العائلة ٤ ـ ٦ أشخاص[٤٧].

ويستخدم هنري رايت في تخميناته لعدد السكان في منطقة أور ـ أريدو رقم ٢٠٠ شخص في الهكتار الواحد[٤٨]. ولكن تخميناته الأخيرة لكثافة السكان في الهكتار الواحد للمنطقة نفسها كانت على أساس ١٢٥ ـ ٢٠٠ شخص في الهكتار[٤٩]، ولكنه فضل استخدام ١٠٠ شخص في الهكتار في تخمينه لسكان موقع شرق أباد العائد إلى فترة عصر الوركاء.

شرق أباد (فترة الوركاء): المساحة ١,٣ هكتار وعدد العائلات التي سكنت الموقع ٢٠ عائلة وعدد أفراد العائلة الواحدة خمسة أشخاص ومجموع السكان ١٠٠ شخص[٥٠]، ولكنه استخدم أيضًا كثافة ٢٠٠ شخص في الهكتار عند تخمينه لسكان فاروخ أباد[٥١].

كذلك استخدم كل من جونسن[٥٢] ونكي[٥٣] في تخميناتهم لحساب السكان في منطقة خوزستان في فترة عصر الوركاء والفترة الفرثية والساسانية كثافة ٢٠٠ شخص في الهكتار الواحد.

وقدم إميرمان وجماعته دراسة تخمينية لنمو السكان في العالم القديم، ومن إحدى الوسائل التي اتبعت لتخمين السكان في المواقع الأثرية تقوم على حجم الأنقاض في الموقع الأثري حيث اتبعت هذه الطريقة لتخمين سكان على كوش وذلك بموجب المعادلة التالية:

$$\text{عدد البيوت} = \frac{\text{حجم الموقع} \times \text{العمر المتوقع للبيت}}{\text{حجم أنقاض البيت} \times \text{مدة حياة الموقع}}$$

---

(٤٧) Hole, Frank (1968), Evidence of Social Organization from Western Iran 8000-4000 B.C., in *New Perspectives in Archaeology*. edited by Binford, S.R. and Binford, L. Aldine Publication, Chicago, pp. 245-265.

(٤٨) Wright, H.T. (1969) *The Administration of Rural Production in an early Mesopotamian Town*. Museum of Anthropology. Anthropological Paper, No. 38, Ann Arbor: University of Michigan, pp. 22-23.

(٤٩) *Hartland of Cities*, pp. 325.

(٥٠) Wright, H.T. et al., (1980), Time and Process in an Uruk Rural Community in, *Colleque Internationaux du Center National de la Recherche Scientifique* 580. Paris: Editions du C.N.R.S., p. 283.

(٥١) Wright, H.T., (edited) (1981), *An Early Town on the Deh Luran Plain*. Memoirs of the Museum of Anthropology, University of Michigan No. 13, pp. 64, 181.

(٥٢) Johnson, G.A. (1973), *Local Exchange and Early State Development in Southwestern Iran*. Meuseum of Anthropology, Anthropological papers No. 51. Ann Arbor: University of Michigan, pp. 64, 65, 96, 101, 110, 143.

(٥٣) Wenke, R. (1975-1976), Imperial investment and agricultural Development in Parthian and Sassanian Khuzestan: 150 B.C. to A.D. 640.

$$١٥\ \text{بيتاً} = \frac{١٥٠٠٠\ م^٢ \times ١٥\ \text{عامًا}}{٢٠\ م^٢ \times ٧٥٠\ \text{عامًا}}$$

على كوش (٦٧٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م.) عمر حياة الموقع ٧٥٠ عامًا، مساحة الموقع هكتار، عدد البيوت ١٥ بيتًا، حجم العائلة خمسة أشخاص، عدد السكان ٧٥ شخصًا[٥٤].

تعتمد تخمينات معظم الآثارين المهتمين بمنطقة الشرق الأدنى في تقدير كثافة السكان في المواقع الأثرية على مساحة المستوطن، وعدد البيوت الموجودة فيه، وعدد أفراد العائلة ٥ ـ ٦ أشخاص، وبموجب هذه الأسس حاولت الأستاذة جون اوتس تخمين عدد السكان في موقع يارم تبة.

يارم تبة ١ (فترة حسونة ٥٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق.م.):

مساحة الموقع ٢ هكتار، عدد البيوت ٥٠ بيتًا، عدد أفراد العائلة ٥ ـ ٦ أشخاص، عدد سكان الموقع ٢٥٠ ـ ٣٠٠ شخص، وكثافة السكان في الهكتار الواحد ١٢٥ ـ ١٥٠ شخصًا[٥٥]، ولكن تفضل أوتس بعد ذلك استخدام كثافة ٨٠ ـ ١٠٠ شخص في الهكتار الواحد لمواقع عصور ما قبل التاريخ في منطقة الشرق الأدنى[٥٦].

لقد أجريت العديد من الدراسات الأثنوآركيلوجية للقرى المعاصرة في منطقة الشرق الأدنى، وقدمت الكثير من المعلومات المهمة التي أصبحت لا غنى عنها للمختصين بالدراسات الآثارية والاثنوغرافية، ويمكن أن تتخذ هذه الدراسات نموذجًا لإجراء المزيد منها في المنطقة، وأظهرت هذه الدراسات بشكل واضح أن كثافة السكان في الهكتار الواحد في هذه المنطقة أقل بكثيرمن ٢٠٠ شخص، وأن الكثافة تكون أقل في منطقة الهضبة الإيرانية والتركية وأعلى في منطقة السهل الرسوبي لدجلة والفرات، كما أظهرت أن عدد أفراد العائلة في هذه المنطقة يتراوح ما بين ٥ ـ ٦ أشخاص، وأن ما يحتاجه الفرد الواحد من غرف السكن (المنطقة المسقوفة) ٩ ـ ١٠ م^٢[٥٧].

وتناولت كارول كريمر في دراستها الأثنوآركيولوجية لقرية شاه أباد ـ على أباد العلاقة بين أبنية القرية وسكانها والاختلافات في المنزلة الاقتصادية؛ وكانت المساحة ٣ هكتارات وعدد السكان ٤١٨، وعدد البيوت ٦٧ بيتًا،

(٥٤) Ammerman, Albert I., Cavalli - Soforza, L.L. and Wagener, Diane K. (1979), Towards the estimation of population growth in old world prehistory in, *Deomgraphic Anthropology,* Quantitative approaches, edited by E.B. Zubrow pp. 27-61: Albuquerque, University of New Mexico Press.

(٥٥) Oates, J. (1977), Mesopotamian Social Organisation: Archaeological and Philological Evidence, in Friedman J. and Rowland M.J. eds. *The Evolution of Social Systems,* London, p. 470.

(٥٦) Oates, J. (1980), Land Use Population in Prehistoric Mesopotamia. in, *L'Archeologie de L'Iraq,* edited by M.T. Barrelet. Paris. C.N.R.S. pp. 307-308.

(٥٧) Kramer, Carol (1980), Estimating Prehistoric Populations an ethnoarchaeological approach in, L'Archeologie de an ethnoarchaeological approach. in *L'Archeologie de L'Iraq,* edited by M.T. Barrelet, Paris, C.N.R.S. pp. 320-323, 330.

وحجم العائلة ٦,٢ شخص، وكثافة السكان في الهكتار الواحد ١٣٩ شخصًا.
منطقة علي أباد ـ شاه أباد (٤٠ قرية) معدل مساحة القرية ٣,٤ هكتار، معدل سكان القرية ٣٤٥ شخصًا، وكثافة السكان في الهكتار الواحد ٩٧ شخصًا، وكثافة السكان في الكيلومتر المربع ٥,٣ شخص[٥٨].

وقام سومنر بتخمين عدد سكان المواقع الأثرية (تلي باكونون) وذلك استنادًا إلى نتائج إحصائيات السكان في القرى المعاصرة في مرودشت في إقليم فارس.
مرودشت (١١٠ قرية) مجموع مساحة القرى ٢٣٣,٥ هكتار، معدل مساحة القرية ٢,١ هكتار، مجموع سكان القرى ٣٤,٣٧٦ شخص، معدل سكان القرية الواحدة ٣١٣، كثافة السكان في الهكتار الواحد ١٤٧ شخصًا.
تلي باكون (بداية الألف الرابع ق.م.) المساحة ٢ هكتار، كثافة السكان في الهكتار الواحد ١٠٠ شخص[٥٩].

كذلك قدمت لندا جاكوب دراسة عن قرية تلي نون الصغيرة الواقعة في أحد الوديان العليا في جبال زاكروس في إقليم فارس محاولة منها التمييز بين القرية الأقدم والقرية التي بنيت حديثًا آخذة بعين الاعتبار المضمون الآثاري لكلتا المنطقتين، وذلك لتخمين أعداد السكان في المحتوى الأثري.
تلي نون: مساحة القرية الحديثة (وتشمل الحدائق والأراضي الخالية من البناء) ٥,٧ هكتار، وعدد سكانها ٤٩٠ شخصًا، ومعدل أفراد العائلة ٨,٧ فرد. وكثافة السكان في الهكتار الواحد ٨٦ شخصًا.
تلي نون القرية القديمة ٤,٢ هكتار، وعدد السكان ٤٩٠ شخصًا، ومعدل أفراد العائلة ٨,٧ شخص وكثافة السكان في الهكتار الواحد ١١٦,٦ شخص[٦٠].

---

(٥٨) Kramer, Carol (1979), pp. 140-163; (1980), pp. 317-323; (1982), pp. 14-168.

(٥٩) Summer, Wiliam, M. (1979), Estimating Population by Analogy an Example in Kramer, C (1979), pp. 164-174.

(٦٠) Jacobs, Linda (1979) Tell-i Nun: Archaeological Implications of a Village in Transition in Kramer, Carol (1979), pp. 175-191.

المصادر والمراجع

Adams, Robert, McC.
1962 Agriculture and Urban Life in Early Southwestern Iran. *Science* 136:109-22.
1965 *Land behind Baghdad: A History of Settlement on the Diyala Plain.* Chicago: University of Chicago Press.
1981 *Heartland of Cities.* Chicago: University of Chicago Press.
Adams, Robert McC., and Hans Nissen
1972 *The Urck Countryside.* Chicago: University of Chicago Press.
Ammerman, A. J., L.L. Cavalli-Sforza, and D.K. Wagener
1976 Toward the Estimation of Population Growth in Old World Prehistory. In *Demographic Anthropology, ed. Ezra B.W. Zubrow. Albuquerque: University of New Mexico Press.*
Barth, F.
1953 *Principles of social organization in southern Kurdiaton.* Universitetets Emografishe Museum Bulktin, No. 7 Oslo.
Binford, Lewis R.
1968 "Post-Pleistocene Adaptations," In *New Perspectives in Archeology* (Sally R. Binford and Lewis R. Biford, eds.): pp. 313-41. Aldinee Publishing Co. Chicago.
Boserup, Ester
1965 *The Conditions of Agricultural Growth.* London: George Allen and Unwin.
1981 *Population and Technology change. A study of longterm trends,* The University of chicago press. Chicago.
Brailwood, Robert J.
1958 "Near Eastern Prehistory," *Science,* Vol. 127; pp. 1419-30.
Braidwood, Robert J.
1960 "The Agricultural Revolution," *Scientific American,* Vol. 203; pp. 130-48.
Braidwood, Robert J., and Braidwood
1953 The Earliest Village Communities of Southwestern Asia. *Journal of World History,* 1:278-310.
Braidwood, Robert, J.B. Howe, et al.
1960 *Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan.* Oriental Institute of the University of Chicago. Studies in Ancient Oriental Civilization no. 31. Chicago: University of Chicago Press.
Braidwood, Robert J., and Charles Reed
1957 The Achievement and Early Consequences of Food Production. *Cold Spring Harbor Symposia on Quantitative Biology* 22:19-31
Braidwood, Robert J., and Gordon R. Willey, Eds.
1962 "Conclusion and Afterthoughts," in *Couracs towards Urban Life,* Viking Fund Publications in Anthropology, no. 32 (New York: Wenner-Gren Foundation for Anthropological Research), pp. 331-59.
Childe, V. Gordon
1946 *What Happened in History.* New York: Penguin Books.
1951 *Man Makes Himself.* 12th edition. Mentor books.

1952 *New Light on the Most Ancient East.* 4th ed. London: Routledge and Kegan Paul.
1957 *The Dawn of European Civilization* (6th edition), Coben. M.N.
1977 *The food crisis in prehistory.* Yale Univ. Press, New Haven, London.

Flannery, Kent V.
1969 Origins and ecological effects of early domestication in Iran and the Near East. *In Domestication and explaitation of plants and animals.* edited by P.J. Ucko and O.W. Dimsbleby. Chicago: Aldine. pp. 73-100.

Frankfort, Henri
1950 Town Planning in Ancient Mesopotamia. *Town Planning Review 21:98-115.*

Frohlich, Bruno
1986 The human biological history of the Early Bronze Age population in Bahrain. Bahrain through the Ages. edited by S.H.A. Al-Khalifa and M. Rice. The Ministry of Information, State of Bahrain.

Gibson, McGuire
1973 Population Shift and the Rise of Mesopotamian Civilization. In *The Explanation of Culture Change,* ed. Colin Renfrew. London: Duckwotth.
1974 Violation of Fallow and Engineered Disaster in Mesopotamian Civilization. *In Irrigation's Impact on Society,* Anthropological Papers of the University of Arizona no. 25, ed. T.E. Downing and M. Gibson. Tucson: University of Arizona Press.

Gremliza, F.G.L.
1962 *Ecology and Endemic Diseases in the Daz Irrigation Pilot Area.* A Report to the Khuzistan Water and Power Authority and Plan Organization of Iran. New York: Development and Resources Corporation.

Harlan, Jack R.
1967 A wild wheat harvest in Turkey. *Archaeology* 20:197-201.

Harlan, Jack R., Daniel Zohary
1966 Distribution of wild wheats and barley. *Science* 153:1074-1080.

Hassan, Fekri A.
1978 Demographic Archaeology. In *Advances in Archaeological Method and Theory,* Vol. 1, ed. M.B. Schiffer. New York: Academic Press. pp. 49-103.
1979 Demography and Archaeology. In *Annual Review of Anthropology* 8:137-60.
1981 *Demographic Archeology. New York: Academic Press.*

Hole, Frank
1968 Evidence of Social Organization in Western Iran: 8000-4000 B.C. In New Perspectives in Archeology, ed. L. Binford and S. Binford. Chicago: Aldine. pp. 245-265.

Jacobs, Linda
1979 Tell-i-Nun: Archaeological Implications of a Village in Transition. In *Ethnoarchaeology,* ed. Carol Kramer. New York: Columbia University Press, pp. 175-191.

Johnson, Gregory A.
1973 *Local Exchange and Early State Development in Southwestern Iran. Anthropological Papers No. 51.* Ann Arbor: University of Michigan Museum of Anthropology.

Kramer, Carol
1990 Estimating Prehistoric Populations: An Ethnoarchaeological Approach. In *L'archeologie de l'Iraq du debu de l'époque néolithique a 333 avant notre ère: Perspectites et limites de l'incerprétation an-*

thropologique des documents. Colloques Internationaux du Center National de la Recherche Scientifique no. 580, ed. Marie Thérése Barrelet. Paris: Editions du Centre National de la Recheeche Scientifique.

Kramer, Carol, ed.

1979 *Ethnoarchaeology: Implications of Enthnography for Archaeology*, New York: Columbia University Press.

1982 *Village Ethnoarchaeology: Rural Iran in Archacological Perspective*. New York: Academic Press.

Laberg, Karlovsky, C.C.

1982 Dilmun gateway to immortality. JNES. 14. No. 1

Le Blance, Steven

1975 "An Addition to Naroll's Suggested Floor Area and Settlement Population Relationship," *American Antiquity* 36(2), 210-11.

Naroll, Raoul

1962 Floor Area and Settlement Population. *American Antiquity* 27:587-89.

Oates, Joan

1977 Mesopotamian Social Organistion: archaeological and philological evidence, in. *The Evolution of Social Systems*. edited by Friedman, J. and Rowland M.J. pp. 447-455.

1980 Land Use and Population in Prehistoric Mesopotaia. in *L Archeologie de L'Iarq*. edited by Barrelet M.T Paris. C.N.R.S. pp. 307-308.

Peake, H.J., and Fleur H.J.

1927 *Peasents and Potters*.

Perrot, J.

1966 Le gisement Natoufien de Mallaha (Eynan), Israel. *L'Anthropolgic* 70:437-84.

Polgar, Stephen

1971 Culture and Population: A Collection of Current Studies, *Monograph 9*. (Chapel Hill, N.C.: Carolins Population Center).

Polgar, Steven, ed.

1975 *Population, Ecology and Social Evolution*. Ninth International Congress of Anthropological and Ethnological Science, Chicago, 1973. The Hague: Mouton.

Smith, Philip E. L., and T. Cuyler Young, Jr.

1972 The Evolution of Early Agriculture and Culture in Greater Mesopotamia: A. Trial Model. In *Population Growth: Anthropological Implicatons*, ed. B.B. Spooner. Cambridge, Mass: MIT Press. pp. 1-59.

1983 The Force of Numbers: Population Pressure in the General Western Zagros 12,000-4500 B.C. In *The Hilly Falnks and Beyond*, ed. T.C. Young, Jr., Philip E. L. Smith, and Peder Mortensen [q.v.], 141-62.

Spooner, B., ed.

1972 *Population Growth: Anthropological Implications*. Cambridge, Mass.: MIT Press.

Steward, Julian H.

1955 *Theory of Culture Change*, University of Illinois Press, Urbans.

Steward, Julian H., *et al.*

1955 *Irrigation Civilizations: A Comparative Study*, Pan American Union, *Social Science Monographs*, No. 1. Washington, D.C.

Sumner, Willian M.
1979 Estimating Population by Analogy: An Example. In *Ethnoarcaeology: Implications of Ethnography for Archaeology,* ed. Carol Kramer. New York: Columbia University Press. pp. 164-174.
Van Loon, Maurits
1966 Mureybat: an Early village in Syria. *Archaeology.* 19: pp. 215-216.

مشروع البطانة الأثري: شرق السودان
النتائج والدلالات

الدكتور عباس سيد أحمد محمد علي
والدكتور يوسف مختار الأمين

مقدمة:

نجد في مناسبة إصدار هذا الكتاب التذكاري الذي يصادف مرور عشر سنوات على إنشاء قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، فرصة طيبة نساهم فيها بهذه الورقة التي نقدم فيها ملخصًا لمشروع البطانة الأثري الذي قمنا مع آخرين بتنفيذه خلال السنوات ٨٠ ـ ١٩٨٢م. إن تناولنا للمشروع في هذه الورقة يدخل في إطار نظرة تقويمية عامة للعمل الأثري في السودان، والدور الذي يمكن أن يؤديه مثل هذا المشروع في تطويره. فالكتاب الحالي هو وقفة للنظر في تجربة، لها خصوصيتها، وذلك لمعرفة مشكلاتها وسبل تقويمها وتطويرها. إننا نعتقد أن العمل الأثري، وما يتصل به من تدريس، وبحث، ونشر وتأهيل للكوادر الفنية والعلمية الخاصة به في معظم بلدان العالم النامي يواجه مشكلات وتحديات كبيرة، تتفاوت حدّتها، وطبيعتها من قطر إلى آخر. لهذا رأينا أن نعرض ـ بإيجاز ـ موقف النشاط الأثري في السودان في الوقت الحالي من ناحية مشكلاته ومرتكزاته العملية والفكرية من خلال سردنا لتفاصيل هذا المشروع.

لقد ناقشنا قضايا العمل الأثري في البلدان النامية وبالتركيز على حالة السودان في مقال آخر قيد الإعداد للنشر[1]. وسوف نتعرض للأمر هنا بصورة موجزة نرى أنها ضرورية لإبراز أهمية نتائج مشروع البطانة والأهداف الكامنة وراء القيام به.

ترجع بداية العمل الأثري الفعلية في السودان ـ أي إجراء المسح والتنقيب الميداني من أجل الكشف عن الحضارات القديمة ـ إلى السنوات الأولى من هذا القرن الميلادي، حيث كان بناء خزان أسوان وتعليته مرتين فيما

---

(١) الدكتور يوسف مختار الأمين والدكتور عباس سيد أحمد محمد علي، *«العمل الأثري في البلدان النامية: حالة السودان»*، مقال قيد الإعداد.

بعد، سببًا لإجراء مسوحات وتنقيبات أثرية في الجزء الشمالي من النوبة السودانية. فالمسح الأثري الأول الذي جرى خلال السنوات ١٩٠٧ ـ ١٩١١م[٢]، والثاني في السنوات ١٩٢٩ ـ ١٩٣١م[٣]، ركزًا في الواقع على حفر المقابر ووصف المعابد وغيرها من الآثار الشاخصة التي يمكن إرجاعها إلى حقب الحضارة المصرية القديمة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المنطقة كانت في نظر علماء المصريات، الذين قدموا للعمل فيها، امتدادًا حضاريًا للنوبة المصرية. وهكذا كان لابد وأن توضع آثارها في الهيكل التاريخي المعروف لديهم سلفًا[٤]. وعلى الرغم من أن النصف الأول من القرن الحالي شهد أعمالاً أثرية كبيرة إلا أنها تركزت في مواقع محددة في أواسط وشمال البلاد مثل حفريات أنطوني آركل في الخرطوم، وبعثة جامعة هارفارد ومتحف بوسطن بقيادة جورج رايزنر في منطقتي نبتا ومروي. لقد تركز العمل الأثري في البداية على الجزء المتاخم لمصر من الإقليم الشمالي للبلاد وهو عمل حتمته إلى جانب الأسباب المذكورة آنفًا ظروف طبيعة الحملات الإنقاذية للآثار بسبب بناء خزان أسوان. وكذلك حتمت الظروف الشيء نفسه لاحقًا عندما تقرر القيام بمهمة إنقاذ آثار النوبة الكبرى من الفترة ما بين ١٩٥٩ و١٩٦٥م[٥]. لقد كانت الحملة الأخيرة أهم نقطة تحول في تاريخ العمل الأثري في السودان، حيث عمل في منطقة النوبة المصرية السودانية والتي غمرتها لاحقًا مياه السد العالي، أكثر من أربعين بعثة أثرية جاءت للمنطقة من مختلف أقطار العالم. وبالرغم من أن الأهداف الأساسية للحملة كما تبنتها منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم (اليونسكو) قد تركزت في إنقاذ المعابد والكنائس، بنقلها إلى مناطق خارج المنطقة التي ستغمرها المياه، إلا أن نتائج الحملة تخطت هذا الهدف وحققت نتائج باهرة في الكشف عن حقائق ومعلومات جديدة تتعلق بخصائص وطبيعة تطور الحضارات السودانية القديمة. ومما يجدر ذكره أن البحث في ثقافات ما قبل التاريخ لم يضمَّن في أهداف تلك الحملة إلا بعد بدايتها. وكما أشار وليام آدمز، فالمناخ الذي خلفته نتائج هذه الحملة فيما يختص بالسودان، جعل المختصين يبعدون تطور الحضارات السودانية من ظل علم المصريات، وينظرون إليها في إطار مسارها المحلي. إلا أنهم في الوقت نفسه، ونتيجة لكون العمل محصورًا في منطقة النوبة، أصبحوا «أسرى» لفكرة النظر لتاريخ حضارات السودان القديمة من منظور منطقة النوبة وحدها "Nubiocentric"[٦].

إن ما يهمنا الآن من نتائج ذلك النشاط المكثف هو ذلك الجانب من الاكتشافات الذي يتعلق بفترة ما قبل التاريخ. في واقع الأمر أن ما كان معروفًا عن حقب تلك الفترة قبل حملة إنقاذ آثار النوبة، كان محدودًا للغاية. ويرجع الفضل في ذلك القليل الذي نعرفه لانطوني آركل، الذي عمل في الإدارة البريطانية في السودان، ومن ثم

(٢) Reisner, G. *The Archaeological Survey of Nubia*, 1907-1908, Cairo (1910).

(٣) Emery, W.B. and Kirwan, L.P. *Excavations and Survey Between Wadi Es-Sebua and Adinan*, 1929-1931 (Le Caire), 1935.

(٤) Adams, W.Y. "Strategy for Archaeological Salvage" *Geographical Monograph Series*, Vol. 17, (1973), pp. 826-35.

(٥) Adams, W.Y. "Paradigms in Sudanese Archaeology", *Africa Today*, Vol. 28, No. 2 (1981), p. 15-24.

(٦) المصدر السابق.

مديرًا عامًا للآثار السودانية عام ١٩٤٩م. وقد قام بتنقيبات محدودة في الموقع الأشولي في خور أبي عنجة في أم درمان، وجمع ملتقطات سطحية من عدد من المواقع المشابهة له في أجزاء متفرقة من البلاد، ولخّص مكتشفاته في كتيب مهم عن العصر الحجري القديم نشر في عام ١٩٤٩م(٧). يلي ذلك أهم أعماله التي قام بها عندما نقب في موقعي «الخرطوم القديمة» و«الشهيناب» اللَّذَيْن يرجعان إلى العصر الحجري الحديث، ونشر نتائج أبحاثه تلك مصورة ومفصلة وجيدة في زمانها (١٩٤٩، ١٩٥٣م على التوالي)(٨)، فلفت انتباه الباحثين إلى أهمية المنطقة في فترة العصر الحجري الحديث. وكما أشار آركل نفسه، فإن الاهتمام بالآثار في السودان حتى تلك اللحظة كان منصبًا على الفترات التاريخية وخاصة تلك التي تبين مدى انتشار الحضارة المصرية القديمة جنوبًا(٩).

إن الفضل الأكبر في الكشف عن آثار أدوار ما قبل التاريخ وحضاراته إبان حملة إنقاذ آثار النوبة في الستينات يرجع للبعثة الأمريكية المتحدة (C.P.E.) تحت إشراف فريد وندورف (Fred Wendorf) وعضوية آخرين. كان اهتمام هذه البعثة الأساسي ينصب على مسح أكبر جزء من المنطقة التي ستغمرها المياه مع اختيار مواقع جيدة للتنقيب فيها، وقد انحصر العمل في منطقة مساحتها ستون كيلومترًا حول مدينة حلفا على الحدود السودانية المصرية. وقد استطاعت هذه البعثة الكشف عن الأدوار الحضارية لحقب ما قبل التاريخ ووضعها في جدول زمني يمتد من الحقبة الأشولية وحتى نهاية العصر الحجري الحديث. وكانت الوحدة الأساسية في تحليل المادة الأثرية هي أن كل مجموعة من الأدوات والمعثورات تربطها خصائص تقنية ونوعية عبر فترة زمنية محدودة تمثل المخلفات المادية لثقافة مجموعة بشرية معينة. وهكذا اعتمد هذا النموذج لوضع تسلسل حضاري تتعاقب فيه الأدوار الحضارية، ممثلة لثقافات مجموعات سكانية، عاشت في المنطقة في وقت معين(١٠). وقد تبيّن للوهلة الأولى ثراء المنطقة وتنوع ما فيها من خصائص حضارية بعضها مرتبط بما هو معروف في شمال أفريقيا والبعض الآخر يعرف لأول مرة. وقد لفت هذا العمل الانتباه لإسهام بلاد النوبة في التنوع الثقافي الذي ساد في شمال أفريقيا في الفترات المتأخرة من عصر البلايستوسين، خلافًا لما كان يُظَنّ في أنها كانت تعاني من ركود وعزلة حضارية في تلك الحقبة(١١).

إن النتائج التي حصلت عليها البعثات الأجنبية التي عملت في مواقع ما قبل التاريخ في ذلك الجزء الشمالي من البلاد(١٢) تأثرت بعدة أمور، منها مثلاً أنها ضمت باحثين من بلدان مختلفة أوربية وأمريكية. وبالتالي عكست

---

(٧) Arkell, A.J. *The Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan*. S.A.S.O.P. No. 1, Cambridge (1949).

(٨) Arkell, A.J. *Early Khartoum*, Oxford University Press (1949).
Arkell, A.J. *Shaheinab*, Oxford University Press (1953).

(٩) Arkell, A.J. *A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821*, London, Athlone Press (1955).

(١٠) Wendorf, F. *The Prehistory of Nubia*, Vol. 1, Dallas, S.M.U. Press (1968).

(١١) المصدر السابق.

(١٢) إلى جانب البعثة الأمريكية فقد كانت هنالك بعثة اسكندنافية مشتركة وأخرى من جامعة كلورادو الأمريكية.

خلفيات متباينة لأناس يجتمعون لأول مرة في منطقة واحدة ومحصورة، لم يكن لمعظمهم خبرة سابقة بنوعية مواقعها، وطبيعتها ومشكلاتها. ولذا نلاحظ بعض الاضطرابات في المسميات والمصطلحات المستخدمة، وفي وسائل التصنيف والوصف كذلك، الأمر الذي أثر سلبًا في ترتيب الأدوار الحضارية، بل وفي تحديدها[13]. يُضاف إلى ذلك الطبيعة الإنقاذية لهذا العمل، وضيق وقته. لذلك فإن كثيراً مما سمي بمسوحات وتنقيبات أثرية لم يكن إلا أعمالاً جزئية، بعضها في مواقع منتقاة، ترتب عليه ضياع الكثير من المعلومات التي كان أمر الحصول عليها ممكنًا. أضف إلى كل ذلك أن العمل نفسه لم يكن من النوع الذي اقتضته قضايا أثرية محدّدة أو فرضيات للتطور الحضاري في ما قبل التاريخ، يراد اختبارها عبر مادة جديدة[14]. ولكن مهما قيل عن هذا العمل فإن الإيجابيات تفوق السلبيات. فالنتائج التي أدى إليها العمل الأثري المذكور دفعت الكثير من البعثات الأجنبية فيما بعد للعمل في جنوب مصر والصحراء المتاخمة. أما في السودان فقد اقتصر العمل بعد ذلك على استمرار البعثة الأمريكية المتحدة في العمل لموسم واحد (١٩٦٧م) في منطقة دنقلا العجوز بشمال السودان، وفي منطقة خشم القربة في شرق السودان، والأخيرة هي المنطقة التي وقع عليها الاختيار لإجراء المشروع قيد البحث. وممن جذبتهم منطقة وادي النيل في السودان كنتيجة لنشر نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة كانت ثلاث بعثات، نرويجية، وإيطالية، وبولندية، تعمل كلها لسنوات طويلة في مواقع العصر الحجري الحديث حول منطقة الخرطوم. لقد تضافرت عوامل عدة جعلت هذه البعثات تحصر نفسها في تلك المنطقة، مما نتج عنه أننا وإلى عهد قريب كنا لا نعرف شيئا يذكر عن فترات ما قبل التاريخ بعيدا عن ضفاف النيل في السودان.[15] وكما سيرد في السطور التالية فإن واحدا من أهدافنا في اختبار منطقة البطانة في شرق السودان هو وقوعها خارج منطقة النيل، مما يسمح باختبار فرضيات متعددة تتعلق بقضايا أثرية حيوية مثل طبيعة التطور في العصر الحجري القديم المتأخر والتحول لمجتمعات إنتاج القوت والتي نعرف عنها الكثير في المنطقة حول الخرطوم.

إن نظرة سريعة لتاريخ العمل الأثري في السودان كافية لتؤكد لنا أنه ما زال إلى حدّ كبير مجالاً أكاديميًّا محتكرًا للبعثات الأجنبية. فمصلحة الآثار التي تم إنشاؤها في أوائل الأربعينات من هذا القرن لم تتمكن من أن تقدم شخصية وطنية لإدارتها حين اتخذت الخطوات الأولى لتحقيق الحكم الوطني للبلاد (١٩٥٤م)، وحتى بعد تحقق الحكم الوطني، تم تعيين مدير فرنسي ليحل محل المدير البريطاني (الدولة المستعمرة) وهو تصرف تغيب الحكمة فيه. ولم يتمكن الوطنيون من احتلال مواقعهم في إدارة الآثار إلا في عام ١٩٦٠م. ومنذ ذلك الوقت تكونت نواة من الوطنيين المختصين لا بأس بها في إدارة الآثار إلا أنهم كانوا في واقع الأمر يقضون وقتهم في تصريف الشئون الإدارية، والإشراف على البعثات الأجنبية التي انتشرت تنقب في شتى المواقع الأثرية في البلاد.

(١٣) Elamin, Y. *The Later Pleistocene Cultural Adaptations in Sudanese Nubia*, B.A.R. Oxford (1981).

(١٤) Adams, M.Y. (1973) op. cit. (note 4).

(١٥) Elamin, Y.M. "The later Palaeolithic in Sudan in the light of New data form the Atbara" in T. Hagg (ed.), *Nubian Cultures Past and Present*, Almgrist and Wiksell Int. Stockholm (1986).

وفي الجانب الآخر فقد أنشىء قسم الآثار بجامعة الخرطوم في عام ١٩٦٢م، وأصبح كامل أعضائه فيما بعد من الوطنيين. ومن اللافت للنظر أن دور هؤلاء المختصين الوطنيين في مصلحة الآثار وقسم الآثار معًا كان محدودًا للغاية في مجال النشاط الميداني. فالأكاديميون الذين تتطلب تخصصاتهم أعمالاً ميدانية عادة ما ينشطون للعمل الميداني في مرحلة جمع المادة التي يحتاجونها لكتابة بحوثهم للدرجات العلمية في الخارج، وبعد ذلك يتقلص نشاطهم الميداني بصورة ملحوظة. إن هذا الأمر يرجع لعدة أسباب منها شحّ وضيق الإمكانات المادية المتاحة للعمل الميداني، وما يتطلبه من نقل وإعاشة وتنقيب وتحليل للمادة الأثرية. وعلى الرغم من أن الجامعة تبدي تشجيعًا ملحوظًا لهذا النشاط إلا أنه لا يتأتى ضمن أولويات البحث الأكاديمي بها. كذلك مما يعيق الراغبين في العمل من الوطنيين ذلك الرأي السلبي عند معظم المسئولين في مصلحة الآثار السودانية من أن الباحثين الوطنيين ربما ينقصهم التأهيل الكافي الذي يسمح لهم بالقيام بأعمال ميدانية كبيرة. ربما تكون لهؤلاء المسئولين أسبابهم الموضوعية في الحالات القليلة النادرة، إلا أن المناخ الذي أوجدته هيمنة البعثات الأجنبية في هذا الميدان ساعد كثيرًا على تبني مثل هذا الرأي[١٦].
ونحن من جانبنا حين فكرنا في مشروع البطانة الأثري وبالاشتراك مع بعض الباحثين الأجانب من الأمريكيين كان في بالنا تفادي ضيق الإمكانات المحلية وفي الوقت نفسه كان محاولة للخروج من مأزق العمل في الهامش، وذلك بتحقيق نوع من المشاركة الفعلية.

مشـروع البحـث

منذ البداية كانت هناك أمور رأينا ضرورة أخذها في الاعتبار، منها:

١ ـ أن أي عمل أثري يجب أن يكون واضح الأهداف، ومنطلقًا من فهم تامٍّ لطبيعة التأقلم البشري في البلاد، في إطار زمنيّ ومكانيّ محدّد، وأن يكون موجهًا لحل قضايا أثرية بعينها.

٢ ـ محاولة ابتعاد النشاط الأثري، في هذه المرحلة على الأقل، عن ذلك الشريط الضيق الذي يحاذي نهر النيل، إذ أن الاعتقاد بحتمية العثور على حلول للقضايا الأثرية الخاصة بذلك الشريط داخل إطاره الجغرافي أمر تنقصه الدراية الكافية بكيفية التكيف البيئي في تلك المنطقة.

نشأت فكرة قيام مشروع البطانة الأثري إبان زيارة دراسية قام بها الدكتور يوسف مختار الأمين في عام ١٩٧٦م إلى قسم الآثار بجامعة مثودست الجنوبية (S.M.U.) تبادل أثناءها الرأي مع أستاذ أمريكي (أ. ماركس A. Marks) والذي سبق له العمل في السودان ضمن البعثة الأمريكية المشتركة واتفقا على أهمية المشروع والسعي لإنجازه، ثم انضم إليهما أمريكي آخر هو الدكتور (ت. هيز T.R. Hays) ، والذي كان قد عمل أيضًا مع أفراد تلك البعثة

---

(١٦) الدكتور يوسف مختار الأمين والدكتور عباس سيد أحمد محمد علي، *العمل الأثري في البلدان النامية: حالة السودان*، (هامش١).

كطالب للدراسات العليا بالجامعة المذكورة. وأوضح الجانب الأمريكي رغبة منه في تعاون سوداني ـ أمريكي مشترك، كما جاءت موافقتهم على فكرة العمل بعيدًا عن الشريط المحاذي لضفتي النيل. وفي هذا الإطار طرحت خيارات العمل التي انحصرت في منطقتين:

* الأولى منطقة ساحل البحر الأحمر والسلسلة الجبلية المحاذية له في شرق السودان.
* المنطقة الثانية وهي سهل البطانة الذي يمثل جزءًا من الطرف الشرقي لحزام الساحل الإفريقي (شكل ١).

وفي عام ١٩٧٨م تبلورت صورة المشروع بشكل أوضح، حيث انضم إليه الدكتور عباس سيد أحمد محمد علي، وأصبح بذلك تحت إشراف أربعة باحثين هم: كاتبا هذا المقال، والبروفيسور أ. ماركس، والدكتور ت. هيز. غير أن المشروع لم يبدأ فعليًا إلا في عام ١٩٨٠م.

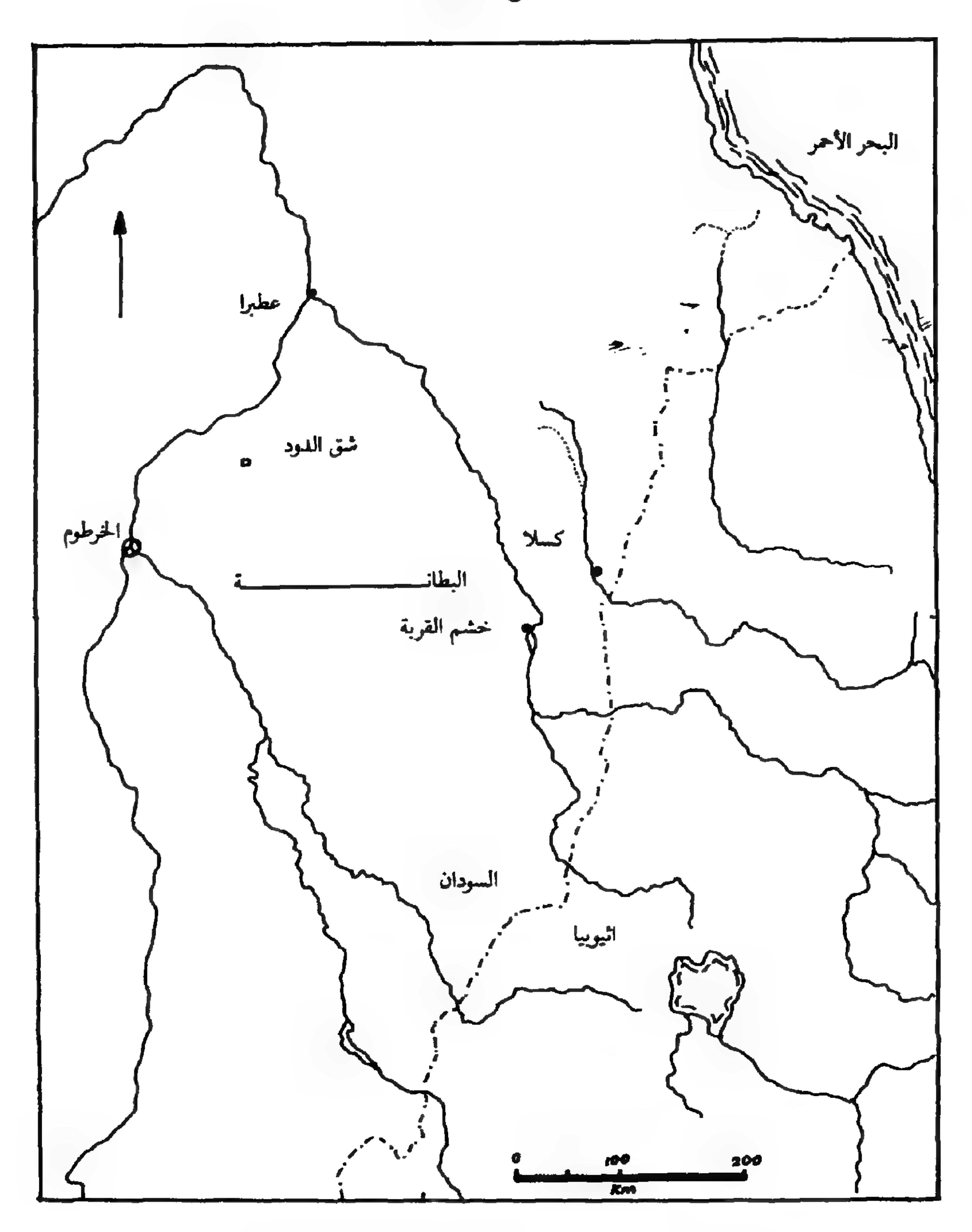
كان اختيارنا لسهل البطانة منطلقًا من عدة قناعات. فهو إلى جانب موقعه بعيدًا عن الشريط المحاذي للنيل، فإنه يحتلّ مكانًا وسطًا بين مركزين حضاريين، في وادي النيل والهضبة الأثيوبية، وبالتالي فمن الممكن أن يقدم حلولاً لبعض القضايا الأثرية الخاصة بتلك المناطق. إلى جانب ذلك، ومما ساعد على ترجيح كفته أيضًا، أنه كانت قد تمت فيه بعض المسوحات الأثرية الاستطلاعية من قبل وأثبتت إمكانات عطائه الأثري. ففي المنطقة الغربية من سهل البطانة أجرت بعثة ألمانية مسحًا لكشف مواقع الحضارة المروية انتهى إلى اكتشاف موقع كهف شقّ الدودة ضمن مواقع أخرى. وقد قامت تلك البعثة بإجراء حفريات أولية محدودة في الموقع أوضحت أنه من مواقع العصر الحجري الحديث المهمة[١٧]. كذلك قامت بعثة أمريكية بمسح أثري استطلاعي في شرق البطانة حول مدينة خشم القربة انتهى إلى تسجيل ٢٢ موقعًا. وأثبتت الدراسة المحدودة التي أجريت على ملتقطاتها السطحية وما تم في بعضها من حفريات محدودة أيضًا، أنها تغطي فترة زمنية تمتد من الحقبة الأشولية إلى الفترات التاريخية. وتجدر الإشارة إلى أن نتائج هذا العمل ظلت غير معروفة لعدم تمكن تلك البعثة من نشرها[١٨].

لقد تزامنت مع بداية التفكير في مشروع البطانة هذا أن بدأت بعثة إيطالية مسحًا أثريًا وتنقيبات في منطقة كسلا ودلتا نهر القاش على الحدود السودانية الأثيوبية وإلى الشرق من مدينة خشم القربة. وتعتبر تلك المنطقة امتدادًا طبيعيًا للمنطقة قيد الدراسة (شكل ١).

---

(١٧) Hintze, F. "*Preliminary report of the Buana Expediton 1958*", *Kush 7*, (1959), pp. 171-196.
Otto, K. "*Shaqadud: A New Khartoum Neolithic Site outside the Nile Valley*" *Kush 11*, (1963), pp. 108-16.

(١٨) Shiner, J. Marks, A. Chmielewski, V. de Heinzelin, J. Hays, T.R. "*The Prehistory and Geology of Northern Sudan,*" Unpublished Report to the National Science Foundation (1971).



شكل (١): خريطة لمنطقة البطانة بشرق السودان توضح مناطق المسح.

وانطلاقًا من هذه المعطيات، وفي إطار الأهداف العامة، وضعت خطة لعمل أثري طويل المدى في منطقة البطانة تهدف لتحقيق ما يلي:

١ ـ رسم خارطة بيانية للمواقع الأثرية التي يتم اكتشافها لتحديد أنماط الاستيطان البشري ودراسة التكيف البيئي خلال الحقب المتأخرة من عصور ما قبل التاريخ.

٢ ـ تسليط الضوء على المخلفات الحضارية الخاصة بحقب ما قبل التاريخ ومحاولة معرفة أوجه التطور الحضاري الذي شهدته المنطقة وتسلسل أدوارها والخروج من ذلك بمعرفة لآليات التطور والتغير الحضاري.

٣ ـ استقصاء الدور الذي لعبته البطانة في التطور الحضاري لحقب ما قبل التاريخ في السودان سواء كانت منطقة تداخل حضاري أم كانت حاجزًا بين حضارات وادي النيل والهضبة الأثيوبية، ثم تتبع التأثيرات الحضارية من تلك المنطقة وإليها فيما يختص بالمناطق المجاورة في حالة كونها منطقة تداخل حضاري.

إلى جانب ذلك فإن هناك أمورًا نتجت عن العمل الأثري على ضفتي النيل في أواسط السودان كان لابد من أخذها في الحسبان خاصة وأن قناعتنا تشير إلى أن الإجابة عليها ربما يقع مكانها بعيدًا عن وادي النيل. من بين تلك القضايا:

ا ـ يلاحظ مما تم من مسوحات على النيل خلو منطقة أواسط السودان من أية مواقع يمكن إرجاعها تقنيًا أو نوعيًا لحقبة العصر الحجري القديم الأعلى. ففي الوقت الذي تنتشر فيه مواقع العصر الحجري القديم الأسفل والقديم الأوسط إلى جانب مواقع العصر الحجري الحديث، تنعدم تلك التي تخصّ العصر الحجري القديم الأعلى. هل كان ذلك ناتجًا عن غياب حقيقي للعصر الحجري القديم الأعلى أم أن العصر الحجري القديم الأوسط باستمرار تقنياته قد غطى ولو جزئيًا على الأقل بعضًا من تلك الحقبة.

ب ـ يلاحظ كذلك أن التاريخ الناتج عن كربون ـ ١٤ لحقب ما قبل التاريخ المتأخرة في أواسط السودان يشير إلى فجوات في التسلسل الحضاري لتلك المنطقة يصعب تفسيرها. تقع إحدى هذه الفجوات بين حضارتي الخرطوم القديمة والشهيناب (حوالي الألف الخامس ق.م.)، والأخرى بين حضارة الشهيناب وبداية الحضارة المروية (حوالي الألف الثاني ق.م.).

جـ ـ كذلك خرجت دراسة أجريت مؤخرًا على مواقع تعود إلى حقبة العصر الحجري الحديث في منطقة النيل الوسطى في أواسط السودان، بنموذج يرى أن المجموعات البشرية الخاصة بتلك الفترة قد ارتكزت في تأقلمها على التنقل بين الضفة الشرقية للنيل وسهل البطانة[١٩]. وكان من الأجدر اختبار هذا الافتراض على هامش الأهداف الرئيسية للمشروع.

---

(١٩) R. Haaland, "Seasonality and Division of Labor: A Case Study from Neolithic Sites in the Khartoum Nile Environment" *Norwegian Archaeological Review*, 14: 1, (1981), pp. 44-59.

في شتاء عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١م قام أعضاء الفريق بزيارة ميدانية لمنطقة البطانة لمدة عشرة أيام لإجراء مسح استطلاعي نتج عنه الاتفاق فيما بينهم بجدوى قيام المشروع، كما تم جمع مادة تكفي لإعداد مشروع مفصل وتقديمه للجهات الممولة.

وقد يتساءل المرء أما كان بالإمكان الاكتفاء بالعنصر الوطني للقيام بهذا المشروع دون اللجوء إلى عنصر أجنبي. لقد كان أمر لجوئنا إلى عنصر أجنبي لتحقيق هذا المشروع أمرًا ضروريًا لكل من يعمل في ظروف مشابهة، وذلك لأسباب منها:

١ ـ الحاجة لخبرتهم الأكاديمية والعلمية وتجربتهم السابقة في العمل في المنطقة ولخبرتهم في التعامل مع أي مستحدثات غير متوقعة أو مألوفة قد تطرأ دون أن يكون محسوبًا لها بالقدر الكافي، وقد ذكرنا ذلك آنفًا. ولقد تم الاتفاق بين الجانبين على أساس مبدأ المناصفة.

٢ ـ الحاجة لمساعدتهم في أمر التمويل الذي كنا نعلم منذ البدء أن المصادر المحلية ـ وإن لن تدّخر وسعًا ـ لا قبل لها بما يحتاجه مشروع بهذا الحجم من تمويل.

فيما يخصّ أمر التمويل فقد اتجهنا إلى مصدرين: أولهما محلي هو كلية الآداب، متمثلة في قسم الآثار ومجلس الأبحاث فيها. فكان دعم الكلية سخيًّا، تمثل في شكل معدات للمسح والتنقيب، ومعدات المعسكر وسيارة وأشياء عينية كانت ستكلف مبالغ طائلة لو قدر لنا شراؤها جميعها. إلى جانب ذلك فقد فرّغت اثنين من أعضاء هيئة التدريس بالقسم، وهما كاتبا هذا المقال، إلى جانب فنيين وعمال بكامل مخصصاتهم للعمل في المشروع طيلة الفترة المحسوبة له. كذلك قدم مجلس الأبحاث بالكلية دعمًا نقديًا مساهمة منه في المشروع. أما المصدر الثاني وهو الأساسي فقد كان للمؤسسة القومية الأمريكية للعلوم (N.S.F.) والتي تقدمنا لها بطلب نال الموافقة بتمويل المشروع لمدة عامين. وشملت تفاصيل التمويل شراء سيارات ومعدات إضافية، ونفقات سفر أعضاء الفريق الأجانب من بلادهم وإليها وتغطية الإعاشة في الميدان، وتكلفة الوقود وأجور العمال، وتحليل العينات وخلافها.

إلى جانب هذين المصدرين فقد وجدنا دعمًا من جهات سودانية أخرى. ففي منطقة غرب البطانة، دعمتنا القوات المسلحة التي قامت بتجهيز المعسكر وأمدتنا بمياه الشرب على امتداد فترة العمل وخلال الموسمين، كذلك هيأت لنا إدارة الخزانات التابعة لوزارة الري بخشم القربة (شرق البطانة) معسكرًا للإقامة أثناء عملنا في شرق البطانة، وأمدتنا في أوقات الشحّ بالوقود اللازم للسيارات. هذه المساعدات كان لها أثر هائل في تسهيل مهمتنا.

لقد انضم للفريق بعض من رأينا في انضمامهم ضرورة للاستعانة بتخصصاتهم التي لم يكن هناك غنى عنها، لكونها جاءت في مجالات خارج نطاق تخصصات الأعضاء المؤسسين للفريق، وقد شمل هؤلاء أساتذة وفنيين

متخصصين في علوم الحيوان من جامعات بلجيكية وأمريكية وسودانية. كذلك كان من رأينا أن المشروع يمكن أن يخدم بشكل إيجابي قضية تدريب طلاب الدراسات العليا من الجانبين، بتوفير فرصة سانحة للمزيد من الخبرة الميدانية إلى جانب توفير مادة أثرية يمكن استغلالها في إعداد أطروحاتهم. وبالفعل انضم ثلاثة من طلاب الدراسات العليا بقسم الآثار بجامعة الخرطوم واثنان من قسم الآثار بجامعة مثودست الجنوبية وطالب دراسات عليا من قسم الآثار بجامعة بيرجن في النرويج، كما جاء طالب من جامعة قنت البلجيكية منتسبًا.

وقبل البدء في العمل كان لابد من موافقة مصلحة الآثار السودانية على المشروع، والتي تمت بإصدار رخصة للتنقيب حملت اسم أحد أعضاء الفريق الأجانب وجامعته (N.T.S.U.)، وذلك إجراء إداري حتمته حقيقة أن معظم التمويل كان أمريكيًا، وأن حامل الرخصة كان من بين أعلى أعضاء الفريق درجة علمية

ولا شك أن الأهداف العامة للمشروع كانت تستدعي المطالبة بامتياز يغطي مساحة شاسعة نسبيًا، إذ لم يكن من الجائز أن نحصر منطقة البحث في رقعة ضيقة نتوخى فيها استيعاب كل القضايا البحثية المحركة للمشروع. وفي الوقت نفسه لم يكن خافيًا علينا أننا نتعامل مع رقعة جغرافية شاسعة تمتد لأكثر من ٣٠٠ كم من الشرق إلى الغرب، تتباين في طبيعتها الطبوغرافية والبيئية، وعليه لم يكن بالمستغرب ظهور بعض المشكلات الميدانية. إلى جانب ذلك كنا نواجه بحقيقة أن منطقة البطانة بالرغم من المسوحات الاستطلاعية المحدودة التي جرت فيها والتي سبق ذكرها، فإنها لا وجود لها من الناحية العملية في الخرائط الآثارية.

قضت خطتنا في البدء أن نقسم منطقة الدراسة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:

١ ـ المنطقة الغربية حول كهف شق الدود، وهي منطقة ذات طبيعة جبلية.

٢ ـ المنطقة الوسطى التي يحتلها وسط سهل البطانة وهي منطقة منبسطة خالية من التضاريس المميزة.

٣ ـ المنطقة الشرقية حول مدينة خشم القربة، وهي منطقة سهلية يشقها نهرا عطبرة والقاش وتتخللها أودية وكثبان رملية (شكل ١).

لقد رأينا أن نبدأ بطرفي منطقة الدراسة، أي المنطقتين الغربية والشرقية المتاخمتين لمنطقة ثقل حضاري سواء في وادي النيل أو الهضبة الأثيوبية، وكلاهما كان قد أظهر في المسح الاستطلاعي الأول كثافة في المواقع. وكان لابد من تحديد استراتيجية للعمل في كلتا المنطقتين تتفق في بعض جوانبها وتتباين في أخرى. ففي المنطقة الغربية رأينا أن نجري مسحًا أثريًا متزامنًا مع الحفريات في منطقة الكهف، وإذا ما اقتضى الأمر تنقيبًا في مواقع المسح قمنا بذلك. والمنطقة التي تقرر مسحها حول الكهف، حيث وجدنا المؤشرات السطحية لعدد من المواقع، تبلغ مساحتها حوالي تسعين كيلومترًا مربعًا. وقد قام اثنان من أعضاء الفريق بهذا المسح على مدى موسمين.

ومن المشكلات التي واجهتنا في الجزء الغربي من البطانة، تأمين احتياجات المعسكر (غذاء وعلاج وغيره) خاصة وأن أقرب مدينة لكهف شق الدود تبعد نحو خمسين كيلومترًا عبر طرق وعرة.

أما في المنطقة الشرقية فقد وضعت الاستراتيجية بالبدء بالمسح الأثري مع اختيار بعض المواقع المهمة واخضاعها للتنقيب. وفي هذا المجال كانت أمامنا منطقة شاسعة للغاية تغطي ما يزيد على ٢٠٠٠ كيلومتر مربع وبتضاريس متباينة. وفي ظل الإمكانات المتاحة، والتي يحكمها ضمن عوامل أخرى عامل الوقت وعدد أفراد الفريق، لم يكن إجراء المسح سيراً على الأقدام بالوسيلة العملية في مثل هذه الظروف. عليه فقد أجري جزء منه بواسطة سيارات تسير وفق خطة معينة. إلا أن أجزاء من تلك المنطقة كانت ذات طبيعة لا تسمح بقيادة السيارات عليها، وهذه كان لابد من تغطيتها سيراً على الأقدام، غير أن وعورتها وكثافة أشجارها حالت في الكثير من الأحيان دون تحقيق ذلك الهدف. أما في مجال الحفريات فقد كانت بعض المواقع تغطي مساحة تزيد على العشرة هكتارات، وهنا كان لابد من أخذ عينات مختلفة للموقع من ناحية، وانتقاء مواقع ممثلة للمنطقة من ناحية أخرى.

غرب البطانة

إن الأبحاث السابقة في حضارات العصر الحجري الحديث في أواسط السودان، والتي أسفرت عن بعض القضايا التي أُثيرت في الصفحات السابقة، قد كشفت عن مواقع لتلك الفترة على ضفتي النيل، أمكن تصنيفها إلى حقبتين رئيسيتين تمثلان التطور الحضاري للعصر الحجري الحديث في تلك المنطقة[٢٠]، وذلك بناء على معطياتها الحضارية ونتائج الاختبارات الكربونية التي أُجريت على عينات منها:

الحقبة الأولى، هي ما سميت بحضارة الخرطوم القديمة استنادًا إلى موقعها النموذجي في الخرطوم، والتي يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من الألف السابع ق.م. إلى منتصف الألف الخامس ق.م.. وقد تميزت بفخّار صلب جيد الصنع، غير مصقول، تزينه خطوط متصلة مموجة، وأخرى متقطعة مموجة أو متعرجة. أما أدواتها الحجرية فهي أدوات قزمية (microliths) صنع معظمها من حصى الكوارتز والذي أنتجوا منه شظايا صغيرة صنعوا منها الأهلة والمكاشط. وقد استقرت المجموعات البشرية لأصحاب هذه الحضارة في مواقع صغيرة على ضفاف النيل حيث اعتمدوا اعتمادًا شبه كامل على صيد الأسماك والبرمائيات، إلى جانب حيوانات السافنا الغنية.

أما الحقبة الثانية والتي سميت بحضارة الشهيناب. فقد اشتقت اسمها من قرية الشهيناب إلى الشمال من الخرطوم، حيث موقعها النموذج ويرجع تاريخ هذه الحقبة إلى النصف الأول من الألف الرابع ق.م.. وتتميز بمواقع أكبر حجمًا وفخّارها مصقول في غالبه، ومزين بخطوط محززة متوازية، أو خطوط متعرجة متصلة أو متقطعة،

---

(٢٠) Arkell, A. J. (1949), (1953), op. cit. (note 8).

وخطوط شبكية، وقد شملت أدواتهم حصى الكوارتز في صناعة الأدوات القزمية. وعلى الرغم من أن اقتصاد هؤلاء قد اعتمد إلى درجة كبيرة على الصيد والجمع إلا أنهم عرفوا استئناس الأبقار والضأن والماعز.

ولم يعثر بعد على مواقع على النيل في أواسط السودان يرجع تاريخه إلى الألفين الثاني والثالث ق.م.، وهي الفترة التي تتوسط بين حضارة الشهيناب والحضارة المروية، عدا مجموعة صغيرة من المواقع عند قرية الكدادة إلى الشمال من شندي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من الألف الثالث ق.م.(٢١).

ليس هذا سوى ملخصٍ موجزٍ قصدنا به توضيح صورة التسلسل الحضاري لحقبة العصر الحجري الحديث حول نهر النيل في أواسط السودان عشية بداية تنفيذ مشروع البطانة.

تركزت الحفريات في غرب البطانة على موقعي شق الدود الرئيسيين، هما الموقع «أ» (S1-A) بداخل الكهف، والموقع «ب» (S1-B) الذي يقع أمام الكهف.

التنقيب

١ ـ شق الدود «ب» (S1-B):

بالنسبة لموقع شق الدود «ب» فإن الملتقطات السطحية تشير إلى أنه الموقع الأقدم عهدًا، أو أن نوعيات الفخّار على سطحه تكوّن خليطًا من تلك النوعيات التي عُرفت من عدة مواقع على النيل، والتي تعود إلى حضارتي الخرطوم القديمة والشهيناب، وتنتشر هذه الملتقطات السطحية على رقعة كبيرة من سطح موقع شق الدود «ب»، بحيث تغطي مساحة لا تقل عن خمسة عشر ألف متر مربع، غير أن جزءًا من السطح والذي ينحدر من الجنوب إلى الشمال تنتشر عليه حاليًّا ملتقطات جرفتها مياه الأمطار، وهو بالتالي ليس جزءًا من الموقع الأصلي.

لقد تم تقسيم سطح الموقع إلى مربعات، أعطيت أرقامًا عشرية من الشمال إلى الجنوب، وحروفًا لاتينية من الشرق إلى الغرب. ثم اختيرت أكثر مناطق الموقع ارتفاعًا للتنقيب فيها بحكم احتمال احتوائها على أعمق تراكم حضاري. أجريت الحفريات بعد ذلك في مساحة قدرها ٦ أمتار مربعة، وصل فيها عمق الطبقات إلى ٣,٥ متر، الشيء الذي يجعل من هذا الموقع أكثر مواقع هذه الفترة في وادي النيل عمقًا في الطبقات. وتمخضت التنقيبات عن كثافة عالية في المخلفات شملت أدوات حجرية وقطعًا فخارية ومخلفات عظمية ونباتية(٢٢).

(٢١) F. Geus, *Rapport Annuel d'activite (1978-79 and 1979-80) Directorate General for Antiquities and National Museums of The Sudan-French Archaeological Research Unit,* Khartoum, (1981).

(٢٢) Abbas Mohammed-Ali and A. Marks, "The Prehistory of Shaqadud in the Western Butana, Central Sudan: A Preliminary Report", *Norweigian Archaeological Review,* Vol. 17 No. 1 (1984), pp. 52-59.

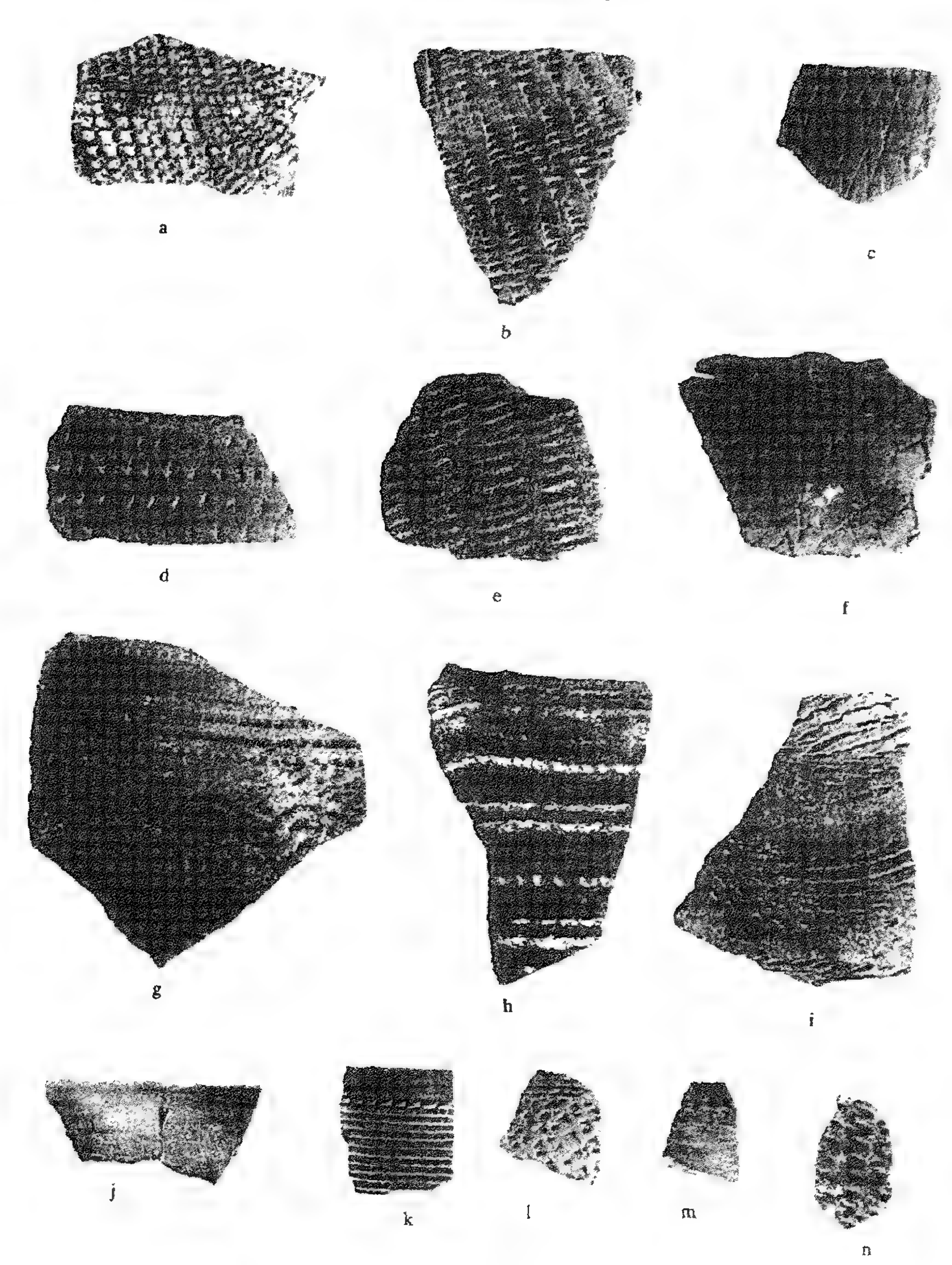
ونبدأ باستعراض الجزء الأسفل من الموقع، والذي يشمل المتر والنصف السفلي من التعاقب الطبقي، حيث نجد أن فخّاره كان في معظمه عبارة عن قطع مهشمة، إذ لم تكن من بينها جرار كاملة أو شبه كاملة، لذا فإن أي تصور دقيق لشكل الأواني الفخارية أو حجمها يتعذر تمامًا.

والفخار في مجمله سميك الجدار، صلب في بنائه، قد استعملت في صنعه طينة مخلوطة بمسحوق الحصى. ولم تظهر التقنية اهتمامًا من جانب أصحابه لمعالجة سطحه فبقي السطح خشنًا في معظم الحالات، غير مصقول على الإطلاق. وقد لوحظ غلبة القطع المزخرفة على غيرها، والتي زينت بنماذج شملت الخطوط المتصلة المموجة، والخطوط المتقطعة والمتعرجة (شكل ٢، a, b, e). في الأجزاء العليا من هذه الطبقة تسود أنواع من الزخرف يميزها نوع يتمثل في شكل أطواق أو أحزمة من نماذج معينة تسير حول محيط الإناء، وأخذت هذه الأنواع الأخيرة تتكاثر في نسبتها حتى سادت تمامًا على الأنواع الأخرى في الطبقات الممتدة من مترين ونصف إلى مترين من أسفل الطبقات، كذلك يلاحظ في القطع الفخارية كبيرة الحجم أن الزخرف يقتصر في معظم الأحيان على الجزء العلوي من الإناء بينما يبقى الثلث الأسفل منه خاليًا من أي زخرف.

أما الأدوات الحجرية فقد جاءت مصنوعة في مجملها من حصى الكوارتز على الرغم من وجود مواد خام أخرى بنسب ضئيلة مثل الأخشاب المتحجرة (Petrified wood) إلى جانب أنواع من الحجارة نيلية الأصل مثل الريولايت. ويلاحظ أن الأدوات المشحوذة والمشذبة قليلة العدد كما أنها لا تعكس مستوى تقنيًا رفيعًا، وقد صنع معظمها على الشظايا وجاءت قزمية في حجمها. ومن أهم هذه الأدوات الأهلة والمناجل والمكاشط والمخارز والأدوات مشحوذة الظهر. عثر كذلك على قطع محدودة من المحار من ذلك النوع الذي يوجد في النيل، وربما يعكس ذلك اتصالاً بين المنطقتين في هذه الفترة المبكرة. وكذلك كان من بين المعثورات قطع من بيض النعام، وبعض البذور البرية مما يشير إلى اعتماد أصحاب الموقع على الصيد والجمع كموارد للقوت. إن التاريخ الناتج عن كربون ـ ١٤ يرجع هذه الطبقات إلى الفترة الممتدة بين منتصف الألف السادس ق. م. إلى منتصف الألف الخامس ق. م..

أما الجزء الأوسط من الطبقات السكنية، والذي ينحصر بين عمق ٢ ـ ١,٢٥ متر فيعكس تحولاً في طبيعة الفخار، حيث يختفي تدريجيًا الفخار الصلب ليحل مكانه فخّار يشابهه سماكة ويشاركه خاصية عدم الصقل، إلا أنه صنع من طينة خلطت بنسبة عالية نسبيًا من الرمل جعلت بناءه هشًا وسهل الكسر. وهذا التحول الكبير في نسيج البناء لا يقابله أي تحول في الزخرفة، لذلك استمرت معظم أنواع الزخرفة التي سادت في الطبقات السفلى باستثناء زخرف الخطوط المتصلة المموجة والذي ظهر بدلاً عنه زخرف من خطوط متقطعة مموجة (شكل ٢، g).

وبينما لوحظ أن الأدوات الحجرية لم يظهر فيها تحول يذكر، فإن المخلفات العظمية قد شملت عظام حيوانات



شكل (٢): a - i بعض أنواع الفخار من موقع شق الدود «ب».
j - n بعض أنواع الفخار من موقع شق الدود «أ».

برية، كالغزلان وبعض الطيور، مما يشير إلى اعتماد أصحاب الموقع في اقتصادهم في هذه المرحلة على الصيد والجمع، وهي مرحلة تنحصر بين ٤٥٠٠ ق.م. و٣٧٠٠ ق.م. كما يشير تاريخ الكربون ـ ١٤.

أما الجزء العلوي من الموقع (ما بين ١,٢٥ متر والسطح) فيطغى عليه ذلك النوع من الفخار الذي يميز حضارة الشهيناب على النيل، إلا أن الفخار الهشّ المميز للطبقات الوسطى لم يختف تمامًا، وإن كان قد أخذ في التناقص بشكل ملحوظ. في هذه الطبقات العليا يظهر فخار رقيق صنع من طين مخلوط بالرمل، إلا أن نسبة الرمل تقل فيه كثيراً عن سابقه، وقد صقل سطحه في معظم الحالات. بالنسبة للزخرفة قد بقيت بعض الأنواع السابقة كالخطوط المتقطعة المتعرجة إلا أن أنواعًا أخرى قد ظهرت كالمثلثات والخطوط المتصلة المتعرجة، والخطوط الشبكية (شكل ٢، c, d, f) ، وقد اختفت زخارف الأحزمة التي عرفت في الفترات السابقة كما ازدادت بصفة عامة نسبة الفخار غير المزخرف.

والأدوات الحجرية صنعت هنا أيضًا من حصى الكوارتز، وهي قزمية في شكلها، وقد صنعت على الشظايا، كما أنها عكست مستوى تقنيًا متواضعًا، ولا تظهر تباينًا كبيراً في أنواعها حيث تغلب فيها الأهلة، ويلاحظ أن تلك الأدوات التي ميزت حضارة الشهيناب كالفؤوس المصقولة، غائبة تمامًا هنا، ولعل في إنتاجها ووظيفتها في الشهيناب ما يتعلق بتأقلم أصحابها على ضفاف النيل. وعثر كذلك على أدوات الطحن. حوت هذه الطبقات كمًّا هائلاً من المخلفات العظمية الحيوانية التي أظهرت تباينًا في أنواع الحيوانات التي صيدت، إلا أنه من المستغرب أنها لم تحو أي إشارة لحيوانات مستأنسة في الوقت الذي عرفت فيه مواقع النيل المعاصرة لها استئناس الحيوان. لا ندري بالطبع إن كان ذلك مؤثرًا لعدم معرفتهم بالاستئناس، أم أنهم شأن بعض المجموعات المعاصرة، لا يميلون إلى استغلال لحوم تلك الحيوانات في غذائهم.

لقد تم الحصول على عينات للتاريخ من هذه الطبقات من الموقع أعطت تاريخًا نحو منتصف الألف الرابع ق.م. وهو تاريخ يتزامن مع مستوطنات حضارة الشهيناب على النيل.

٢ ـ شق الدود «أ» (S1-A):

يحتل موقع شق الدود «أ» مساحة تقدر بأربعة وعشرين مترًا مربعًا تقريبًا داخل الكهف ويصل عمق التراكم الحضاري فيه إلى ٣,٣٥ متر. قسم الموقع إلى مربعات عشرية أيضًا، وقد أجريت التنقيبات في مساحة بلغت ٩,٢٥ متر مربع. توضح تواريخ كربون ـ ١٤ أن التراكم في هذا الموقع قد تكوّن في فترة قصيرة لا تصل إلى الألف عام (بين ٢٨٠٠ ق.م. ـ ٢٠٠٠ ق.م. تقريبًا) وإن كان ذلك لا يعني أنه ظل مستوطنًا دائمًا على امتداد هذه الفترة. وقد شملت المعثورات الأدوات الحجرية، وقطع الفخار، والمخلفات العظمية الحيوانية، والمخلفات النباتية.

ويلاحظ أن المادة الأثرية تعكس انسجامًا واضحًا في هذه الطبقات، كما أنها تبرز في الوقت نفسه تطورًا عبر الزمن.

الطبقات السفلى من الموقع (٣,٣٥ - ٢,٥٠ متر) تحوي نوعًا من الفخار ذي لون أسود رقيق في سمكه وقد صقل من الداخل والخارج بزخرفة أحيانًا على سطحه الخارجي متمثلة في خطوط متصلة، إلى جانب ذلك فهناك نوع آخر غير مصقول ذو جدار سميك نسبيًا، وقد نعّم سطحه الخارجي دون أن يظهر أي زخرف عليه (شكل ٢، j)، مما يلاحظ أن المعثورات الفخارية من الطبقات السفلى في هذا الموقع لا تظهر أي تشابه أو تطور مع تلك التي عرفت من الموقع «ب»، ولا تشير إلى تطور منها. لذا فإن انعدام الصلة أو العلاقة بأحدث ما كان في الموقع «ب»، في الطبقات العليا منه، وبين أقدم ما كان في الموقع «أ» في الطبقات السفلى فيه، إضافة للفارق الزمني بين أحدث ما في الأول وأقدم ما في الثاني، يشير إلى فجوة زمنية بينهما وانقطاعًا حضاريًا يصعب تحديدهما أو تفسيرهما.

وعليه فإننا لا ندري إن كانت المنطقة بأثرها قد خلت من أي مستوطنات خلال تلك الفترة. أما الطبقات الوسطى من الموقع، فتتميز بوجود فخار صنع من طينة مخلوطة بشوائب عضوية. ويلاحظ أنه رقيق في سمكه ومصقول السطح ومزين بأشكال صنعت بأطراف الأظافر.

والجزء العلوي من الموقع يحوي فخارًا أسود اللون، تكسو سطحه الخارجي خطوط محززة، أو غائرة أحيانًا داخل أشكال هندسية (شكل ٢، r,I).

لكن الأدوات الحجرية لم تظهر ذلك الاختلاف الذي تعكسه القطع الفخارية، فالأدوات محدودة في أنواعها، متواضعة في تقنيتها، واعتمدت في صناعتها على المادة الخام المتوافرة في المنطقة، واشتملت على الأهلة التي تزيد نسبتها في الطبقات العليا على الطبقات السفلى، إلى جانب الأشكال الهندسية والنصال مشحوذة الظهر، والمناجل، والمخارز، كذلك عثر على بعض حجارة الطحن (الجرش). وقد جمعت كمية ليست بالقليلة من المخلفات الحيوانية والنباتية شملت عظامًا لحيوانات برية كالزراف والغزلان. أما المخلفات التي تخص الحيوانات المستأنسة فتتركز في الطبقات العليا من الموقع، وقد شملت الأبقار والكلاب، بينما لم يثبت بعد وجود الضأن والماعز هنا، والتي عثر على أدلة لها في مواقع حضارة الشهيناب على النيل، والتي تسبق في تاريخها هذا الموقع بأكثر من خمسمائة عام.

ولقد أوضحت المجسات الاختبارية أمام الكهف وجود بركة عميقة نسبيًا هناك، يغطي جزء منها بعض سقف الكهف، مما يقلل من درجة تبخر مياهها. أما مصادر تلك المياه فقد كانت فيما يبدو مياه الأمطار التي تسقط على سطح الهضبة الجبلية، ثم تنحدر بعد ذلك لتتجمع في هذه البركة. وقد عثرنا على أرصفة الحجارة في الأجزاء العلوية من الهضبة، وضعت بطريقة قصد منها فيما يبدو تجميع مياه الأمطار وتوجيهها إلى أسفل حيث منخفض البركة،

ويبدو أن هذه البركة كانت المصدر الرئيسي للمياه خلال فترات الجفاف حيث تتجمع المستوطنات وتنحصر جميعها في دائرة حول البركة لا يزيد قطرها على الكيلومتر ونصفه.

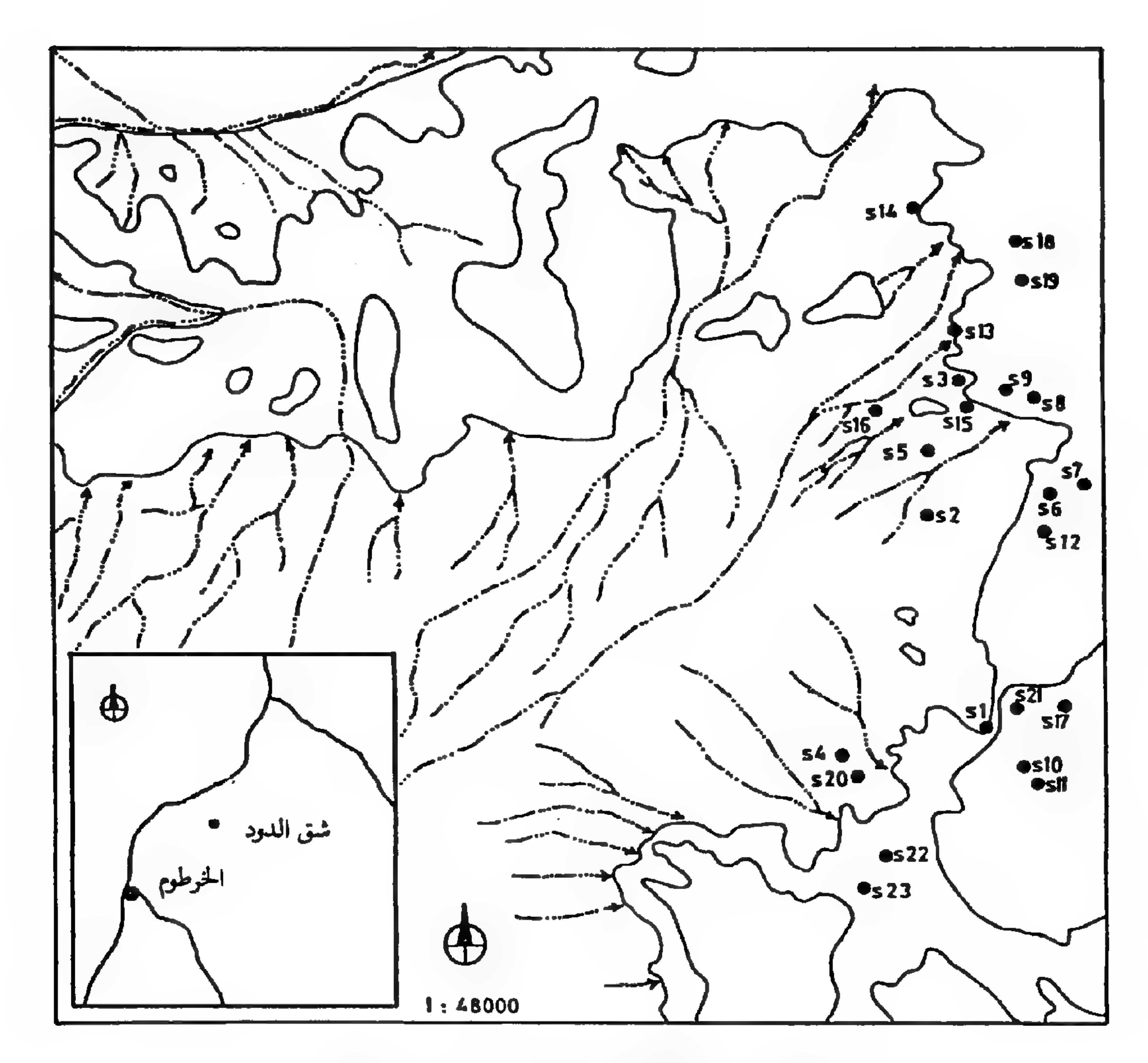
المسح الأثري حول كهف شق الدود

اقتضت الضرورة أن نتعرض للمسح الأثري في منطقة شقّ الدود، بعد استعراض ما تم في الموقعين الرئيسيين «أ» و«ب» لأسباب تتعلق بنتائج المسح وصلتها بهذين الموقعين. لقد كان الهدف الرئيس من إجراء مسح أثري حول كهف شقّ الدود هو إكمال الصورة فيما يتعلق بشكل الاستيطان البشري وطبيعته في الفترة الزمنية التي يحتلها الموقعان «أ» و«ب»، خاصة وأن البعثة الألمانية التي أجرت التنقيبات الجزئية في الموقعين المذكورين من قبل لم تذكر شيئًا عما إذا كانت هنالك مواقع أخرى بالمنطقة. وقد بدأ العمل بمسح الهضبة على سفح المنطقة الجبلية، وعلى السهل المنبسط أمام الكهف مباشرة، وبنهاية الموسم الثاني أمكن تغطية مساحة ٩٠ كيلومترًا مربعًا (شكل ٣).

اتبعت طريقة العمل الميداني خطوات محدّدة تم الالتزام بها في كل الحالات، فبعد تحديد الموقع، أيًا كان، يتم ملء استمارة خاصة أُعدت لهذا الغرض، تحوي فقراتها المعلومات الضرورية عن طبيعة الموقع، ومساحته، ومعالمه المهمة، ومخلفاته السطحية، ونقاطًا أخرى تعنى بالوصف الكامل له. ثم ترسم خريطة للموقع، إما تقريبية أو بالقياس، وبعد تقويم حالة الموقع والتأكد من جدوى جمع عينات منه، يتم اختيار وحدة أو وحدات حسب مساحة الموقع، حيث يجمع كل ما هو موجود على السطح، في تلك الوحدة، مع إجراء اختبار لمعرفة إن كان الموقع سطحيًا أم يمتد تحت السطح، وقد كان من التجارب المفيدة القيام أحيانًا بفرز سريع يتم في الموقع للمادة الأثرية من أدوات حجرية وفخار، يتم على ضوئه تحديد ما إذا كان مفيدًا اختيار وحدة أخرى.

أثمر المسح عن تسجيل اثنين وعشرين موقعًا، تتركز في المنطقة القريبة من كهف شقّ الدود خاصة فوق سطح الهضبة الجبلية إلى الشرق من الكهف مباشرة، وكذلك على السهل المنبسط أمامه. ويتضح من توزيع هذه المواقع أن عنصري توافر المياه والمواد الخام المناسبة لصنع الأدوات الحجرية كانا عاملين مهمين في تحديد المنطقة التي تتركز فيها هذه المواقع، فسلسلة الجبال المنخفضة للشمال والشمال الشرقي من الكهف تخلو من أي آثار للاستيطان، وكذا الحال بالنسبة للسهل الواقع إلى الجنوب منه (شكل ٣).

كذلك اتضح لنا بنهاية المسح، أن المنطقة تخلو من المواقع الممثلة لأي من أدوار العصر الحجري القديم، فالمواقع التي تم اكتشافها، تحتوي مخلفاتها على عنصر الفخار، وعلى غيره من الأدلة الأثرية، كما نرى لاحقًا، مما يضعها في فترة العصر الحجري الحديث، والمواقع جميعها سطحية ما عدا موقعين فقط هما «١٧» و«٢١». ونجد معثوراتها إما متركزة في مساحات محدودة أو أنها منتشرة على مساحات واسعة خاصة تلك التي تقع في السهل



شكل (٣): خريطة لمنطقة شق الدود توضح مواقع غرب البطانة.

المنخفض أمام الكهف. وفيما يبدو فقد لعبت العوامل الطبيعية دورًا في تشكيل المساحة السطحية التي يحتلها كل من المواقع حاليًا. وقد واجهتنا مشكلة في الكيفية التي تحدد بها المساحة الفعلية للموقع، وكذلك تفادى الخلط بين المواد، والذي يمكن أن يحدثه جرف المياه في مثل هذه الحالات. إن مجمل الشواهد تشير إلى أن هذه المواقع كانت عبارة عن أماكن استيطان أو معسكرات مؤقتة تمتد عبر الفترة الزمنية التي استقر خلالها الإنسان في الموقعين «أ» و«ب». وعلى الرغم من أن عدد المواقع المسجلة ليس كبيرًا فإننا نجد فيها تنوعًا من حيث الزمان والمكان. فمنها موقعان «٣» و«٥» هما عبارة عن بقايا لإقامة مؤقتة في مخبأين صخريين عند الجزء الشمالي من السلسلة الجبلية. واثنان آخران «١٠» و«١١»، هما عبارة عن جبانتين. وفي بعض المواقع نجد عددًا قليلاً من القبور بالإضافة للمعثورات

الأخرى. أما بقية المواقع فهي أكوام بسيطة من المخلفات تنتشر على الهضبة الجبلية، أو على السهل كما ذكرنا آنفًا. وفيما يلي نقدم وصفًا موجزًا للمخلفات التي جمعت من هذه المواقع.

وبالنسبة للأدوات الحجرية التي تم جمعها من الوحدات المختارة فإن الدراسة المبدئية توضح من الوهلة الأولى أنها شبيهة بأدوات العصر الحجري الحديث أحيانًا، ومطابقة لها أحيانًا أخرى، وهي عمومًا من نوع الأدوات القزمية، وأهم عناصرها الأهلة الصغيرة والمخارز والأدوات المسننة والمكاشط البسيطة، وعدد كبير من الشظايا المشذبة بطريقة غير منتظمة. وخلاف الأهلة فإن تقنية التشذيب، متواضعة جدًا وغير مميزة، وربما يعزى ذلك لطبيعة المادة الخام التي صنعت منها الأدوات، وهي مادة الكوارتز التي تمثل ٩٠٪ منها، وهي تتوافر محليًا في شكل حصى صغير الحجم. أما العنصر الآخر من الأدوات الحجرية فيتمثل في أدوات الطحن التي تتوافر بكميات معقولة في هذه المواقع، وهي تدل على أسلوب في معالجة الحبوب والنباتات سواء كانت برية أو مدجنة.

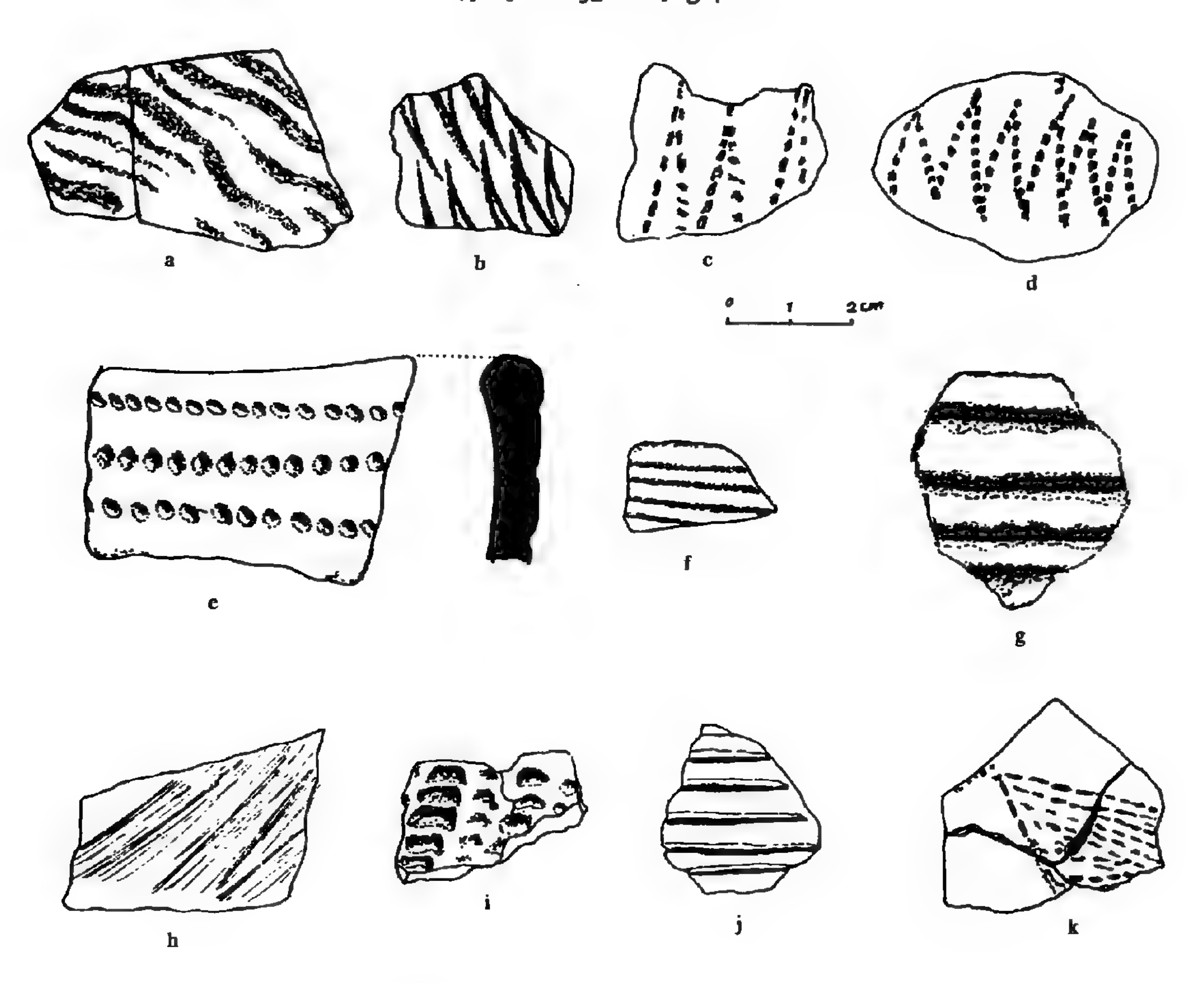
أما الفخار، فبالرغم من قلة عدد القطع الفخارية التي تم جمعها من المواقع وعدم تنوعها، إلا أن الدراسة أثبتت أنه عنصر مهم، في تحديد تاريخ المواقع. وتتلخص نقطة الضعف المذكورة وبصفة خاصة في القطع المزخرفة لكونها كسرًا صغيرة، وفي تفاصيل الزخارف التي وجدت عليها. وبما أن المادة التي جمعت كلها فيما عدا حالتين، قد جاءت من السطح، فإن كثيراً من الزخارف أتت عليها عوامل الطبيعة، وهكذا فإن نسبة الكسر الفخارية المزخرفة لا تتعدى ١٨٪ من المجموع في كل حالة. والفخار بصفة خاصة صلد غير مصقول في مجمله، صنع من عجينة طينية مخلوطة بحبات الرمل، حُرقت فيما بعد بصورة جيدة. ويبدو أن الأواني الفخارية التي نتجت عنها هذه الكسر كانت تحوي عددًا محدودًا من الأشكال البسيطة مثل الأطباق الدائرية الصغيرة[٢٣].

إن تصنيف الطرز الزخرفية الفخارية من هذه المواقع وضّح أنها تشمل أنواعًا مختلفة، يمكن مقارنة كل نوع منها بما وجد في طبقات الموقعين «أ» و«ب» وبفخار حضارتي الخرطوم القديمة والشهيناب كذلك. فمن مواقع المسح التي تحتوي على أقدم أنواع الفخار، الموقعان «١٦» و«٢١». ففي الموقع «٢١» نجد فخار الخرطوم القديمة متمثلاً في الأنواع التي زينت بالخطوط المموجة (شكل ٤ a) بالإضافة إلى زخارف الخطوط المتقطعة المتعرجة، والفخار في مجمله غير مصقول وخشن البنية.

أما المرحلة الثانية من الفخار والمعروفة في أواسط السودان بفخار الشهيناب فنجدها ممثلة في عدد أكبر من

---

(٢٣) Yousif M. Elamin and Abdelrahim Khabir, "Neolithic Pottery from Survey Sites Around Shaqadud Cave, Western Butana, Sudan", *Archeologie du Nil Moyen*, Vol. 2, (1987), pp. 175-84.
A. Marks, Abbas Mohammed-Ali, J. Peters and R. Robertson, "The Prehistory of the Central Nile Valley as seen form its eastern hinterlands: Excavations at Shaqadud, Sudan", *Journal of Field Archaeology*, Vol. 12 (1985), pp. 261-78.



شكل (٤): بعض أنواع الفخار في مواقع المسح حول كهف شق الدود.

مواقع المسح (المواقع «٢»، «٤»، «٥»، «١٧»، «٢٠»). يلاحظ أن الفخار من هذه المواقع يمكن مقارنته بخفار حضارة الشهيناب، فالمرحلة المبكرة نجد فيها فخارًا مزخرفًا بخطوط متقطعة، وأخرى مستقيمة محززة (شكل ٤، b-d). كما أن نسبة الفخار المصقول فيه قليلة. وعلى الرغم من أن الخصائص الزخرفية لحضارة الشهيناب غير غالبة هنا إلا أن جملة ما يميز هذا الفخار يضعه ضمن تسلسل حضارة الشهيناب، كذلك فإن هذا الفخار يمكن مقارنته بما وجد في الطبقات العليا من الموقع «ب» أمام الكهف والذي يؤرخ إلى الألف الرابع ق.م..

وفي ثلاثة مواقع أخرى «٣»، «٩»، «١٨»، نجد فخّارًا مزخرفًا بخطوط محززة غائرة، وآخر ممسوحًا مرقطًا (شكل ٤، l,j). ويمكن مقارنة هذا الفخار بالأنواع التي وجدت على امتداد الطبقات السكنية في الموقع «أ»، والذي

يؤرخ له بالألف الثالث ق.م.[٢٤]، وتجدر الإشارة إلى أن الفخار في هذه المواقع المتأخرة يمكن مقارنته بأنواع مماثلة تم الكشف عنها في شرق السودان إلى الشرق من خشم القربة، مما يفسح المجال للنظر في موضوع الاتصال الحضاري بين الطرفين الغربي والشرقي لمنطقة البطانة.

وبما أن معظم مواقع المسح هي مواقع سطحية، فإن فرصة الحصول على مواد عضوية كانت معدومة، غير أنه أمكن الحصول على بعضها في موقعين هما: «٢١» و«٣». ففي الأول تم الكشف عن عظام حيوانات متنوعة شملت حيوانات صغيرة، كانت الغزال أكثرها، إلى جانب أنواع من الحيوانات الضخمة مثل الأفيال. وتؤشر هذه المخلفات العظمية إلى أن بيئة السافنا ذات الأشجار والحشائش كانت سائدة عند بداية الاستيطان في منطقة شق الدود. كذلك وجدت في المواقع نفسها أنواع من القواقع التي تعيش عادة في بيئة تتوافر فيها المياه. وتشير هذه الدلائل إلى توافر ظروف مناخية جيدة ساعدت على الاستيطان البشري في المنطقة. وقد سبقت الإشارة إلى تجمع المياه في البركة أمام الكهف، الشيء الذي يسمح للصيادين بالوجود في المنطقة معظم أيام السنة، ولعل في انتشار هذه المواقع حول الكهف دليل إضافي على الأحوال المناخية والبيئية الجيدة.

المسح الأثري والتنقيبات التي أجريت في منطقة شق الدود، وما نتج عنها من مادة أثرية، وما تبعها من دراسات أوضح ما يأتي:

١ ـ أوضحت مواقع المسح أنها تمثل وجهًا آخر من أنماط الاستيطان في المنطقة فهي عبارة عن مستوطنات مؤقتة، وصغيرة لمجموعات من الصيادين خلال فترات الوفرة في المياه والنبات والحيوان. وهي من جهة أخرى تُعطي بعدًا أكثر عمقًا لفهمنا للاستيطان في الموقعين «أ» و«ب»، خاصة وأن مواقع المسح قد عكست تقريبًا تلك الأدوار الحضارية التي عرفت في هذين الموقعين.

٢ ـ لقد أوضحت حفرياتنا في الموقع «ب» لأول مرة، الكيفية والحقبة الزمنية التي تطورت عبرها حضارة الخرطوم لتبلغ حضارة الشهيناب، وبالتالي سدت تلك الثغرة في التطور الحضاري للعصر الحجري الحديث التي تظهرها مواقع النيل. كذلك أكدت حفريات شق الدود أن حضارة الشهيناب لم تظهر إلا في منتصف الألف الرابع، ولم تعمر إلا لفترة محدودة.

٣ ـ تغيب عن موقع شق الدود «ب» الكثير من أنواع المعثورات التي عرفتها المواقع المعاصرة له على النيل، وربما نستطيع تفسير ذلك في ضوء الاختلاف البيئي بين المنطقتين، والذي تطلب تكيفًا مختلفًا انعكس على هذه الشاكلة.

٤ ـ المخلفات التي جاءت من موقع شق الدود «أ» ليس لها ما يشابهها نوعًا، ولا ما يعاصرها زمنًا في منطقة النيل. بل على النقيض، فإن بعض أنواع الزخرف تشابه أنواعًا تتزامن معها عرفت في شرق البطانة.

(٢٤) Elamin, Yousif M. and Khabir, Abdelrahim. op. cit, (note 23).

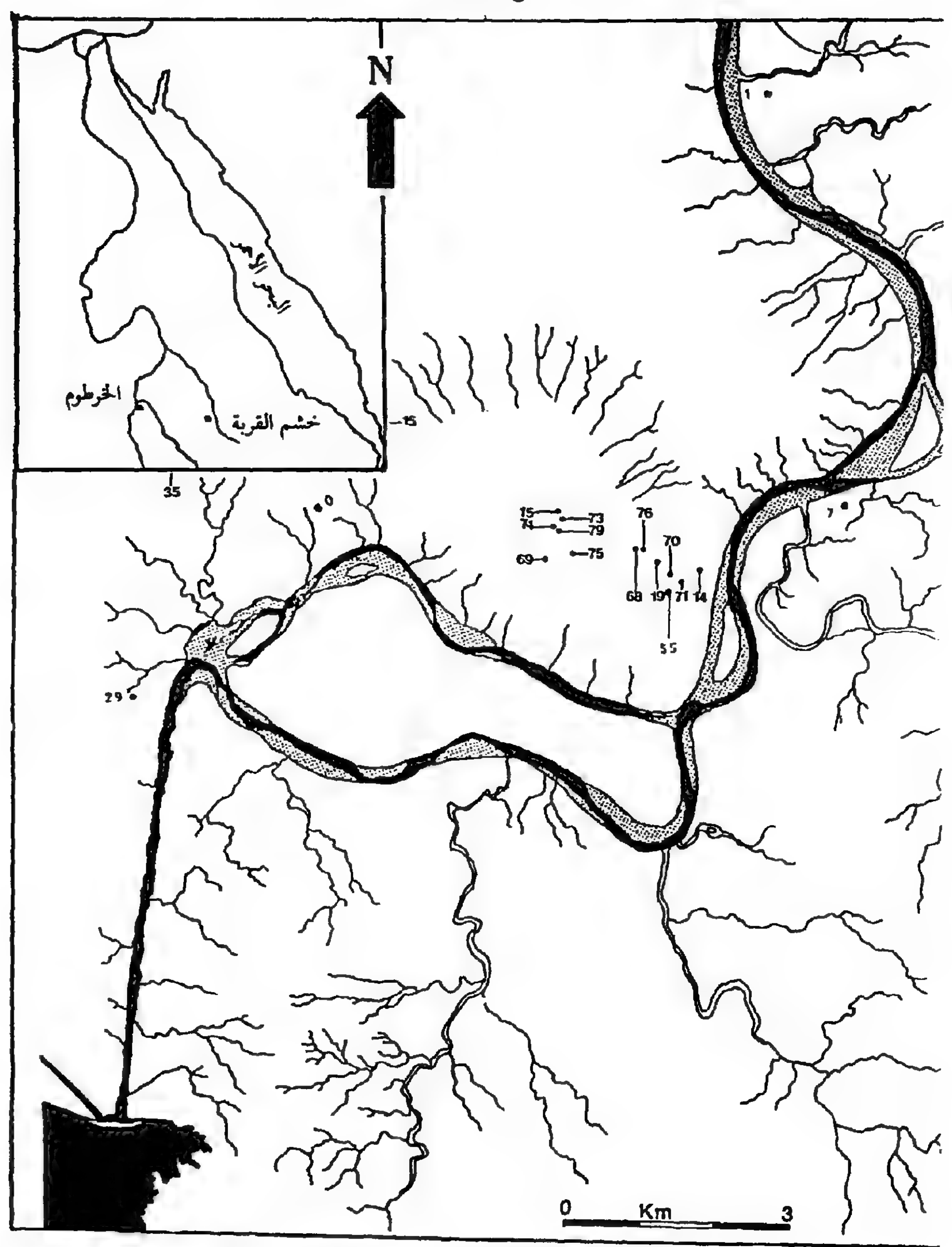
حقيقة أن العمل الأثري في منطقة غرب البطانة قد أجاب على عدد من التساؤلات وسلط الضوء على أمور أخرى كثيرة إلا أنه في الوقت ذاته طرح أسئلة جديدة وأبرز قضايا تحث على الانتباه إليها ومعالجتها مستقبلاً.

شرق البطانة

لقد ذكرنا من قبل أن بعثة أمريكية سبق وأن أجرت مسحًا محدودًا في هذه المنطقة حول مدينة خشم القربة في عام ١٩٦٧م، وأوضحت نتائج أعمالها أن المنطقة تستحق الاهتمام لما تحويه من خصائص حضارية، حيث سجلت تلك البعثة ٢٢ موقعًا تمتد من الحقبة الأشولية وحتى حقبة متأخرة سادت فيها صناعة حجرية غير معروفة[٢٥] تؤرخ إلى حوالي ١٠٠٠ ق.م.. لقد أوضح المسح الذي أجريناه على مدى موسمين في هذه المنطقة محدودية ذلك العمل، كما سنرى من الوصف التالي. وقد تركز عملنا في مساحة قدرها ٤٠٠ كيلومتر مربع من أصل ٢٠٠٠ كيلومتر مربع كان من المفترض أن يشملها المسح، حول مدينة خشم القربة، وعلى ضفتي نهر عطبرة، وكذلك على جزء من السهل المنبسط بين نهري عطبرة والقاش. وبنهاية الموسم الثاني تمكن الفريق من تسجيل ١٢٠ موقعًا في المساحة التي شملها المسح، منها ١٢ موقعًا ترجع لفترة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر والبقية في معظمها للعصر الحجري الحديث، ما عدا ثلاثة منها يصعب الآن تحديد هويتها، إذ ربما تكون موازية للفترة التاريخية في منطقة نهر النيل (شكل ٥).

وعند إجراء المسح اتبعنا الطريقة نفسها التي جربت في منطقة شق الدود إلا أن هذه المنطقة كانت لها مشكلاتها الخاصة، من ناحية المساحة، ومن ناحية العدد الكبير من المواقع التي تتراوح ما بين المواقع السطحية الصغيرة، ومواقع المستوطنات الكبيرة التي تحوي الواحدة منها عدة تلال، تبلغ مساحة الموقع الواحد نحواً من ١٢٠,٠٠٠ متر مربع، ويصل متوسط عمق الطبقات السكنية فيها إلى نحو المترين. ولمقابلة الهدف الرئيس من العمل، وهو ترتيب التسلسل الحضاري، خلال هذين الموسمين فقد كان لابد لنا من أخذ عينات من ملتقطات السطح في كل المواقع ذات الأهمية، وكذلك إجراء التنقيب في وحدات مختارة في بعض المواقع. وعلى الرغم من أننا أجرينا حفريات اختبارية فقط، في عدد منها، إلا أنه بنهاية الموسم الثاني، أمكن الحصول على أطنان من المعثورات الفخارية والحجرية والمواد العضوية. وبتحليل هذه المادة والحصول على عدد من تواريخ كربون ١٤ منها، نستطيع أن نتحدث الآن عن التطور الحضاري في المنطقة من حوالي ١٠,٠٠٠ ق.م. وحتى نهاية العصر الحجري في المنطقة في حوالي ١٠٠٠ ق.م.. لقد كان واضحًا وجليًا أننا أمام منطقة تمثل حيزًا حضاريًا منفردًا (Culture area) في شرق السودان ما زالت بعض تفاصيله تنتظر المزيد من العمل الميداني والدراسة. فهناك العديد من الأسئلة التي يمكن طرحها، والتي يتطلب التعامل معها تطبيقًا واتباعًا لمناهج عمل ميداني متنوعة، وربما كانت غير تلك التي

(٢٥) Shiner, J. et. al., op. cit., (note 18).



شكل (٥): خريطة لمنطقة خشم القربة توضح بعض مواقع شرق البطانة.

استخدمناها من قبل. في الصفحات التالية نقدم وصفًا لهذا التسلسل الحضاري في المنطقة، والذي تم ترتيبه لأول مرة بعد الدراسة الأولية للمادة التي تم جمعها.

العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر (Epi-Palaeolithic):

تجدر الإشارة هنا إلى أننا لم نتمكن من العثور في منطقة المسح على أي موقع يمكن إرجاعه لفترة العصر الحجري القديم الأوسط، لكننا عثرنا على عدد من المواقع الأشولية التي سبق أن وصفها أعضاء البعثة الأمريكية سابقة الذكر وصفًا جزئيًا. إن هذه المواقع تنتشر في بقايا التكوينات العالية التي رسبها نهر عطبرة، ويبعد بعضها عن مجرى النهر الحالي بعدة كيلومترات. ومن معايتنا للمواقع وجدنا أن كثيرًا منها كانت في غير أماكنها الأصلية، ونسبة لأن معالجتها أثريًا تتطلب مشروعًا بحثيًا قائمًا بذاته، فقد قررنا تركها لمرحلة لاحقة. وهكذا فإن أقدم المواقع التي سيأتي وصفها ترجع لنهاية عصر البلايستوسين. لقد ركزنا على هذه المواقع المتأخرة من العصر الحجري القديم لسببين، أولهما أنها تكشف لنا ولأول مرة عن تقليد في صناعة الأدوات الحجرية يعرف لأول مرة من خارج وادي النيل في السودان. وثانيهما أهمية هذه المواقع في اختبار طبيعة الانتقال الحضاري من العصر الحجري القديم للعصر الحجري الحديث.

إلى الشمال الشرقي مباشرة من مدينة خشم القربة وعلى الضفة الغربية لنهر عطبرة تنتشر تكونات من الطمي والحصى في مساحة تقدر باثني عشر كيلومترًا مربعًا، رسبتها فيضانات نهر عطبرة خلال عصر البلايستوسين المتأخر، وترتفع بعض هذه التكونات بالقرب من مجرى النهر إلى نحو ١٣ مترًا من مستوى مياه النهر. وفي وسط هذه المنطقة يوجد منخفض واضح مساحته نحو كيلومتر مربع (شكل ٥). وفي المنطقة الممتدة من الطرف الشرقي للمنخفض وحتى ضفة النهر تتركز جميع المواقع (١٢ موقعًا) التي ترجع للعصر الحجري القديم المتأخر. ومن الملاحظ أنها محصورة في الأجزاء المرتفعة من بقايا التكوينات التي رسبتها فيضانات النهر والبعيدة نسبيًا عن ضفة النهر إذ يبدو أن المجرى القديم للنهر كان بمحاذاة هذه المواقع. ولابد من الإشارة إلى أننا لم نتمكن من اكتشاف أي مواقع ترجع لهذه الفترة في المنطقة المجاورة لهذا المنخفض أو في السهل الشرقي الممتد بين نهري عطبرة والقاش.

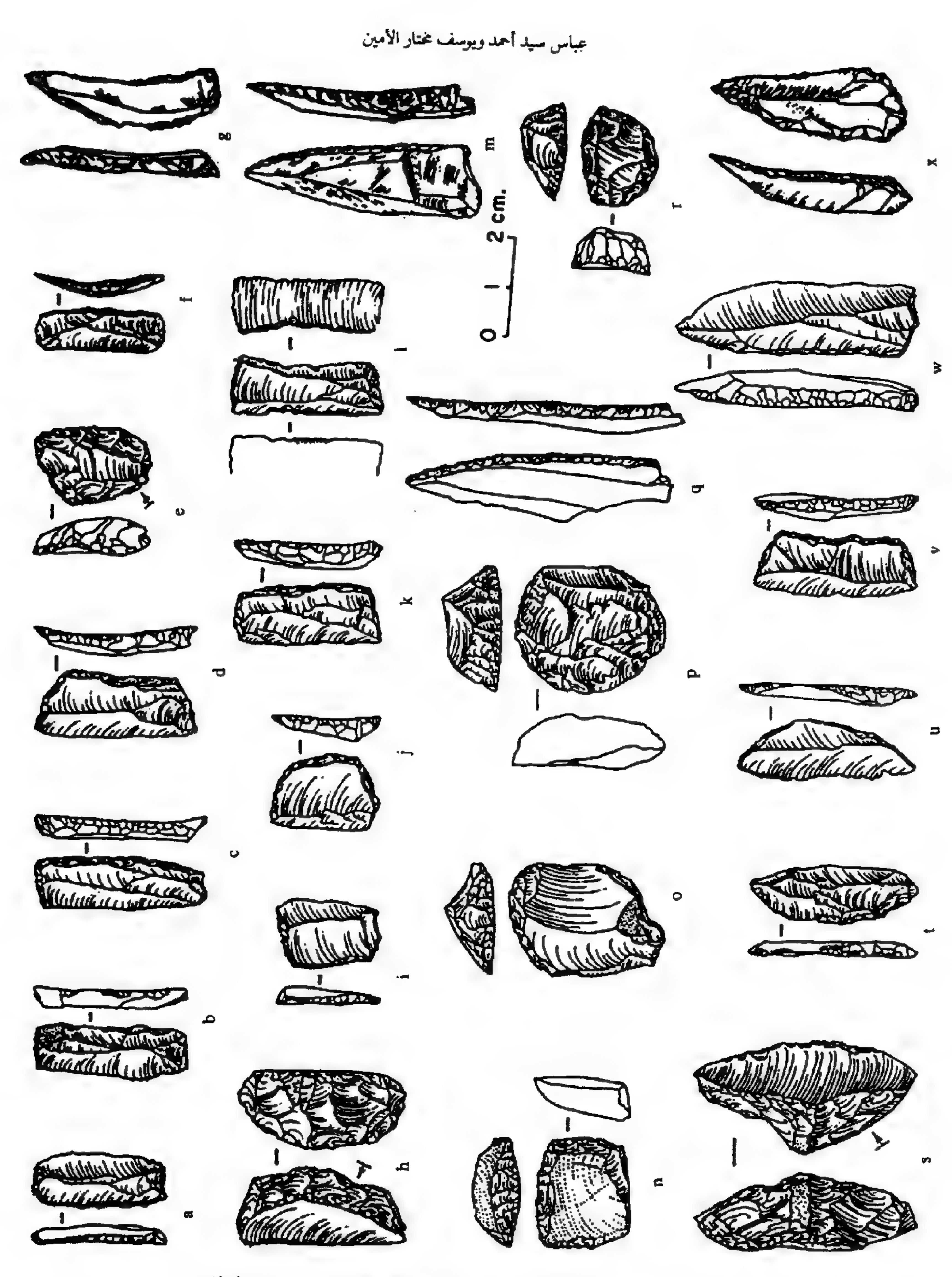
إن دراسة المعثورات وغيرها من الشواهد الميدانية المتعلقة بطبيعة هذه المواقع تضعها في مجموعتين متباينتين في كل الأوجه ما عدا كونهما وجدا في منطقة المنخفض المحدودة. فالمجموعة الأولى تتكون من خمسة مواقع (١٥، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٩)، والثانية في سبعة مواقع (١٨، ٩، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦)، (شكل ٥) وفيما يلي نقدم وصفًا لهاتين المجموعتين.

بالنسبة للمجموعة الأولى، فإنها تمثل أهم ما تم اكتشافه في المنطقة وتعطينا دليلاً على وجود تقليد حضاري

في نهاية عصر البلايستوسين، اعتمد على تقنية إنتاج الأدوات الحجرية من نوع النصال والشفرات المعروفة في التقاليد الحضارية لفترة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر (Epipalacolithic) في بعض أقطار شمال أفريقيا وغيرها من بلدان الشرق، هذا بالرغم من الاختلاف النوعي بينهما، ويجمع بين هذه المواقع التقنية، نوع الأدوات ووجودها في الجزء المرتفع من المنخفض، كما يلاحظ أن المخلفات تنحصر في طبقات سمكها نحو ٢٠ سم. هذه المخلفات تشمل بالإضافة للأدوات الحجرية بقايا المخلفات العظمية ومواقد النار، وأماكن تتركز فيها بعض الأعمال المتخصصة كصناعة الأدوات وأماكن الطهو... إلخ. وبالرغم من أن هذه المواقع تتفاوت في مساحاتها (ما بين ٣٠٠٠ متر٢ ـ ١٠٠ متر٢) إلا أنها تتميز بكثافة واضحة في المعثورات مقارنة بمواقع المجموعة الثانية. لقد أوضحت عظام الحيوانات التي جمعت أن السكان استغلوا عددًا من الحيوانات المتوافرة في بيئة السافنا مثل الأنواع الكبيرة والصغيرة من الأبقار والزراف والجاموس، وفرس البحر، كما أنهم استغلوا الحيوانات المائية إذ نجد عظام السمك بكميات معقولة أيضًا. ويبدو من حجم المواقع وأماكن وجودها أنها كانت مستوطنات صغيرة لصيادين سكنوا بالقرب من النهر في منطقة تتوافر فيها البرك الضحلة وبالتالي الأسماك، وهي قريبة كذلك من بيئة السافنا التي تبعد عن مجرى النهر. ويرجع تاريخ هذا الاستيطان لحوالي ١٠,٠٠٠ ق.م.، كما تشير بذلك تواريخ كربون ـ ١٤[٢٦]. ويجدر هنا أن نذكر أن هذا التاريخ يفصل بين هذه المواقع وبين أقدم مواقع العصر الحجري الحديث في المنطقة بنحو من ٤ آلاف سنة، مما يجعل معالجة موضع الانتقال الحضاري لمجتمعات إنتاج القوت أكثر صعوبة أو بالأحرى موضوعًا شيقًا للبحث والتقصي.

لقد أوضحت دراسة الأدوات المشحوذة، ومجاميع النوى، والشظايا، أن التقنية الرئيسية اعتمدت إنتاج الشفرات والنصال الرفيعة، المعروفة في حقبة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر. وتبلغ نسبة النصال والشفرات أكثر من ٢٠٪ من مجموع الأدوات في كل وحدة تم حفرها في هذه المواقع، كما أن نسبة نوى النصال تفوق النصف من مجموع النوى في كل حالة. إن أكبر فئة من قائمة الأدوات هي النصال والشفرات مشحوذة الظهر، والتي تشكل بعضها لتصبح أدوات متخصصة من نوع آخر. كذلك نجد نوعًا منها مشحوذًا على الجانبين ذا رأس مدبب (شكل ٦، m, q, w, x). والفئة الثانية المهمة من الأدوات هي الأدوات ذات الأشكال الهندسية مثل: المعين، والمستطيل، والأهلة، حيث يكون الشحذ رفيعًا ومنتظمًا (شكل ٦، t, u). كما أن هناك فئة أخرى مميزة أيضًا من الأدوات ذات الشكل الهلالي لكنها تختلف عن النوع العادي، في الحجم حيث يبلغ متوسط طول الواحدة منها ٥ سم، وسمك ظهرها المشحوذ نحو ١,٥ سم (شكل ٦، h, s). إلى جانب ذلك هناك نسب متفاوتة من أنواع من المكاشط ذوات الأحجام والأشكال المختلفة منها شبه الدائرية، والجانبية (شكل ٦، e, j, r). أما بقية الأدوات فهي من النوع البسيط مثل الأدوات المسننة والمخارز، ولكن أعدادها بسيطة مقارنة بالأنواع الأخرى. إن مجمل خصائص الأدوات

(٢٦) Yousif M. Elamin, "Terminal Paraeolithic Blade Assemblages from Khashem El-Girba, Eastern Sudna", *Azania* XXII (1987), pp. 37-45.



شكل (٦) : نماذج من الأدوات الحجرية (صناعة القربة) من شرق البطانة .

المكتشفة والتقنية المستخدمة في كل المجاميع تجعل هذه المواقع تمثل كلاًّ متجانسًا تقنيًا ونوعيًا، وإن اختلفت اختلافات معينة فيما بينها من منطقة إلى أخرى، مما يجعلها تمثل تقليدًا حضاريًا متميزًا في فترة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر يكشف عنه لأول مرة خارج منطقة وادي النيل، مما جعلنا نطلق عليه مسمى جديدًا، وهو «صناعة القربة» (The Girban Industry) [٢٧]. والأدلة الأثرية التي حصلنا عليها حتى الآن، تشير إلى أنه كان معزولاً من ناحية الزمان والمكان، فالمواقع كما سبقت الإشارة، محصورة في هذا المنخفض بالقرب من خشم القربة، ولم يعثر على شيء مشابه لها في كل منطقة البحث، أضف إلى ذلك أنه يختلف في كل الأوجه تقريبًا عما وجد في مواقع المجموعة الثانية، والتي وجدت في المنخفض نفسه. وفوق ذلك كله فإننا لم نجد له صلة ـ أيا كانت ـ بمواقع العصر الحجري الحديث المبكرة في المنطقة، إذ تشير التواريخ إلى أنه يسبقها بفترة طويلة.

المجموعة الثانية على نقيض مواقع المجموعة الأولى، فالمواقع السبعة لهذه المجموعة، ماعدا واحد منها، كلها سطحية، حيث يلاحظ تأثير العوامل الطبيعية على انتشار معثوراتها، مما يعطي انطباعًا بأن متوسط مساحة الموقع أكبر من مثيلاتها في المجموعة الأولى. وبالنظر إلى أماكن وجودها يتضح أنها أقرب إلى ضفة النهر من مواقع المجموعة الأولى، ولم يكن بوسعنا الحصول على تاريخ مؤكد لهذه المواقع، ولذا كان الاعتماد على تحليل المعثورات الحجرية في تحديد هويتها. إن أول ما يميزها، ويجمع فيما بينها في الواقع، هو أن التقنية المستخدمة اعتمدت على إنتاج الشظايا لتصنع عليها الأدوات، ولا يوجد دليل على أي تأثير من المواقع التي عرفت فيها تقنية النصال والشفرات. إن قائمة الأدوات فيها تتميز بالأنواع البسيطة والمشحوذة بطريقة فيها الكثير من اللامبالاة، وأهم أنواع الأدوات هي: المكاشط الجانبية، والمسننات، والمثاقب، والشظايا المشحوذة جزئيًا، ويلاحظ أن قائمة الأدوات في كل موقع لا تتعدى نسبتها ٥,١٪ من مجموع الشظايا والكسر والنوى المكتشفة. إن وجود هذه المواقع والتي تختلف عن مواقع المجموعة في خصائص كثيرة، في المكان نفسه يثير تساؤلاً حول طبيعتها وما تمثله من الحضارات أو التقاليد التي سادت في أواخر عصر البلايستوسين في المنطقة. فهي إن كانت معاصرة لمجموعة «صناعة القربة»، فمعنى ذلك أنه كانت هناك ثنائية حضارية في وقت واحد. وبالتالي وجود فجوة زمنية بينهما، وبين أقدم مواقع العصر الحجري الحديث، مما يجعلنا نطرح التساؤل المهم حول الكيفية التي ظهرت بها مجتمعات إنتاج القوت في المنطقة؟ وإن أوضحت الدراسات المستقبلية أن هذه المواقع تسد تلك الفجوة فإن الشيء الذي يستحق التسجيل هنا هو أنه لا التقنية المستخدمة فيها، ولا تلك التي نجدها في مواقع صناعة القربة، معروفة في مواقع العصر الحجري الحديث.
إن هذا الوضع يقود بالتالي إلى العديد من التساؤلات والتي بدورها تجعل مواصلة العمل في تلك المنطقة أمرًا ضروريًا.

---

(٢٧) المرجع السابق.

العصر الحجري الحديث

تحتم علينا طبيعة النتائج التي توصلنا إليها من مواقع العصر الحجري الحديث في شرق البطانة أن نستعرضها هنا كحقب حضارية لا كمواقع مفردة ـ تمثل كل حقبة منها مجموعة مواقع متجانسة في محتواها الحضاري، ومتزامنة كليًا أو جزئيًا. وقد نتج ذلك عن دراسة قدر من المعثورات جاءت من هذه المواقع، إما عن طريق تنقيبات أو ملتقطات سطحية، نعتقد في الحالتين أنها كانت عينة ممثلة للموقع. على ضوء تلك الدراسات ونتائج التاريخ الكربوني المصاحبة لها أمكن وضع إطار عام، يصور التطور الحضاري الذي شهدته المنطقة خلال الفترات المتأخرة من حقب ما قبل التاريخ والفترات التاريخية المبكرة[٢٨].

إن أقدم مواقع العصر الحجري الحديث في شرق البطانة تعود إلى تاريخ يسبق ٤٥٠٠ ق.م.، وتضم هذه موقعين في الوقت الحاضر هما الموقع رقم (١٤) ورقم (٥٥)، وكلاهما يقع في منطقة المنخفض إلى الشمال من مدينة خشم القربة (شكل ٥)، وقد اطلقنا على هذه المجموعة مؤقتًا اسم «ما قبل الصاروبا» إذ أنها لا تشكل وحدة متجانسة فيما بينها، حسب ما تشير الشواهد المتوافرة. و«الصاروبا» إشارة لأقدم دور حضاري معروف يؤرخ للعصر الحجري الحديث في منطقة خشم القربة.

يشتمل الفخار في أحد مواقع هذه المجموعة (رقم ٥٥) على ذلك النوع من الزخرف ذي الخطوط المتصلة المموجة، الذي عرف من شق الدود ومن مواقع حضارة الخرطوم القديمة على النيل. كذلك يتميز الموقع الآخر (رقم ١٤) بنوع من الفخار المزين بنتوءات في شكل حبيبات في أعلاه. وفي الحالتين يلاحظ أن الزخرفة فيه تتركز في الجزء العلوي من الإناء، بينما يبقى السطح السفلي خاليًا من أي زخرفة. وتشمل أنواع الزخرفة الأخرى في الموقعين خطوطًا متقطعة متعرجة، ومتقطعة مستقيمة أحيانًا (شكل ٧، f-j).

لقد اعتمدت الأدوات الحجرية فيهما على الشظايا التي صنعت منها أهلة طويلة، ومكاشط وشظايا مشحوذة. أما الاقتصاد المعيشي لمستوطني هذه المواقع فقد ارتكز فيما يبدو على صيد الحيوانات المائية والبرمائية، حيث اصطادوا الأسماك، والتماسيح، وفرس البحر، إلى جانب البقر الوحشي. لكنه لم يعثر على دليل لمخلفات نباتية، وإن كان هناك عدد من أدوات الطحن.

والمجموعة الثانية من المواقع، واللاحقة للسابقة زمنًا، هي تلك التي تعرف بمواقع الصاروبا، وقد عثر على ٩ مواقع أجريت الاختبارات في أربعة منها (١٠، ١٣، ٩٤، ١٠٤). تركزت جميع هذه المواقع في المنطقة السهلية

(٢٨) R. Fattovich, A. Marks and Abbas Mohammed-Ali, "The Archaeology of The Eastern Sahel, Sudan: Preliminary Results", *The African Archaeological Review 2*, (1984), pp. 173-88.

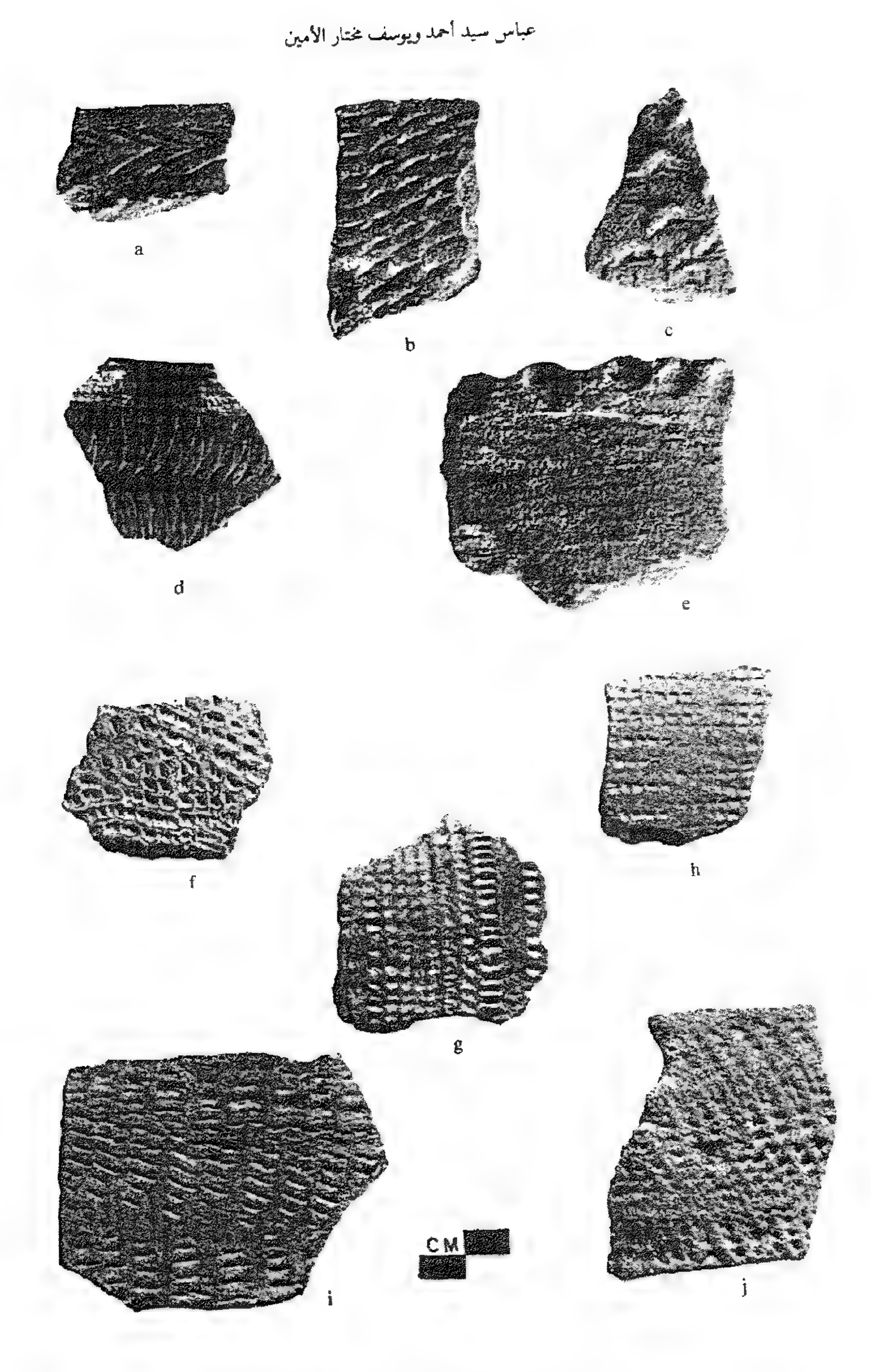
المحصورة بين نهري عطبرة والقاش. وهي مواقع صغيرة لا تزيد مساحة الواحد منها على ٥,٠٠٠ متر مربع، كما أن تراكم المخلفات فيها ضحل لا يتعدى ٢٠ سنتيمترًا، وفخارها يبدو متجانسًا بين هذه المواقع في مجمله، وهو هش البناء، يميل لونه إلى الصفرة الداكنة، غير مصقول، وقد زُين بخطوط متقطعة مستقيمة أو خطوط متقطعة متعرجة. أما الأدوات الحجرية والتي استعمل العقيق والشرت (حصى النهر) في صناعتها فقد شكلت على الشظايا، وشملت المكاشط، والمناجل، والأهلة الطويلة والأدوات مشحوذة الظهر. كذلك عثر على كمية من حجارة الطحن وإن لم نجد دليلاً على النباتات التي كانوا يستعملونها.

من الملاحظ أن هذه المواقع تحوي كميات كبيرة من أصداف بعض أنواع القواقع البرية التي يبدو أن السكان قد اعتمدوا عليها جزئيًّا في غذائهم، إلى جانب البقر الوحشي، والخنزير البري، والسحالي، وبيض النعام. وتبدو هذه المواقع كمستوطنات موسمية استقرت فيها جماعات كيّفت حياتها على مناطق السهول. إن نتائج اختبارات التاريخ الكربوني تؤرخ مواقع الصاروبا إلى منتصف الألف الرابع ق.م..

يمثل الموقع ٢٨، والذي لم نعثر على شبيه له، حلقة الوصل بين مجموعة مواقع الصاروبا والمجموعة التالية التي سميناها «مجموعة البطانة»، هذا الموقع الذي يرجع تاريخه الكربوني إلى حوالي ٣٠٠٠ ق.م. يقع في السهل الممتد بين نهري عطبرة والقاش، ويحوي فخارًا مشابهًا لذلك النوع الذي عرفته مواقع الصاروبا. وقد شملت أدواته الحجرية زيادة في نسبة المخارز إلى جانب وجود المكاشط والمناجل. كذلك يحتوي الموقع على قدر من أصداف القواقع البرية شأن مواقع الصاروبا (لولا أنه يحتل مساحة كبيرة)، كما أنه يحتوي على فخار مصقول، وآخر ذي سطح لامع أو مكشوط، والواضح أن اقتصاد سكان هذا الموقع استند على صيد حيوانات السافنا التي تشمل الأنواع نفسها التي صادها أهل الصاروبا، إضافة إلى الأفيال.

أما المرحلة التالية من التطور الحضاري في منطقة شرق البطانة فتمثلها مجموعة مواقع البطانة التي سادت لفترة تزيد على الألفي عام بين منتصف الألف الثالث ق.م. ومنتصف الألف الأول ق.م.، كما تؤكد نتائج كربون ـ ١٤. لقد قسمنا هذه المرحلة إلى حقبتين أولى وثانية.

الحقبة الأولى: وهي الأقدم تمثلها ثمانية مواقع تركزت جميعها على شاطىء نهر عطبرة وإلى الشرق منه في منطقة السهل. تتميز هذه المواقع بفخار سميك البناء مبشور السطح إلى جانب أنواع أخرى رفيعة في سمكها ومصقولة السطح (شكل ٧، e). وتشتمل الأدوات الحجرية على نسبة عالية من المخارز والأهلة والمكاشط، إلى جانب المساجي ورؤوس المطارق (Mace heads). تحتل هذه المواقع مساحة كبيرة تتراوح بين ٤٥ ألفا و١٢٠ ألف متر مربع، كما أن سمك التراكم فيها يصل إلى مترين أحيانًا.



شكل (٧): بعض أنواع الفخار من مواقع شرق البطانة.

أما المخلفات العظمية الحيوانية فهي في معظمها تخصّ الأبقار الوحشية، إلا أن المواقع القريبة من النهر أظهرت ميلاً نحو استغلال الحيوانات المائية مثل الأسماك والتماسيح وفرس البحر. وقد عرفت هذه المواقع الاستئناس في مرحلة متأخرة (النصف الثاني من الألف الثاني ق.م.)، حيث عُثر على القليل من المخلفات العظمية لحيوانات مستأنسة شملت الأبقار والضأن والماعز.

أما الحقبة الثانية من هذه المرحلة فتمثلها أربعة مواقع تشارك المجموعة الأولى خصائصها العامة، إلا أنها تنفرد عنها ببعض السمات الخاصة بها. يلاحظ مثلاً أن مساحتها، باستثناء إحداها، تقل عن ٤٥ ألف متر مربع، كما أن المخلفات العظمية الحيوانية منها تطغى عليها عظام الحيوانات المستأنسة، وتكثر فيها الأدوات الحجرية المصقولة.

إن طبيعة هذه المستوطنات تطرح سؤالاً عن مصادرها الاقتصادية، إذ أن مستوطنات بهذا الحجم تحتاج إلى مصدر غذائي آخر غير الصيد والجمع، الأمر الذي لم تعكسه المخلفات العظمية والنباتية. كما أن التحول الهائل الذي شهدته المنطقة سواء كان في انتقال المستوطنات إلى السهل، أو في الزيادة الكبيرة في حجم تلك المستوطنات، أو أمد الاستيطان فيها أمر يحتاج إلى المزيد من التقصي[٢٩].

تجيء بعد ذلك في منتصف الألف الأول ق.م. مواقع جبل مكرم، وهي مواقع صغيرة في مساحتها وضحلة في تراكمها، تنتشر بكثافة عالية في منطقة السهل، وتمثل فيما يبدو، مستوطنات موسمية لمجموعات رعوية صغيرة وفخار أصحابها كان رفيعًا في سمكه، ومصنوعًا من طينة رملية. أما الزخرفة فقد تراوحت بين خطوط عميقة متصلة، وأخرى متقاطعة، كما أن سطحه الخارجي قد كشط أحيانًا أو صقل. وقد اشتملت المصنوعات الحجرية على أسورة حجرية ورؤوس المطارق، وبعض حجارة الطحن. وعلى الرغم من قلة المخلفات العظمية الحيوانية نسبة لضحالة المواقع، فإن معظم تلك المخلفات تعود إلى أبقار مستأنسة. كما حوت بعض قطع الفخار مخلفات نباتية، وآثار لبذور لا تزال كلها قيد الدراسة. والذي يبدو لنا أن هذه المجموعات كانت تمارس اقتصادًا مختلطًا يقوم على الرعي والزراعة معًا.

والمرحلة الأخيرة من هذا التطور الحضاري تمثلها مواقع الحاجز (كوراك) التي تنتشر في السهل، وعلى ضفاف نهر عطبرة، وهي مواقع صغيرة وسطحية لا تزيد مساحة الواحد منها في معظم الحالات على ١٠ آلاف متر مربع. لقد حوت هذه المواقع فخارًا مصنوعًا من طينة بها شوائب عضوية قد كشط سطحه الخارجي أحيانًا، تقل فيه الزخرفة

---

(٢٩) Abbas Mohammed-Ali, "The Later Prehistory of Eastern Sudan" in M. El-Bedawi and D. Sconyers (eds.) *Sudan Studies Association Selected Conference Papers 1982-1984*, Washington, (1985), pp. 21-31.

وتشابه بعضًا من أنواع الفخار المَرَوِي المصنوع باليد. أما المخلفات العظمية المكتشفة فهي تعود في معظمها لأبقار مستأنسة. أما تاريخ هذه المواقع فيعود إلى القرن الأول ق.م. والقرن الأول الميلادي.

هناك مواقع أخرى تم اكتشافها تعود إلى فترات تاريخية متأخرة (مسيحية وإسلامية)، كان تاريخ كربون ـ ١٤ الناتج عن أقربها عهدًا هو ١٧٩١م. وهذه تحتاج إلى المزيد من الدراسة قبل أن نستطيع تقويم أي استنتاجات بشأنها.

نخلص من هذا العرض إلى أن هناك عدة أمور نذكر منها:

١ ـ توضح المخلفات العظمية الحيوانية أن منطقة السهل في حقبة الصاروبا كانت غنية بعطائها الحيواني والنباتي. وبالتالي فإن تمركز مواقع ما قبل الصاروبا على ضفاف النهر كان ذا صلة بتكيف تلك الجماعات على العيش في بيئة نهرية. وفي الفترة اللاحقة وجدت بعض جماعات البطانة في السهل مرتعًا لمختلف أنواع أنشطتها.

٢ ـ إن مساحة مواقع مجموعة البطانة وعمقها يعكس تجمعًا مكثفًا وسريعًا لقرى ضخمة، يمكن تفسيره في ظل إدخال مصدر غذائي جديد إلى المنطقة. إن وقوع هذه المنطقة ضمن حزام النمو والوجود الطبيعي للذرة والدخن، والبقر الوحشي، يعطيها فرصة لتطوير استئناس تلك الأنواع أو على الأقل استقبال الاستئناس كتحول اقتصادي كبير. إلا أن انعدام الدليل على الاستئناس في المراحل المبكرة من تطور هذه المستوطنات يزيد الأمر تعقيدًا.

٣ ـ من ناحية أخرى فإن عدم تحول مستوطنات البطانة إلى مدن أو قرى دائمة للسكنى أمر يثير التساؤل ويستحق الدراسة، وذلك بالرغم من أن بعض هذه المستوطنات أكبر حجمًا من أي مستوطنات أخرى راجعة للعصر الحجري الحديث في أي مكان من وادي النيل.

٤ ـ في الوقت ذاته فإن مستوطنات البطانة كبيرة الحجم هذه قد شهدت اختفاء مفاجئًا من المنطقة في منتصف الألف الأول ق.م. هذا التاريخ يتزامن مع قيام الدولة النبتية ـ المروية على ضفاف النيل ـ ولم نتحقق بعد إن كان لهذين الحادثين صلة أم أن الأمر لا يعدو كونه مصادفة.

٥ ـ أوضحت الدراسة أن منطقة البطانة ربما كانت منطقة حضارية قائمة بذاتها. فعلى الرغم من أوجه الشبه بين بعض أنواع الفخار المكتشف في بعض مواقع غرب البطانة ومثيلاتها في النيل، فإن هناك ما يشير إلى أن طبيعة التكيف في منطقة البطانة، وإن تباينت مع الزمن، فقد ظلّت شيئًا متميزًا عما حول نهر النيل.

الـــــدلالات

إن مشروعًا بالحجم الذي وصفناه لابد وأن تكون قد واجهته بعض المشكلات التي قعدت به عن تحقيق بعض أهدافه الأولية. ولابد في نهاية المطاف من أن تطفو على السطح سلبيات كما كانت هناك إيجابيات، ولكننا في تقويمنا النهائي لهذا العمل نجد أن الإيجابيات تفوق السلبيات. وبديهي فإن نجاح أي عمل مستقبلي يستلزم منا النظر الفاحص في السلبيات والإيجابيات معًا. لقد كان هدفنا في البداية أن يستمر المشروع لعدد أطول من السنوات، وهو أمر تتطلبه قضايا البحث فعلاً، إلا أن عدة عوامل قد تضافرت ليتوقف في المرحلة الحالية على أمل أن يستأنف من جديد بشكل ما أو بآخر. فإذا نظرنا إلى الأمور التي تقع في قائمة الإيجابيات فإنه يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١ - لقد تمت في الجانب العلمي إضافة معلومات جديدة، بل مهمة حول تطور حضارات ما قبل التاريخ في السودان حيث أوضحنا في وصفنا لها أننا أمام منطقة ذات ثقافة مميزة (Culture area). وهذه إضافة لا نشك في أنها تدفع إلى الأمام بقضايا المعرفة في آثار ما قبل التاريخ في السودان. إن المنطقة قيد البحث كانت في عداد المناطق الهامشية، وبالتالي تضمر مساهماتها، إن لم تنعدم تمامًا، في قضايا التطور الحضاري. لكن ما أفضى إليه مشروع البطانة الأثري من نتائج يدعو إلى إعادة النظر فيما يسمى بالمناطق الهامشية. إن مثل هذه المناطق، وكما تمثلت في البطانة، يجب أن تنال حظها من اهتمام الآثاريين بما يكفي لنرى إمكان إثبات ذلك الزعم أو عدمه.

٢ - لقد تمكن الفريق من أن يجد الإجابة على العديد من الأسئلة المهمة التي كان قد طرحها عندما قام بصياغة أهداف مشروعه العلمي قبل بدء العمل الميداني، وبطبيعة الحال فإن بعض هذه الأسئلة ما زال ينتظر الإجابة، ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الجديدة التي جمعت فتحت لنا آفاقًا لوضع تصورات جديدة يمكن أن تعنى بها مشروعات عمل أخرى سواء إن قمنا بها نحن أو قام بها غيرنا من المهتمين بالمنطقة. لذلك فإن هذا الأمر في حدّ ذاته لشيء مجز من الناحية الأكاديمية. إضافة إلى ذلك فقد أكد هذا المشروع قناعاتنا بجدوى العمل بعيدًا عن الشريط المحاذي لنهر النيل. فكما سبقت الإشارة، وكما حدث فعلاً، فإن منطقة النيل قد عجزت، حتى الآن على الأقل، من أن تعطي إجابات لعديد من الأسئلة كانت قد طرحتها التنقيبات المتوالية والمتصلة فيها.

٣ - لقد تهيأت لأعضاء الفريق الوطنيين الفرصة للاستفادة من خبرة غيرهم، إذ سمح لهم بالتعرف على بعض مناهج العمل الميداني مما أثرى تجربتهم فيه. كذلك أتاح المشروع الفرصة لتدريب بعض طلاب قسم الآثار بجامعة الخرطوم، ووفر المادة الميدانية لطلاب الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه من أجانب ومحليين.

٤ ـ دعم المسح الأثري في البطانة، وخاصة في منطقة شق الدود، الاتجاه القائل بأن النتائج المستخلصة من المسوحات الأثرية يمكن أن تتخطى الأهداف التقليدية للمسح الأثري، وخاصة بالعثور على المواقع الجيدة وتسجيلها، وانتقاء بعضها للتنقيب، وفي أحسن الحالات إجراء دراسات تخص أنماط الاستيطان فيها. فالمسح الأثري هنا أوضح مثلاً أن المواقع السطحية، والتي عادة ما تهمل، يمكن أن تأتي بنتائج طيبة إن استخدم المنهج المناسب في جمع المعلومات.

٥ ـ يصنف مشروع البطانة الأثري ضمن قائمة المشروعات الأثرية الكبرى، وهو أمر قصدناه منذ البداية. إن مثل هذه المشروعات التي تغطي مساحة جغرافية كبيرة لهي أكثر جدوى في تلك الدول التي تسود فيها ظروف آثارية كالسودان حيث تنحصر معرفتنا عن التطور الحضاري على فترات زمنية معينة ومناطق جغرافية محددة.

وعلى الجانب الآخر، نذكر ما يمكن أن يقع في خانة السلبيات، وهذه نود أن نطرح منها نقطتين:

١ ـ لقد كان الهدف الأساس من إشراك الباحثين الأجانب، تخطي بعض العقبات التي كنا نعتقد أنها ستقف في سبيل تنفيذ مثل هذا المشروع (انظر أعلاه)، خاصة عند النظر لحالة العمل الميداني وما يتبعه، في السودان، وهذا أمر واقع. ولكن مثل هذا العمل المشترك يصطدم بالاختلاف، بل والتناقض أحيانًا، بين وجهات النظر والغايات بين شقي الفريق المؤسس، ورؤية كل منهم في تنفيذ تلك الأهداف. إن مثل هذا الاختلاف والتناقض قد يؤدي ـ كما قد يتوقع ـ إلى بعض السلبيات، ويكفي أن نذكر مثلاً أن معظم المادة المكتشفة وجدت طريقها لخارج البلاد بغرض الدراسة والتحليل. ونخلص من ذلك إلى أن أمر المشاركة التامة والمناصفة، شيء صعب التحقيق، ولكن ذلك في واقع الأمر شيء ملازم في هذه الحالات. إننا نحسب، أن ما قمنا به كان إيجابيًا وخطوة ضرورية تسبق القيام بأعمال بحثية يتكفل بها العنصر المحلي.

٢ ـ والنقطة الثانية، في الواقع، تنطبق على حالات كثيرة، يمكن تقصيها، وهي تتعلق بمطابقة المعرفة النظرية، مع ما يتم تنفيذه فعلاً في الميدان. لقد كنا نأمل في تطبيق المناهج المتبعة في تقصي الجوانب الخفية من النظم الثقافية والاجتماعية التي كانت سائدة في مختلف الأدوار الحضارية التي تغطيها المواقع المكتشفة. إلا أن اهتمامنا بالكشف أولاً عن التسلسل الحضاري في المنطقة حال دون تحقيق ذلك في معظم الحالات. إن عاملي الزمن والإمكانات يقفان دائمًا أمام تحقيق كل أو معظم ما يريده الباحث. إننا نورد هذه النقطة المتعلقة بالمفارقة بين المعرفة النظرية والتطبيق الميداني لحث الآخرين على مناقشتها، خاصة أولئك الذين يقومون بأعمال مشابهة. وفي حالة مشروع البطانة فقد كان عمل موسمين على النحو الذي تم، وبالرغم من جوانب القصور، كافيًا لرسم أساس للبحث المستقبلي في المنطقة والذي لابد له من أن يتخذ الأساليب الميدانية المناسبة.

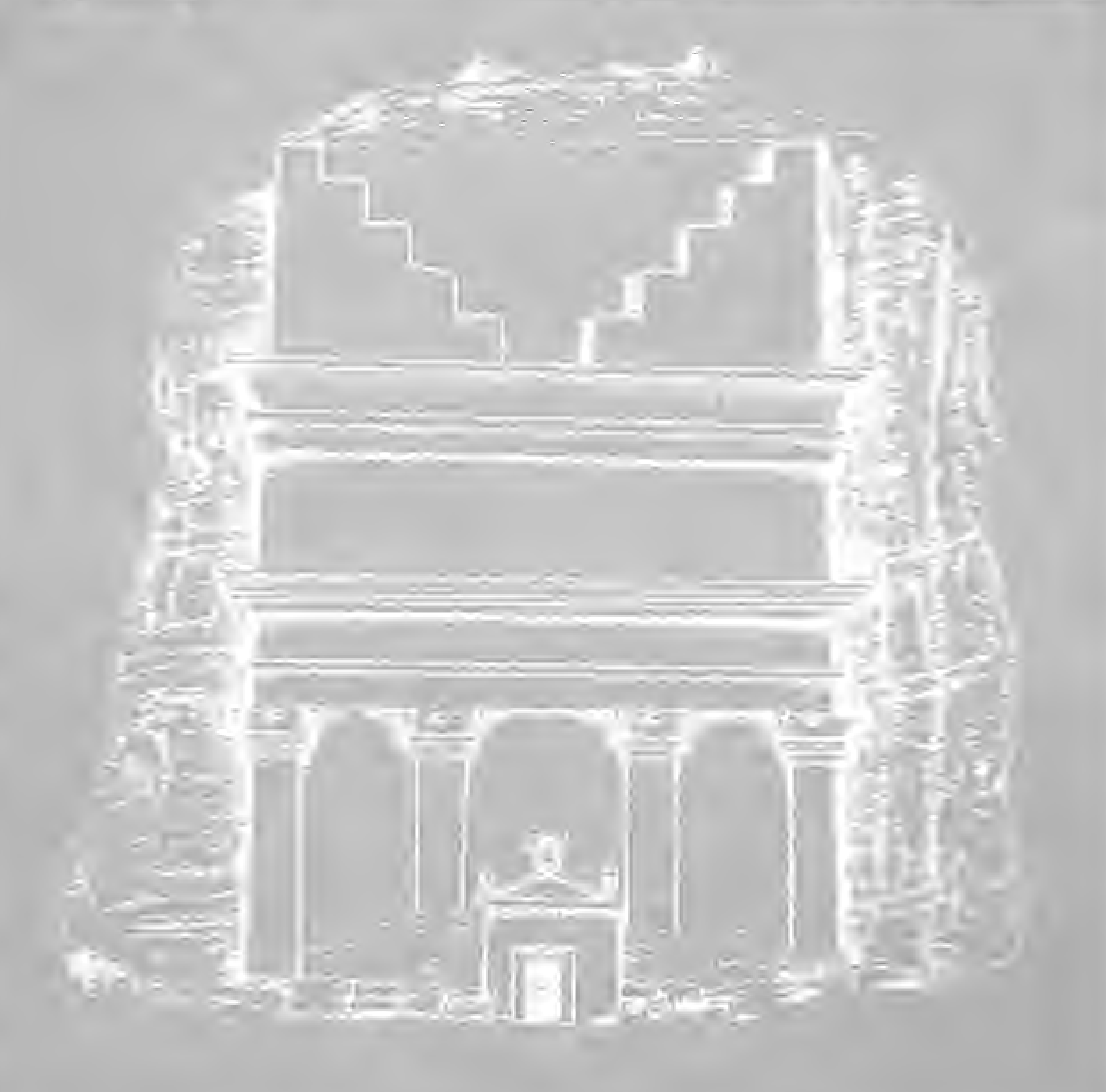
جدول (١): التسلسل الحضاري في منطقة البطانة خلال الفترة من الألف العاشر إلى الألف الأول ق.م. مقارنة بمنطقة النيل حول الخرطوم.

ق.م.	النيـــل	غرب البطانة	شرق البطانة
٠٠٠٠	مـــــروي		مجموعة الحاجز
١٠٠٠		؟	
١٥٠٠	؟		
٢٠٠٠			جبل مكرم
٢٥٠٠		شق الدود «أ»	
٣٠٠٠			مجموعة البطانة
٣٥٠٠	الشهيناب		
٤٠٠٠			الصاروبا
٤٥٠٠			؟
٥٠٠٠		شق الدود «ب»	
٥٥٠٠			
٦٠٠٠			ما قبل الصاروبا
٦٥٠٠	الخرطوم القديمة		
٧٠٠٠			؟
٧٥٠٠			
٨٠٠٠	؟	؟	
٨٥٠٠			
٩٠٠٠			
٩٥٠٠			صناعة القربة
١٠٠٠٠			

مـــــواقـــع المســـح

الباب الثاني

آثار قديمة



تمثال الملك مري ـ كاو ـ رع (سوبكحوتب) السابع
وهو جالس (Mry - K³w-Rᶜ, Sbk-ḥtp VII)

الدكتور وفيق محمد غنيم

يوجد التمثال موضوع البحث بالمتحف المصري بالقاهرة برقم: (الكرنك ٩٠٧)، وقد وردت إشارة عنه «بالكتالوج» العام للمتحف نفسه (سجل الدخول ـ برقم JE. 43599)[1]، وكان قد عثر عليه في معبد الكرنك، وربما كان مكانه الأصلي البهو الأوسط بالمعبد.

والتمثال من التماثيل الجالسة[2]، ويخص الملك سوبكحوتب (سبك ـ حتب) السابع، من ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وكان قد قدمه قربانًا لمعبوده «آمون ـ رع»، وذلك كما ورد في النصّ على التمثال (الشكل رقم ١)، والأسرة الثالثة عشرة من أسر فترة الانتقال الثانية، وهي فترة ممثلة تمثيلاً جيدًا بمجموعة كبيرة من التماثيل المجسمة (انظر الصورة رقم ١).

وقد صنع التمثال من حجر الجرانيت الوردي شديد الصلابة، والذي تظهر به حبيبات سوداء، وكانت العادة في عهد الأسرة الثالثة عشرة أن تنحت التماثيل الملكية من الأحجار الصلدة بصفة عامة، وحجر الجرانيت الوردي بصفة خاصة، وكان قد بدأ استخدامه في صناعة التماثيل خلال فترة الانتقال الثانية حسب الشواهد الظاهرة حتى الآن[3].

---

(١) لم يُنشر التمثال نشرًا كاملاً بعد، ولم ترد عنه أي معلومات سوى إشارتين: واحدة في الكتالوج الطبوغرافي للآثار المصرية: (PM II², p. 281)، وأخرى في بحث لـ «فيفيان ديفيز». انظر: Davies, W.V., *British Museum, Occasional Paper No. 28*, (London 1981), p. 28. كما أن له رسمًا فقط في كتالوج هورنمان: Hornemann, *Types of Ancient Egyptian Statuary*, V, Pl. 1423.

(٢) تظهر كثيراً في هذه الفترة أنواع التماثيل الجالسة؛ إذ تصل إلى اثنين وثلاثين تمثالاً جالسًا من مجموع ثلاثة وخمسين تمثالاً في أوضاع مختلفة.

(٣) مما يؤكد هذا القول كثرة التماثيل المصنوعة من هذا الحجر خلال هذه الفترة، حين غلبت التماثيل المصنوعة من حجر الجرانيت الوردي على التماثيل المصنوعة من حجر الجرانيت الأسود والرمادي، فقد بلغ عدد التماثيل المصنوعة من الجرانيت الأسود والرمادي تسعة عشر تمثالاً من مجموع التماثيل المعروفة حتى الآن، بينما كانت عشرة تماثيل قد صنعت من حجر الجرانيت الوردي من مجموع ما صنع في هذه الفترة، وعددها ثلاثة وخمسون تمثالاً، أما الباقي فقد صُنع من أنواع مختلفة من الأحجار مثل الحجر الجيري والرملي والبازلت. . . الخ.
قارن أيضًا: Davies, W.V., *op. cit.*, p. 1, Note 14.



(الصورة رقم ١) . تمثال الملك «سوبكحوتب» من الأمام

وصف التمثال بصفة عامة:

يبلغ ارتفاع التمثال ١٣٤ سم (مائة وأربعة وثلاثين سنتيمترًا)، أي بالحجم الطبيعي للملك، أو بشيء من الزيادة عنه، وعلى الرغم من أن رأس التمثال مفقودة إلا أن بقايا التاج المعروف «بالنمس» (nms) تظهر جلية في الأجزاء الباقية من أطراف غطاء الرأس، والذي يبدو مرتفعًا عن الجسم ومنسدلاً على جانبي صدر التمثال في هيئة ثنيات أفقية (pleating) في وضع أفقي في إزاره المعروف بالشنديت (Šndyt).

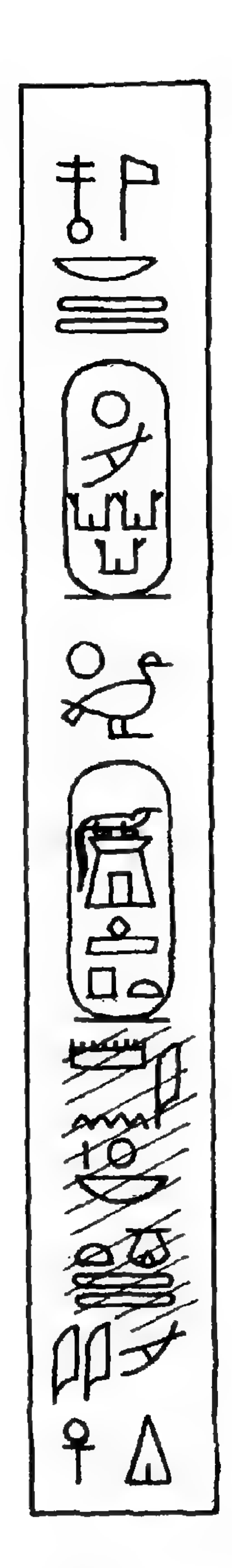
يجلس الملك ويداه مبسوطتان على فخذيه (الصورة رقم ١)، واضعًا قدميه على تسعة أقواس حفرت على موطىء القدمين، وهي القاعدة المستوية من كرسي العرش. وترمز الأقواس إلى البلاد الأجنبية، كناية عن قهره لها، وإلى جانب الملك هناك تمثالان صغيران لطفليه، نحتا من كتلة التمثال، أحدهما على يمينه والآخر على يساره، (الصورة رقم ٢)، وهما عاريان يضع الواحد منهما سبابته في فمه كما جرت العادة في تصوير الأطفال والتعبير عن الطفولة.

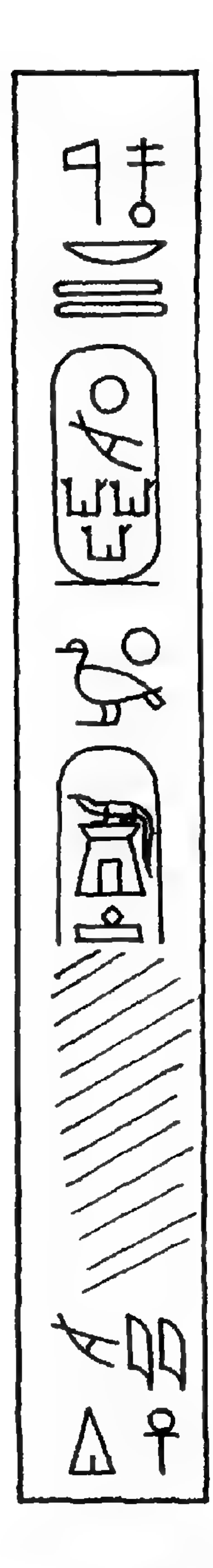
ويصف هذا النص صاحبه الملك بأنه (انظر الشكل رقم ١):

الإله الطيب	nṯr nfr
سيد الأرضين	nb t^{3}wy
(الملك) مري ـ كاو ـ رع	Mry - K^{3}w - R^{c}
ابن رع	S^{3} - R^{c}
سوبك حوتب	Sbk Ḥtp
محبوب آمون ـ رع	mry Imn– R^{c}
سيد عروش الأرضين	nb nś (w)t t^{3}wy
الموهوب الحياة	dj ^{c}nḫ

أما حالة التمثال فإنه بالإضافة إلى ما لحق بالرأس من أذى فإن هناك تهشمًا واضحًا في أعلى الذراع اليسرى للتمثال، ومن جهتها الخلفية (انظر الصورتين رقمي ٥، ٦).

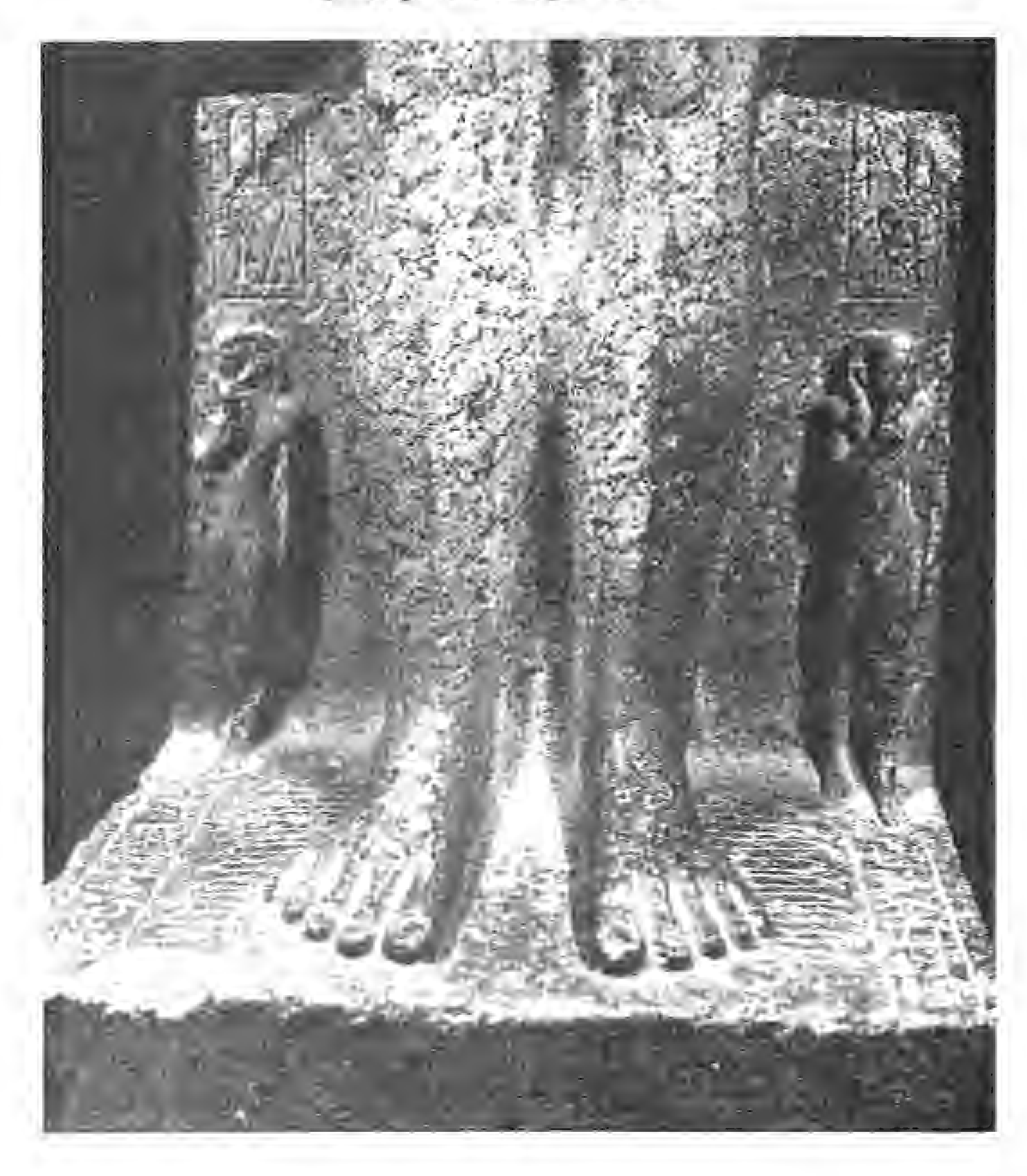
وفيما يختص بالكتابة على التمثال فبعضها يخصّ الملك، وبعضها يخص طفليه؛ أما ما يخص الملك فإنه مكتوب في عمودين بالخط التصويري (الهيروغليفي)، محفورين على الكرسي، ويبدأ كل منهما من أقصى السطح العلوي لقاعدة الكرسي، ومن الخلف، ثم ينزل بميل على جنب الملك ليظهر على الوجه الأمامي نازلاً لينتهي فوق رأس الطفل في كلا الجانبين؛ وأما ما يخص كل واحد من طفليه فإنه مكتوب أمام كل واحد منهما على السطح العلوي لقاعدة الكرسي.



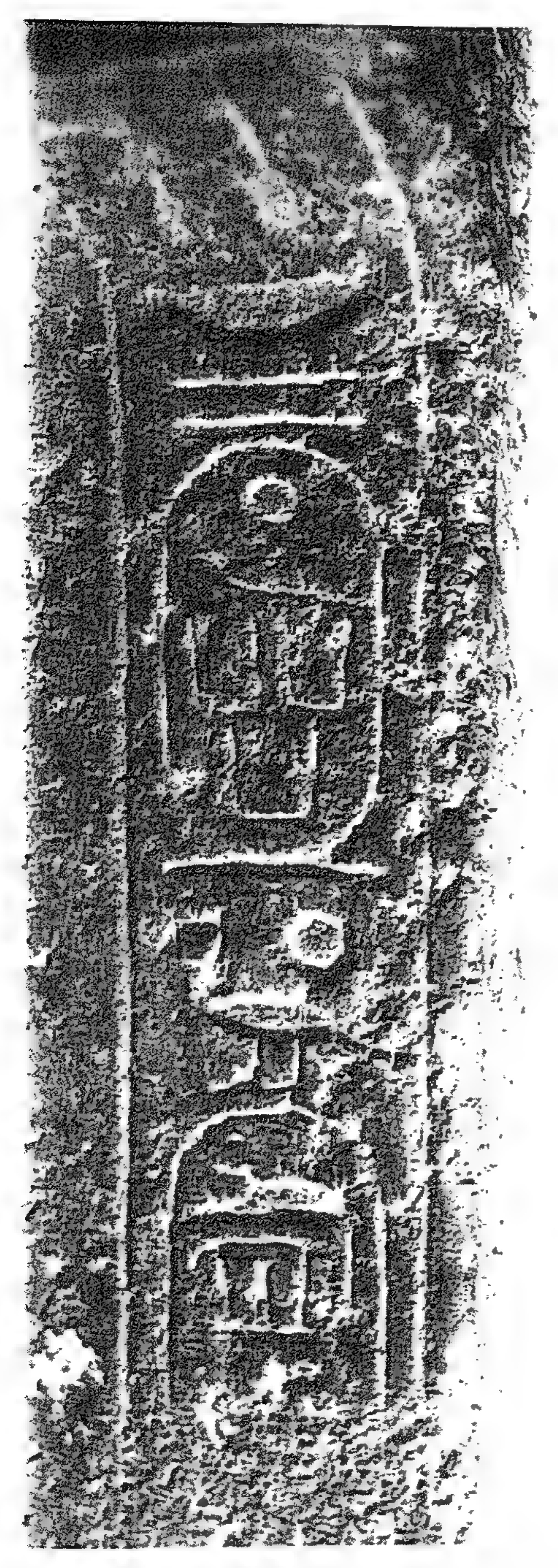


الشكل رقم ١ : النص الخاص بالملك سوبكحوتب على التمثال (انظر كذلك الصورتين رقمي ٣، ٤).

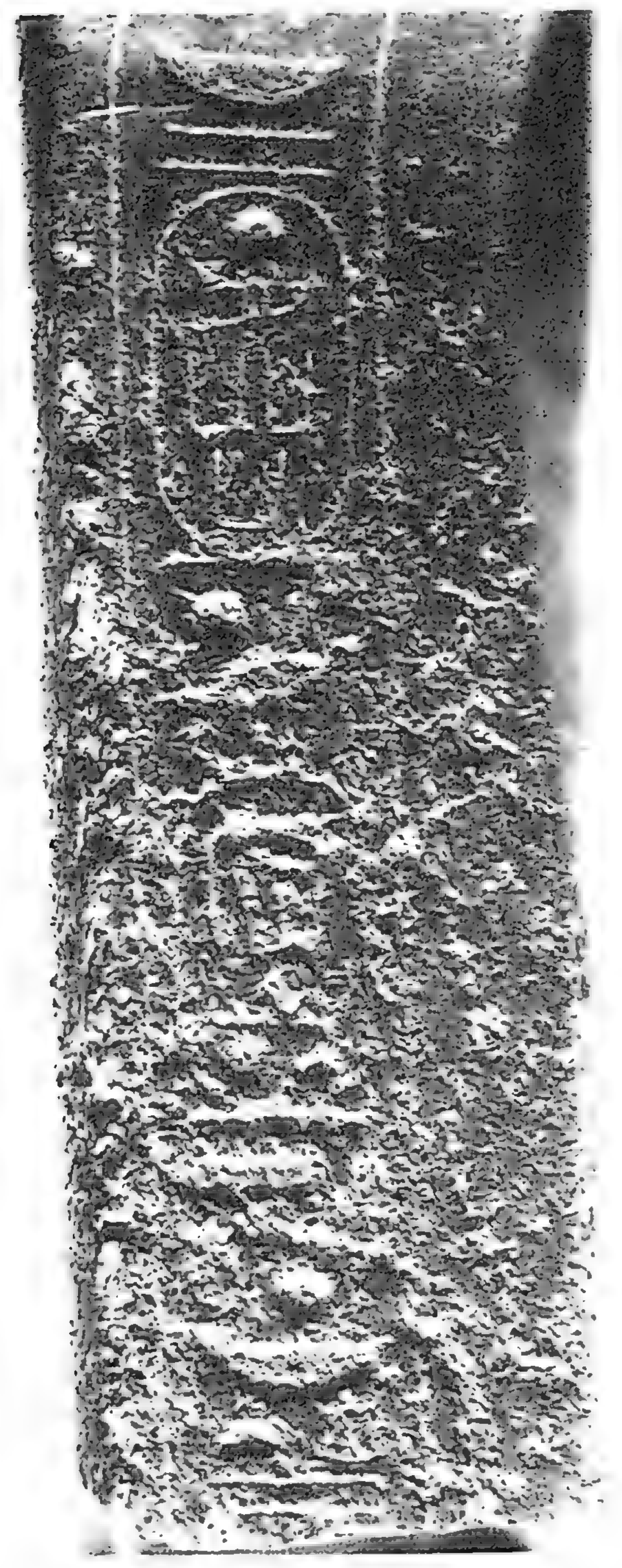
نثر نفر   نب تاوى   مرى - كاو - رع   سبك - حتب   مرى أمن - رع   نب نسوت تاوى   دى عنخ.



(الصورة رقم٢) : جزء تفصيلي من التمثال بين الأميرين : إبني الملك.



(الصورة رقم ٣) : النص الأيسر الخاص بالملك «سوبكحوتب» السابع .



(الصورة رقم ٤): النص الأيمن الخاص بالملك «سوبكحوتب» السابع .



(الصورة رقم ٥): منظر جانبي لتمثال الملك يبين التهشم في ذراعه اليسرى.

تمثال الملك مري - كاو - رع (سوبكحوتب) السابع وهو جالس



(الصورة رقم ٦) : التمثال من الظهر يُظهر التهشم في الذراع من الخلف، كما يبين عدم وجود الساند الخلفي بطول الظهر.

وصف التمثال بالتفصيل:

يبين التمثال الملك جالسًا على كتلة من الحجر نحتت على هيئة كرسي للعرش، ويظهر مسنده الخلفي مرتفعًا قليلًا إلى أعلى؛ وإن كان لا يوجد ساند خلفي للتمثال بطول الظهر[٤] (انظر الصورة رقم ٦)؛ أما الكرسي فإنه فوق قاعدة طولها حوالي ٨٠ سم، وعرضها ٥٣ سم؛ وأما ارتفاعها (أي سمكها)، وكما يبدو من الأمام، فهو ١٤ سم، كما أن ارتفاع الكرسي من الخلف يصل إلى ٦٩ سم.

وقد أعطى هذا الكرسي وقاعدته الضخمة للتمثال التوازن المطلوب من ناحية الكتلة والتكوين، بل إنهما أبرزا التماثل الذي قصده الفنان فيه؛ وقد ساعد على تأكيد هذا التماثل وجود التمثالين الصغيرين لولدين من أبناء الملك وهما يقفان بجانبه، وقد نحتا في كتلة التمثال الكبير نفسها (الصورة رقم ١).

وكما ذكر في الوصف الموجز للتمثال فإن رأسه وجزءًا من عنقه مفقودتان حتى مستوى الكتفين، ولم يبق إلا بقايا من التاج المعروف (بالنمس nms) وهو ما يظهر جليًا في الأجزاء الباقية من أطراف غطاء الرأس، والذي يظهر مرتفعًا عن الجسم ومنسدلًا على جانبي صدر التمثال في هيئة (ثنيات أفقية pleating) في وضع أفقي، كما بقي جزء من التاج على هيئة جديلة تنسدل خلف الرقبة، وعلى الجزء المتبقي من الرقبة من الأمام، كما يرى الجزء الأسفل من اللحية الملكية المستعارة بارزًا عن الصدر، ويبلغ عرضه ٥,٥ سم، وسمكه ٣ سم.

وكما جاء في موجز الوصف فإن الملك يرتدي إزاره المعروف (بالشنديت shendyt) وقد بسط يديه على فخذيه[٥] (انظر الصورة رقم ١). اللذين يخرجان من أسفل الجزء الأعلى للتمثال ليكونا مع الخصر والسرة الشكل الدائري لجسم التمثال؛ أما السرة نفسها فقد شكلت بطريقة طبيعية، وقد ساعد في تشكيلها انخفاض وضعها عن باقي

---

(٤) من النادر أن يظهر هذا النوع من التماثيل، التي تخلو من ساند خلفي لها؛ فمن بين ثلاثة وخمسين تمثالًا من فترة الانتقال الثانية، فإن هناك خمسة تماثيل فقط من هذا النوع الخالي من الساند. انظر: Davies, W.V., *op. cit., Nr. 20*, 34-37 and p. 21-28.

(٥) هذا النموذج من التماثيل التي تظهر فيها اليدان مفرودتين ومنبسطتين على الفخذين كان قد ظهر لأول مرة بالنسبة للملوك منذ

(٥) هذا النموذج من التماثيل التي تظهر فيها اليدان مفرودتين ومنبسطتين على الفخذين كان قد ظهر لأول مرة بالنسبة للملوك منذ حكم الملك امنمحات الثالث في الأسرة الثانية عشرة، ويمكن ملاحظة ذلك في الصور المنشورة لتماثيل هذا الملك في المراجع التالية:

Vandier, J., *Manuel D'Archeologie Egyptienne,* Vol. III, p. 586, Pl. 64,3 = (CGC 385), p. 601, Pl. 67,3 = (Leningrad 729).

وتوجد نماذج لهذا النوع من التماثيل الجالسة واليدان مفرودتان على الفخذين لغير الملوك، نذكر منها على سبيل المثال المراجع التالية:

Petrie, W.M.F., *Tanis,* Vol. I, p. 8-9, 213, 214, Pl. III, 17 A-C, fig. 123, 124; Evers, *Staat aus dem Stein,* Bd I, Pl. 146-148, Bd II, Pl. 3, fig. 37; Jequier, *Deux Pyramides du Moyen Empire,* p. 18-19, Pl. V, b-c; Vandier, J., op. cit. Pl. 230, Pl. 775; Vercoutter, J., in: *Rde* 27, p. 230f. = *Mirgissa* II, p. 186 f., Pl. 23, a+b.

جسم التمثال؛ أما الطبقة الخارجية للتمثال فقد عني الفنان بتشكيلها عناية فائقة، حتى ليخيل إلى الرائي أنه يمكنه تحسس أضلاع صدر الملك باليد، كما أن الفنان قد وفق في إظهار عضلات الجسم المختلفة بطريقة انسيابية بارعة؛ أي أن الفنان أظهر ـ بصفة عامة ـ جسم الملك في صورة رياضية متزنة معبرة، حيث تظهر الملك في نشاط الشباب وحيويته.

وهناك تهشم واضح في أعلى الذراع اليسرى للتمثال من الجهة الخلفية (انظر الصورة رقم ٦)، كما يوجد بين كل واحد من الذراعين وجسم التمثال مساحة سميكة تمثل الفراغ الكائن بين كل من الذراعين والجسم، وقد أعطت هاتان المساحتان ما يحتاج إليه التمثال من الصلابة والثبات، وإذا دققنا النظر في التمثال فإننا نجد أن المساحة الفاصلة بين الجسم والذراع اليسرى أكبر من المساحة الفاصلة بينه وبين الذراع اليمنى، وأنها أبرز إلى الأمام قليلاً عن المساحة اليمنى للتمثال، مما يجعل من يشاهد التمثال يحس بدوران جزئه العلوي خفيفًا إلى جهة اليمين، وهو في نظري ما يضفي على التمثال قدرًا كبيراً من الحيوية، وربما يكون ذلك ما قصده الفنان عمدًا، أو ما وقع فيه عفوًا[٦]!

ومما ساعد على حيوية التمثال أيضًا ما نراه في الإخراج السهل المتحرر لإزار الملك، وأخص الجزء الأوسط منه؛ إذ بدا في هيئة خطوط أفقية تشير إلى ثنيات أفقية على خلاف باقي الجزء العلوي من الإزار، والذي ينسدل على الجسم في شكل ثنيات رأسية تبرز الفخذين في هيئة طبيعية وتكون طرفي الإزار، وينتهي الإزار من أعلى بحزام دائري يصل عرضه إلى ٤ سم تقريبًا، ويقع أسفل السرة في مستوى خصر التمثال (انظر الصورة رقم ٧).

أما المساحات الكائنة بين الكرسي ورجلي الملك، والتي تؤدي وظيفة الدعامات التثبيتية للتمثال، فليست منحوتة بالدقة المطلوبة؛ إذ لا تكوِّن مع كرسي العرش زاوية حادة واضحة؛ حيث تميل واجهتها إلى الاستدارة مع انبعاج قليل إلى الأمام في مستوى المسافة المقابلة لعضلة الساق، (انظر الصورة رقم ٨)، وقد أدى إخراج الفنان هذه المساحة على هذا النحو إلى انصراف المشاهد إلى اجتلاء نواحي الجمال في الأجزاء المهمة في التمثال.

وتطأ أقدام الملك تسعة من الأقواس، وقد حفرت على القاعدة المستوية من كرسي العرش، وترمز هذه الأقواس إلى الشعوب الأجنبية المقهورة؛ وهي منحوتة بطريقة غير متقنة في خطوط أفقية غير صريحة بطول القاعدة، ويلاحظ في هذا الجزء من التمثال انعدام الخطوط التي تمثل هذه الأقواس في المساحة الموجودة بين قدمي الملك (انظر الصورة رقم ٢).

---

(٦) تحتاج هذه الظاهرة إلى دراسة تفصيلية لجميع التماثيل المشابهة لإثبات حقيقة الأمر.



(الصورة رقم ٧): جزء تفصيلي من التمثال من الأمام يظهر الإزار مع الحزام.

تمثال الملك مري - كاو - رع (سوبكحوتب) السابع وهو جالس



(الصورة رقم ٨): منظر جانبي للتمثال يوضح المسافة المشغولة بين عضلة الساق والكرسي.

أما المساحات الخلفية والجانبية للكرسي فخالية من النقوش أو النصوص الكتابية، كذلك الحواف الخارجية لقاعدته؛ ويوجد سطران من الكتابة الهيروغليفية محفوران على الكرسي، ويبدأ كل منهما من أقصى السطح العلوي لقاعدة الكرسي من ناحية الخلف، ويمتد بجوار الملك حتى طرف هذا السطح من الأمام، ثم ينزل في وضع رأسي على السطح الأمامي للكرسي، وينقطع هذا الخط فوق رأس الطفل في كل جانب، ثم يستمر بعد ذلك في شكل أفقي على السطح العلوي لقاعدة الكرسي التي يضع عليها الملك قدميه؛ وتحتوي الكتابة الموجودة في كل ناحية من ناحيتي هذا الجزء الأخير على اسم الأمير الذي يقف في هذه الناحية وألقابه، ويكوّن كل تمثال من تمثالي الطفلين على جانبي رجلي الملك مع النقش الكتابي في ناحيته وحدة مستمرة.

أما تمثالا الطفلين اللذان سبق ذكرهما فيمثل كل منهما طفلاً عاريًا واضعًا سبابته في فمه، وقد تدلت على يمين رأسه جديلة مضفورة من الشعر، ويصل طول التمثال الذي يقع على يسار الرائي إلى ٢٨ سم، كما تهشمت رأسه تهشيمًا ذهب بملامح الوجه، وبالجزء الأسفل من ساق رجله اليسرى؛ أما التمثال الذي يقع على يمين الرائي فيصل طوله إلى ٢٩ سم، وهو في حالة جيدة بصفة عامة، ما عدا ساقه اليسرى، فهي مهشمة أيضا. (انظر الصور أرقام ٢، ٩، ١٠).

وتفيد الكتابة التي تقع أمام قدم كل من التمثالين الصغيرين أن كلاًّ من هذين الطفلين أمير، وأنه ابن شرعي للملك سوبكحوتب السابع، كما تضمنت الكتابة التي تقع أمام رجل التمثال الأيسر ما يشير إلى أن الأمير صاحب التمثال الصغير يدعى: «بيي» - ؛ أما الكتابة التي تقع أمام رجل التمثال الأيمن فتشير إلى أن اسم الأمير هو «سوبكحوتب» (سبك - حتب)، مثل والده.

لقد وفق الفنان في إظهار ملامح الطفولة لوجهي الأميرين، كما يبدو من الوجه السليم للتمثال الأيمن[٧]، ويوحي للرائي تقدم الرجل اليسرى، وتأخر الرجل اليمنى في كل تمثال بأن التمثال في وضع حركي. (انظر الصور أرقام ٢، ٩، ١٠).

لقد عاش الملك سوبكحوتب السابع في فترة الانتقال الثانية، وهي فترة كثرت فيها الهزات السياسية والغزوات الأجنبية لمصر؛ حيث عزّ الأمن والاستقرار لفترات طويلة، وقد أثّر ذلك تأثيراً سلبيًّا على تقدم الفنون وازدهارها بصفة عامة؛ وعلى الرغم من ذلك نلاحظ أن الفنان قد راعى القواعد الأساسية لفن النحت المصري القديم من ناحية النسب والكتلة والفراغات، وقد راعى الفنان أيضًا ما درج عليه الفنانون المصريون القدماء، والذي يعرف

(٧) نظرًا للتماثل الواضح في تشكيل تمثالي الطفلين فإننا نطلق هذا الحكم في إطار ترجيح احتمال تشابههما في الأصل.

تمثال الملك مرى ـ كاو ـ رع (سوبكحوتب) السابع وهو جالس



(الصورة رقم ٩): الأمير «بيي»



(الصورة رقم ١٠): الأمير «سوبكحوتب».

اصطلاحًا بقاعدة: (القطاع الذهبي Canon) [٨]، مما يذكرنا بفنون الفترة الكلاسيكية للدولة القديمة، ولا يعيب من ذلك ما نراه من مبالغة في تجسيم ركبتي الملك وتشكيل ساقيه.

إن مراعاة الفنان لإبراز الملامح الطبيعية في التمثال والنسب الصحيحة لكتلته وشكله قد أضفت على التمثال قدرًا كبيرًا من الحيوية، وجعلته بذلك يسمو على كثير من الأعمال الفنية التي عهدناها في نتاج فنون فترة الانتقال الثانية.

التمثال كنموذج أول لمثل هذا النوع من تماثيل الملوك:

تزخر الآثار المصرية بكثير من التماثيل العائلية التي تشتمل على الأبناء أو الزوجة والأولاد، أو الزوجة والأم بجوار الرجل؛ أما هذا النوع من التماثيل، مثل تمثال الملك سوبكحوتب السابع الذي يظهر فيه الملك وابناه في هذا الوضع، فهو نادر جدًا في تلك الفترة، ونعني بذلك قبل نهاية الدولة الوسطى؛ حيث إن ذلك الوضع كان قاصرًا على طبقة النبلاء والخاصة من الموظفين فقط[٩]، ولم يظهر الملوك في مثل هذه الأوضاع حتى قبيل نهاية الدولة الوسطى إلا القلة من التماثيل التي تتفق مع تمثالنا موضوع الدراسة من حيث الموضوع فقط، إذ أن الشكل والخامة التي صنعت منها يختلفان إلى حد بعيد عن تمثال الملك سوبكحوتب السابع.

فمثلاً تمثال الملك ببى الأول مع ابنه[١٠]، مرنرع، المصنوع من النحاس، والذي يرجع إلى عصر الأسرة السادسة في الدولة القديمة، يمثل الملك واقفًا وممسكًا بعصاه الملكية، وابنه واقف بجانبه، ثم تأتي بعد ذلك مجموعة الملك أمنمحات الثالث مع أميرين من أبنائه[١١] واقفين بجواره، وترجع هذه المجموعة إلى الأسرة الثانية عشرة،

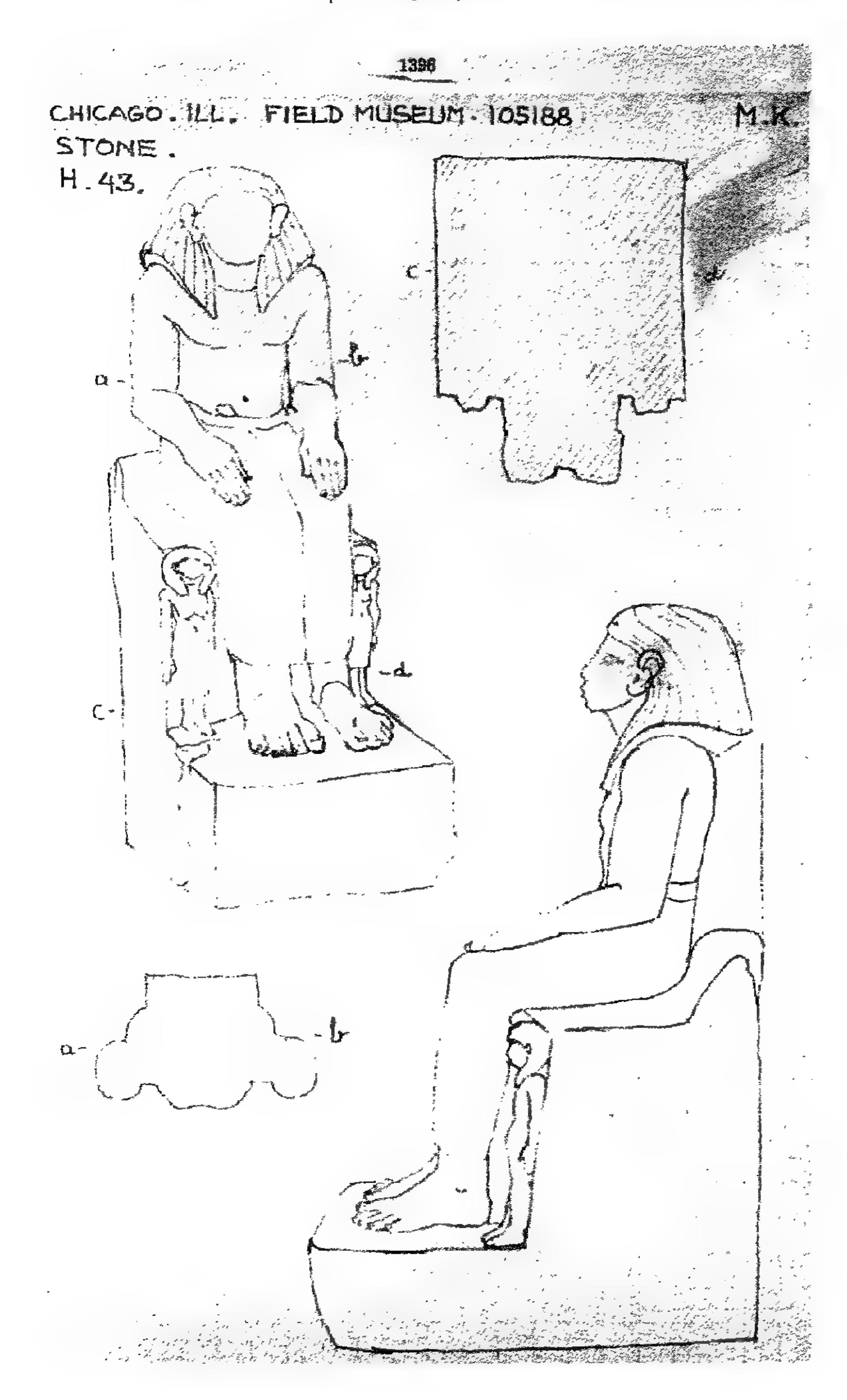
---

(٨) لإيضاح هذا الاصطلاح قارن: *Dictionnaire de L'Academie des Beaux Arts*, Vol. III, p. 41.

(٩) هناك كثير من التماثيل التي يمكن مقارنتها بالتمثال موضوع الدراسة، لأنها تُشبهه إلى حدّ بعيد، وإن لم تكن للملوك، حيث كانت لنبلاء وموظفين، فيوجد على سبيل المثال تمثال في متحف: "Field Museum" بشيكاغو (موجود تحت رقم: 105188)، كذلك قارن: (Hornemann V, 1396)، ويرجع هذا التمثال إلى الدولة الوسطى، وهو مصنوع من الحجر الجيري، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٤٣ سم، ويمثل أحد النبلاء جالسًا ويداه مفرودتان على فخذيه، ويقف بجوار ساقي الأب من الجهة اليمنى واليسرى ابنتاه في مستوى نهاية قصبة رجليه (انظر الصورة رقم ١١)؛ كما يوجد تمثال آخر مشابه في متحف برلين الغربية (التمثال موجود تحت رقم: 4435 في سجل المتحف، أما رقمه في كتالوج المتحف فهو: 310؛ أيضًا قارن: Hornemann V, 1414)، وهو مصنوع من حجر البازلت الأسود، ويرجع إلى الدولة الوسطى أيضًا، ويصل ارتفاعه إلى ٢٠ سم تقريبًا، ومع صاحب التمثال بجوار ساقيه في مستوى يصل حتى ركبتيه ابنه وابنته؛ لكن هناك اختلافًا بين هذا التمثال وبين تمثال الملك سوبكحوتب السابع في وضع اليدين وما يلبسه صاحب التمثال من رداء كالعباءة (انظر الصورة رقم ١٢).

(١٠) انظر: Vandier, J., *Manuel*, Pl. VII, 2; *(JE 33034/5)*.

(١١) انظر: Vandier, J., *Manuel*, Pl. 66/1; Evers, *Staat aus dem Stein*, Taf. 99/100. هذه المجموعة موجودة في المتحف المصري تحت رقم: (JE 43104).



(الصورة رقم ١١): تبين أحد النبلاء، والذي يشبه إلى حد بعيد التمثال موضوع الدراسة.

تمثال الملك مری ـ كاو ـ رع (سوبكحوتب) السابع وهو جالس



(الصورة رقم ١٢): تمثال آخر مشابه لتمثال الملك «سوبكحوتب» السابع.

والتمثال مصنوع من حجر البازلت الأسود، ويبلغ ارتفاعه حوالي ١٢٠ سم، وهو موجود الآن بالمتحف المصري؛ وهناك اختلاف كبير بين هذه المجموعة ومجموعة الملك سوبكحوتب السابع من حيث الشكل ووضع يدي الملك وما يلبسه؛ فالملك أمنمحات الثالث يجلس ملتفًا برداء يشبه العباءة، ويداه موضوعتان على صدره بهيئة متقاطعة وكل منهما ممسكًا بالعصاة الملكية، وهذا ما يختلف كثيراً عن التمثال موضوع الدراسة، كذلك هناك اختلاف كبير في نسبة طول الأبناء، ففي تمثال أمنمحات الثالث يصل ارتفاع ابنتيه الواقفتين بجوار رجليه إلى مستوى كتفه تقريبًا، في حين يصل ارتفاع أبناء الملك سوبكحوتب السابع إلى مستوى قصبة رجليه فقط.

بعد هذين المثالين يأتي تمثالنا موضوع الدراسة من الأسرة الثالثة عشرة، ثم بعد ذلك يأتي تمثال آخر من الأسرة السابعة عشرة للملك: «سوبك ـ ام ـ ساف» الأول، والذي عثر عليه في أبيدوس[١٢]، والتمثال الأخير مصنوع من حجر الجرانيت الوردي، ويبلغ ارتفاعه حوالي ١٥٠ سم، وإن كان يختلف إلى حدّ بعيد عن تمثال الملك «سوبك ـ حوتب» السابع أيضًا؛ حيث إن تمثال الملك سوبك امساف «سبك ـ ام ـ ساف» الأول يظهره واقفًا، كما يقف ابنه محفور بين رجليه، وقد ظهر هذا النوع الأخير من التماثيل بكثرة بعد ذلك في أثناء الدولة الحديثة.

ومن التماثيل التي يمكن مقارنتها بالتمثال موضوع الدراسة، والذي يشبهه إلى حدّ كبير، تمثال الملك «سنوسرت الثالث» من الأسرة الثانية عشرة؛ فهذا التمثال يمثل الملك جالسًا أيضًا وبجوار رجليه شكلان لامرأتين، كما أن يده اليسرى مفرودة على فخذه، أما اليمنى فإنها تقبض على ما يشبه المنديل، وفيما عدا ذلك فهو يشبه تمثالنا موضوع الدراسة إلى حدّ كبير.

وبالبحث وتعقب قصة تمثال «سنوسرت الثالث» ظهر أنه لم يعثر عليه في هيئته التي ظهرت في كتالوج هورنمان (Hornemann)[١٣]، ولكن قد جمع ورمّم من مجموعة قطع كثيرة وجدت معًا في الموقع نفسه.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم ترد أية إشارة إلى هذا التمثال لا عند فاندييه (Vandier) في كتابه (Manuel d'Archéologie)[١٤]، ولا في كتالوج المصريات[١٥] عند تحدثهما عن حياة الملك سنوسرت الثالث وآثاره، وقد وجد

---

(١٢) قارن: ; Borchardt, L. *Statuen und Statuetten von Koenigen und Privatleuten im Museum von Kairo Bd II:* p. 5-6, Pl. 61.; Weigall, *Ancient Egyptian Works of Art*, p. 116 (left); Helck, W., *op. cit., p. 61*, no. 90; Hornemann, I, Pl. 141; *PM V*, 46-47.

(١٣) Hornemann *V*, Nr. 1394.

(١٤) قارن: Vandier, J., *op. cit. III*, p. 220 ff.

(١٥) قارن: *LAE III*, 565; *V*, 903 ff.

بالبحث في الكتالوج الطبوغرافي للآثار المصرية[١٦] أن هناك ذكرًا لرأس الملك فقط، والمسجلة في الكتالوج العام بالمتحف المصري تحت رقم JE 66569. وبالرجوع إلى سجل الحفائر التي تمت في مدامود (Medamoud) وجد هذا الرأس تحت رقم: (2099)[١٧]. أما القطع الأخرى التي وجدت في مكان العثور، والتي تكمل التمثال، فإنها تحمل أرقامًا من 2100-2103[١٨]، ولم تنشر صور لها في هذا المؤلف[١٩].

وقد وجدت هذه القطع بجوار رأس التمثال، وبناء عن ذلك رمم بعضها مع البعض الآخر، وأصبحت تكون في مجموعها تمثال الملك «سنوسرت الثالث» (انظر الصورة رقم ١٣). ولا توجد نصوص على هذا التمثال سوى النص الذي يوجد على القطعة التي تحمل رقم 2100 في سجل الحفرية، ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٩ سم، وغالبًا ما يخص هذا النص الشكل الأنثوي الأيمن والذي يحمل رقم (2100)، وإن هذه المرأة ليست في الغالب إلا زوجة الملك «سنوسرت الثالث»، وتحمل الاسم (خنمت ـ نفر ـ حجت: Ḫnmt - nfr -ḥdt)، ويبلغ ارتفاع هذه القطعة حوالي ١١ سم؛ أما القطعة رقم (2102) فإنها تمثل الجزء الأسفل من المرأة التي على اليسار، وتمثل القطعة التي تحمل رقم (2103) جزءًا من قدمي الملك، ومن قدمي الأنثى إلى اليمـين، والأرجح أن قدمي الملك كانتا تطآن تسعة أقواس، وهو مما يتضح من المساحة الموجودة بين قدميه في هذه القطعة.

ويغلب على الظن أن المرمّمين لهذا التمثال قد استخدموا في ترميمهم نموذجًا آخر مشابهًا لهذه المجموعة، وهو تمثال مصنوع من الجرانيت الأسود، وقد عثر عليه أيضًا في (مدامود Medamoud)[٢٠]. ولقد ذكر هذا التمثال دون أن تنشر صورة له، ويمثـل الملك سنوسرت مع زوجته وأمه التي كانت تقف بجوار ساقه اليمني بارتفاع يصل إلى ٢٣ سم.

ولهذا يكون من المحتمل أن الشكل الأنثوي الأيسر (2102)، والمفقود منه جزء كبير من أعلاه في مجموعة التمثال المرمّم للملك سنوسرت الثالث، كان يمثل أمه أيضًا مقارنة بالتمثال الآخر له الذي عثر عليه في مدامود أيضًا. ولم تظهر لنا خلاف ذلك مجموعات لملوك أخر في تماثيل عائلية تظهر الملك مع زوجته وأمه أو أبنائه.

وبناء على هذا العرض السريع لهذه الأمثلة، فإن تمثال الملك سوبكحوتب السـابع، وتمثال الملك سنوسرت

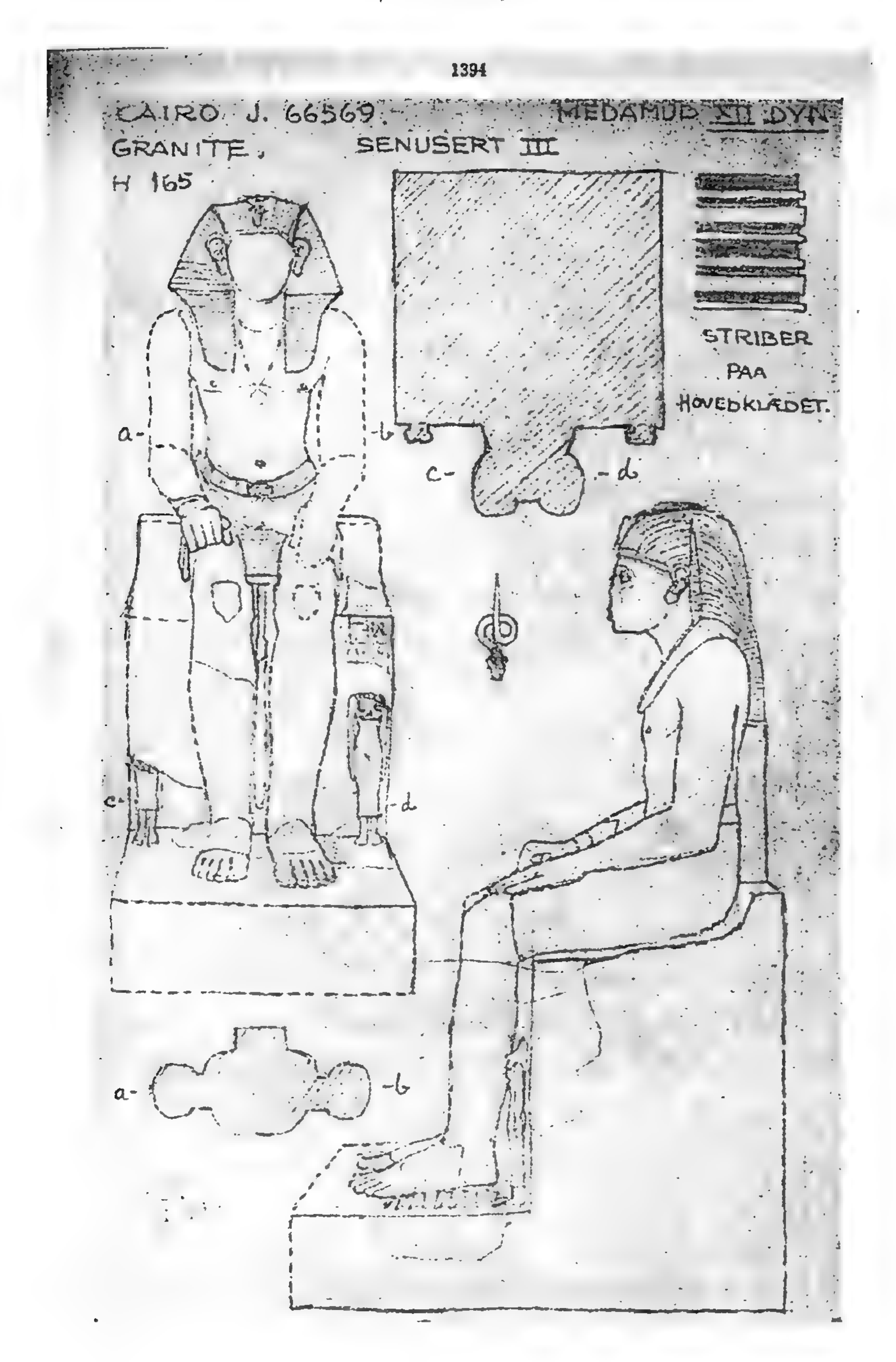
(١٦) انظر: *PM V*, p. 148.

(١٧) انظر: Bisson de la Roque, F., *Medamoud* 1925, p. 104, Pl. V.، «مدامـود» منطقة أثـرية تبعـد حوالي ٨ كم شمال الأقصر.

(١٨) انظر: *Medamoud, op. cit.*, p. 107.

(١٩) انظر المرجع السابق ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢٠) *Medamoud, op. cit.*, p. 39.، يحمل هذا التمثال رقم: (730) في سجل الحفرية.



(الصورة رقم ١٣): تمثال الملك «سنوسرت» الثالث.

الثالث من الأسرة الثانية عشرة، يعدان نموذجًا أولاً، ووضعًا جديدًا في صناعة التماثيل بالنسبة للملوك، لأنهما يمثلان الأنموذج أو النمط الأول، الذي أخذ عنه فيما بعد في تماثيل الملوك؛ إذ انتشر هذا الأسلوب كثيراً في الدولة الحديثة، بعد أن كان هذا النوع من التماثيل المجسمة الجالسة واليدان مفرودتان على الفخذين، مقصورًا على النبلاء والخاصة من الموظفين من بداية الدولة القديمة حتى قبيل نهاية الأسرة الثانية عشرة؛ أما بعد ذلك، ومن بداية ظهور تمثال الملك سوبكحوتب السابع، فقد أخذ مثل هذا النوع من التماثيل يتسع في الانتشار ويكثر في الدولة الحديثة بالنسبة للملوك، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر «تمثالي ممنون» للملك أمنحوتب الثالث في معبده بالبر الغربي من طيبة، كذلك مجموعة تماثيل الملك رمسيس الثاني في أبوسمبل؛ حيث يجلس وبجواره أبناؤه أو بناته من أمراء أو أميرات، أو زوجته، ويبلغ ارتفاع تماثيل هؤلاء إلى ركبتيه.

الوضع التاريخي للملك سوبكحوتب السابع:

لقد عرف اسم الملك سوبكحوتب السابع في «قائمة الكرنك» بالإسم الملكي (اسم الحكم): مري ـ كاو ـ رع تحت رقم (VI, 3)، وفي «بردية تورين» في العمود السابع تحت رقم ٨ (VII, 8)، وقد قدّرت فترة حكمه بسنتين[٢١]، ويغلب على الظن أن سوبكحوتب تولى الحكم بعد أن تقدم في العمر، وذلك لقصر فترة حكمه[٢٢].

وليس لدينا معلومات كافية عن حياة هذا الملك وأعماله؛ حيث لم نعثر له على آثار ذات شأن سوى تمثالين من نماذج التماثيل المجسمة الجالسة، وقد صنعا من حجر الجرانيت الوردي، وأحدهما هو موضوع البحث، أما الثاني فيوجد الآن في متحف اللوفر بباريس[٢٣]، ويبدو أنه كان يوجد على جانبي ساقي الملك المكسورتين تمثالان لطفليه السابق ذكرهما. (انظر الصورة رقم ١٤).

وفيما عدا ذلك فلم تقع بين أيدينا آثار أخرى يمكن أن تلقى مزيدًا من الضوء على حياة هذا الملك ونشاطه السياسي؛ فلم نعثر على جعلان تحمل اسمه كما حدث لباقي الملوك، ولا على أي شيء يدل على نشاطه العمراني والحربي. ومن الثابت تاريخيًا أن منطقة الدلتا في زمانه كانت واقعة تحت حكم الأسرة الرابعة عشرة، ومن الجائز أن سلطان هذا الملك كان مقصورًا على صعيد مصر فقط[٢٤].

(٢١) قارن: Beckerath, *J. von, Untersuchungen zur Politischen Geschichte der Zweiten Zwischenzeit in Aegypten,* Glueckstadt 1964, p. 27, 61, 70, 254 ff.; Spalinger, A.J., *LAE V, 1049; Davies, W.V., A royal statue reattributed, B.M. Occasional Paper No. 28,* London 1981, p. 21, Nos. 31-33.

(٢٢) انظر (ص ٩٥ ـ ٩٧)، والحواشي (٣٠ ـ ٣٣) من البحث.

(٢٣) يوجد هذا التمثال تحت رقم (A 121) بالمتحف، وبهذه المناسبة أشكر الزميل الأستاذ محمد إبراهيم، على تكرمه بإسارل صورة لهذا التمثال من باريس.

(٢٤) انظر: Beckerath, J. von, *op. cit.* p. 81ff.; Bietak, M., in: *FS-Helck, SAK 11.*, 1984, p. 59 ff.



(الصورة رقم ١٤): التمثال الثاني للملك «سوبكحوتب» السابع والموجود في متحف اللوفر بباريس.

وإذا كنا لم نعثر حتى الآن على آثار تثري معرفتنا بهذا الملك فإن «بردية تورين» قد أمدتنا بمعلومات يقينية عن اسم الملك ومدة حكمه، وإلى جانب ذلك حفظت لنا الترتيب التاريخي لملوك هذه الفترة ابتداء من «سوبكحوتب الرابع» حتى «سوبكحوتب السابع»[٢٥]، ولقد سلم جزء البردية الذي يتضمن هذه المعلومات من التلف الذي غطى أجزاء أخرى كثيرة.

وإذا اعتبرنا أن الملك «سوبكحوتب السابع» قد جاء إلى الحكم بعد ثلاث وأربعين سنة تقريبًا من فترة حكم الملك «سوبكحوتب الرابع»، وفقًا لما جاء في «بردية تورين»، فإن ذلك يعني أن فترة حكم الملك «سوبكحوتب السابع» قد بدأت حوالي عام ١٦٧٧ ق.م.، هذا إذا راعينا التسلسل الزمني التقليدي؛ أما إذا استخدمنا التسلسل الزمني القصير، فإن فترة حكم هذا الملك تقع في حوالي عام ١٦٥٧ ق.م.

وقد اختلفت آراء العلماء المحدثين في تقدير فترات حكم ملوك فترة الانتقال الثاني، وبخاصة فترة الأسرة الثالثة عشرة؛ فيرى وليام كلي سمبسون (William Kelly Simpson) وآخرون ضرورة تقليص فترة حكم الأسرة الثانية عشرة بحوالي ثلاثين سنة[٢٦]، بحيث تنتهي عام ١٧٥٥ ق.م. تقريبًا بدلاً من التاريخ المعترف به، حسب التاريخ الزمني التقليدي، وهو ١٧٨٥ ق.م.

وإذا قبلنا هذا الفرض فإننا لا نستطيع أن نصل إلى نهاية الأسرة الثالثة عشرة، إذ أن نهايتها ثابتة تقريبًا، وموثقة وفقًا لما جاء في (اللوحة القانونية Stele Juridique)[٢٧] التي تشير إلى ضرورة انقضاء ستين عامًا تقريبًا من

---

(٢٥) انظر: Beckerath, J. von, *op. cit.*, p. 43-58، بعد الترتيب الجديد «لبردية تورين» والذي قام به: J. Malek في *JEA*, 68, 1982, p. 93f.، في أعمدة مكونة من ١٦ سطرًا، وجب التنويه إلى أنه قد سقط عنده اسم ملكين بعد اسم الملك «سوبكحوتب» الرابع (قارن المرجع السابق ص ٩٨ وما بعدها، كذلك ص ١٠٢، شكل ٣)، وإن هذا الترتيب الجديد ليس في الواقع إلا ترتيب تنظيمي فقط، وليس من الضروري اتباعه، وانظر ما كتبه ردًا على ذلك: Barta, W. "*Bemerkunge zur Rekonstruktion der Vorlage des Turiner Koenigspapyrus*", in: *GM 64*, 1983, p. 11 ff.; Beckerath, J. in: *FS-Helck, SAK 11*, 1984, p. 50ff.

(٢٦) انظر: Simpson, W.K., in: *CdE 47*, 1972, p. 50-55، وانظر أيضًا ما كتبه سمبسون: Simpson, W.K., in: *LAE V, 899-907.*، حيث يقترح مثلاً مدة حكم للملك سنوسرت الثاني من ست إلى ثماني سنوات بدلاً من تسع عشرة سنة، وللملك سنوسرت الثالث فترة حكم تقدر بحوالي تسع عشرة سنة بدلاً من ست وثلاثين سنة. كذلك قارن ما كتب ردًا على سمبسون:

Helck, W., "*Schwachstellen der Chronologie-Diskussion*", in: *GM 67*, 1983, p. 43 ff.; Krauss, Rolf, *Korrekturen und Ergaenzungen zur Chrongologie des MR und NR, in: GM 70*, 1984, p. 37 ff.; Luft, U., in: *Bior 40*, 1983, p. 290 ff.

(٢٧) قارن: Lacau, Pierre, "*Une stèle juridique de Karnak*". *ASAE 13*, 1949; Helck, W., *Historische Texte der 2. Zwzt*, in: *KAET*, Wiesbaden 1975, p. 65-69; Beckerath, J. von, *op. cit.*, p. 181-183; Spalinger, A., in: *RdE 32*, 1980, p. 108-114.

حكم الملكَ (مرى ـ حتب ـ رعو ـ Mry – ḥtp – R^{c}w) «سوبكحوتب السادس» في الأسرة الثالثة عشرة حتى حكم الملك: نبو ـ ارى ـ راو «الأول» (Nbw - iry - r^{3}w I) في الأسرة السابعة عشرة؛ أي في حوالي: ١٦١٠ + ٦٠ = ١٦٧٠ ق.م. (٢٨)، وهذا هو التاريخ الزمني التقريبي الثابت.

وإذا استخدمنا التاريخ الزمني القصير أيضًا فإنه يقودنا إلى ضرورة إطالة الفترة بين نهاية الأسرة الثانية عشرة، ومجيء الملك نفرحوتب الأول (Nfr - Ḥtp I) (٢٩) من الأسرة الثانية عشرة ـ مدة تستغرق من عشرين إلى ثلاثين سنة، وهذا يبدو صعبًا جدًا.

وإذا كانت طريقة استخدام التاريخ الزمني القصير تناسب فترة حكم الأسرة الثانية عشرة، فإنها لا تناسب الأسرة الثالثة عشرة، لما يتصل بها من مشكلات حقيقية تتعلق بسني حكم ملوكها وما قررته بعض المصادر الأثرية الأخرى.

والواقع أنه ما زالت هناك مشكلات كثيرة تكتنف طرق التاريخ بصفة عامة بالنسبة لفترة الانتقال الثانية، ولـذلـك لم نصـل حتى الآن إلى تواريخ دقيقـة وثابتة تجاه هذه النقاط، ومن الممكن أن نُعدّ بداية حكم الملك «سوبكحوتب السابع» على أنها كانت حوالي ١٦٨٠ ق.م.، وبخاصة أن «بردية تورين» تجعل هذه البداية بعد إحدى عشرة سنة تقريبًا من بداية حكم الملك مريحوتب رعو (مرى ـ حتب ـ رعو Mry-ḥtp-R^{3}w). سوبكحوتب السادس(٢٩).

ومن المحتمل كذلك أن يكون الملك «سوبكحوتب السابع» أحد أبناء الملك سوبكحوتب الرابع(٣٠)، وإن كان من الصعب توثيق ذلـك، حيث يكـون من المحتمـل أن هذا الملك قد كان أحـد الأمـراء المعروفين باسم سوبكحـوتب(٣١)، ثم نصب ملكًـا بعـد ذلـك، فمن المعلوم لدينـا أن واحـدًا من الملوك الـذين يدعون باسم

---

(٢٨) انظر: Beckerath, J. von, *op. cit*, p. 182; Spalinger, A., *op. cit*, p. 116; Spalinger, in: *LAE V*, 1048 ff.

لابد أن نأخذ في الاعتبار زيادة أو نقص ١٠ سنوات (± ١٠)، لكل التواريخ الدقيقة التي ظهرت في هذه المراجع.

(٢٩) جاء هذا الملك حسب «بردية تورين» تحت رقم (VI 25) ، كما جاء ترتيبه الثاني والعشرين بين ملوك الأسرة الثالثة عشرة، وقد حكم لإحدى عشرة سنة، أي في حوالي ١٧٢٠ ق.م.

(٢٩) انظر: Beckerath, J. von, *2. Zwischenzeit*, p. 60, 252-3.; Helck, W., *op. cit.*, p. 65-69.

(٣٠) قارن: Fakhry, Ahmed, *Wadi el Hudi*, Nr. 23; Simpson, W.K., in: *MDAIK 25*, 1969, p. 154 ff.; Habachi, L., in: *FS-Dunham*, Boston 1981, p. 78.

والرأي القائل أن «سوبكحوتب الخامس» أيضًا هو أحد ابني سوبكحوتب الرابع غير مؤكد، ولا يخرج عن كونه تخمينًا أيضًا.

(٣١) قارن: Z^{3} - Nswt Sbk-ḥtpw iry n z^{3} - Nswt z^{3} - ḥwt - ḥrw. هذا النص موجود على أحد الأختام ومحفوظ الآن في موسكو تحت رقم (GMII 2400) قارن: Hodjash, *VDI*, 1973, p. 63 ff., Nr. 15. قارن أيضًا: Martin, G., Seals, Nr. 1432.

«سوبكحوتب» كان أحد أبناء «الأميرة» «زوجة الملك» و«أم الملك»[٣٢] التي تدعى نبو حتبتى (نبو ـ حتب ـ تي: Nbw-ḥtp.ty)[٣٣]، وإذا افترضنا أن هذه الملكة قد تكون أمًّا للملك «سوبك ـ حوتب» الأول أو للملك «سوبكحوتب، الخامس حتى الثامن» فإن علاقة القربى بين الملك «سوبكحوتب السابع»، والملكة نبو حتبتى، (نبو ـ حتب ـ تى: Nbw ḥtp.ty) ، التي يحتمل أن تكون أمه أو أخته أو زوجته، لا تخرج عن دائرة التخمين حتى تظهر مصادر ووثائق أخرى تقطع بيقين أحد هذه الاحتمالات لا سيما أننا لا ندري أكان «سوبكحوتب» السابع منتسبًا إلى عائلة ملكية أم لا .

الأميـــــران:

هناك مجموعة من أمراء الأسرة الثالثة عشرة حمل كل منهم اسم «سوبكحوتب»، كما توجد مجموعة أخرى من أمراء هذه الأسرة يحمل كل منهم اسم «ببي»؛ ومن ثم يمكننا أن نفترض أن يكون الأميران اللذان نحت تمثالاهما في كتلة التمثال نفسها موضوع البحث من هاتين المجموعتين[٣٤]، وأن يكون الأول الذي على يمين الرائي من المجموعة الأولى التي يحمل كل واحد من أمرائها اسم «سوبكحوتب»، وأن يكون الثاني من المجموعة الأخرى التي تسمى كل أمير من أمرائها باسم «ببي».

ويغلب على الظن أن الأمير «سوبكحوتب»، والذي يوجد على يمين الرائي في التمثال، هو الذي أصبح فيما بعد والدًا للأمير حروسخر (حرو ـ سخر : Ḥrw-sḫr)[٣٥]، صاحب اللوحة التي عثر عليها في إدفو، وتحمل الرقم: (Cairo - JE 46998) ، وزوجًا للسيدة: (رن؟) ـ سنب ـ: (Rn-?).snb ، وترجع اللوحة المذكورة إلى عهد الملك:

---

(٣٢) قارن «سكين السحر» في: Altenmueller, H., *Apotropaia p. 21*, f. وهذا السكين موجود في متحف بروكسل تحت رقم: (E6361):

(٣٣) انظر: Hayes, William, *The Scepter of Egypt I*, p. 343 f., fig. 226; Hornung/Staehelin, *Skarabaeen und andere Siegelamulette aus Basler Sammlungen*, Mainz 1976, Nr. 128; Beckerath, J. von, *op. cit.*, p. 58; Vercoutter, in: *RdE* 27, 1975, p. 233, not. 50; Hari, in: *Societe d'Egyptolgie, Geneve, Bulletin Nr. 4*, Nov. 1980, (FS-Vycichl), p. 45f.

وقد نشر الجعل المهم الذي يحمل اسم الملكة في: *PSBA 36*, 1914, Pl. XC.

إن فكرة كل من: (Vercoutter, Hornung/Staehelin, Hari) بأن الملكة: (Nbw ḥtp.ty) هي زوجة الملك (Hor) في بداية الأسرة الثالثة عشرة، تنطوي على تشابه في الأسماء فقط، وإذا صدقت هذه الفكرة فإننا نعتبر أن الملكة نبوحتبتي (Nbw ḥtp.ty) تكون ابنة الملك امنمحات الثالث (أو الرابع) في الأسرة الثانية عشرة، وأم الملك سوبكحوتب الأول. قارن: Spalinger, A., in: *LAE V, 1037*, Notes: 2, 3 and 1048.

(٣٤) مثلاً: «سوبكحوتب» الرابع كأمير: قارن: Habachi, L. in: *Fs - Dunham*, p. 78, N4 + 5. ، أيضًا أبناء الملك سوبكحوتب الرابع، كذلك ابن الأمير ساحتحور (Sahathor).

(٣٥) انظر: Schmitz, B., *Koenigssohn*, p. 228; El-Sayed, Ramadan, in: *BIFAO 79*, 1979, p. 188, Pl. 10/11.

سوف نتعرض لهذه الألقاب في بحث منفصل إن شاء الله، للرجوع إلى هذا اللقب انظر: Helck, W., Beamtentitel, pp. 23, 73, 83.

وللقراءة الجديدة لهذا اللقب (z3b - R3 - Nḫn) قارن: Franke, Detlef, in: SAK, Bd. 11, 1984, p. 209ff.

ددو - موسى (Ddw - Msy) (الثاني؟)؛ أي حوالي عام ١٦٦٠ ق.م.، والذي يظن أنه خامس ملك حكم بعد «سوبك - حوتب» السابع صاحب التمثال، غير أن هذا الظن لا يمكن إثبات صحته الآن بدليل حاسم، إذ يبدو ذلك مستحيلاً لأسباب تتعلق بالفترات الزمنية الخاصة بتأريخ فترة الانتقال الثاني.

(أ) النص الأيسر الخاص بالأمير «ببي»

(ب) النص الأيمن الخاص بالأمير «سوبكحوتب»

(شكل رقم ٢، كذلك انظر الصورتين رقمي ١٥، ١٦)

(أ)* S^3 - Njswt z^{3}b - jrt - Nḫn Bebj (ᶜnḫ wḏ^3 snb)

سا - نسو ساب اري - نخن ببي عنخ، ودجا، سنب

الأمير (حرفيا: ابن الملك)، ببى، حاكم وسيد هيراكونبوليس (عاش، سلِمَ، صحَّ).

(ب)* S^3 - Njswt z^{3}b - jry - Nḫn Sbk - ḥtp (ᶜnḫ wḏ^3 snb)

سا - نسو ساب اري - نخن سبك - حتب عنخ، ودجا، سنب

الأمير (حرفيا: ابن الملك)، سوبكحوتب، حاكم وسيد هيراكونبوليس (عاش، سلِمَ، صحَّ).

(*) انظر الصورة رقم٢، كذلك النص الخاص بهما في شكل رقم ٢ أيضًا.

تمثال الملك مرى ـ كاو ـ رع (سوبكحوتب) السابع وهو جالس



(الصورة رقم ١٥): النص الخاص بالأمير «ببي».



(الصورة رقم ١٦): النص الخاص بالأمير «سوبكحوتب».

ويجوز أيضًا أن يكون «سوبكحوتب» صاحب التمثال موضوع الدراسة هو «سوبكحوتب» الذي وجد اسمه على خاتم أحد أتباعه (Šmśjw.)، ويدعى نفرنا آى (نفر ـ ن(١) ـ اى: Nfr - n (3) - ii) (٣٦) أحد الأشخاص الذين نسبوا إلى الأسرة الثالثة عشرة.

كما يجوز أيضًا أن يكون الأمير سوبكحوتب الذي على التمثال موضوع الدراسة هو سبك ـ حتب عنخ، ودجا، سنب (سوبكحوتب عاش، سلم، صح (Sbk - htp, ʿnh-wdȝ Snb) المذكور على الأختام التي كان قد عثر عليها جيفري مارتن (Geoffrey Martin) (٣٧)؛ وتحمل الأرقام ١٤٢٨ ـ ١٤٣١، وجميع هذه الأختام تنسب إلى الأسرة الثالثة عشرة(٣٨). أما اعتبار الأمير «سوبكحوتب» الذي ورد هنا، وهو ابن الملك سوبكحوتب السابع، أحد الأمراء الذين ظهروا على هذه الأختام، فإن ذلك يبقى مجرد افتراض؛ لأن هذه الأختام جميعها لا تحمل أية معلومات سوى ذكر اسم صاحبها فقط.

وأما الأمير «ببي» الموجود على يسار الرائي في التمثال موضوع البحث فلا يمكن الخلط بينه وبين كثير من مجموعة الأمراء الذين سمي كل منهم باسم «ببي» وينتسبون إلى الأسرة الثالثة عشرة؛ ذلك أن هذا الأمير الذي نحت في التمثال موضوع الدراسة قد لقب بلقب: (ساب ارى ـ نخن Zȝb Irj Nhn) حاكم ومتحدث هيراكونبوليس)(٣٩)، وهو لقب لم يُلقَّب به كثير من الأمراء الذين يطلق عليهم «ببي» والذين ينتسبون إلى الأسرة الثالثة عشرة.

ولكن لا يمكن الخلط بين الأمير «ببي» الموجود على التمثال وبين أميرين آخرين يحملان الاسم نفسه؛ إذ أن أحدهما كانت أمه إحدى محظيات القصر(٤٠)، والآخر ظهر في زمن متأخر عنه؛ ذلك لأن اسمه ظهر في مقبرة سوبكنخت (سبك ـ نخت) بالكاب (رقم ١٠)، وهي فترة زمنية تختلف عن الفترة التي عاش فيها الأمير «ببي» ابن

---

(٣٦) قارن: Martin, G., *Administrative and private name Seals,* Oxford 1971, Nr. 1427.

(٣٧) قارن: Martin, G., *op. cit,* 1971.

(٣٨) مما تجدر ملاحظته أن الخاتم رقم: (١٤٣٠) قد عثر عليه في منطقة «اللشت» وهذا دليل على أن مركز حكم هذه الفترة كان ولم يزل في: (اتش ـ تاوى ـ It - tȝwj).

(٣٩) انظر: Erman - Grapow, *WBIII,* p. 421.
«هيراكونبوليس»، «الكوم الأحمر» في الإقليم الثالث بصعيد مصر، وتقع على الضفة الغربية للنيل، وكان المعبود الرئيسي فيها هو «حوروس»، وقد لعبت دورًا كبيرًا في الديانة المصرية القديمة.

(٤٠) اسم ببي، ابن خكرو ـ نسوت ايوري ـ (Hkrw - Njswt jwrry) موجود على اللوحة الموجودة في درم: *Stele Durham, N. 1974.*
Martin, Karl, *Ein Garantsymbol des Lebens, HAEB 3,* Hildesheim 1977, p. 90ff, 240; Méulenaere H., in: *CdE 52,* 1977, p. 81; Vernus, Pascal, in: *RdE 26,* 1974. p. 114, N. 3.

الملك «سوبكحوتب» السابع[٤١].

ويوجد هناك لوحتان يمكن أن تلقي كل واحدة منها ضوءًا على شخصية الأمير ببي الموجود اسمه على التمثال موضوع الدراسة؛ إحداهما تحمل رقم (Stele CGC 20578) موجودة بالمتحف المصري وعثر عليها في منطقة أبيدوس، وقد تبرع بها شخص يدعى حريبر (حري - بر: Hry-pr) وجاء بها:
سا - نسو مع ببي مع - خرو: S^3 - Nswt m^{3c} Bbj m^{3c} - ḫrw
«ابن الملك الحق، ببي، المغفور له».

وإذا قارنا بين «مخصص المعنى» (Determinative) الموجود بعد اسم ببي على هذه اللوحة، و«مخصص المعنى» الآخر الموجود على التمثال نجد تشابهًا كبيرًا بينهما؛ هذا إلى جانب التعبير «ابن الملك الحق» على لوحة القاهرة، مما يعني أنه من سلالة ملكية. إن كل ذلك يعطينا مغزى ومضمونًا آخرين؛ وهو أن الأمير «ببي» الذي أطلق عليه هذا اللقب أصبح ذا وضع عالٍ يختلف عن بقية الأمراء الآخرين الذين يحملون الاسم نفسه، مما يرجّح أن الأمير «ببي» المذكور في هذه اللوحة هو الأمير «ببي» ابن الملك «سوبكحوتب» السابع.

أما اللوحة الثانية فهي موجودة الآن في متحف بولونيا بإيطاليا وتحمل رقم: (Stele Bologna 1927)[٤٢]، وكان قد عثر عليها في أبيدوس، وكان صاحبها يدعى بتاحعا: (بتح - عا: Ptḥ - c^3)، وقد قدمها أيضًا قربانًا لروح الأمير «ببي» وجاء فيها:
سا - نسو - سمسو ببي وحم - عنخ - S^3 - Nsw - śmśw Bbj wḥm ^{c}nḫ
الأمير (حرفيا: ابن الملك) «ببي» الابن الأكبر (للملك) المتجدد[٤٣].

وإذا تأملنا هذه اللوحة وجدنا أن هناك تشابهًا كبيرًا بين «مخصص المعنى» عليها و«مخصص المعنى» الموجود تحت صورة الأمير «ببي» موضوع الدراسة، كذلك توجد عليها عبارة شاعت في تلك الفترة وهي العبارة التي تصف المتبرع باللوحة نفسه بأنه «ابن للأمير ببي» ( )، وهي: (خرد. ف حري - بر: Hrd.f Ḥrj - pr) ومعناها

(٤١) قارن: Tylor, Joseph, *Wall Drawing and Monuments of El-Kab, The tomb of Sebknekht*, Pl. IV; بالنسبة لمشكلات التأريخ بالنسبة لهذه الفترة الزمنية قارن: Spalinger, A., in: *RdE 32*, 1980. p. 108, N. 45; Vernus, Pascal, in: *RdE 34*, 1982/83, p. 117, N. 16.

(٤٢) انظر: Curto, Silvio, *L'Egitto antico nelle collezioni dell' Italia settentrionale. Catalogo a cura di Silvio Curto. Mostra indetta dal commune di Bologna*, Bologna 1961, Nr. 20, Pl. 17; Sée, G., *Naissance de L'Urbanisme dans la Vallée du Nil*, Ivry 1973, p. 214.

(٤٣) كان هذا الوصف يعني عند قدماء المصريين، من الناحية الدينية، الاستمرارية والحياة الأبدية.

«ابنه المشرف على القصر»، وهذا تعبير ظهر كثيراً على لوحات هذه الفترة[٤٤]. وإذا صحّ ذلك جاز لنا أن نعدّ الأمير من الأمراء الذين كانوا محلاً لحب أتباعهم واحترامهم[٤٥].

وإذا ثبت أن هاتين اللوحتين تتعلقان بالأمير «ببي»، ابن الملك «سوبكحوتب» السابع، فإن ذلك يدلنا على أن هذا الأمير كان ذا منصب إداري كبير طبقًا لما جاء في نص اللوحتين.

ومن المعلوم أن أيًا من هذين الأميرين المنحوتين على قاعدة التمثال موضوع الدراسة لم يرق العرش، لأن الهكسوس احتلوا شمال مصر في ذلك الوقت، ولم يرد ذكر لإسميهما في قوائم أسماء الملوك بعد ذلك.

معاني الاختصارات للمصادر والدوريات التي وردت بالبحث

AEF	=	Aegyptologische Forschungen, Glückstadt - Hamburg - New York.
ASAE	=	Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, Cairo.
BIFAO	=	Bulletin de l'Institut Francais d'Archéologie Orientale, Cairo.
BiOr	=	Bibliotheca Orientalis, Leiden.
CdE	=	Chronique d'Egypt, Brussel.
EEF	=	Dgypt Exploration Fund, London.
AIFAO	=	Fouilles de l'Institut Francais d'Archéologie Orientale du Caire, Cairo.
Fouilles Saqq.	=	Fouilles Saqqarah, Cairo, Service des Antiquités de l'Egypte.
GM	=	Goettinger Miszellen, Goettingen.
JEA	=	Journal of Egyptian Archaeology, London.
KAET	=	Kleine Aegyptische Texte, Wiesbaden.
LAE	=	Lexikon der Aegyptologie, Wiesbaden.
MAES	=	Muenchner Aegyptologische Studien, Berlin.
MDAIK	=	Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts Cairo, bis 1944; Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts fuer Aegyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin, Wiesbaden; ab 1970: Mainz.
PSBA	=	Procedding of the Society of Biblical Archaeology, London.
RdE	=	Revue d'Egyptologie, Cairo-Paris.
SAK	=	Studien zur Altaegyptischen Kultur, Hamburg.
SASAE	=	Suppléments aux Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, Cahier, Cairo.
UGAAE	=	Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens, Leipzig-Berlin; 1964: Nachdr. Hildesheim.

---

(٤٤) انظر: Franke, D., *Verwandtschaftsbeziehungen*, Hamburg 1983, p. 304 ff.: Berlev, Olg p., Trudovoe, p. 32, 39, 43, ff.

(٤٥) نرى الولاء والإخلاص اللذين كان يتمتع بهما الأمير «ببي» من قبل خادمه بتاحعا (بتح - عا - Ptḥ - ꜥ³)، والذي غالبًا ما نشأ وترعرع في بيت سيده، واضحًا فيما ذكره الخادم على اللوحة (CGC 20578) التي كان قد تبرع بها لسيده حيث يقول:
«كما يعمل أي خادم (ḥm)، يحب سيده».
«(و) الذي يشاد به من خلال حبه لروحه (كا: K³)».
«(و) الذي يفعل ما يؤمر به على الأرض»؛ انظر وصفًا مشابهًا لذلك على اللوحة رقم: (CGC 20463).

المصادر والمراجع

Altenmueller, H.,
1975 Apotropaikon, in: LAe I, Wiesbaden.

Barta, W.,
1963
Die altaegyptische Opferliste, MAES 3, Muenchen.

Barta, W.,
1963 Aufbau und Bedeutung der aegyptischen Opfer-formel, AEF 24, Glueckstadt - Hamburg - New York

Barta, W.,
1983 Bemerkungen zur Rekonstruktion der Vorlage des Turiner Koenigspapyrus, in: GM 64, Goettingen.

Berlev, O.,
1972 Trudovoe naselenie Egipta v epochu svednego earstvu (Die werktaetige Bevoelkerung Aegyptens zur Zeit des Mittleren Reiches), Moskva.

Beckerath, J. von,
1964 Untersuchungen zur Politischen Geschichte der Zweiten Zwischenzeit in Aegypten AEF 23, Glueckstadt.

Beckerath, J. von,
1984 in: FS-Helck, Studien zur Altaegyptischen Kultur, Hamburg.

Bisson de la Roque, F.,
1925 Les Fouilles de Medamoud, Le Caire.

Borchardt, L.,
1911-36 Statuen und Statuetten von Koenigen und Privat-leuten im Museum von Kairo, Bd. 1-5, Berlin.

Curto, Silvio,
1961 L'Egitto antico nelle collezioni dell' Italia settentrionale. Catalogo a cura di Silvio Curto, Mostra indetta dal commune di Bologna, Bologna.

Davies, W. V.,
1981 A royal status reattributed. Occasional Paper No. 28, British Museum, London.

El-Sayed, R.
1979 Stéles de Particulier Relatives au Culte Rendu aux Statues Royales de la XVIII a la XX Dynastie, BIFAO 79, Cairo.

Evers, H. G.,
1929 Staat aus dem Stein, 2 Bde, Muenchen.

Fakhry, A.,
1952 Wadi el-Hudi. The Inscriptions of the Amethyst Quarries at Wadiu el-Hudi, Cairo.

Franke, D.,
1983 Altaegyptische Verwandschaftsbeziehungen im Mittleren Reich, Hamburg.

Frank, D.,
1984 Ursprung und Bedeutung der Titelsequenz z³b R³-Nḫn, in: SAK 11, Hamburg.

Habachi, L.,
1981 New Light on the Neferhotep I. Family, as Revealed by Their Inscriptions in the Cataract Area. In: FS-Dunham, Boston.

Hari, R.,
1980 Une Reine Enigmatique: Nebau-Hotepti, in: FS-Vycichl, Societé d'Egyptologie, Bulletin Nr. 4, Geneve.

Hayes, W.,
1978 The Scepter of Egypt, the Metropolitan Museum of Art, New York.

Helck, W.,
1954 Untersuchungen zu den Beamtentiteln, AEF 18, Glueckstadt - Hamurg - New York.

Helck, W.,
1956 Untersuchungen zu Manetho und den aegyptischen Koenigslisten, IGAAE, Leipzig - Berlin.

Helck, W.,
1975 Hfistorische Texte der 2. Zwischenzeit, in: KAET, Wiesbaden.

Helck, W.,
1983 Schwachstellen der Chronologie - Diskussion; in: GM 67, Goettingen.

Hornemann, B.,
1951-69 Types of Ancient Egyptian Statuary, 7, Bde, Kopenhagen.

Hornung, E. / Staehelin, E.,
1976 Skarabaeen und andere Siegelamulette aus Basler Sammlungen, Mainz.

Jéquier, G.,
1933 Deux Pyramides du Moyen Empire, Fouilles Saqq., Paris.

Krauss, R.,
1984 Korrekturen und Ergaenzungen zur Chronologie des MR und NR, in: GM 70, Goettingen.

Lacau, P.,
1949 "Une stèle juridique de Karnak", in: ASAE 13, Imprimerie de L'Institut Francais D'Archéologie Orientale, Le Caire.

Luft, U.,
1983 Das Archiv von Ilahun und Sesostris III., in: Bior 40, Leiden.

Malek, J.,
1982 The Original Version of the Royal Canon of Turin, in: JEA 68, London.

Martin, G.,
1971 Egyptian Administrative and Private - Name Seals, Oxford.

Martin, K.,
1977 Ein Garantsymbol des Lebens, HAEB 3, Hildesheim.

Meulenaere, H.,
1977 Derechef Arensouphis, in: CdE 52, Brussel.

Petrie, W. M. F.,
1888 Tanis, Vol. I., Egypt Exploration Fund, London.

Sée, G.,
1973 Naissance de L'Urbanisme dans la Vallée du Nil, Ivry.

Simpson, W. K.,
1969 The Dynasty XIII Stele from the Wadi Hammamat, in: MDAIK 25, Berlin - Wiesbaden.

Simposon, W. K.,
1972 A Tomb Chapel RElief of the Reign of Amunemhet III and some Observation on the Length of the Reign of Sesostris III, in; CdE 47, Brussel.

Simposon, W. K.,
1984 In: LAE V, 899-907.

Schmitz, B.,
1976 Untersuchungen zum Titel s^{3}-Njśwt "Koenigssohn", Bonn.

Spalinger, A.,
1980 Remarks on the Family of Queen Ḫ^{c}.s-nbw and the Problem of Kingship in Dynasty XIII, in: RdE 32, Paris.

Spalinger, A.,
1984 In: LAE V, 1037, Notes 2, 3 and 1048, 1049, Wiesbaden.

Vandier, J.,
1958 Manuel d'Archéologie Egyptienne, Vol. III, Paris.

Vercoutter, J.,
1975 Le Roi Ougaf et La XIII^e Dynastie sur la II^me Cataracte, in: RdE 27, Paris.

Vernus, P.,
1974 Une Formule des Shaouabtis sur un Pseudo-Naos de la XIII Dynastie, in: RdE 26, Cairo-Paris.

Weigall, A. E. P.,
1924 Ancient Egyptian Works of Art, London.

أسطورة سيبَّار والطوفان

الدكتور خالد الناشف

تعتبر قصة الطوفان المذكورة في ملحمة جلجامش من أبرز معالم هذا العمل الأدبي الذي أصبح اليوم جزءًا أساسيًّا من الثقافة العامة[1]؛ إذ تشكل هذه الرواية القسم الأكبر من اللوح الحادي عشر للملحمة؛ أي اللوح الأخير منها[2]. ففي نهاية بحثه عن الخلود يلتقي جلجامش بأوتنا بيشتيم[3] ليسرد هذا عليه حادثة الطوفان التي كان هو بطلها، وكيف أن المعبودات قد وهبته الحياة الأزلية عقب ذلك؛ وعلى الرغم من أن ملحمة جلجامش بمواضيعها المتنوعة كصراع الإنسان مع الموت من نتاج الفكر الأكادي. إلا أن العناصر المنفردة لحبكتها تعود إلى أصول سومرية[4]. وينطبق هذا بشكل خاصّ على قصة الطوفان التي توجد بشكل مستقل في التراث الأدبي السومري[5]. وما زالت ملحمة جلجامش بحاجة إلى دراسة نقدية شاملة لتحديد أصولها المتعددة، والتي تم استخدامها وتطويرها حتى استقرت على الشكل الذي انتهت به إلينا من العصر البابلي القديم (في النصف الأول من الألف الثاني ق.م.) أو من العصر الآشوري الحديث، (في النصف الأول من الألف الأول ق.م.). ومما تجدر الإشارة إليه هو أن اللوح الحادي عشر لا يوجد إلا في النسخة المتأخرة من الملحمة.

إن هذا الوضع العام للملحمة قد أصبح معروفًا حتى خارج نطاق الدراسات الأكادية والسومرية. إلا أن الذي ما زال محصورًا بشكل عام ضمن اختصاصي في هذا الحقل هو أننا لو أخذنا قصة الطوفان على حدة لوجدنا

---

(١) توجد لهذه الملحمة ترجمات متعددة بالعربية. انظر الترجمات التي ذكرها فراس السواح، *كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش* (نيقوسيا: سومر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص ٥٨. وقد اعتمدت هنا على ترجمة طه باقر، *ملحمة كَلكَامش* (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥م). وحتى لا أثقل على القارىء بإضافة كلمات وأسماء بأحرف لاتينية في صلب النص العربي، رأيت أن أجمع هذه الكلمات والأسماء على شكل قائمة موجودة في نهاية البحث. أما بالنسبة لمؤلفي المراجع غير العربية فيجدها القارىء مع بيانات النشر بالأحرف اللاتينية في قائمة المراجع.

(٢) أُضيف اللوح الثاني عشر بشكل مصطنع إلى الملحمة، وهو لا يشكل جزءًا من المادة الرئيسية بها، انظر: باقر، ص ١٥٥.

(٣) اسم بطل الطوفان في ملحمة جلجامش ويقابل زيئوسودرا في أسطورة الطوفان السومرية.

(٤) باقر، ص ص ٣٥ - ٣٦.

(٥) انظر ترجمة النص عند فاضل عبدالواحد علي، *الطوفان في المراجع المسمارية* (بغداد: رئاسة جامعة بغداد، ١٩٧٥م)، ص ص ١١٩ - ١٢٢ وقائمة المراجع عند المؤلف ذاته ص ١١٧ بالنسبة للنص رقم (١). وآخر نشرة علمية لهذا النص هي نشرة سيفيل.

أنها قد استمدت بشكل مباشر من أسطورة أكادية أطلق العلماء عليها اسم «أترم ـ خسيس»[٦]، والتي تم تأليفها في العصر البابلي القديم في ثلاثة ألواح معدل أسطر اللوح الواحد منها ٤٠٠ سطر[٧]. وتتميز هذه الأسطورة بأن الطوفان هو الموضوع الرئيسي لها، واكتفي هنا بالتنويه إلى أن كاتب اللوح الحادي عشر قبل أن يدخل في تفاصيل حادثة الطوفان يبدأ بمقطع مأخوذ من مطلع أسطورة أترم ـ خسيس[٨] لينتقل إلى لبّ الموضوع، أي قصّة الطوفان مباشرة، تاركًا معظم مادة اللوحين الأول والثاني كلية؛ كما أن اسم البطل الأكادي الفعلي لحادثة الطوفان، أي أترم ـ خسيس، يرد مرة وبشكل غير متوقع في اللوح الحادي عشر[٩]. وربما كان عدم إعطاء أسطورة أترم ـ خسيس ما تستحقه من اهتمام مرده إلى أن قصة الطوفان في هذه الأسطورة والموجودة في اللوح الثالث ما زالت ناقصة؛ ومما يؤكد على أن الطوفان هو موضوع الأسطورة خاتمتها التي تقول: «أنشدت نشيد الطوفان لكل الناس! فاسمعوا!»[١٠].

ولن أتطرق هنا إلى قصة الطوفان كما وردت في كل من ملحمة جلجامش وأسطورة أترم ـ خسيس، وإنما أرغب في التعليق على مقطع جاء في مصدر يوناني متأخر لرواية الطوفان فيه ذكر لمدينة سيبار، ولابد لي قبل ذلك من تقديم عرض سريع لأسطورة «أترم ـ خسيس» وللحوادث التي أدت إلى وقوع الطوفان، والتي تتلخص في أن مجموعة من المعبودات بقيادة المعبود انليل قد أجبرت في زمان قديم بقية المعبودات على العمل عندها، ونتيجة لذلك ثارت المعبودات على انليل، وبعدما تفاقم الوضع الذي لم يجد انليل له مخرجًا قرر انليل والمعبودات المتعاضدون معه، بعد

(٦) اسم الأسطورة حسب أول سطر منها هو: «عندما كانت الآلهة بشرًا»، وقد قام بإعداد النشرة الأساسية للنص الباحثان لامبرت وميلارد.

(٧) انظر باقر، ص ص ١٧ ـ ١٨ حيث لا يشير إلى أي علاقة بين أسطورة أترم ـ خسيس وملحمة جلجامش مكتفيًا بالقول: «وبالإضافة إلى أن خبر الطوفان يكون جزءًا مهمًا من ملحمة جلجامش كما سيمر بنا، إلا أنه جاءت إلينا قصص قصيرة ومطولة عن خبر الطوفان أشهرها الملحمة البابلية المعروفة باسم بطل القصة (اتراخسيس)».

(٨) باقر، ص ١٣٣ (ملحمة جلجامش):

«وتشاوروا فيما بينهم وكان معهم أبوهم آنو
وانليل، البطل، مستشارهم
ونتورتا، مساعدهم، ووزيرهم
وانوكي، حاجبهم ورسولهم»

علي، ص ١٢٣، الأسطر ٧ ـ ١٠ (أسطورة أترم ـ خسيس):

«كان أبوهم آنو هو الملك
وكان مشيرهم المحارب انليل
وكان حاجبهم ننورتا
وعمدتهم انونكى (أي: انوجي)»

المقصود هنا المعبودات الكبرى ومناصبها الإدارية بالنسبة للمعبودات الأخرى التي كانت تعمل عندها.

(٩) باقر، ص ١٤٤، السطر الأخير وحاشية رقم ١٧٠.

(١٠) لامبرت وميلارد، ص ١٠٤، سطر ١٨.

الاستماع إلى نصيحة المعبود أيا، معبود الحكمة، أن يُخلق مخلوق يقوم بالعمل عوضًا عن المعبودات، وهكذا خلق الإنسان. إلا أن أعداد البشر أخذت تزداد محدثة من جراء عملها ضجيجًا منع المعبودات من النوم؛ ولهذا قررت المعبودات عقاب البشر فانزلت بهم الطاعون ثم القحط، وأخيرًا الطوفان؛ وكانت هذه التدابير تفشل كل مرة، وذلك بعد تدخل أيا إلى جانب الإنسان. فهو المعبود الذي أوعز في النهاية إلى أترم ـ خسيس ببناء سفينة لإنقاذ البشرية من كارثة الطوفان.

إنّ مؤلف النسخة الأساسية من أسطورة أترم ـ خسيس هو الكاتب كو ـ أيا الذي أفادنا أيضًا بتاريخ انتهائه من كتابة اللوح الأول؛ أي في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان السنة الثانية عشرة من حكم الملك البابلي أمّي ـ صدوقا؛ أي عام ١٦٣٥ ق.م.[١١] ونعرف بالاستناد إلى ملاحظات مختلفة أن مصدر الرقم الثلاثة هو مدينة سيبار، أي تل أبوحبّة الواقع على بعد حوالي ٣٢ كم جنوب غرب مدينة بغداد[١٢]. وما زال تاريخ هذه المدينة غامضًا، وذلك لأن العدد الضخم من الرُقم التي عثر عليها في الموقع ما زال ينتظر تقويم العلماء[١٣]، ونأمل أن تتضح الخطوط العريضة لتاريخ المدينة بعد تقويم شامل للحفريات الجارية في المدينة من قبل جامعة بغداد.

إن ما يهمنا هو تلك الإشارة إلى سيبار التي وردت في رواية الطوفان كما سجلها باليونانية البابلي بيروسوس في كتابه المعروف باسم «البابليات»، ولابد لي من التعريف بهذا المؤلف الذي تفتقر المكتبة العربية إلى دراسة وافية حوله[١٤]. لقد كان بيروسوس بابليًا (أو كلدانيًا) بالولادة، كما يدل على ذلك اسمه الذي يبدو وكأنه يوناني، إلا أنه يوجد ما يقابله بالأكادية[١٥]، وقد عاصر الاسكندر الكبير كما يقول بنفسه في مقدمة كتابه، وانتهى من تأليف الكتاب في عام ٢٨١ ق.م.، أي في السنة التي اعتلى فيها انطيوخوس الأول العرش، مقدمًا كتابه لهذا الأخير، ولا نعرف «البابليات» إلا من مصادر متأخرة لم ترجع إلى الكتاب مباشرة، وإنما إلى المؤرخ كورنيليوس الكسندر بوليهيستور من القرن الأول ب.م. الذي قام بجمع بعض المقتطفات من كتاب «البابليات»، ومصدرنا الأساسي لكتاب «البابليات» هو المؤلف البيزنطي جورج سينكيلوس الذي عاش في القرن التاسع ب.م. هذا بالإضافة إلى ترجمة أرمنية للمادة ذاتها، ويبدو أن الغرض من «البابليات» كان التعريف بالحضارة البابلية، وبشكل ثانوي بالتاريخ البابلي[١٦].

---

(١١) لامبرت وميلارد، ص ٣٢.

(١٢) لامبرت وميلارد، ص ٣٣، وحول الحفريات القديمة والجديدة في سيبار انظر: وليد الجادر وزهير رجب عبدالله، *النتائج الأولية لتنقيبات جامعة بغداد كلية الآداب ـ قسم الآثار في موقع سبار (أبو حبة) (المواسم ١٩٧٨ ـ ١٩٨٣م)*: سومر مجلد ٣٩، ١٩٨٣م، ص ص ٩٧ ـ ١٢٢.

(١٣) نذكر في هذا الشأن دراسة الباحثة هاريس، إلا أن هذا البحث اجتماعي المنحى ومقتصر على العصر البابلي القديم.

(١٤) اعتمدت هنا على بورستين الذي قدم آخر ترجمة ودراسة «للبابليات».

(١٥) كومورونـي، ص ١٢٥ الذي يقترح أن الصيغة الأكادية هي «بيل ـ ريئوسو» أي ما معناه «بيل هو راعيه».

(١٦) هذا رأي بورستين، ص ٧.

وفيما يلي ترجمة قصة الطوفان بالاعتماد على الترجمة الألمانية للنص الأرمني، وذلك لأن هذا النص يذكر تفصيلات غير موجودة في نظيره اليوناني[١٧]:

«لقد أوحى كرون[١٨] له (أي لاكسيسوتروس[١٩]) خلال النوم أن طوفانًا سوف يُفني البشر في الخامس عشر من شهر ديسيوس[٢٠]، وأمره أن يقوم بدفن المدونات[٢١] الأولى والوسطى والأخيرة ووضعها في مدينة الشمس للسيباريين[٢٢]. كما أمره أن يبني سفينة ويدخل فيها مع جماعته وأصحابه المقربين إليه، وأن يخزن فيها الطعام والشراب، وأن يسوق إلى داخلها أيضًا الحيوانات البرية والطيور والدواب، وأن يكون هو ومن معه ما يلزمه متأهبًا للإبحار. فسأله مستفسرًا عن الجهة التي سيبحر إليها، فأجيب عن ذلك كما يلي: إلى المعبودات حتى تقدم لها الأدعية، فتنقذ البشر. فانكب على بناء السفينة التي كان طولها خمسة وعرضها اثنين من الستادات[٢٣]، وبعد إنجاز العمل وتحضير كل شيء قاد إلى داخل السفينة، كما أُمِر به، امرأته وأطفاله وأصحابه العزيزين عليه، وبعد وقوع الطوفان وانحساره بسرعة أطلق اكسيسوتروس بعض الطيور، غير أنها لم تجد مأكلاً ولا موضعًا ولا مكانًا تحطّ عليه، فأدخلها إلى السفينة بعد رجوعها. وبعد أيام قلائل أطلق طيورًا أخرى، إلا أن هذه أيضًا عادت ومخالبها مملوءة بالطين، فأطلق غيرها للمرة الثالثة فلم تعد هذه إلى السفينة فأدرك اكسيسوتروس أن الأرض قد انكشفت وأصبحت ظاهرة للعيان، فخلع لوحًا خشبيًا من سقف السفينة ورأى أنها قد رست مستندة على جبل. فخرج من السفينة وبصحبته امرأته وإحدى بناته وبرفقته باني (؟) السفينة، وقدّم الأدعية على اليابسة، وأقام مذبحًا وضحّى للمعبودات. ومنذ ذلك الحين اختفى عن الأنظار هو ومن خرج معه من السفينة، أما أولئك الذين مكثوا في السفينة ولم يغادروها مع جماعة اكسيسوتروس فإنهم لدى خروجهم بحثوا عنه صائحين هنا وهناك باسمه، إلا أنه لم يظهر لهم منذ ذلك الوقت، غير أن صدى صوت قادم من الأجواء أمرهم بتمجيد المعبودات، وأنه هو نفسه قد رحل إلى مسكن المعبودات لتمجيده إياهم، وأن حرمه وابنته وباني السفينة قد أنعم عليهم ذات النعمة. ونبه عليهم وأمرهم بالعودة إلى بابل، إذ هكذا كانت مشيئة المعبودات، أي أن يذهبوا ويخرجوا من مدينة السيباريين الكتب التي خبئت هناك، وأن يعطوها للبشر، أما المكان الذي رسوا عليه فهو أرمينيا، فما كان من أولئك إلا أن قاموا بتقديم ضحية للمعبودات ورحلوا إلى بابل على الأقدام.

---

(١٧) الطبعة الأساسية لبيروسوس والتي تحتوي على جميع المقتطفات هي طبعة ياكوبي، وتقدم هذه الطبعة إلى جانب النص اليوناني الترجمة الألمانية للنص الأرمني، وقد رجعت إلى النص اليوناني مستعينًا بترجمة بورستين (انظر حاشية ١٤) فيما يتصل بالكلمات والأسماء التي تهم هذا البحث.

(١٨) أي كرونوس باليونانية، وهو يقابل الإله انكي السومري ونظيره أيا الأكادي.

(١٩) تعود هذه الصيغة إلى اسم بطل أسطورة الطوفان السومرية، أي زيئوسودرا.

(٢٠) شهر أيار.

(٢١) الكلمة المستعملة هنا هي «جراماتا».

(٢٢) من المعروف أن إله مدينة سيبار هو أوتو، إله الشمس، ويقابل شمش بالأكادية.

(٢٣) حسب النص اليوناني، ويتراوح الستاد بين ٦٠٧ و٧٣٨ قدمًا إنجليزيًا.

أما السفينة التي رست في أرمينيا فإنه قد بقي منها إلى اليوم جزء صغير على جبل الكوردوايين[٢٤] في بلاد أرمينيا. وقد أخذ البعض فيها بعد الواحد بعد الآخر من قار السفينة للصحة وكعلاج ضد الأمراض.

وقد رحل أولئك. ولدى وصولهم بابل حفروا في مدينة السياريين وأخرجوا المدونات. وقاموا ببناء العديد من المدن وشيدوا المعابد للمعبودات، وأعادوا بناء مدينة بابل من جديد».

إن المقطع الذي يعنينا هنا هو ذلك الذي يذكر دفن المدونات الأولى والوسطى والأخيرة في سيبار واستخراجها من المدينة بعد انحسار الطوفان. ولا يوجد هذا المقطع في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش ولا يذكر فيما تبقى من اللوح الثالث لأسطورة أترم ـ خسيس، وقد أثار هذا المقطع مؤخرًا انتباه أحد بحاثة الدراسات اليونانية ـ اللاتينية محاولاً تفسيره[٢٥]، وقد تم بناء على هذا التفسير اختيار سيبار لما كان لهذا الاسم من وقع على سمع كُتّاب من فترة متأخرة، مما جعلهم يربطون الاسم بكلمات أكادية وغير أكادية لها علاقة بعملية التدوين أو الكتابة. إذ يرى هذا التفسير أن في كلمة «سيبار» حروفًا مطابقة لحروف الفعل الأكادي «شبارو»[٢٦]، الذي يعني أصلاً «بعث» وبالتالي «بعث رسالة»، والمعنى المتطور عن ذلك، أي «كتب». ويشار في هذا السياق إلى اسم الفاعل الأكادي «شابيرو»، والذي يعني «كاتب»، وإلى مقابله بالعبرية «سوفير» وبالآرامية «سافار»، وإلى الكلمة العبرية «سفير»[٢٧] التي تدل ببساطة على كل ما هو مكتوب.

ولا بأس هنا أن أتطرق إلى المعنى الفعلي لكلمة «سيبار»، والذي لا علاقة له بالطبع بفعل «شبارو». إن العلامات المستعملة في كتابة الاسم والتي ليست مرتبطة بالقراءة الصوتية «سيبار»، هي مجموعة العلامات «أد. كِبْ. نُنْ»، وهي أيضًا العلامات التي تستعمل في كتابة اسم نهر الفرات، فلو أضفنا علامة «كي» الدالة على المكان بعد مجموعة العلامات المذكورة لقرئت «زِمْبِرْ»، وهو الشكل السومري لاسم المدينة، ولو أضفنا علامة «إدْ» الدالة على نهر قبل مجموعة العلامات ذاتها لقرئت «بُرَنُنْ»، وهو الشكل السومري لـ «بوراتو»، أي اسم نهر الفرات

(٢٤) من المعروف أن السفينة حسب ملحمة جلجامش قد رست على جبل نيسير، ويحدد سبيسر (ص ص ١٧ ـ ١٨) موقع هذا الجبل في بير عمر جودرن في جنوب كردستان في العراق، أما كوموروتسي ص ١٣٩ فيرى أن كوردوا في نص بيروسوس هي كردستان، أي جورديينة في المصادر الكلاسيكية.

(٢٥) كنوبلوخ، ص١ ويلاحظ أن هذا الكاتب لم يذكر أيًا من كوموروتسي وبورستين، اللذين قاما بدراستين أساسيتين حول بيروسوس، ويبدو أنه لا يعرف إلا ملحمة جلجامش، ولا يشير إطلاقًا إلى أسطورة أترم ـ خسيس.

(٢٦) بالطبع لا يصح ربط «سيبار» بفعل «شبارو»، لأن السين والشين في مطلع الكلمتين الأكاديتين لا علاقة تاريخية بينهما غير كونهما ينتميان بالصدفة إلى مجموعة أصوات الصفير، ويتوقع المرء «سِبْرْ»، إلا أن الصيغة الاسمية فِعْلْ غير موجودة في الأكادية، ومما تجدر الإشارة إليه أن «شبارو» الأكادية تقابل الأصل «س ف ر» في العربية.

(٢٧) أي ما يقابل «سفر» الدخيلة إلى العربية.

بالأكادية، وإليه تعود كلمة «الفرات» العربية، ولا شك أن تلك العلامات قد اختيرت لوقوع المدينة على نهر الفرات القديم، أما كلمة «زِمْبِرْ» السومرية التي تطورت منها كلمتي «سِبَرْ» (أو «سيبار» كما تكتب عادة بالعربية) أو «سِبَرْ»[٢٨] فلا نعرف معناها حتى الآن[٢٩].

وإذا عدنا إلى رواية الطوفان كما جاءت عند بيروسوس، فهل يصحّ لنا الافتراض أن الاسم قد فهم من قبل كتاب من فترة زمنية متأخرة هو الذي جعلهم يختارون هذه المدينة بالذات كمكان لدفن «المدونات» أو «كتب» البشر؟ إن هذا التفسير غير مقنع لسبب آخر لا علاقة له بشكل مباشر بكيفية فهم الاسم. إن مدينة سيبار ليست مجرد مدينة من المدن، وإنما هي أحد المراكز الرئيسية في شمال السهل الرسوبي للعراق القديم. وقد أثبتت الحفريات الجديدة في المدينة أن تاريخها يعود إلى فترة فجر السلالات على الأقل[٣٠]. ولو قبلنا بتحليل الاسم، لتوقعنا حصول ذلك في فترات قديمة، كما حصل على سبيل المثال بالنسبة لمدينة بابل التي كان اسمها أصلاً «بابيلا»، إلا أن الساميين الذين انتشروا في وادي الرافدين منذ منتصف الألف الثالثة ق.م. تقريبًا فقد فهموا الاسم على أنه يعني «باب المعبود»، فقرأوه بما يتفق مع ذلك، أي «بابيليم»[٣١]. ومن ثم فإن التفسير المذكور أعلاه مرفوض، هذا بالإضافة إلى أن كلمة «سيبار» لا تمتّ إلى «الكتابة» بأي صلة. وننوه هنا إلى أن السومريين والأكاديين يربطون «الكتابة» بالرقيم الطيني، أي «دُبْ»، وكتابة العلامات عليه بواسطة عود من القصب («سَرْ»). فكلمة «كتب» أو «كاتب» تعني بالسومرية «دُبْ ـ سَرْ»، وبالأكادية «طوبشارو» («كاتب») وفن الكتابة هو «نَمْ ـ دُبْ ـ سَرْ» الذي يقابل بالأكادية «طوبشاروتو».

وقد قام بالتعليق على رواية الطوفان عند بيروسوس «لامبرت» و«ميلارد» بشكل موجز في نشرتهما لأسطورة أترم ـ خسيس[٣٢]، ويوضح هذا التعليق أن المقطع الذي تذكر فيه مدينة سيبار هو أحد مقطعين لا نجدهما في أي من روايات الطوفان الأخرى[٣٣]. وقبل أن أتعرض لتفسير هذين الباحثين، أعيد إلى الأذهان أن أسطورة الطوفان السومرية تذكر في مطلعها عددًا من المدن التي كانت موجودة قبل الطوفان ومعبوداتها، وهي: اريدو، بادتيبيرا،

(٢٨) يرد كل من الشكلين في النصوص، انظر بورجر، ص ١٥٥، وننبه إلى أن الشكل الأصلي هو «سِبِرْ» المتطور عن الصيغة السومرية «زِمْبِر»، بينما صيغة «سِبَرْ» (سيبار) هي متأخرة كما يدل على ذلك حرف العلة قبل الراء، على الأغلب بتأثير وجود الحرف الأخير.

(٢٩) يعتقد البعض أن اسم المدينة قد يكون له علاقة بمعدن البرونز، أي كلمة «زَبَرْ» السومرية، انظر ليمي، ص ١٥.

(٣٠) وليد الجادر وزهير رجب، ص ١٢١.

(٣١) انظر جيلب، ص ص ١ ـ ٤.

(٣٢) لامبرت وميلارد، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٧.

(٣٣) المقطع الثاني هو ذلك الذي يحدد وقت وقوع الطوفان، أي منتصف شهر أيار.

لاراك، سيبار، شوروباك، ولا نعرف في أي مدينة حكم زيئوسودرا، النظير السومري لاترم ـ خسيس، والذي يلعب الدور الرئيسي في الأسطورة[٣٤].

ويرى لامبرت وميلارد أن بيروسوس قد اختزل مجموعة مدن ما قبل الطوفان في ثلاث مدن: بابل، بادتيبيرا، لاراك، وهذا تفضيل ـ من وجهة نظرهما ـ لمدينة بابل على المدن الأخرى. ويجد المؤلفان أن بيروسوس لم يجد بين المصادر المتوافرة لديه مصدرًا يربط قصة الطوفان ببابل، فلجأ إلى مصدر سيباري. ويفترض المؤلفان أن هذا المصدر السيباري هو عبارة عن تراث محلي لم يستعمل في أي من أسطورة أترم ـ خسيس أو ملحمة جلجامش.

أما بورستين وهو آخر من قدم نشرة «للبابليات»، فلم يتعرض إلى مشكلات المقطع الذي نحن بصدده بشكل مباشر، إلا أنه أشار إلى ذلك عندما كتب أن بيروسوس قد اعتمد على مصدر سيباري[٣٥]. وبيروسوس لم يجعل من أترم ـ خسيس بطلاً للطوفان، وإنما اختار سيثوسودرا حتى لا يحصل تعارض بين الرواية والمقطع السابق لها والذي يعدد الملوك الذين حكموا قبل الطوفان، حيث كان سيثوسودرا آخرهم[٣٦]، أما بالنسبة لحلم اكسيسوتروس فيشير المؤلف إلى حلم يبدو أنه ذكر في اللوح الثالث من أسطورة أترم ـ خسيس[٣٧]. إن كل هذا يجعلنا نعتقد أن بورستين يفترض أن مصدر بيروسوس هو أسطورة أترم ـ خسيس، إلا أنه يعقد الأمور عندما يذكرنا بأن الطوفان لم يصل إلى سيبار بناء على عمل أدبي آخر[٣٨]، أي ما يسوغ عملية دفن «المدونات» في سيبار. والرأي الأخير مرفوض، إذ كيف نفهم ـ على الأقل بالنسبة لبيروسوس ـ أن الطوفان لم يمتد إلى سيبار، على حين يتضح من تفاصيل رواية بيروسوس أن الطوفان قد شمل هذه المدينة كغيرها من المدن البابلية؟

إن الصعوبة الأساسية التي تواجهنا هي أن أسطورة الطوفان السومرية وقصة الطوفان في اللوح الثالث من أسطورة أترم ـ خسيس ناقصتان[٣٩]، غير أن ما تبقى من أسطورة الطوفان السومرية يدفعنا إلى الاعتقاد أنها تعكس

---

(٣٤) علي، ص ٢٢. وثمة علاقة بين أسطورة الطوفان السومرية وقوائم الملوك السومرية، وأيضًا قوائم الملوك الذين حكموا قبل الطوفان. إلا أنني لن أتعرض لهذا الموضوع الشائك، وخاصة أنه لا يؤثر على الأفكار المطروحة في هذا البحث. وأكتفي هنا بالإشارة إلى أن قائمة الملوك السومرية الأساسية تذكر المدن التي كانت موجودة قبل الطوفان وأسماء ثمانية ملوك، إلا أن زيئوسودرا ليس واحدًا منهم، وملك سيبار في هذه القائمة هو انميدورانا، انظر ترجمة النص عند طه باقر، *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة* (بغداد: دار البيان، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م)، ص ٢٨٨.

(٣٥) بورستين، ص ٨ متبعًا بذلك رأي لامبرت وميلارد (انظر ص ١٩، حاشية رقم ٤٨).

(٣٦) بورستين، ص ٢٠، حاشية رقم ٥١.

(٣٧) المرجع ذاته.

(٣٨) قصيدة ايرا، اللوح الرابع، سطر ٥٠ (انظر: بورستين، ص ٢٠، حاشية رقم ٥٤).

(٣٩) وينقصها أيضًا نهاية اللوح الأول من أسطورة اترم ـ خسيس، المقطع الذي نتوقع فيه وصف إنشاء المدن وتعيين الملوك فيها بعد خلق الإنسان. انظر لامبرت وميلارد، ص ٢٠.

هي وأسطورة أترم ـ خسيس تراثًا سيباريًا رئيسيًا[٤٠]. ومما يُعضّد افتراضنا هذا هو أن سيبار إحدى المدن الخمس قبل الطوفان[٤١]. ونضيف إلى ذلك أن المقطع الذي يصف تقديم الضحايا في أسطورة الطوفان السومرية يُعبّر عن علاقة وثيقة بسيبار:

«أشرق أوتو ناشرًا ضوءه في السماء والأرض
ففتح زيئوسودرا كوة في السفينة الضخمة
فدخل أوتو بأشعته إلى السفينة
زيئوسودرا الملك
ركع أمام أوتو
وذبح الثيران وأكثر من الخراف»[٤٢]

ونعرف أن أوتو «معبود الشمس»، هو معبود مدينة سيبار، وتقديم الضحايا له يدعم رأينا في أن سيبار تلعب دورًا رئيسيًا في حادثة الطوفان. ولا نستطيع الجزم بما إذا كان بيروسوس قد استمد مادته من أسطورة أترم ـ خسيس، أو من أسطورة الطوفان السومرية مباشرة، كما يعتقد كوموروتسي بالنسبة للاحتمال الأخير[٤٣]، إن ما نعتقده هو أن مصدر بيروسوس السيباري ليس مجرد تراث محلي خاص بسيبار (انظر أعلاه)، إلى جانب تيارات موجودة في مدن أخرى. فالتراث الرئيسي لرواية الطوفان هو سيبار. ومما يُعضّد هذا القول هو أن هيئة الحفريات في سيبار التابعة لجامعة بغداد قد عثرت في عام ١٩٨٦م على نسخة من أسطورة أترم ـ خسيس[٤٤]، وقد كانت هذه النسخة موجودة ضمن مجموعة من الرقم هي في الواقع ثاني مكتبة يُعثر عليها في العراق القديم بعد مكتبة أشور بانيبال المشهورة[٤٥].

(٤٠) يقول لامبرت وميلارد، ص ١٤ إن أقرب نص لأسطورة أترم ـ خسيس هو أسطورة الطوفان السومرية، وقد تم تأليف العملين في الفترة نفسها تقريبًا، إلا أنه ليس هناك في رأي الباحثين ما يثبت أن مؤلف أترم ـ خسيس قد رجع إلى النص السومري مباشرة.

(٤١) يلاحظ أن سيبار ليست آخر مدينة في ترتيب المدن المذكورة قبل الطوفان فالمدينة الأخيرة هي شوروباك التي نعرفها من ملحمة جلجامش كمدينة اوتنابيشتيم، بطل الطوفان في هذه الملحمة.

(٤٢) سيفيل عند لامبرت وميلارد، ص ١٤٥، الأسطر ٢٠٦ ـ ٢١١، ويترجم سيفيل أوتو هنا «بالشمس» أما علي (ص ١٢٢) فيترجمها مرة «الشمس» ومرة أخرى «إله الشمس».

(٤٣) كوموروتسي، ص ٥٠.

(٤٤) انظر الجادر والأعظمي.

(٤٥) وقد أشار ألستر في محاضرته التي ألقاها في المؤتمر العالمي الخامس والثلاثين للدراسات الأكادية والسومرية الذي عقد في فيلادلفيا تموز ١٩٨٧م إلى أن كثيرًا من النصوص الأدبية السومرية قد دونت في سيبار. وأعتقد أن سيبار ربما كانت المركز الأدبي الرئيسي في منطقة أكاد، أي أنها تقابل نيبور في سومر. وربما تفسر هذه الملاحظة الموقف السلبي الواضح من انليل، إله مدينة نيبور، في أسطورة أترم ـ خسيس.

وربما كان فيما ذكرناه أعلاه الحل لمشكلة التعبير الغريب الذي استعمله بيروسوس للدلالة على شمولية «الكتابات»، أي «الأولى والوسطى والأخيرة» منها. وقد ربط لامبرت وميلارد، ص ١٣٧ هذا التعبير بجملة وردت في نص أكادي ترجمتها: «عليك قراءة بداية النقش ونهاية النقش مرتين»، أي «كله». وبالطبع ليس من الصعب على ناطق بلغة سامية من استيعاب معنى كهذا، كأن تقول بالعربية الدارجة «هذه هي القصة من أولها لآخرها»، غير أن بيروسوس يضيف إلى تعبيره كلمة «الوسطى»، فلماذا «الوسطى»؟ إن إجابتي على ذلك أن بيروسوس كان يعلم غالبًا بوجود أسطورة الطوفان الأكادية، وأنها ألفت في سيبار في ثلاثة ألواح، فالمدونات الأولى والوسطى والأخيرة تعكس عدد ألواح الأسطورة، أي ثلاثة. ويبدو لي أن المفكر البابلي كان يرغب على طريقته الخاصة في الإشارة إلى مصدر رواية الطوفان، وليس بإمكاننا حاليًا بالطبع التعمق أكثر من ذلك في نص بيروسوس. ومما لا شك فيه أن مؤلفه قصد به معارف البشرية وخبراتها، وخاصة أن عملية بناء المدن وتشييد المعابد حصلت كنتيجة منطقية لاستخراج «المدونات» من سيبار، وعلى أي حال فإن هذا الأمر يعبر عن وعي غير منتظر بمغزى عملية التدوين أو الكتابة لما تحمله من أبعاد عميقة في تطور الإنسان.

قائمة بالأسماء والكلمات غير العربية

أترا خسيس	Atra - ḫasīs
أترم ـ خسيس	Atram - ḫasīs
اد	ÍD
أد. كب. نن	UD. KIB. NUN
اريدو	Eridu
اكسيسوتروس	Xisouthros
أمي ـ صدقا	Ammi - Ṣaduqa
انطيوخوس	Antiochus
انكي	Enki
انليل	Enlil
انميدورانا	Enmedurana
آنـو	Anu
انوجي	Ennugi
انوكي	Ennugi
انونكي	Ennungi
أوتنابيشتيم	Utnapištim
أوتو	Utu
ايا	Ea
ايرا	Erra
بابيلا	Babila
بابيليم	Babilim
برنن	Buranun
بوراتو	Purattu
بير عمر جودرن	Pir Omar Gudrun
بيروسوس	Berossus
بيل ـ ريثوسو	Bēl - rêússu
جراماتا	grammáta
جلجامش	Gilgameš
جورج سينكيلوس	George Syncellus
جوردينه	Gordyene
دب	dub
دب ـ سر	dub - sar
ديسيوس	Daisios
زَبَرْ	zabar
زِمْبِرْ	Zimbir
زيئوسودرا	Ziusudra
سافار	sāfar
سِپَّرْ	Sippar
سِپِّرْ	Sippir
سَرْ .	sar
سفير	sefēr
سوفير	sofēr
سيبار	Sippar
شابيرو	šāpiru
شبارو	šapāru
•شِپَّرْ	• Šippar
شَمَشْ	Šamaš
شوروباك	Šuruppak
طوبشارو	ṭupšarru
طوبشاروتو	ṭupšarrūtu
كرون	Cron
كرونوس	Cronus
كَلكَامش	Gilgameš
كو ـ أيا	Kù - Aya

الكوردوايين	Korduaians
كورنيليوس الكسندر	Cornelius Alexander
بوليهيستور	Polyhistor
كي	ki
لاراك	Larak
نَمْ ـ دُبْ ـ سَرْ	nam - dub - sar
نيبور	Nippur
نيسير	Nisir
نينورتا	Ninurta

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

- طه باقر، *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة* (بغداد: دار البيان، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- طه باقر، *ملحمة كَلكَامش* (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥م).
- وليد الجادر وزهير رجب عبدالله، *النتائج الأولية لتنقيبات جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، في موقع سبار (أبو حبه) (المواسم ١٩٧٨ - ١٩٨٣م)*: سومر ٣٩ (١٩٨٣م)، ٩٧ - ١٢٢.
- فارس السواح، *كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش* (نيقوسيا: سومر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٧م).
- فاضل عبدالواحد علي، *الطوفان في المراجع المسمارية* (بغداد: رئاسة جامعة بغداد، ١٩٧٥م).

ثانياً: الإفرنجية:

Alster, B.,
1987 (lecture read at the *XXXV ème Rencontre Assyriolgique Internationale,* Philadelphia.

Borger, R.,
1978 *Assyrisch - babylonische Zeichenliste,* (Neukirchen-Vluyn: Neukirchner Verlag.

Burstein, S. M.,
1978 *The Babyloniaca of Berossus,* (Malibu: Undena Publication.

Civil, M.,
see Lambert, W.G. and Millard, A.R.

Gelb, I. J.,
1955 *The Name of Babylon: Journal of the Institute of Asian Studies,* 1, 1-4.

Harris, Rivkah,
1975 *Ancient Sippar. A Demographic Study of an Old-Babylonian City (1894-1595 B.C.),* (Istanbul: Nederlands Historisch - Archaeologisch Institut.

Jacoby, F.,
1958 *Die Fragmente der griechischen Historiker (F. Gr Hist), Dritter Teil: Geschichte von Staedten und Voelkern (Horographie and Ethnographie). C: Autoren ueber einzelne Laender Nr. 608a - 856 (Erster Band: Aegypten - Geten Ur. 608a - 708),* (Leiden: E.J. Brill.

Al-Jadir, W. and Al-Adami, Kh.,
1987 *Nouvelles Assyriologiques Brèves et Utilitaires,* No. 55.

Al-Jadir W. and Rajab, Zuhir,
1987 *Sippar. 6. Kampagne 1984: Archiv für Orientforschung* 34, 128-131.

Knobloch, J.,
1985 *Eine etymologische Fabel im Sintflutberischt bei Berossos: Glotta* 63, 1.

Komoróczy, G.,
1973 *Berosos and the Mesopotamian Literature: Acta Antiqua Scientiarum Hungaricae* 21, 125-152.

Lambert, W.G. and Millard, A. R.,
1969 *Atra-hasis: The Babylonian Story of the Flood. With the Sumerian Flood Story by M. Civil* (Oxford: Oxford University Press.

Limet, H.,
1960 *Le travail du métal au pays de Sumer au temps de la III^e dymastic d'Ur*, Paris.

Speiser, E.A.,
1926-1927 *Southern Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and Today: The Annual of the American Schools of Oriental Research* 8.

تطور الأبجدية في الشرق الأدنى القديم

الدكتور سيد فرج راشد

خلق الله الإنسان وزوّده بالعقل الذي ساعده على التفكير، وزوّده كذلك بالقدرة على التعبير عما يجيش في خاطره. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾، وقال تعالى: ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّهَا﴾، وفسر العلماء هذه الآية بقولهم: إنه أقدره على ذلك. وهكذا نستطيع أن نقول: إن الله خلق الإنسان مفكرًا معبراً ناطقًا، واستنادًا من هذه القدرة الإلهية في الاتصال مع بني جنسه من أهله وعشيرته يتبادل معهم ما تم الوصول إليه من معلومات.

وعندما قطع الإنسان شوطًا في المدنية اقتضت ظروف الحياة في وجوهها المختلفة تدوين ما يتعلق بها من أشياء مادية وروحية. وهنا هداه الله إلى التفكير في الكتابة. ولقد كان أثر الكتابة رائعًا على الإنسان، فقد ساعدته على حفظ العلامات والرموز التي كان يسمعها وتدق في أذنه على مدى العصور. لقد كان لها أثرها في زيادة صلاته مع بقية بني آدم في الأماكن البعيدة عنه من ناحية، وفي زيادة اتساع مداركه من ناحية أخرى، فوفّرت عليه الكثير من الجهد والوقت[1].

ويحتمل أن تكون أول خطوة خطاها الإنسان نحو الكتابة تتمثّل في تلك القطع من الفخار، التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث، وعليها خطوط ملونة، فسّرها كثير من الباحثين على أنها تمثل رموزًا، وبالرغم من أن بعض العلماء تشكك في ذلك إلا أنه من الجائز أن تكون الكتابة قد بدأت بعلامات مطبوعة بالأظافر أو عيدان من الخشب (المسامير) على الطين وهو لينٌ، بُغية زخرفته، بعد أن تتم صناعته فخارًا. ففي أقدم كتابة تصويرية في سومر توحي صورة الطائر بأوجه شبه بينها وبين الطيور المزخرفة على أقدم الآثار الفخارية في سوزا بأرض عيلام، ومنها أيضًا صورة زخرفية للسنبلة نُقلت رأسًا من زخارف السنابل ذات الأشكال الهندسية في سوزا وسومر. وعندما اقتطعت هذه الرسوم وأصبحت تأخذ شكل خطوط مستقيمة ـ كما لوحظ ذلك في سومر حوالي منتصف الألف الثالث ق.م. ـ لتصبح صورة مختصرة للرسوم المصوَّرة أو المطبوعة على الخزف البدائي فقد حافظت على زخرفتها. ويلاحظ

---

(١) Gelb, I.J. *A Study of Writing*, (Chicago, 1965), p. 1.

ذلك في الجزء الأدنى من بلاد ما بين النهرين أو في أرض عيلام[٢].

إذن فالكتابة ـ شأنها شأن التصوير والنحت ـ قد تكون في نشأتها فنًا خزفيًا، إذ بدأت ضربًا من ضروب النقش والرسم، وبذلك تكون المواد الأولية كالطين الصالح لصناعة الأواني والحجارة بأنواعها المختلفة والمعادن اللازمة لصناعة أدوات القطع والنحت، إلى جانب المواد الحيوانية الأخرى من جلود وعظام وعاج والأحجار اللازمة للكتابة، كل ذلك قد هيّأ للكاتب مادته التي يخطّ عليها كتابته، وطريق التطور من هذه البداية إلى الكتابة المسمارية في بلاد ما بين النهرين منطقي المراحل مفهوم التدرج[٣].

إن أقدم تباشير الكتابة المحفوظة لنا هي تلك الراجعة إلى حضارة الوركاء (بنهاية الألف الرابع ق.م.) فجمْدَة نصر بعدها (حوالي الألف الثالث ق.م.) وبالطريقة التصويرية مستخدمًا رموز المعاني والتي يكتفي فيها الكاتب برسم صورة تُعبّر عن شيء معروف تصوره على وجه التقريب، وقد تعبّر أحيانًا عن الفكرة بشيءٍ مادي يرمز إليها كالذراع الذي يعبّر عن القوة، والتضرّع الذي يُعبّر عنه بصورة يد تُرفع إلى الأمام، والقدم التي تعبّر عن حركة المشي. وقد عثر على نماذج من هذا التطور الكتابي على لوح حجري رقيق في مدينة كيش صُوِّرت علاماته التصويرية على هيئة وجه وقدم وواجهة المسكن داخل مستطيلات يفصل بينها خطوط، ونموذج آخر نقشت علاماته التصويرية في مستطيلات ضيقة تتعاقب في تقسيمات رأسية.

وهذه الكتابة التصويرية السومرية تقابل الهيروغليفية المصرية والحيثية والكريتية، إنها تحتوي على رموز بعضها للمعاني، يقصد منها الشيء المصوَّر نفسه أو ما يتعلق به، وتعرف برموز المعاني، وبعضها له دلالة صوتية فقط. وتعرف برموز الأصوات، وبعضها الآخر يساعد على فهم المعنى المقصود، وتعرف بمخصصات المعاني. وكثير من هذه الإشارات وظيفته نحوية كالإشارات التي تبين المذكر من المؤنث والمفرد من الجمع، والتي تُميّز الآلهة من البشر.

واللغة السومرية فيها الكلمات المكتوبة كتابة صوتية ومقطعية، إلا أن الأكادية زادت عليها لكونها كتابة للغة معرّبة. أما المصرية فمنذ أقدم عصورها كانت قادرة على الكتابة الصوتية بالإضافة إلى الكتابة برموز المعاني،

---

(٢) Albright, W.F. & Lambdin, T. *The Evidence of Language*, (Cambridge, 1966), p. 35.
راجع: ديورانت ول، *قصة الحضارة*، جـ١، من المجلد الأول، نشأة الحضارة، من الترجمة العربية للدكتور زكي نجيب محمود، (القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م)، ص ص ١٨١ ـ ١٨٣.

(٣) Driver, G.R. *Semitic Writing from Pictograph to Alphabet*, (London, 1976), Third Edition, p. 78.

والحروف الهجائية معروفة منذ الأسرة الأولى مما يعني إمكانها الكتابة أبجديًا[٤].

ومن المرجح أن كلًا من الكتابتين المصرية القديمة والسومرية كانتا متعاصرتين ومرّتا بالمرحلة الممهدة للتاريخ والمعروفة : Proto-History.

ويرى بعض العلماء، أن الكتابة المصرية القديمة مرّت بالمرحلة الممهدة للتاريخ قبل السومرية بفترة وجيزة[٥]. ولكن أولبرايت يرى أن الكتابة السومرية دخلت المرحلة الممهدة للتاريخ قبل المصرية بحوالي قرن أو قرنين[٦].

ومن الإضافات المهمة التي أضافها المصريون ـ في الألف الثالث ق. م. ـ لفن الكتابة إلى جانب رموز المعاني هي استخدامهم لأربع وعشرين علامة هيروغليفية تمثل الحروف الأبجدية[٧].

أما الكتابة السومرية فقد طرأ عليها تغيير هي الأخرى لدى الأكاديين، وتحولت إلى كتابة مقطعية في الألف

---

(٤) كما أن السومريين لم يتعدّوا مرحلة الكتابة المقطعية، كان الكتبة السومريون قد تغلبوا على صعوبة الكتابة التصويرية بتبسيط أشكال العلامات ووضعها تدريجيًا في أشكال محددة مصطلح عليها، وبالتالي لم تعد أصولها التصويرية واضحة، واختزلوا عدد العلامات واتبعوا أسلوب التعويض عن الكتابات التي تمثل كل صورة كلمة (أي كتابة إيديوجرامية) بالكتابة الصوتية المقطعية (حيث تمثل كل علامة صوتًا مقطعيًا).

وكذلك الحال بالنسبة للكتابة الصينية في الشرق الأقصى، وفي الواقع لم يطور الصينيون كتاباتهم أبدًا إلى شكل أبجدي صرف، بل ظلت كتابة ايديوجرامية برموز المعاني، لكن أيضًا فيها رموز الأصوات المقطعية، حتى يومنا الحاضر، بحيث يتعين على الطالب الصيني أن يدرس آلاف الرموز والعلامات.

راجع : Albright, W. F. & Lambdin, T. pp. 26-27.

(٥) Gelb, pp. 62-63.

(٦) Albright & Lambdin, p. 26.

(٧) هاري إلمر بانز، *تاريخ الكتابة التاريخية*، من الترجمة العربية للدكتور محمد عبدالرحمن برج، جـ١، (القاهرة، ١٩٨٤م)، ص٢٧.

أفادني بذلك الدكتور عبدالقادر محمود شخصيًا بمعلومات وردت في بحث له سينشر قريبًا، أنه لا يمكن تحديد بداية دخول الحروف الهجائية، لأن أقدم نقش عندنا هو نقش «نعرمر» (حوالي ٣٣٠٠ ق. م.) فيه رموز أصوات، ثلاثة مقاطع وحرف هجائي واحد لا رموز معانٍ. ثم إن الحروف الهجائية الأربعة والعشرين الموجودة في رموز الكتابة المصرية كافية كفاية الحروف السامية (٢٢ حرفًا هجائيًا) لكتابة كل مفردات اللغة المصرية.

ولو كان المصريون قد شاءوا الاستغناء بها عن غيرها في الكتابة عندهم لاستغنوا. كما يرى أن الكتابة المصرية بعهد «نعرمر» كانت قد بلغت آخر مراحل تطورها والتي لم تزد عليها بعد ذلك؛ ولذا فإن نقش «نعرمر» في رأيه يتجاوز المراحل الأولية للكتابة المصرية، ولا يمكن أن يستخدم كدليل، كما فعل بعض الباحثين على تأخر الكتابة المصرية عن الكتابة السومرية.

الثالث قبل الميلاد، وكانت قبل ذلك وحيدة المقطع في رموزها لكون غالبية كلماتها ذات مقطع واحد[8]، ولذا فالرمز عادة ما يكون مقطعًا واحدًا يتساوى في ذلك إن كان رمز معنى (الكلمة ذات معنى ـ إيديوجرام)، أو رمز صوت (بلا معنى). لكن هناك كلمات تحتوي على أكثر من مقطع، وبالتالي فهناك رموزٌ للمعاني (Ideograms) تحتوي على أكثر من مقطع، كما أن هناك رموزًا للأصوات (غير رموز المعاني) يحتوي الواحد منها على أكثر من مقطع. وكانت الكتابة السومرية قد استخدمت رموز المعاني البسيطة والمركبة وتبعها في ذلك الأكادية (البابلية والآشورية) التي ورثت عنها طريقتها في الكتابة مُغيّرة في حالات كثيرة في تطور رموز المعاني بما يناسبها لغة، وبالتالي في رموز الأصوات المأخوذة عنها. مثال ذلك رمز المعنى المركب في السومرية (لوجل Lugal) بمعنى ملك ـ حاكم، المركب من الرمزية لو lu «رجل» وجل gal «عظيم» الأول مقطع مفتوح والثاني مغلق. ولما أخذ الأكاديون هذه الكلمة المركبة السومرية في كتاباتهم استعاضوا عنها بكلمة بسيطة هي «شرّ» ملك.

وكذلك الحال بالنسبة لاستعارة رمز المعاني (الإيديوجرام) لأسماء الأعلام من الآلهة، فكلمة «إله» في الأكادية مثلاً هي «إلُو»، وهي صوتيًا من مقطعين (إ + لو) لكنها لا تكتب برمزين. وإنما برمز ينطق «إلُو»، شكله نجمة أصلاً، ورسم بعد اختصاره من السومرية، والتي كانت تنطق دِنْجِر لدى السومريين.

كما احتوت الكتابتان السومرية (ومثلها الأكادية)[9] والمصرية على إشارات التخصيص (أو مخصصات المعاني determinatives)، وهي رموز تهدي القارىء إلى فهم معنى الكلمة المكتوبة. فمثلاً إذا أردنا بالسومرية كتابة كلمة «جيمة» أي «أَمَة» ـ مركبة من علامتين ـ، فإننا نرسم العلامة التي تمثل «مونوس» أي «امرأة» وبجانبها العلامة «كور» أي «جبل». وعلى ذلك فالعلامتان المعبرتان عن المرأة والجبل تمثلان رمزًا لمعنى واحد مركب بنطق الكلمة «جيمة» ويعني «أَمَة». وعلى هذا تعبر العلامة المركبة عن الفكرة التي تعني «امرأة جبلية». وهكذا تبين لنا عند قراءة النقوش المكتوبة بالمسمارية المختلفة، أن المسمارية ليست كتابة اقتصرت على لغة معينة، ولكنها كتابة استخدمتها لغات شتى أشهرها البابلية والآشورية ثم الفارسية القديمة والحيثية المقطعية.

(٨) Albright & Lambdin, p. 28.

(٩) كثُرت المعاجم اللغوية الخاصة باللغة السومرية والأكادية والبابلية والآشورية والكلدانية من جداول المقاطع ورموزها، وهي على هيئة قواميس تُورد في جانب منها المفردة أو المقطع السومري ويضع أمامه كيفية قراءته ثم ما يقابله في اللغة الأكادية واللغات الأخرى صوتًا ومعنى.

وأشهر هذه الدراسات ما جمعه شارل فوسي. جمع حوالي ٣٧٠٠٠ ألف مقطع وإيديوجرام ـ أي قائمة المقاطع وما يقابلها صوتيًا وقائمة الإيديوجرام وقراءتها ـ كما جمت ماجي روتن ٣٠٠٠ قطعة وإيديوجرام أضيفوا إلى ما جمعه شارل فوسي، هذا بالإضافة إلى ما جمعه رينيه لابات.

راجع: ظاظا حسن، *الساميون ولغاتهم*، (الإسكندرية، ١٩٧١م)، ص ص ٢٨ ـ ٣١.

وهكذا تدّرج الفكر التحليلي للإنسان من الكلمة في الكتابة برموز المعاني ورموز الأصوات المتنوعة بعدد محدود من الرموز التي تمثل الأصوات الأساسية في اللغات إلى أن وصل في نهاية الأمر إلى التمييز بين الحروف والحركات، وبدأ يراقب جهازه الصوتي، وعدد ما يخرجه من أنواع الحروف بصرف النظر عن الحركات، فعرف أن لغته تقوم على عدد قليل نسبيًا من الحروف الساكنة، فأراد أن يسجلها وانبثقت الفكرة في أكثر من مكان في آن واحد، اكتشفها الكنعانيون في «رأس الشمرة»[10] وكانوا قد استوحوا من المسمارية المقطعية رموزًا لكتابة لغتهم وطوّروها وطوّعوها إلى الرسم الأبجدي الذي كان لا يزال يعتمد على نقش المعلومات على ألواح الطين، وهي طريقة غير عملية لخطر تعرّضها للرطوبة التي يمكن تجنبها بإحراقها داخل أفران خاصة، وتحويلها إلى لوحات فخارية، وهي طريقة مكلفة. وعلى الرغم من أن هذه الكتابة الكنعانية مسمارية إلا أنها لا تعتمد على آلاف العلامات المقطعية، وإنما تعتمد على ثلاثين علامة صوتية تتكرر في جميع النصوص من بينها ثلاثة رموز تستخدم لحروف المد (الألف والياء والواو) إلى جانب وظائفها كحروف صامتة.

وكان فيرولو Ch. Virolleaud ودورم E. Dhorme وباور Hans Bauer قد استطاعوا في عام ١٩٣٠م - كل على حدة - الوصول إلى حلّ طلاسم هذه الكتابة التي عثر عليها في أوجاريت، والتي ترجع إلى حوالي عام ١٤٠٠ ق.م.، وكان معظمها يعبر عن أساطير وملاحم شعرية، وأناشيد وصلوات دينية. ولكن يبدو أن هذا الخطّ أقدم من ذلك التاريخ[11].

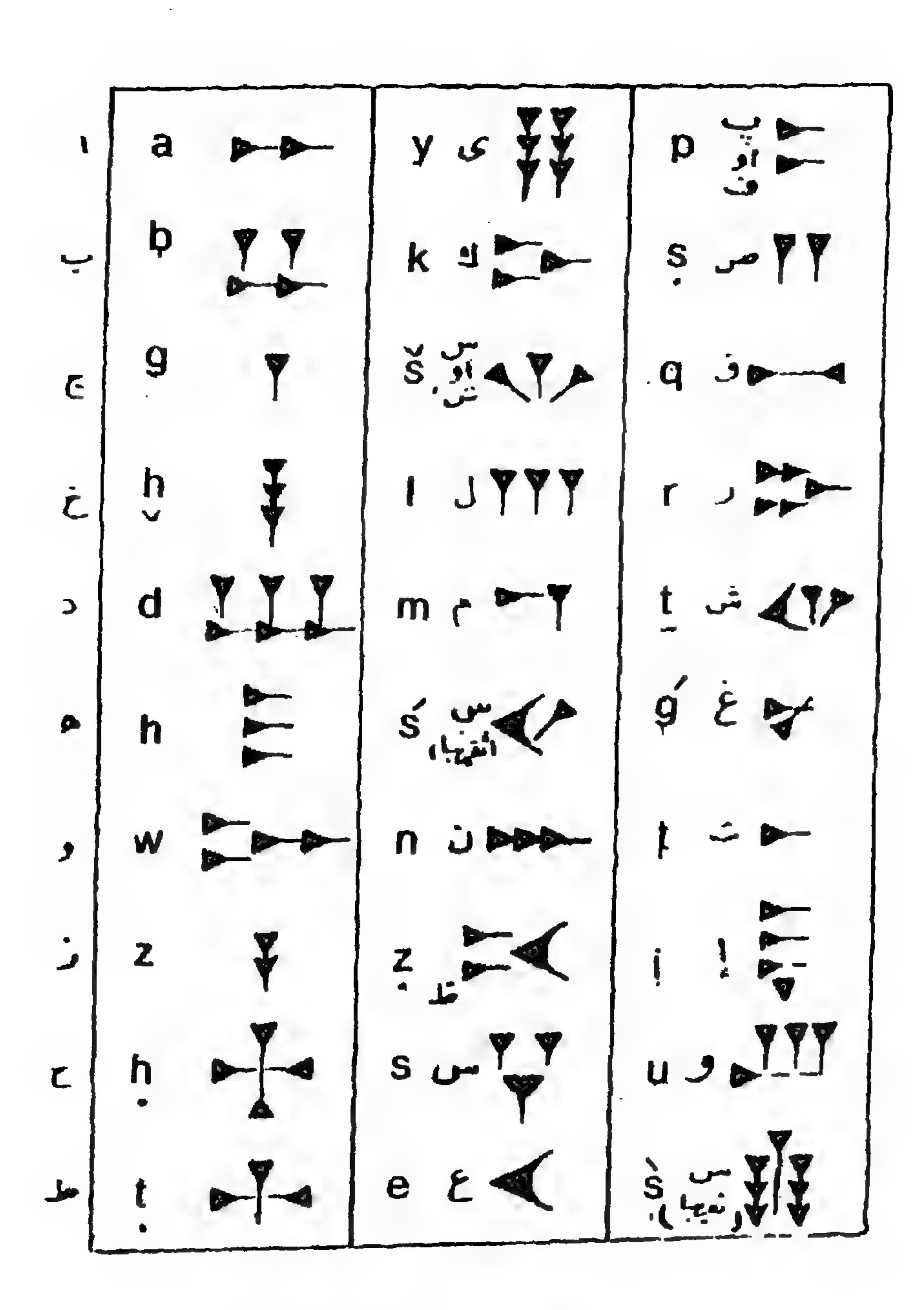
وتحتل النقوش المسمارية الأوجاريتية أهمية خاصة من تاريخ الكتابة، فهي تُحدّد مرحلة انتقال الكتابة إلى الأبجدية الصرفة، في داخل نظام واحد هو الخطّ المسماري المنقوش على ألواح من الطين.

إن الكتابات الأبجدية الأوجاريتية المسمارية والتي تعود إلى أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، تشير إلى أصالة سامية غربية قديمة في المفهوم الأبجدي التحليلي للكلمة، ولا يستبعد أن تكون هذه الكتابة قد أخذت مبدأ كتابة الحروف من الكتابة المصرية القديمة مع تقليد الخط المسماري البابلي، لكنها لم تستعر عنه المفهوم المقطعي من أرض

(١٠) هذه المنطقة هي المدينة القديمة نفسها التي تحدثت عنها الوثائق المصرية الفرعونية والبابلية والآشورية والحيثية باسم «أوجاريت». وقد عثر على هذه النقوش عام ١٩٢٨م المهندس الفرنسي «شيفر» والأستاذ «شينه»، وتجمعت من حفائر شيفر نقوش كثيرة، بعضها مكتوب بالأكادية أو المصرية أو الحيثية أو الحورية، ولكن الجانب الأهم كان منقوشًا بخط مسماري لا تُعرف أسراره حتى فكّ رموزه فيرولو ودرم وباور كما أشرنا.

وكانت المفاجأة عظيمة عندما عثر «شيفر» في حفريات له في سنة ١٩٥٠م على لوحة تعليمية عليها الأبجدية الأوجاريتية، فكانت وثيقة مهمة لمعرفة عدد الرموز الأبجدية الأوجاريتية وترتيبها.

(١١) Gelb, pp. 129-130.



لوحة رقم (١): نظام الأبجدية الأوجاريتية بالقلم المسماري.



FIG. 68.—RÂS SHAMRAH TABLET
From C. Virolleaud in *Syria*, xxi (1940), 250

لوحة رقم (٢): بعض اللوحات المسمارية الأوجاريتية في رأس شمرة التي اكتشفها فيرولو (١٩٤٠م). Gelb, p. 129.

الرافدين، كما فعلت بالشعوب الأخرى غير السامية كالحيثيين والحوريين والعيلاميين. وقد اتبع في كتابة الأوجاريتية المسمارية اتجاه الأكادية نفسها من الشمال إلى اليمين على عكس الفينيقية والآرامية والعبرية (من اليمين إلى اليسار)[١٢].

وفي هذا الوقت كان للفينيقيين حافز آخر، فقد كانوا في حاجة إلى نوع سهل وسريع من الكتابة، وذلك لسرعة تصريف الأعمال، وقد دفعهم هذا إلى اليقظة والتفكير في اختراع أول حروف أبجدية صوتية، وكان من أوائل الأبجديات التي ظهرت في هذه المنطقة الأبجدية الفينيقية المعروفة[١٣] بالشبيهة بالهيروغليفية Pseudo-Hieroglyphic

(١٢) Albright, W. F. *The Archaeology of Palestine*, 1960, p. 185ff.
Ward, W. A. & Martin, M. F. *Annual of the Department of the Antiquities of Jordan*, Vols. VII & IX (Amman, 1964), pp. 5-30.

(١٣) ظاظا حسن، *اللسان والانسان*، ص ١٤٠.

في مدينة جبيل الواقعة إلى الشمال من بيروت، التي كتبت بها لهجة جبيل وهي لغة سامية أقرب إلى الفينيقية. وعلى ذلك فهي كتابة فينيقية من ناحية النطق والمعنى، أما من ناحية الشكل والرسم فهو يتأثر بالخط التصويري الهيروغليفي المصري بقيم صوتية أبجدية(١٤).

وتضم جبيل مجموعة من النقوش تبلغ حوالي عشرة، وهي محفورة على لوحات بعضها من البرونز والآخر من الحجر، وقد اكتشفت هذه الكتابة الجديدة في عام ١٩٢٩م. وقد نشر موريس دونان (Maurice Dunand) هذه النقوش بعد أن استطاع إدوار دورم في صيف عام ١٩٤٦م أن يفك رموز هذه الكتابة، وهي تتضمن كثيراً من أسماء الآلهة الفرعونية في سياق يوحي بتقديس الفينيقيين لها.

ويقول دورم في تقريره إن أحد هذه النقوش يحتوي على ٥٣ علامة (أبجدية) مختلفة ضمن علامات النقش التي وصلت إلى ٢١٧ علامة (١٥ سطرًا)، ويحتوي نقش آخر على ٦٤ علامة مختلفة أخرى من جملة علاماته الـ ٤٦١ (٤١ سطرًا) علامة. أما دونان فقد أشار إلى أن هناك ١١٤ علامة مختلفة بعضها عن بعض في كتابة جبيل، ولكن «جلب» Gelb يشير إلى أن هناك تناقضًا في أعداد العلامات بين دونان ودورم، ويرى أن هذه العلامات تتراوح ما بين ٨٠، ٩٠ علامة. ويؤرخ دونان هذه الكتابة فيما بين الربع الأخير من الألف الثالث أو الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وهو التاريخ الأرجح، إلا أن دورم يؤرخ هذه الكتابة الشبيهة بالهيروغليفية بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد(١٥) وكل هذا يثبت بطريقة محققة أنه قبل اختراع الأبجدية الفينيقية بوقت كاف كان النظام الأبجدي

---

(١٤) من المهم أن يشير هنا إلى أن كتابة بيلوس (في جبيل) كتابة صوتية تامة، ولكنها بالمقاطع المفتوحة فقط، وهي خطوة للأمام متفوقة على الكتابتين المقطعيتين الكاملتين البابلية والآشورية باستغنائها عن المقطع المقفول بنوعيه. ونخلص هنا إلى نتيجة مؤداها أنها كتابة أبجدية برموز تصويرية مستوحاة من الكتابة المصرية الهيروغليفية استخدمت استخدامًا أكروفونيًا. ويرى جاردنر أن الكتابة السينائية القديمة (التي سبقت ظهور الأبجدية السامية الشمالية بأكثر من قرن)، الأصل الحقيقي للأبجدية الصرفة، وذلك بالرغم من أن القيم الصوتية لعدد كبير من الرموز السينائية القديمة لا تزال مبهمة:

راجع: Gardiner, A. H. and Peet, T. H. *The Inscriptions of Sinai* (London, 1917), Second Edition by T. Cerny; G. Ferrier, pp. 189-192. Driver, G. R. pp. 94-98.

عبدالله عبدالقادر محمود، *اللغة المروية* (مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود)، ص ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ١٧٦.

في حين يرى كونتنو أنه على افتراض الأصل السينائي للأبجدية الشبيهة بالهيروغليفية في بيبلوس، إلا أن الغرض الوحيد الذي يمكن التمسك به هو أن نعدّ الفنيقيين اقتبسوا بعض العلامات، ولا يمنع هذا الاقتباس من أن يكونوا المخترعين الحقيقيين للأبجدية من حيث هي نظام. ومعنى هذا العودة من باب آخر لتأييد النظرية المصرية.

راجع: كونتنو ج. ، *الحضارة الفينيقية*، من الترجمة العربية للدكتور محمد عبدالهادي شعيرة، ص٣٤٧.

(١٥) Gelb, pp. 157-158.

ويشير درايفر إلى أن اللهجات الكنعانية المنطوقة في الفترة بين عام ٢٥٠٠ وعام ١٢٥٠ ق.م. كانت متأثرة إلى حدّ كبير بالثقافة البابلية. Driver, p. 187

راجع: دراسة مقدمة لأكاديمية النقوش في ٢ أغسطس ١٩٤٦م، مجلة سورية، جـ٢٥ (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨م)، ص ص ١ ـ ٣٥.

ويذهب دونان إلى أنه من الراجح أننا أمام نظام مقطعي، أو على الأرجح أمام كتابة أبجدية احتوت على مخصصات للمعاني Determinatives.



لوحة رقم (٣): الأبجدية الفينيقية المبكرة الشبيهة بالهيروغليفية في جبيل (بيبلوس) نقلاً عن كتاب:
Marcel Cohen: La Grande Invention de L'Écritute et Son Évolution (Paris, 1958), p. 107.

كائنًا يتشكل في سبيل الظهور، كما يثبت أن محاولات كثيرة اتجهت نحو ابتكار النظام الأبجدي. وبعد ذلك تطورت الكتابة الشبيهة بالهيروغليفية في منطقة «صور» إلى الكتابة الأبجدية الفينيقية، فمن الممكن جدًا أن فكرة الأبجدية في شكلها النهائي تولّدت على أساس تحويل الرمز المسموع إلى رمز مرئي قابل للتحويل إلى رمز مسموع بعد ذلك. وقد احتوت هذه الأبجدية على اثنين وعشرين حرفًا كلها من النوع الصامت.

ويبدو أن استعمال المصريين لطريقة قصر القيم الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول هو الذي أوحى للفينيقيين بهذا الاختراع[١٦]. وقد كانت المدن الفينيقية على اتصال وثيق بمصر[١٧]، وأيام الدولة الحديثة كانت «صور» ميناء لإنزال الجيوش المصرية الموجهة إلى أقاليم غرب آسيا، وهذا يُعطي دلالة على أن أرجح تفسير للنماذج الأصلية التي أقيمت على أساسها الحروف ـ على فرض أن الحروف نشأت على نماذج ـ هو التفسير الذي يجعل اشتقاق تلك النماذج من رموز هيروغليفية مصرية[١٨]. أما أن يكون الأصل مسماريًا فهو احتمال ضعيف، وإن كان

(١٦) Gibson, John C. L. *Syrian Semitic Inscriptions,* Vol. III, Phoenician Inscriptions, (Oxford, 1982), p.9.
راجع: بروكلمان كارل، *فقه اللغات السامية* من الترجمة العربية للدكتور رمضان عبدالتواب، (الرياض، ١٩٧٧م)، ص٣٥.

(١٧) كانت جبيل مستعمرة مصرية يحكمها حكام مصريون أحيانًا وفينيقيون أحيانًا أخرى. وجبيل تُسمّى بالفينيقية «بَعَلْتْ جبال» أي صاحبة الحدود، أي حيث ينتهي النفوذ الكنعاني شمالاً. وفي هذه المدينة ظهرت الكتابة الأبجدية قبل ابتداء القرن الثالث عشر قبل الميلاد بصورة سهلة وعملية لأول مرة في التاريخ، ومن أجل ذلك سميت عند اليونان «بيبلوس» أي مدينة الكتابة، وهي المركز الديني والمعقل الثقافي لفينيقيا، في حين أن مدينتي صيدا وصور كانتا مركزين أساسيين للحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية للفنيقيين.
راجع: ظاظا حسن، *الساميون ولغاتهم*، ص ص ٦٠ ـ ٦١.

(١٨) Driver: op. cit, p. 187.

من الممكن أن تكون النماذج قد استقيت من أكثر من مصدر. وقد تبنى هذا الرأي العالم الفرنسي «دى روجيه» في عام ١٨٥٩م، إلا أن بروكلمان عارض هذه النظرية، وقال: إن العناصر الصوتية في الهيروغليفية تتعارض مع الكتابة السامية إلا في المبدأ، وهو التعبير في كلتا اللغتين بالخط عن الأصوات الصامتة لاغير، ومعنى ذلك أن الرموز الأبجدية في كلتا الكتابتين تقوم على تحليل أجزاء الصوت إلى أبسط مركباتها وتتمثل هذه المُركّبات، برموز سُمِّيت حروف الهجاء[١٩].

والنقطة الأساسية هنا هي أن الأصل المصري للكتابة السامية، هي أن الساميين نطقوا رموز المعاني التي أخذوها عن الكتابة المصرية حسبما تنطق في لغتهم ـ كما حفل الأكاديون في الكثير من رموز المعاني السومرية ـ ثم اشتقوا منها الحروف الأبجدية بالطريقة الأكروفونية، وأصبح النطق الجديد هو اسم الرمز.

فالعلامة المصرية ⌐┐ بَر، أخذها الساميون وترجموها إلى الفينيقية بيت Beth وأصبحت اسمًا للحرف. وأخيراً أخذت العلامة Beth القيمة b طبقًا لمبدأ تحليل الصوت اللغوي Acrophonic Principle والتي أصبحت بعد ذلك Bayt (منزل)، وهكذا بعض العلامات[٢٠]. ويبدو أن النظرية المصرية قد أعطيت بعد اكتشاف مجموعة النقوش المبكرة[٢١] Proto-Sinaitic التي كتبها الساميون الذين عاشوا في هذه المنطقة تحت الحكم المصري. وهناك

---

(١٩) Gelb, p. 79.

(٢٠) Driver, pp. 162-163.

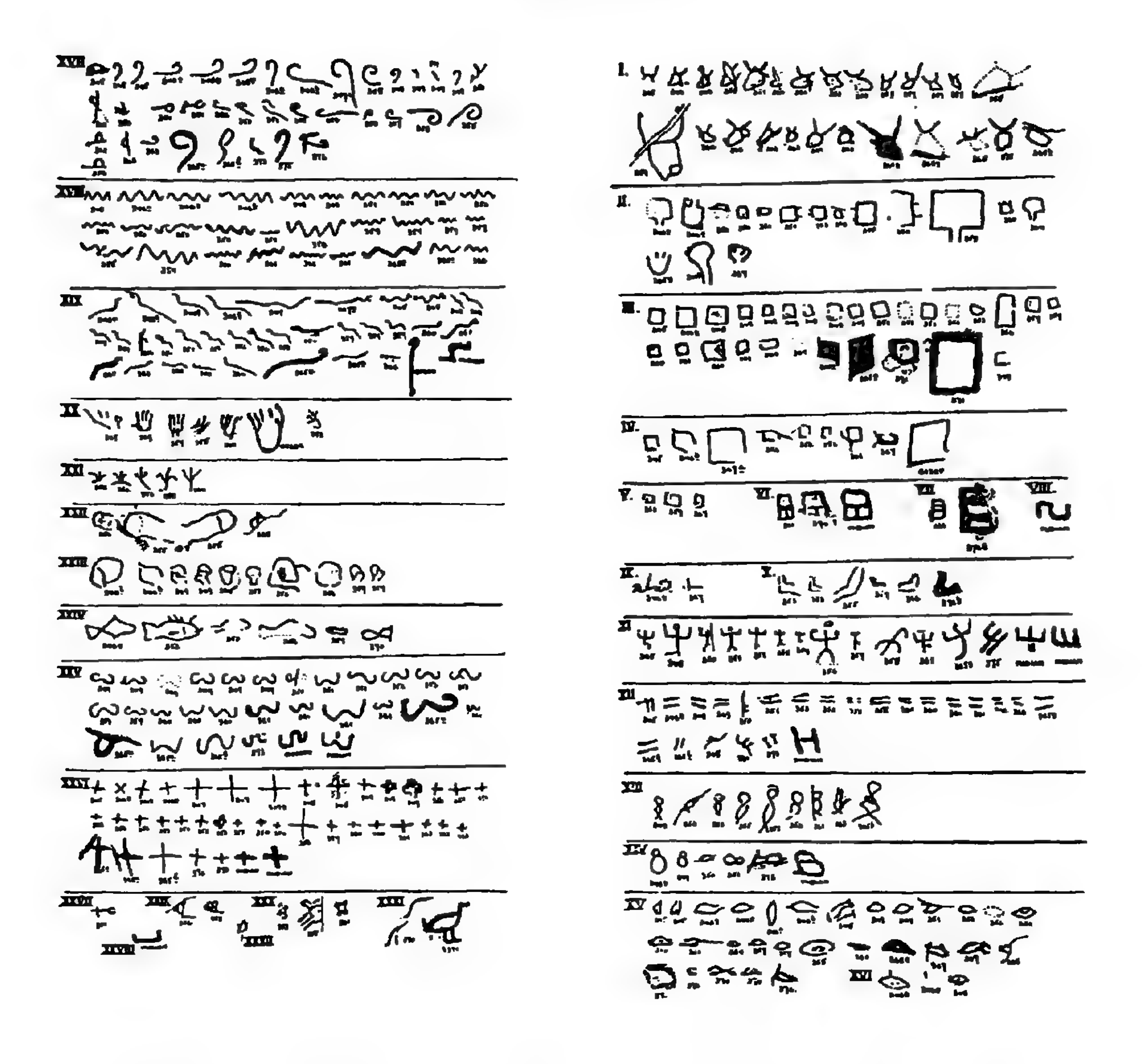
راجع: ;Gelb, pp. 140-141

(٢١) أعلن فلندرز بتري F. Petric عن كشفه نصوصًا عديدة في شبه جزيرة سيناء كتبت بخط غير معروف في ذلك الوقت وأنه يشبه الهيروغليفية المصرية مع اختلاف قليل، ثم أعلن أحد علماء اللغة المصرية القديمة وهو سير آلن جاردنر Sir Alan Gardiner بعد عشر سنوات من تاريخ كشف بترى لهذه النصوص عن تمكنه من حل بعض رموزها وقال: إن هذه النصوص هي الأصل في الأبجدية. وقد اعتمد مبدئيًا على أربعة أو خمسة حروف صامتة ذُكرت أكثر من مرة في هذه النصوص وقرأها كحرف أبجدي عبري.

ويلغ مجموع العلامات التي كشفها بتري أكثر من ثلاثين علامة (صورة)، وبدأ جاردنر محاولاته لتنظيمها على أساس أبجدي، ولاحظ على ست علامات من هذه الصور مواءمتها للمعاني الخاصة بحروف الأبجدية العبرية واليونانية، وكانت هذه الملاحظة مهمة لأنها كانت بمثابة المفتاح التي تمكن به العلماء من فتح الطريق لمعرفة أصل اللغات الحديثة في الشرق الأدنى وفي أوربا، فمثلاً رأس الثور ✓ الذي صار في أحد هذه النصوص هو (ألف Aleph يوناني Alpha) ويعني ثورًا في العبرية، والعلامة التي تمثل خطًا متعرجًا ~~~، وهي تشبه العلامة التي تمثل المياه في اللغة المصرية، ولابد وأنها تمثل الحرف الأبجدي (م m) لأن (mēm) هي الكلمة العبرية التي تعني ماء، وقد رسم اليونان الميم m بشكلها الفينيقي. وهكذا فسر جاردنر النصوص السينائية قدر المستطاع. وقد ارتفع عدد النصوص السينائية إلى حوالي ٢٥ نصًا بعد بعثات قامت بها جامعة هارفارد الأمريكية إلى منطقة سرابيط الخادم بسيناء، وظل الكثير من ترجمة هذه النصوص غامضًا حتى عام ١٨٤٨م حينما كشفت بعثة جامعة كاليفورنيا الأسس التي استطاع بها علماء اللغة حلّ تلك النصوص، وأمكن تأريخها بالقرن الخامس قبل الميلاد. وبذلك ثبتت صحة بعض استنتاجات جاردنر. راجع:

Gardiner, A. H. and Peet, T. H. *The Inscriptions of Sinai* (London, 1917), Second Edition by T. Cerny; G. Fevrier, pp. 189 - 192

ولكن «جلب» يؤرخ مجموعة النقوش السينائية المبكرة بالفترة ما بين ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م.، ويشير إلى أن ليبوفتش Leibovitch قام بتعداد العلامات السينائية بحوالي ٣١ علامة، راجع: Gelb, pp. 122-125, p. 132.



لوحة رقم (٤): الكتابات السينائية المبكرة نقلاً عن نقوش ليبوفيتش التي نشرها عام ١٩٣٤م، وهذه الكتابات جاءت في كتاب: جلب. Gelb, I. J., pp. 124-125, Fig. 63.

حقيقة تشير إلى أن علامات السينائية المبكرة هي الحلقة المفقودة بين النماذج الهيروغليفية المصرية والأبجدية الفينيقية(٢٢).

ويذهب الأستاذ جوزيف هاليفي Hale'vy إلى أن الفينيقيين قد أخذوا أربعة عشر حرفًا فينيقيًا من الكتابة الهيروغليفية المصرية، ومن هذه الحروف الأصلية استنتجوا الحروف الثمانية الباقية، فالحاء 𐤇 ليست إلا تطورًا عن الهاء 𐤄 بإضافة خط لها، وهو ما يمكن التسليم به تجاوزًا. ولكنه لم يوضح تصوره في استنتاج بقية الحروف الثمانية، وما ذلك إلا لضعف هذه النظرية في الاستنتاج دون إبداء الأسباب المقنعة، فكيف إذن نحدد نصيب الفينيقيين في اختراع الكتابة بثمانية حروف فحسب(٢٣).

وبهذه المناسبة نجد لزامًا علينا أن نُشير إلى نظرية عالم الساميات لتزبارسكي ـ بعد أن تيقَّن بأن البرهنة على الأصل المصري للكتابة الفينيقية ليست قاطعة ـ الذي يرى فيها أن الأبجدية الفينيقية قد استُعيرت من الكتابة المصرية، وقام بها رجل كنعاني لا يُتقن طريقة الكتابة المصرية، فلم يأخذ منها إلا عددًا قليلاً من العلامات، واشتق الباقي من هذه المعلومات، في حين أنه لو كان يعرف الكتابة المصرية بصورة جيدة، لما كان في حاجة إلى اختراع بقية العلامات(٢٤). ولكن هذه النظرية مردود عليها هي الأخرى بأن القيم الصوتية في الفينيقية السامية مختلفة عن القيم الصوتية في المصرية القديمة.

ولشرح ذلك نقول: يبدو من صور حروف الأبجدية الفينيقية الأولى التي وصلت إلينا خلال الكتابات الفينيقية أو خلال أبجدية الإغريق المقتبسة عنها؛ أن هذه الصور لا تزال تحمل الشكل التقريبي لمدلولات أسمائها السامية. وهذا يعني أن هذه انطلقت من التصويرية وفق نهج سامي خاصّ، مما جعل الصورة رمزًا للحرف المنطوق(٢٥).

---

(٢٢) Gelb, p. 138; Driver, p. 140.

(٢٣) رينو ديسو، *العرب في سوريا قبل الإسلام* من الترجمة العربية للدكتور عبدالحميد الدواخلي والدكتور محمد مصطفى زيادة (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص ص ٧٧ ـ ٧٨. راجع: كارل بروكلمان، *فقه اللغة السامية* من الترجمة العربية للدكتور رمضان عبدالتواب (الرياض، ١٩٧٧م)، ص ص ٣٥ ـ ٣٦، Gelb, p. 138.

(٢٤) ديسو، المرجع السابق، ص ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢٥) فصورة الألف هي رأس ثور اسمه «ألف» وصورة الباء هي صورة بيت و«الدال» هي باب الخيمة «دلتا» والجيم صورة «جمل»، وعلى هذا المثال جاءت بقية الحروف في أصالتها.

Egyptian hieroglyphs	Sinai	Gebal I	Gebal II	Lak'ah	Gebal III	Gezer Lachish Shechem	Tell-el-Hesy	'Ain Shems	Tell-ed-Duweir	Phoenician (Byblian) alphabet	Hebrew	Value
											א	'
											ב	b
											ג	g
											ד	d
											ה	h
											ו	w
											ז	z
											ח	ḥ
											ט	ṭ
											י	y
											כך	k
											ל	l
											מם	m
											נן	n
											ס	s
											ע	'
											פף	p
											צץ	ṣ
											ק	q
											ר	r
											ש	š
											ת	t

لوحة رقم (٥) الأبجدية الهيروغليفية المصرية ـ السينائية المبكرة والكنعانية في جبيل والفلسطينية المبكرة بالمقارنة مع الأبجدية الفينيقية في جبيل (بيبلوس)، نقلاً عن كتاب: درايفر «الكتابات السامية»، ص ص ١٤٢، ١٤٣ الشكلان رقما ١، ٨.

ويرى درايفر أن أسماء الحروف الأبجدية ذاتها تشير إلى أنها وصلت من لغة سامية رئيسية كانت منتشرة قبل انشطارها إلى اللغات الثلاث المعروفة: الفينيقية والآرامية والعبرية. فأسماء الحروف في رأي درايفر غير متجانسة، فبينما نجد بعضها فينيقيًّا مثل: بيت bêt وميم mêm ، نجد البعض الآخر عبريًّا مثل: واو wâw تاء tâw ، كاف kap ، قاف qâp ، زاين Zayin ، عين Ayin. وأخرى هي بوضوح آرامية مثل: ريش rêš ، صادى Sādê ، ألف aleph ، دالت dālet ، لامد lāmed ، سامخ sâmek(٢٦).

كما أن اللغات السامية لم تتبع في البداية نظامًا للحركات، واعتمدت على الحروف اللينة الألف 𐤀 ، الهاء 𐤄 ، واليود 𐤉 ، والواو 𐤅 ، في حين أن اليونانية التزمت بنظام الحركات، وهي الحروف التي تُفيد المد إلى جانب كونها صوامت أيضًا.

ومن المؤكد أن النظامين الأبجدي والمقطعي كانا يستخدمان جنبًا إلى جنب أكثر من ألف سنة، حيث بقيت المقطعية المسمارية تستعمل في أرض الرافدين حتى زمن الأخمينيين الفرس الذين استخدموا مقطعية خاصة بهم، بينما كانت إمبراطوريتهم الواسعة تستخدم الأبجدية(٢٧).

وقد أخذ اليونان عن الفينيقيين أبجديتهم(٢٨) فيما بين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، ويؤكد هذا الرأي عدم وجود نصّ يوناني سابق للقرن الثامن قبل الميلاد. ويشير درايفر إلى أن اليونان ربما استعاروا الأبجدية الفينيقية

---

(٢٦) Driver, pp. 155-156.

(٢٧) Driver, p. 131; Cross, Frank Moor Jr. *The Origin and Early Evolution of the Alphabet* (Eretz Israel), 8 (1967), pp. 9-10.

(٢٨) الأبجدية الإغريقية مطابقة للحروف الفينيقية الأصلية بعضها لبعض (٢٢ حرفًا)، وترتيب الهجائين متماثل في الأبجديتين، فمثلًا أول ثلاثة أحرف في الإغريقية الفا ـ بتيا ـ جاما alpha, beta, gamma تقابل الأحرف الثلاثة الأولى من الفينيقية ألف ـ بيت ـ جيمل . . إلخ aleph, beth, gimel. راجع: Woodhead, A. G. *The Study of Greek Inscriptions* (Cambridge, 1959), pp. 12-15.

كان لإغريق موكيناي الآخيين كتابة يونانية حوالي ١٤٠٠ ق.م.، اختفت نتيجة لغارات شعوب البحر حوالي ١٢٠٠ ق.م.، فالكتابة التي استخدمها الآخيون هي مينوية بالخط ب المشهور، فاللغة موكينية والخط مينوى الأصل. وما لبث الإغريق أن عادوا إلى الكتابة بعد أن طوّروا أبجديتهم بالأخذ من الأبجدية السامية، وكانت المينا على مصب نهر العاص في شمال سوريا أحد المراكز المهمة التي اختلط فيها الإغريق مع الساميين. راجع: Jeffery, L. H. *Archaic Greece* (London, 1976), pp. 25.

وهناك رأي «لجوزيف نافه» Joseph Naveh بأن استعارة الإغريق للأبجدية الفينيقية أقدم مما هو مقترح، ترجع لحوالي ١١٠٠ ق.م.، ولم تكن لوصول الإغريق للشرق، وإنما لتحرك الفينيقيين أنفسهم غربًا. راجع: Joseph Naveh, "Some Semitic Epigraphical Considerations on the Antiquity of the Greek Alphabet, American Journal of Archaeology 77 (1973), 1-8.

حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وطوّروها خلال القرنين التاليين. وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد استقر استخدام الأبجدية اليونانية المطورة في شتى مناحي الحياة، وذلك بعد أن طوّعوها بما يتمشى مع احتياجات لغتهم كلغة هندأوربية، وحذف اليونان بعض صوامت، وأضافوا أصواتًا أخرى، كما حوّلوا بعض الصوامت الأخرى ـ لا يوجد ما يقابلها في اللغة اليونانية ـ إلى حروف متحركة، وثمة تحسين آخر أدخله اليونان، وهو تغيير طريقة الكتابة فقد كانت من اليمين إلى اليسار، فغيّروا هذا الشكل إلى الكتابة من اليسار إلى اليمين. ومن اليونان انتقلت الأبجدية في ثوبها الجديد إلى روما وغرب أوربا. ومن ناحية أخرى أخذ الآراميون الأبجدية الفينيقية ونشروها في معظم أنحاء آسيا حتى حدود الصين(٢٩).

وهذه المقارنات بين الأبجديات لا تُؤدي على الأرجح إلى نتيجة إيجابية، ومع ذلك فالراجح أن أهل فينيقيا قاموا بدور أكبر مما تصورنا إلى الآن في تكوين الأبجدية. ويجب الاعتراف للفينيقيين بما هو من حقّهم صدقًا، فهم أصحاب اختراع من أكبر الاختراعات البشرية، منذ أن تركوا بإرادتهم الكتابات الكثيرة التي كانت مستعملة في أيامهم، ومنذ أن ميّزوا ٢٢ صوتًا بسيطًا تتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم، ومنذ أن ابتكروا نظامًا كاملاً من العلامات على درجة مدهشة من البساطة يتميز فيه كل حرف لأول وهلة عن سائر الحروف الأخرى. ومن هنا برزت طبيعة الأبجدية الفينيقية كأبجدية مخترعة مبتكرة، كما تشهد بذلك نصوص تابوت أحيرام (حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، والأسطورة اليونانية حول قدموس Cadmus ـ الاسم من أصل سامي قديم معناه (الشرق) أي المكان الذي تَقْدُم منه الشمس، وهو ابن أجنور Agenor ملك صور ـ تقول: إن قدموس وهو يودع أخته أوربا Europa (الغرب حيث تغرب الشمس) أهداها قلمًا، والأسطورة بذلك ترمز إلى الغرب ممثّلاً في اليونان الذين أخذوا أبجديتهم عن الشرق وعن شرق سامي بالذات.

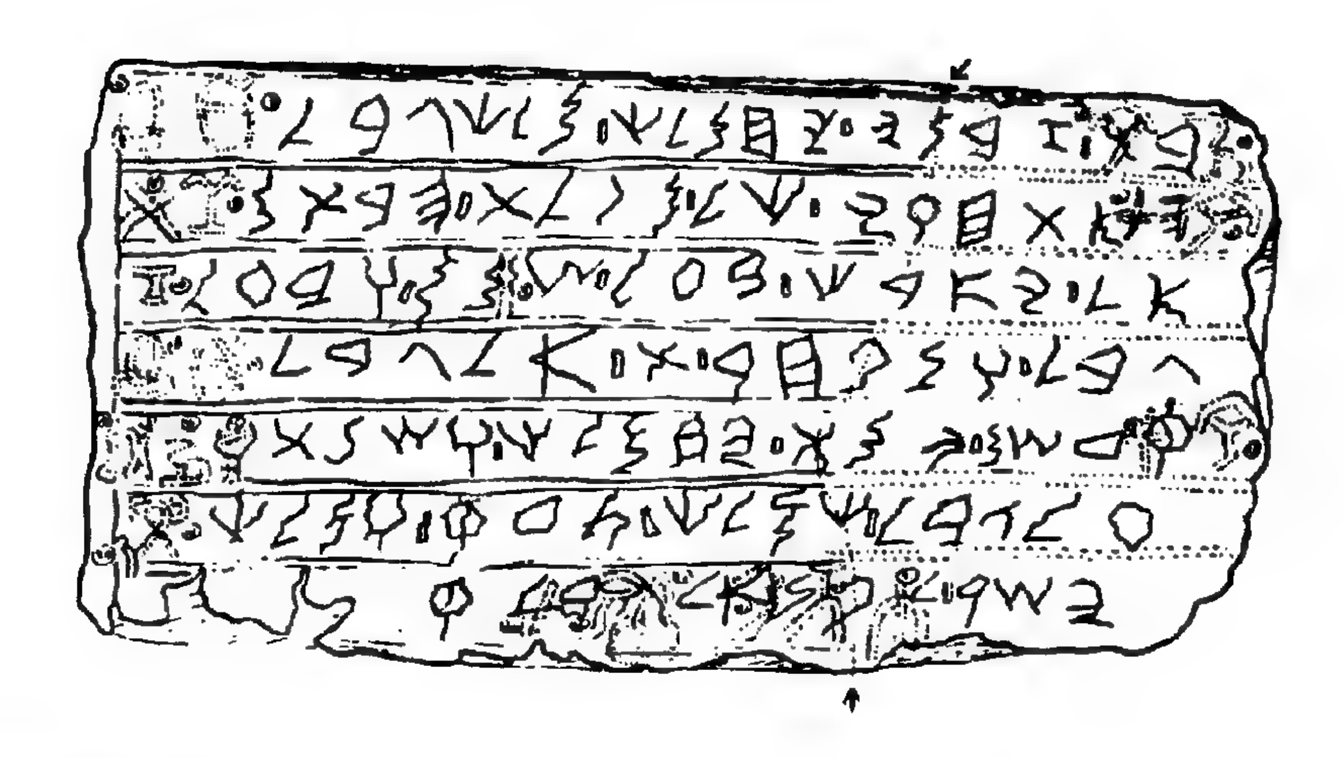
---

(٢٩) Woodhead, pp. 14-15; Gelb, pp. 176-179; Driver, p. 178.

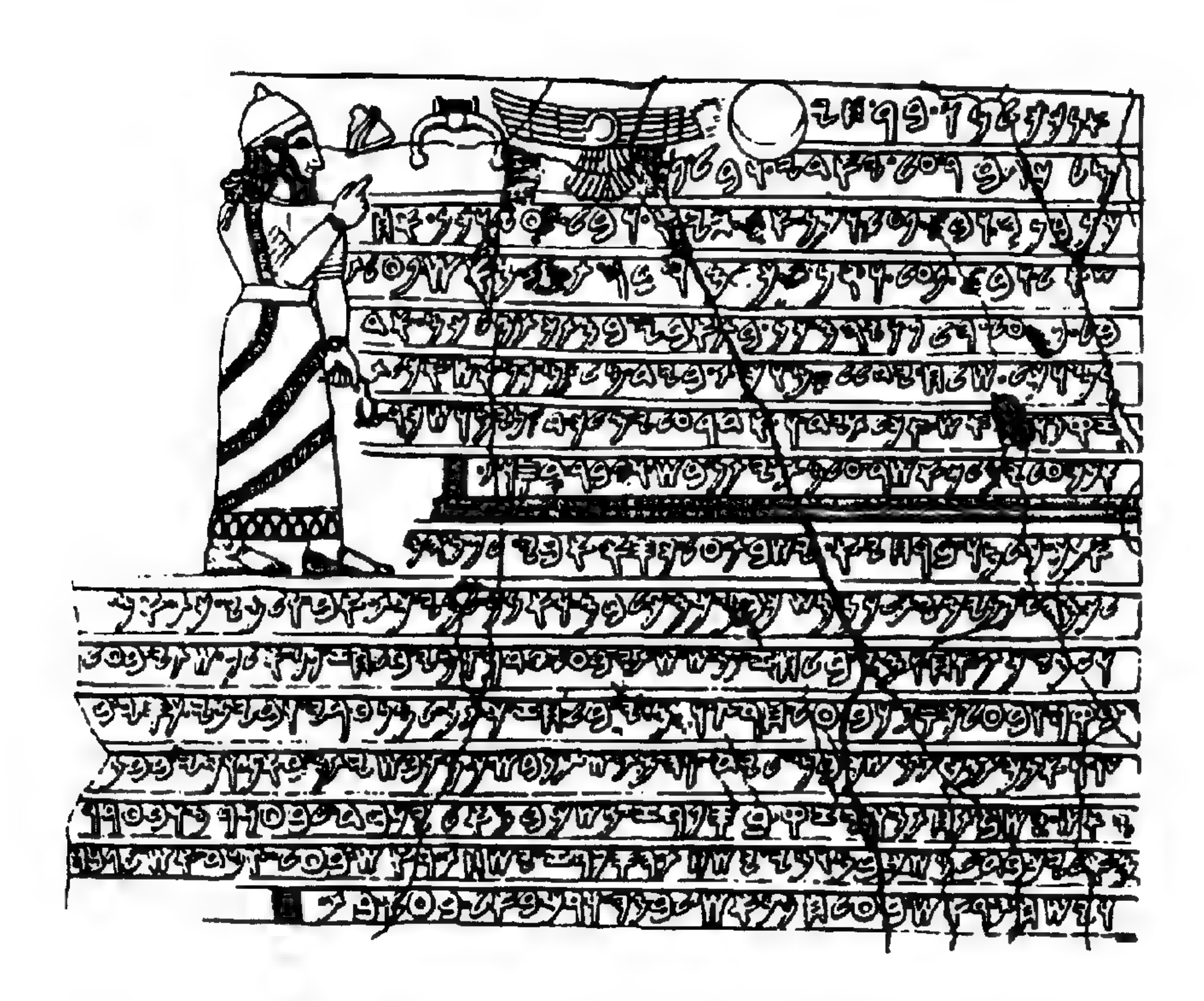
لوحة رقم (٦) لوحة الأبجدية الفينيقية المبكرة (١٢٠٠ ـ ٧٠٠ ق.م.)، (نقلاً عن كتاب جبسون J. Gibson جـ٣، النقوش الفينيقية).

لوحة رقم (٧): لوحة الأبجدية الفينيقية المتأخرة (٦٠٠ ـ ٢٠٠ ق.م.)، نقلاً عن كتاب جبسون J. Gibson جـ٣، النقوش الفينيقية).

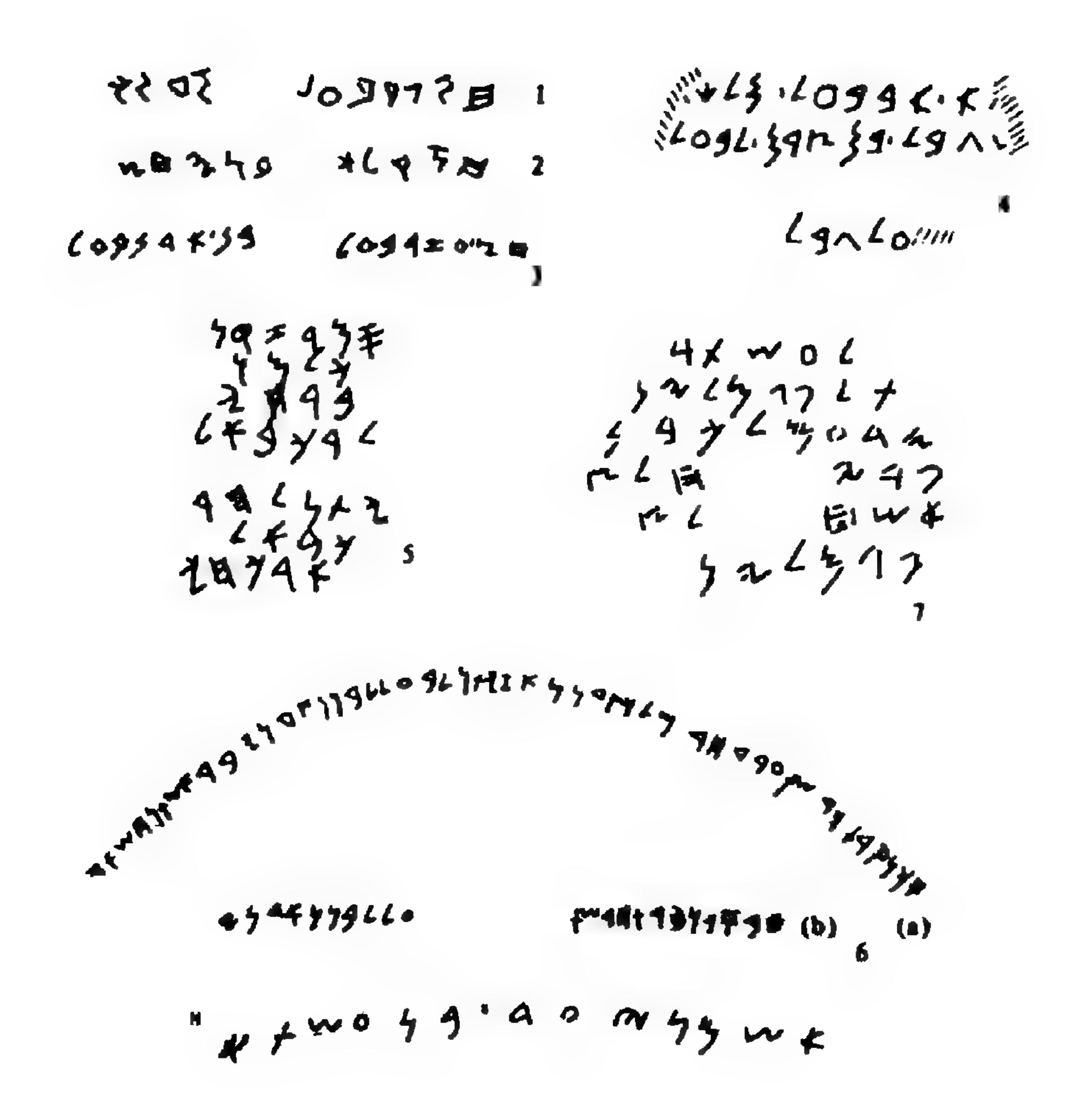
لوحة رقم (٨): نقش أحيرام Ahiram في بيبلوس (حوالي ١٣٠٠ ق.م.)، نقلاً عن كتاب جلب (ص ١٣١).



لوحة رقم (٩): نقش يهملك Yehimilk (حوالي ١٢٠٠ ق.م.)، نقلاً عن كتاب جبسون، جـ٣ النقوش الفينيقية في بيبلوس.



لوحة رقم (١٠): نقش كلمو Kilamuwa (حوالي ٩٠٠ ق.م.)، نقلاً عن كتاب جبسون، جـ٣، النقوش الفينيقية في (زنجيرلي).



لوحة رقم (١١): بعض النقوش الفينيقية المبكرة (١١٠٠ ـ ٩٤٠ ق.م.)، نقلاً عن كتاب جبسون، جـ٣، النقوش الفينيقية.

لوحة رقم (١٢): نقش تبنت Tabnit (حوالي ٣٠٠ ق.م.) من النقوش الفينيقية المتأخرة (في صيدا).

لوحة رقم (١٣): نقش اشمنعزر Eshmunazar (حوالي ٣٠٠ ق.م.) من النقوش الفينيقية المتأخرة (في صيدا).

هل الكتابة المَرَوِيّة على النمط السامي؟
«رأي جديد»

أ . د. عبد القادر محمود عبد الله

أولاً : الرأي العام عن الكتابة المَرَوِيّة

من الأفيد لنا وللقاريء أن نلخص الرأي الشائع عن الكتابة المَرَوِيّة، في خطيها الهيروغليفي والمختَزَل في نقاط، قبل عرض رأيي الجديد عن الكتابة المَرَوِيّة، وأهم النقاط في الرأي العام هي :

(١) الكتابة المَرَوِيّة كتابة أبجدية تقريبًا، وهي على النمط اليوناني بثلاثة وعشرين رمزًا (الشكلان ١ و٢)، منها ثمانية عشر صامتًا (consonants) [١]، وثلاثة صوائت (vowels) [٢]، هي حروف حركات أو مد، ومقطعان مفتوحان (open syllables) يشتركان في صامت واحد هو التاء[٣]، ويكتبان *te* و *to* باللاتينية؛ ولولا هذان المقطعان لكانت الكتابة أبجدية صرفة.

(٢) أن الصوائت الثلاثة هي ما تكتب *e* ، *i* ، *o* باللاتينية، كما يرى في الشكل (١)، وأنه لا يوجد هناك رمز خاص بالصائت *a* ؛ أما الرمز الذي يُكتب *a* في الكتابة اللاتينية للغة المروِيّة، ولا يكون في اللغة المروية إلا في أول الكلمة، فهذا صامت، همزة، وليس صائتًا (أنظر «٥» فيما بعد).

(٣) أن المقطعين المفتوحين القائمين على حرف التاء يُكتبان *te* و *to* باللاتينية، حيث ثبت من احتواء الأول منهما على ما يقابل الصامت المقابل للتاء *(t)* والصائت المقابل لـ *e* ، ومن احتواء الثاني للصامت نفسه، وما يُقابل الصائت *o*.

(٤) يرى غريفث قديمًا[٤] وهينتزة حديثًا[٥] أن اللغة المروِيّة مكتوبة كتابة مقطعية، بمقاطع مفتوحة، الواحد منها (وكما هي صفة المقاطع المفتوحة) مكون من حرفين، صامت وصائت.

---

(١) الشكل ١ : ٤ ـ ١٢، والشكل ٢ : ١٣ ـ ٢٠، ٢٣.

(٢) الشكل ١ : ١ ـ ٣. وتعرف اصطلاحًا بالحروف الصائتة. ولأنّ هذه الرموز في الكتابة اللاتينية تؤدي وظائف الحركات في الكتابة العربية أحيانًا، ووظائف حروف المد أحيانًا أخرى فيها، فإني ملت إلى تسمية هذه الرموز، «بصوائت حركات أو مدّ» بصفة عامّة، وبتخصيص الوصف، إما «صائت حركة» أو «صائت مدّ»، حسب الحالة المعترضة. وهذا أضبط وأسلم في رأيي.

(٣) الشكل ٢ : ٢١ ٢٢.

(٤) Griffith, F. Ll. *Karanòg. The Meroitic Inscriptions of Shablûl and Karanòg*, pp. 7, 23.

(٥) In Abdalla (ed.), *Studies in Ancient Languages of the Sudan*, p. 74; 2 (1988), pp. 41-50.

الرَّقَمُ المتَسَلسِلُ	الرَّمْـــزُ		القيمَةُ الصَّوتِيَّةُ	
	المُخْتَزَلُ	الهيرُوغلِيفي	العربِيَّة عندي	اللاتينِيَّة المصطلحة
١			أ (صامت)	a
٢			ألـف مـد	e
٣			واو مد	o
٤			ياء مد	i
٥			ي (صامت)	y
٦			و (صامت)	w
٧			ب	b
٨			پ	p
٩			م	m
١٠			ن	n
١١			نً (مُغَنَّنَة)	n
١٢			ر	r
١٣			ل	l
١٤			خ	ḫ
١٥			خَ	ẖ
١٦			س	s
١٧			ش	š
١٨			ك	k

الشكل رقم (١): الرموز المروية المختزلة والهيروغليفية.

الرَّقْم المتسلسِل	الرَّمْــــزُ		القيمَةُ الصَّوتيَّةُ	
	المُخْتَزَلُ	الهيرُوغليفي	العربيَّة عندي	اللاتينيَّة المصطلحة
١٩	[illegible]	Δ / Δ	ق	q
٢٠	[illegible]	[illegible]	ت	t
٢١	[illegible]	[illegible]	تا	te
٢٢	[illegible]	[illegible]	تُـو	to
٢٣	[illegible]	[illegible]	د	d
٢٤	⁚ ..	⋮ ooo	فاصلة بين الكلمات	word-divider

الشكل رقم (٢): الرموزالمروية المختزلة والهيروغليفية (تكملة).

(٥) وكما يرى غريفث قديمًا(٦)، ولم يخالفه في ذلك أحد غيري، فإن الحالات التي لا يظهر فيها أي صائت من الصوائت الثلاثة بعد صامت يجوز اصطلاحًا كتابة الحرف اللاتيني *a* (حرف الفتحة أو ألف المد) مكانه.

والذي يلاحظه المرء هو أن الرأي الشائع هذا يجعل من الرموز ([illegible]) التي تقابل *e* ، *i* و *o* بالـلاتينية طمقـابلة للحركات ولحروف المد في الكتابة العربية في آنٍ واحدٍ، وهي صفة هذه الحروف في الكتابات الأوروبية الحالية التي لا يختلف فيها شكل الحرف في حالتي المدّ وعدمه، لكون كل ذلك محكومًا بالعرف الذي تُنطق به الكلمة التي يرد فيها الحرف المعنيُّ، وما إذا كان بعده حرف صامت فقط أم صامت وصـائت للمـد، إلى غير ذلك من أعرافٍ وضوابطٍ لنطق الكلمات في هذه اللغات؛ أما في العربية فالأمر مختلف، وبخاصة بعد استخدام الحركات، إذ أصبح للمدّ حروفه، ولعدم المد حركاته؛ وهذه ملاحظة مهمّة قدمتها قبل أوانها في البحث للتنبيه، ولأن عليها تقوم نظرتي الجديدة في الكتابة المَروِيَّة.

وبناء على ما جاء في النقاط المذكورة قبل قليل فإن كلمتين مثل [illegible] و [illegible] تُكتبان *qore* و *mli* بالحروف اللاتينية، ذلك لأن الرأي العام في دراسة الكتابة المرويّة قد قبل [illegible] على أنها *q* (القاف)، و [illegible] بعدَها

(٦) *Op. cit.*, 16.

على أنها o (صائت الضمة أو واو المد)، و ... على أنها r (الراء) و ... على أنها e (صائت الكسرة الممالة لفتحة أو واو المد الممالة لألف)، وذلك في الكلمة الأولى ... (والتي يجوز أن تُكتبَ قُـرَ من غير مدّ في مقطعيها، وقُورِي qore بمد وإمالة فيهما؛ كما يجوز أن تكون الكتابة بمد وإمالة في أحد المقطعين، وبإمالة فقط من غير مدّ في الآخر؛ وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة ...، المكتوبة بالحرف ... وهو m (الميم)، بعدها ... وهو l (اللام) وأخيراً ... وهو i (صائت الكسرة أو ياء المد)؛ وحيث إنه لم يظهر صائت بعد ... (m: الميم)، فإنه قُدِّر على أنه a (صائت ـالفتحة أو ألف المد) وفقًا لما هو مذكور في النقطة «٥» أعلاه؛ ومن ثم فإن الكلمة الثانية ... يجوز أن تكون mali: مَلِ من غير مد، كما تجوز أن تكون māli: مَالِي بمد في مقطعيها، كما يجوز أن تكون بمد في أحد المقطعين وبدونه في الآخر.

كان ذلك تلخيصًا للنقاط الأساسية في الرأي الشائع بين الباحثين في اللغة المرويّة وكتابتها، ويلي ذلك رأيي الجديد في الكتابة المروية.

ثانيًا: مناقشـة

لاشك أن غريفث، وهو الذي فك رموز الكتابة المَروِيَّة، قد أعطى لهذه الرموز المروية الثلاثة المذكورة أعلاه قيمًا صوتية (دلالات صوتية) لاتينية من منطلقه الغربي، وعدّ الكتابة المروية سائرة على نسق الكتابة اليونانية القديمة المعاصرة لها آنذاك، حين كان للغة اليونانية شأن في مصر في القرن الثاني قبل الميلاد، وهو القرن الذي ولدت فيه الكتابة المرويّة. وكان للمقابلات التي قام بها غريفث بين الكلمات المرويّة من جهة، وتلك المكتوبة بالكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية والديموطيقية)، واليونانية، والقبطية، من جهة أخرى، ثم العكس، أثـر كبير في تقدير القيم الصوتية (الدلالات الصوتية) اللاتينية المذكورة أعلاه للرموز المرويّة الثلاثة موضوع البحث.

ولا يلومنّ أحد غريفث ومن جاء بعده من الباحثين الغربيين في قبول تلك القيم الصوتية لتلك الرموز الثلاثة ما دامت جذورهم الثقافية جميعها لاتينية، وإنما يلومنا نحن إن سرنا على الهدى نفسه دون تأمل أو تساؤل عما إذا كانت الكتابة المروية على هذا النسق فعلاً!.

والخلل الظاهر عندي الآن فيما أعطاه غريفث من قيم صوتية للرموز الثلاثة المذكورة هو أن نجد للكسرة (أو ياء المد) رمزين، أحدهما بإمالة (... : e) والآخر (... : i) بدونها، على حين نجد رمزًا واحدًا فقط للضمة (أو واو المد) أو إمالته (... : o) ولا شيء للفتحة (أو ألف المد). إن كتابة غريفث لصائت الحركة a (فتحة)،

بعد أي صامت لا يظهر بعده أي واحد من الرمزين السابقين اجتهاد منه، وأرى فيه ضعفًا، ذلك لأن هذا الوضع لا يخص صائت الحركة فحسب وإنما يشمل ألف المد أيضًا. ولا يُعْقَل عقلاً أن يتجاوز خطٌّ ما، فيبين صوتًا واحدًا برمزين، بإمالة مرة ويدونها مرة أخرى (وبمد أو بدونه) كما فعل للكسرة (*e* و *i*)، ويخلو من صوت كامل (بمد أو بدونه) كما فعل مع الفتحة وألف المد (*a*)، وهذه هي نقطة اختلافي مع غريفث ومنطلق رأيي الجديد في الكتابة المَرَويَّة، والذي أعرضه في هذا البحث.

وإني منذ أن تعلّمت اللغة المرويّة، وبعد أن صرت من دارسيها والباحثين فيها بحمد الله وتوفيقه، كنت أساير الركب إلى عهد قريب، وكنت لا أرى مانعًا من قبول تلك القيم الصوتية كما قيل لنا إنها هي، وانبعاثًا من المنطلق اليوناني اللاتيني الذي ألفناه وقبلناه، لذا لم تتجاوز محاولتي كتابة اللغة المرويّة بالحروف العربية في بحثيَّ المذكورين أعلاه (الهامشان ٨، ١٢) سوى التفكير في إيجاد المقابل بالكتابة العربية لتلك الرموز الثلاثة، كما اتفق على قبولها بالكتابة اللاتينية.

ولم يسأل واحد منّا، نحن الباحثين في اللغة المروية وكتابتها، نفسه إن كانت الكتابة المرويّة على النمط اليوناني حقًّا، وليس على النمط الساميّ. لقد بدأت أتساءل منذ سنوات لِمَ لا تكون الكتابة المرويّة على النمط السامي الذي كان أول ما عرف في الكتابة المصرية القديمة عندما تكتب أبجديًّا[٧]؟ إن قرائن الأحوال تجعل من الصواب أن تكون الكتابة المروية على النمط الساميّ، وتجعل من الغريب في الوقت نفسه أن تكون على النمط اليوناني. وقبل أن أسوق القرائن أودّ أن أنوّه في ذلك التساؤل بفضل الزميل عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري حينما اقترح علي أن أنظر في إمكـانية انتـماء الكتابة المرويّة لنمط الكتابات السامية، وذلك بعدما تفضل واطلع على فصول كتابي عن اللغة المرويّة، الجزء الأول، والخاص بكتابتها[٨].

أما القرائن، وبعضُها مما كان قد أشار به عليَّ عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري، فهي:

(١) إن الرموز المروية الهيروغليفية والتي لها وجوه، وباستثناء واحد منها هو ، تُوجَّه نحو نهاية السطر، لا إلى بدايته، كما في المصرية الهيروغليفية، على الرغم من أن الرموز المروية الهيروغليفية كانت قد أخذت منها. وهذا

(٧) لا شكّ أن قدماء المصريين هم أول من عرف الكتابة الأبجدية، وهو شيء واضح في وجود أربعة وعشرين رمزًا أبجديًّا بين رموز الكتابة المصرية القديمة، منها أربعة للمدّ (اثنان منها للياء)، كما هو واضح في مئات الكلمات المكتوبة كتابة أبجدية، والجمل المكتوبة كلها بكلمات مكتوبة كتابة أبجدية. وقد كان موضوعي الأول لهذه المناسبة هو السبق المصري في الكتابة الأبجدية، لكن تجاوز البحث بعد كتابته إلى المناسب في الطول، جعلني أستبدله بهذا الموضوع، والأمل معقود في أن ينشر البحث الأول في كتيب خاصّ به.

(٨) *اللغة المرويّة*، الجزء الأول، ص ٢٣.

التوجيه هو ما عرف في الكتابة السامية التصويرية في بدايتها، ولم يختف تمامًا في صورتها التجريدية[٩].

(٢) إن عدد الرموز المروية، وهو ثلاثة وعشرون رمزًا، يقع في إطار الرموز الأبجدية الساميّة، والمصرية القديمة (٢٤ رمزًا).

(٣) في الكتابة المروية في صورتيها الهيروغليفية والمختزلة فاصلة بين الكلمات، وهي ثلاث دوائر في الهيروغليفية، ونقطتان في المُختَزَلة، ولا شبيه لهذه الفاصلة لا في المصرية القديمة ولا في اليونانية، وإنما يوجد شبيه لها في العربية، وفي اللحيانية بصفة خاصة.

(٤) إن ربط استخدام الرموز الثلاثة، وهي [illegible] و [illegible] و [illegible] بالكتابة السامية سيحل كثيراً من المشكلات التي كانت تعترض الباحثين بخصوصها، باعتبارها صوائت مد على النمط السامي، لا صوائت للحركات أو المد على النمط اليوناني تقابل الحروف اللاتينية *e* و *i* و *o*، على التوالي، كما هو المعتقد عامة، وهو شيء سنفصل فيه القول فيما بعد إن شاء الله.

(٥) إن اعتبار الكتابة المروية على النمط اليوناني يجعلها فريدة في زمانها ومكانها؛ فالمعروف أنه في القرن الثاني قبل الميلاد لم تكن الكتابة باللغة اليونانية قد سادت في الشرق بعد، وإن كان المتكلمون بها في تزايد، ثم إن مصر نفسها لم تتخل عن لغتها المصرية بعد، والمعروفة بالديموطيقية، وظلت تكتبها بالخط المعروف بالديموطيقي لثلاثة قرون على أقل تقدير بعد مولد الكتابة المروية. ولم يُنْبَذِ الخط الديموطيقي إلا بعد زيادة التأثير اليوناني، وانتشار النصرانية في مصر، وتبلور اللغة التي عُرفت بالقبطية وكتابتها بخط يوناني به سبعة رموز موروثة من الديموطيقية. فقد كان أولى أن تكون كتابة لغة مصر ـ لا الكتابة المروية ـ في القرن الثاني قبل الميلاد (وهو مولد الكتابة المروية)، على النمط اليوناني، ومصر آنذاك واقعة تحت الحكم البطلمي والتأثير اليوناني المتزايد الذي كان من أهم سماته استخدام اللغة اليونانية، مخاطبة وكتابة، استخدامًا واسعًا جدًّا إلى جانب اللغة المصرية.

وهكذا فإن اللغة اليونانية لم تكن اللغة الوحيدة السائدة في مصر، وإنما كان معها الديموطيقية، كما لم تكن اللغة المصرية نفسها قد كُتِبَت باليونانية بعد حتى تحاكيها الكتابة المروية كما فعلت اللغة النوبية التي كتبت بالحروف اليونانية بعد ذلك بقرون محاكاة للقبطية؛ هذا بالإضافة إلى أن اليونانية لم تكن اللغة الثانية في كوش (السودان القديم)، وإنما كانت المصرية القديمة بخطيها الهيروغليفي والديموطيقي، هذا من جهة.

أما من جهة ثانية، فإننا إذا أخذنا في الاعتبار أن الكتابة الديموطيقية المصرية كانت على نمط الكتابة المصرية القديمة الموروثة منذ القدم[١٠]، وأن الكتابة الأبجدية في الديموطيقية كانت على النسق القديم الذي ظهر لنا فيها

(٩) انظر بصفة خاصّة بحث: Cross, F. Moore (Jr.), *Eretz Israel* 8, pp. 8*-24*

(١٠) البحث المذكور في الهامش ٧.

بعد في الكتابة السامية واشتهرت به، وأن الكتابات في الجزيرة العربية وبلاد الشام كانت أبجدية، لذا فأن تكون الكتابة المرويّة على نسق هذه الكتابات، لهو الأقرب إلى العقل والأسلم في المنطق من أن تكون على النسق اليوناني، حيث تكون بذلك جزيرة في محيط يخالفها وتخالفه، فريدة زمانًا ومكانًا.

إنني أرى لهذه القرائن مجتمعة، أن يُعاد النظر في الكتابة المروية، وأن يُنظر إليها من وجهة النظر الساميّة لا اليونانية؛ وعليه، فإن النظرة إلى الرموز الثلاثة المذكورة أعلاه ستتغير أيضًا على النحو الذي سأقترحه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

قد يقول قائل، ما دمت قد ذكرت أن نمط الكتابة الساميّة عرفته الكتابة المصرية القديمة قبلها، وظلت فيه حتى مرحلتها الديموطيقية، أمَا كان الأسلم أن ننسب نمط الكتابة المروية إلى المصرية بدلاً من الساميّة، خاصة إذا كانت رموز الكتابة المصرية هي أصل الرموز المروية، وأن الكتابة المصرية أسبق من الساميّة في الاهتداء إلى الأبجدية، وأن عدد حروفها الأبجدية، وهو أربعة وعشرون، مقارب لعدد الرموز المروية وإن اختلفت الكتابتان في عدد من الأصوات للاختلاف بين اللغتين المصرية والمرويّة؟ ألا يكون المرويون قد اكتفوا من الكتابة المصرية بطريقتها الأبجدية ونبذوا كتابتها برموز المعاني والمقاطع والمركبات المقطعية[11]؟ إن الرد الشافي على هذا السؤال في غاية الصعوبة، لانه يقتضي مهارةً عالية في الصياغة وقدرًا مقابلاً لها من الفقه والعقل والتمييز لاستيعابه لدقة الخيط الفاصل بين المصدرين اللذين استوحت منهما الكتابة المروية نمطها. وإن لم يكن كل ما جاء في السؤال المطروح مستبعدًا، فإني أميل إلى الرد عليه بالنفي، وبخاصة لما سيرد من تفاصيل فيما بعد تؤيد وجهة نظري في استخدام الرموز الثلاثة المذكورة أعلاه. يُضاف إلى ذلك أن توجيه الرموز في الكتابة الهيروغيليفية، والمذكور في القرينة «١»، والفاصلة بين الكلمات من أقوى المؤشرات على أن أسلوب الكتابة المروية ليس على النمط المصري، وإن كانت رموزها مصرية أصلاً. وهاتان هما الخيط الرفيع المقصود، وتعد النقطة الأولى، وهي توجيه الرموز، هي الأهم. ولابد لنا هنا من إلقاء الضوء على هاتين النقطتين.

إنه لمن الغريب حقًا أن توجه الرموز الهيروغليفية، فيما عدا واحد منها هو ß، في الكتابة المروية نحو نهاية السطر لا إلى أوله كما هو في الأصل المصري. وهذا التوجيه هو السائد في الكتابة الساميّة، وهو الذي استقرت عليه في نهاية الأمر بعد أن كانت موجهة نحو بداية السطر كما في المصرية. وسنعود إلى ذلك بشيء من التفصيل بعد فراغنا من المرويّة. ومما يزيد الأمر غرابة هو أن الرمز ß يُخالف الرموز الأخرى في الهيروغليفية المروية كما كان يخالفها في الكتابة الهيروغليفية المصرية، حيث يتجه إلى أول السطر مخالفًا سائر الرموز ذوات الوجهات (باستثناء بضعة رموز

(١١) *المرجع السابق نفسه.*

أخرى) التي تتجه نحو نهاية السطر في المروية، بينما نجده يتجه نحو نهاية السطر حين تتجه الرموز ذوات الوجهات نفسها نحو بداية السطر في المصرية، إذن فالتوجيه متعمد، ومع ذلك الاستثناء، في المرويّة. والذي يعرف تاريخ الكتابة الساميّة، والمتتبع لتطورها (ما عدا المسند)، وكما هو مقبول لدى الأكثرية من الباحثين، من السينائية المبكرة، المستوحاة من المصرية الهيروغليفية إلى الفينيقية، مرورًا بالكتابات الكنعانية، المتمثلة في نقوش قبور ولايدة، وعزبة سرطة، والخضر، يرى أن الرموز السينائية في مرحلتها التصويرية كانت موجهة نحو بداية السطر، كأصلها المصرية، وأنها لفت رويدًا رويدًا بمرور الزمن حتى اتجهت نحو نهاية السطر. فلو كان نمط الكتابة المروية نمطًا مصريًّا مباشرًا، لفعل أصحابها ما كان قد فعله أصحاب الكتابة السينائية المبكرة، بمحاكاة التوجيه المصري، في بداية الكتابة المروية الهيروغليفية على الأقل، لأن ذلك هو الشيء الطبيعي، ولكنهم خالفوه، ربما بتأثيرٍ ساميٍّ مباشر، لا يمكننا تحديده أو التفصيل فيه الآن في ضوء ما عندنا من معلومات. والله أعلم.

يقوي من الحجة السابقة وجود الفاصلة بين الكلمات، المستخدمة استخدامًا كثيرًا في الكتابة المرويّة. وهي شيء لا نجده بهذه الطريقة في الكتابة المصرية، والتي لا تستخدم النقطة إلا نادرًا، فهي على ندرتها ليست فاصلةً بين الكلمات وإنما علامة لنهاية كلام، ولا تستخدم إلا في الهيراطيقية على البردي، فيما أعلمه. أما التقاء الفاصلة المرويّة بها في اللحيانية، بِقُربها منها شكلاً، واتفاقها معها وظيفةً، فهو شيء أكثر من عرضي.

ويزيد ما تقدم قوةً ما أرى أنه الكيفية التي تستخدم بها الرموز الثلاثة، ومفصّل في مكان آت بُعيْد هذا المكان.

والرأي عندي إذن، أن بالكتابة المرويّة استيعابًا للكتابتين المصرية والساميّة في القرن الثاني قبل الميلاد، ومزجًا للنظامين الأبجديين، المصري، وهو أحد طرق الكتابة المصرية منذ القدم، والسامي، وليس قصرًا على مصدر واحد، هو المصري.

ثالثًا: رأيي الجديد في الكتابة المرويّة

توطئة تحليلية:

يمكن تلخيص رأيي الجديد في الكتابة المرويّة في نقطتين، هما:

(١) جوازُ كون الكتابة المرويّة على النمط السامي. وهو رأي يُخالف المتعارف عليه وسط الباحثين في اللغة المرويّة وكتابتها من أنها على النمط اليوناني، من حيثُ اعتمادها على صوامت وثلاثة رموز تؤدي وظائف الصوائت (الحركات أو حروف المد) *e* ، *i* ، *o* (أولاً: ١، ٢).

(٢) أن الرموز الثلاثة التي يُرى أنها صوائت، على النمط اليوناني، قد تكون صوائت مدٍّ فقط على النمط السامي، وعليه، تخلو الكتابة المرويّة من صوائت الحركات. وهذه النقطة هي الفيصل بين النمطين اليوناني والسامي للكتابة كما هو معروف، وعليه يقوم رأيي الجديد المعروض في البحث. وعلى القارىء أن يتنبه إلى أن النمط السامي المقصود للكتابة ليس ما نراه في الكتابة العربية اليوم، وإنما ما يُرى في الكتابة الساميّة القديمة بصفة عامة، وكتابة اللغة العربية قبل الإسلام وفي القرن الأول الهجري منه، وقبل استحداث الحركات، بصفة خاصة.

مناقشـــة

قبل عرض رأيي الجديد لابد من تذكرة القارىء برأي سابق لي عن الرموز الثلاثة هذه. كنت في مناسبتين سابقتين[١٢] قد تناولت كتابة اللغة المرويّة بالحروف العربية، وخصصت بحديث منفرد تلك الرموز التي تكتب ، و و بالكتابة الهيروغليفية و و و بالكتابة المُختزلة، والتي درج الباحثون منذ غريفث (١٩١١م) على كتابتها *e* و *i* و *o* بالحروف اللاتينية. ولم أكن في أي واحدة من المناسبتين قد تساءلت إن كانت القيم الصوتية (الدلالات الصوتية) التي أعطيت لهذه الرموز هي القيم أو الدلالات الصوتية التي قصدها المرويّون، وإنما قبلتُها كما هي، كما أعطانا إياها غريفث، بلا تساؤل، مثلي مثل سائر الباحثين الآخرين، وأعطيتها ما رأيت أنه مناسب لها من وجهة النظر العربية، فجعلت الكسرة مُقابلةً للرمز / ، في صورتيه الهيروغليفية والمختزلة (*e*: باللاتينية)، وياء المدّ مُقابلةً للرمز / ، في صورتيه أيضًا (*i*: باللاتينية)، وواو المد تعلوها سكون (هكذا: وْ) مُقابلةً للرمز / ، في صورتيه كذلك (*o*: باللاتينية). وقد وضعتُ السكون فوق الحرف الأخير للتفرقة بينه وبين الواو / في الخطين لأن الأخير حرف صامت يكتب *w* باللاتينية. وقياسًا على ذلك فقد جعلت الزوج الأول تِ (تاءً مكسورة)، والثاني تُوْ (تاءً ممدودة بالواو تعلوها السكون. وانظر، أولاً: ٣) من الرمزين اللذين يكتبان / / و / ، في الخطين المرويّين، و *te* و *to* بالترتيب في الكتابة اللاتينية.

ذلك من أمر الرموز المذكورة حين يأتي الواحد منها في وسط الكلمة أو آخرها. أما حين يأتي أي واحد من الرمزين الأول والثاني في أول الكلمة فله كتابة خاصّة مختلفة، حيث يكون همزة، إذ لا يمكن في العربية البدء بحركة أو بحرف مدّ، بل بهمزة متحركة أو ممدودة؛ ومن ثم فإني جعلت الأول من الرموز الثلاثة (*e*) ألفا مكسورة (هكذا: اِ)، كما جعلت الثاني (*i*) همزة مكسورة أيضًا ولكن باختلاف في الرسم (هكذا: إ).

---

(١٢) *مجلة كلية الآداب* (الرياض)، المجلد ١١، العدد الأول، ص ص ١٣١ ـ ١٧١؛ *اللغة المرويّة*، الجزء الأول، ص ص ٣ ـ ١٢.

وقد لاقت هذه الاقتراحات ما كانت أهلاً له من الترحيب من علماء الدراسات السودانية القديمة، والمصرية القديمة على السواء، عندما عرضتها عليهم في بحث باللغة الإنجليزية سينشر قريباً[١٣]. ومن أعلام هذه الدراسات من يعرفون الكتابة العربية معرفة جيدة، مما يجعل قبولهم لهذه الأفكار مشجعًا لي. ولاشك عندي من سلامة تلك الأفكار ما دامت قائمة على قبولي السابق للرأي الشائع في الرموز الثلاثة المذكورة. كان هذا من أمر رأيي القديم فيها؛ أما تغيير رأيي فيها الآن فللتغيير الذي طرأ عليّ في نظرتي للكتابة المرويّة والنمط الذي هي قائمة عليه، مخالفًا الرأي الشائع السائد.

وما دمتُ قد مِلْتُ إلى ترجيح الظنّ بانتماء الكتابة المرويّة إلى النمط السامي فلابد إذن من إخضاع الرموز الثلاثة المذكورة بصفة خاصة، والكتابة المرويّة كلها بصفة عامة، إلى نظام الكتابة السامية وأعرافها؛ وأهم ما في نظام الكتابة السامية القديمة وأعرافها أنه لا يرمز فيها من الصوائت غير صوائت المدّ التي تسقط عادة، إذ ليس فيها من صوائت الحركات شيء.

إن ذلك ينطبق على الكتابات السامية القديمة المكتوبة كتابة أبجدية ابتداء من الكنعانية القديمة، فالأوغريتية والفينيقية وما جاء منها من كتابات سامية فرعية، كما يظهر في المسند وما اشتق منه من خطوط. وكانت الكتابة المصرية القديمة قد سبقت الكتابات السامية في هذه الظاهرة كما بينت في بحث في طريقه إلى النشر - إن شاء الله -[١٤].

وهكذا إذا ما كنّا قد رأينا جواز انتماء الكتابة المرويّة إلى النمط السامي القديم فإنه لابد لنا من أن ننظر إلى الرموز الثلاثة على أنها صوائت مدّ.

ومن هذا المنطلق وفي محاولة لإثبات هذا الظن أو تبديده، شرعتُ في جمع الكلمات المتقابلة في المرويّة من جهة، والمصرية (الهيروغليفية والديموطيقية)، والقبطية، واليونانية، من جهة أخرى، تمامًا كما كان قد فعل غريفث قبلي وبزيادة عليه مما ورد فيما استجد بعده من مصادر، وصنفتها تصنيفًا من شقين، أحدُهما ما يقابل تلك الرموز الثلاثة في كتابة اللغات الأخرى المقابلة لها، والآخر ما قابلته أو لم تقابله هذه الرموز لما في كتابة هذه اللغات أيضًا، ووجدت في هذه المقابلات ما يشجّع على النظرة الجديدة إلى الكتابة المرويّة. وستضمن المادة المجموعة كاملة في بحث طويل للموضوع نفسه في القريب العاجل - إن شاء الله -.

---

(١٣) "A System proposed for the Transliteration of Meroitic into Arabic", *Beiträge zur Sudanforschung* 5.

(١٤) البحث المذكور في الهامش ٧.

وقبل المُضي قدمًا في الموضوع ينبغي عليّ أن أنوه هنا بما يسلِّم به الجميع من دارسي اللغة المرويّة والمُلمّين بهذه المقابلات المرويّة وغيرها بأن هذه المقابلات لا تعطينا أحكامًا ثابتة مطلقة فيما يتصل بما يُقابل هذه الرموز أو ما لا يُقابله في كتابة اللغات الأخرى المذكورة أعلاه، ذلك لأن الكتّاب حين يكتبون مفردات اللغات الأجنبية بخط لغتهم، يكتبون هذه المفردات كما سمعوها، دون أن يكون ما سمعوه أو ما كتبوه مطابقًا للواقع مطابقة تامّة. وهذه ملاحظة لا خلاف حولها، ونراها في عصرنا الحاضر، لذا فإن نُطق كلمة ما قد يختلف اختلافًا كبيرًا أو يسيرًا حين ينتقل إلى لغة أخرى وتُكتب بكتابتها، بل إن الاختلاف في النطق يحدث في اللغة الواحدة، وهو مظهر من مظاهر اللهجات. والأمثلة كثيرة قديمًا وحديثًا لكلتا الحالتين ولا أظنني في حاجة إلى الاتيان بها؛ لذلك فإن هناك حالاتٍ تُقابل فيها هذه الرموز الثلاثة صوائت غير ممدودة في اليونانية والقبطية مثلاً في بعض الحالات، مثلما تقابل الصوائت نفسها ممدودةً في حالات أخرى، كما تُقابل حالاتٍ أخرى ليس فيها صوائت، ممدودة أو غير ممدودة. وكما قُلت فإن هذا لا يضعِّف الحجة، ولا يُشكِّك في الاعتقاد بها، لأن مدّ الصوت وقَصْره ليسا شرطًا في كل الحالات، فالعارف بالإنجليزية مثلاً يسمعُ أهل جنوب انجلترا ينطقون كلمة castle بمدّ الألف بعد الكاف (هكذا: كَاسِلْ)، بينما يسمَعُ أهل الشمال ينطقونها بفتح الكاف فقط (هكذا: كَسِلْ)، سواء أكانت الكلمة مستقلة أو مع غيرها كما في Newcastle؛ فهي «نْيُو كَاسِلْ» في نطق جنوب إنجلترا و«نْيُو كَسِلْ» في نطق أهل شمالها. ومثال آخر من القبطية، هو كتابة الكلمة المصرية القديمة هـ م هـ م (ة)[١٥] «هَمْهمة، صيحة الحرب، صياح الطيور»، المكتوبة أبجديًا بحروف صامتة، ومن غير ما يقابل الحركات كعادة الكتابة المصرية القديمة. فهذه الكلمة مكتوبة ϩⲙϩⲙ وتقرأ (من اليسار إلى اليمين) هـ م هـ م في الصعيدية، من غير أي صائت، وϩⲙϩⲙⲉ هـ م هـ م ة في الأخميمية، من غير صائت وبحرف ⲉ لتاء التأنيث والمنطوق كالتاء المربوطة بإمالة للكسرة نوعًا، كما تُكتب الكلمةُ ϩⲉⲙϩⲉⲙ هِـ مْ هِـ مْ في البحيرية، بصائت الكسرة المُمالة إلى فتحة (ε)، وقد كتبناها بكسرة وفتحة مع الحرف في آن واحد) بين الهاء والميم في مقطعي الكلمة، مثلما أنها تُنطق ϩⲏⲙϩⲉⲙ هـ ي م هَـ م في الفيومية، بمدِّ الهاء الأولى بالياء، وبكسرة ممالة إلى فتحة بعد الهاء الثانية. إن هذا المثال والذي قبله يريانا أن ظهورَ الصوائت المقصورة والممدودة وعدمه، وحلول الواحد منها محل الآخر، شيء مألوف في الكلمة الواحدة في اللغات القديمة والحديثة وكتاباتها. فإذا كان الأمر كذلك في اللغة الواحدة فإنه من باب أولى أكثر ورودًا بين لغتين. لذا فإن أي اختلاف بين اللغة المرويّة وكتابتها من جهة وبين اللغات الأخرى وكتاباتها من جهة أخرى، والتي بينها وبين المرويّة كلمات متقابلة، من حيث وجود مدّ من عدمه مقابل لأحد الرموز المرويّة الثلاثة لا يقوم اعتراضًا على ما نراه من جواز كون الرموز المرويّة الثلاثة للمدّ.

---

(١٥) ترد الكلمة بتاء التأنيث وبدونها في لغة المملكة الوسطى المصرية وفي كتابتها. انظر: Faulkner,R. O. *A Concise Dictionary of Middle Egyptian*, p. 158.، وهي مذكّر في الديموطيقية (انظر: Erichsen, *Demotisches Glossar*, p. 275.)، وفي حالة القبطية أيضًا بصرف النظر عن وجود ⲉ - (التي تُقابل تاء التأنيث) في الأخميمية، مما سيُري في الأمثلة التي سنوردها. (وانظر: Crum, *A Coptic Dictionary*, p. 682b.

لقد شئتُ تقديم هذا التوضيح مقدمًا، قبل إتياني بأمثلة من المقابلات المرويّة وغير المرويّة المؤيدة لظني، حتى يقلل ذلك من فرص اعتراض القارىء عليها بعد أن يكون قد أُحيط علمًا بما سيكون.

ولتسهيل مهمتنا في تبيان المقصود نود أن نحيط القارىء علمًا بأن صوائت الحركات والمدّ الخاصة بالكتابة القبطية ثمانية، ثلاث منها للحركات، وخمسةٌ لما يُقابلها من حروف المدّ وهي[١٦]:

	صوائت الحركات:	صوائت المد المقابلة
	الفتحة: α	I أو H
بإمالة أو عدمها:	الكسرة: ε	ε
بإمالة أو عدمها:	الضمة: o	ω أو oγ

وهكذا فإن الصائتين I و H، وإن كانا ياءين، فهما مدٌّ للفتحة، أي يقومان مقام ألف المدّ، كأنه إمالة، وفي الوقت نفسه يجوز مدّ الصوت بتكرار صائت الحركة، على نحو αα و εε و oo، وفي هذه الحالة لا إمالة في أي من الحالات الثلاث المقصودة، لذا فإن على القارىء ألا يعترض إذا ما وجدنا نصف الرمز المروي ϭ مثلاً (الفقرة أ) بأنه ألف مدّ وهو يقابل o أو ω في القبطية، لأن ما أوردناه عن صوائت الحركات والمدّ في القبطية يُؤيّد ذلك. وبيتُ القصيد في المقابلات التي ستعمل هو الإشارة إلى جواز كون الرموز المرويّة الثلاثة لمد الصوت لا لقَصْرِهِ، بصرف النظر عن القيمة الصوتية لذلك المدّ، لأننا لم نتوقع التطابق الصوتي بين المفردات المرويّة وغيرها المشتركة، لِمَا ذُكِر.

المقابلات بين المرويّة وغيرها:

في هذا القسم سأقدم بعض النماذج بغرض القيام بالمقابلات بين اللغة المرويّة واللغتين القبطية واليونانية في محاولة لإثبات أن الرموز المرويّة الثلاثة هي صوائت للمدّ، أو لترجيح ذلك على أقل تقدير.

أ): الرمز (بالهيروغليفية): ϭ (بالمُخْتَزلة):

الرأي السائد هو أن هذا الرمز يُقابل *e* باللاتينية، وهو صوت يقع بين الكسرة والفتحة، وهذا هو السبب في وصفي له بالكسرة المُمالة (أي ممالة إلى الفتحة) عندما أتحدّث عن هذا الصائت باللغة العربية، دون قبولي له بهذه الصفة في المرويّة. وكما قال اللغويون العرب فإن «الحركات أخوات الحروف»، فالفتحة هي الأخت الصغرى لألف

(١٦) انظر: Steindorff, *Lehrbuch der Koptischen Grammatik*, p. 29, (43).

المد، والكسرة الأخت الصغرى لياء المدّ، والضمة الأخت الصغرى لواو المد[١٧]، ومن ثم فإنّ صوت الحرف اللاتيني *(e)* صورة مصغرة لإمالة الياء بالألف، كما في «مَجْرِيْها» في إحدى قراءات هذه الكلمة في القرآن الكريم، أو لإمالة الألف بالياء، كما في «حِمَارِك» في إحدى القراءات في القرآن الكريم أيضًا. لكنني لا أقبل مقابلة هذا الرمز بالصائت اللاتيني، وإنما أراه مقابلاً لألف المد، وذلك لعدة أسباب من بينها الآتي:

(١) ليس من المعقول عندي أن يكون في كتابة ما رمزان لصوتين متقاربين، مثل ما قيل من وجود *e* و *i* بالمرويّة، وألا يكون هناك شيء خاصّ بالرمز *a*، مقصورًا ليقابل الفتحة وممدودًا ليقابل ألف المد. ولا أراني متفقًا مع ما جاء به غريفث من تأويل لذلك (أولاً: ٥). لذا لابد أن يكون أحد الرمزين اللذين يكتبان *(e)* و *(i)* باللاتينية خاصًا بالصوت *a*، ممدودًا. وحيث إن قرب الثاني منهما لياء المد أرجح عندي (انظر ب) فإني أرى أن الرمز الأول، وهو المدروس في هذه الفقرة، خاصٌّ بألف المد بإمالة أحيانًا وبدونها أحيانًا أخرى، ويتضح ذلك بصورة أكثر فيما سيأتي بعد ذلك من أمثلة.

(٢) هناك من القرائن ما يُوحي بأن الرمز، موضوع الحديث، خاصّ بالمد عامةً، وبألف المد خاصةً، ومن هذه القرائن ما يلي:

(٢: ١) نجد الرمز ۶ في الكتابة المختزلة مجتمعًا مع ٢ في كتابة ٢۶ الهمزة، والتي تُكتَب *a* باللاتينية. ولمزيد عن هذه النقطة يُرجع إلى الحديث عن الهمزة في الفقرة (د).

(٢: ١) من أمثلة المقابلات المرويّة وغيرها، والتي تُشير إلى جواز كون الرمز ٢ (بالكتابة المُختزلة) للمد، كلمة «كوش»، المرويّة، مكتوبة بالمرويّة المختزلة، والقبطية، والآشورية:

المروية:	3 ۶ / 7	ق و ش «(بلاد) كوش»
القبطية:	6 ω ϣ	غ وْ ش من
	ϵ 6 ω ϣ	إ غ وْ ش «الكوشيون»[١٨]
الآشورية:	[رموز مسمارية]	قُوش[١٩]. تقرأ من اليسار إلى اليمين
	ش و قُو	

فالرمز 7/ (قاف) بالمرويّة يقابل 6 (غاف: *gamma*) بالقبطية، والقاف في المقطع المفتوح [رمز مسماري] قُو *(qu)* في الآشورية. أما الرمز موضوع الحديث فهو يُقابل واو المدّ المهالة بالألف (ω) في القبطية، ويقابل واو المد المتضمنة

(١٧) انظر بحث المؤلف في *مجلة كلية الآداب* (الرياض)، المجلد ١١، العدد الأول، ص ص ١٦٩ ـ ١٧٠، هامش ١٧.

(١٨) Crum, *op. cit.*, p. 65b.

(١٩) من نقش أشوربانيبال. والكتابتان من: King, *Assyrian Language*, pp. 153 (line 53), 157 (line 78).

في المقـطع المفتـوح قُـو، المتقـدم ذكـره، في الآشورية، والتي أكدت بواو المد المستقلة، في الكتابة الأولى، في الكتابة الثانية، والتالية للمقطع المفتوح نفسه، وهو أسلوب للمد يتخذ للتأكيد أحيانا بما يشابه الأسلوب المصري.

وهناك مثال ثانٍ لكلمة مرويّة مكتوبة بالكتابة المرويّة المختزلة والمصرية الهيروغليفية واليونانية، وهي الكلمة:

المرويّة:		ك د ك ا
		ك ت ك ا
المصرية:		ك ن تي (تي + ي) ك ي ة
		ك ن تي (تي + ي) ك ي
اليونانية:	κανδάκη	ك ن د ا ك ى

فالكلمـة المـرويّة مكتـوبة في المرويّة بالكاف ( )، والدال ( )، والكاف مرة أخرى والرمز موضوع الحديث ( )، في صورتها الأولى، وبالتاء ( ) بدل الدال في صورتها الثانية. أما في المصرية فكتبت بالكاف ( )، والنـون ( )، والمقـطع المفتوح الممدود تي ( ) تصاحبه ياء المد ( ) مؤكدة للصوت الثاني للمقطع المفتـوح (كعـادة الكتابة المصرية)[٢٠]، فتاء التأنيث مع البيضة ( ) مخصصًا للمعنى، يُصاحب أسماء الإناث عادة في الكتابة المصرية المتأخرة والبطلمية بصفة خاصة؛ هذا في الكتابة الأولى في المصرية، أما في الكتابة الثانية فقد خلا اللقب من تاء التأنيث والبيضة، مما يرجّح أن وظيفتيهما للتخصيص. وأما وجود صوت النون قبل صوت التاء فهـو لأن صوت الـدال والتاء المرويّتين خيشومي / أنفي، وهو ما أظهرته اليونانية أيضًا، كما أن اليونانية نفسها بثلاثة مقاطع، هي: ك ن (καν)، دا (δά)، وكي (κη)؛ والذي يهمنا هو المقطع الأخير في هذا المقام، لأنه يُقابل المروي ، حيث تقابل ياء المد فيه (η) الرمز المروي موضوع الحديث ( )؛ لذافإن الكتابة المصرية تعطينا ياء مد ( )، تمامًا كما أعطتنا اليونانية ياء المد (η)، كمقابل للرمز المروي

أمـا المثال الثالث فهوَ لكلمة مصرية دخيلة في المرويّة، حُفظت في الكتابة المرويّة المختزلة، حيث نوردها متقابلة مع كتابتها بالقبطية واليونانية، وهي:

المروية:		بَ كِ	«نسر، صقر، باشق»[٢١].
القبطية:	BHϬ	ب ي غ	
	BEϬ	بَ غ	
	BϬ	ب غ	
اليونانية:	βῆκις	ب ي ك ي س[٢٢]	

(٢٠) البحث في الهامش ٧.

(٢١) Crum, *op. cit.*, p. 48b, Griffith, *JEA 3*, pp. 114 (ii), 119 (ii), 120 (3).

(٢٢) انظر: Preisigke, *Namenbuch*, p. 74b.

إن الكلمة مكتوبة في المرويّة بالباء (𐦠) والكاف (𐦤)، يلي كل واحد منها الرمز موضوع البحث (𐦲).
ولكن الـرمـز المـرويَّ المـدروسَ يقابل في الصيغة القبطية التي أوردناها، ومن لهجة واحدة هي الصعيدية، ياء المد (H) في كتابةٍ، والكسرة المهالة بالفتحة (ε) في كتابةٍ ثانية، ولا يقابل شيئًا في الثالثة. وحيث إن المد يوافق ما تقدّم من قول، ويجاري ما في المثالين السابقين، والصيغة اليونانية للإسم نفسه في المثال، فإننا نعتمد الصيغة القبـطية الأولى مؤشرًا على جواز المد في المرويّة، مع ملاحظة أن الصيغة البحيرية للإسم نفسه تعطينا BHX ب ي ج، بجيم بدل الغـاف (كما هو مألوف في التبادل بين الجيم والغاف بين اللهجتين) كمقابل للكتابة القبطية الأولى، و BЄXI بَ جِ أو بَ ج ي، بالتبادل نفسه وزيادة I ممدودةً أو مقصورة، في نهاية الاسم BЄXI.
والمعـروف أن الحرف الأخير وهو I يُقرأ ممدودًا ومقصورًا في الكتابة القبطية[٢٣]، ويُقابل في موضعه من الكلمة 𐦲 الثانية في الكتابة المرويّة. وفي اليونانية جاءت ياء المد المقوّاة (ῆ) بعد الباء (β)، كما جاءت ι- بعد الكاف فيها أيضًـا. ويوافق المـدّ بالحرف (H) في اليونانية المد بالحرف (H) نفسه في BHϬ و BHX القبطيتين، ذلك لأن η و H حرف واحد في اليونانية.

لكن الملاحظ أن الرمز المرويَّ قابل واوَ المد في المثال الأول، وياءَ المد في المثالين الثاني والثالث، ربما بإمالة للألفِ في بعض الحالات، على حين نرى جواز كونِ الرمز للمد بالألف. وإن خالَفنَا في هذا الاتجاه المثال الأول فإن المدّ في المثالين الثاني والثالث عساهُ يوافقنا نوعًا ما إذا رُؤي فيه إمالةٌ بالألف.

وعلى أية حال فإن ما أوردنا من مقابلات مرويّة وغيرها تجوِّز المد، وهو المقصود، في المقام الأول، دون أن تعيننا على تحديد نوعه؛ وإن كنت أرجح كونه ألف مدّ.

وما يصدق على الرمز المدروس مستقلاً يصدُق عليه وهو في المقطع المفتوح 𓏏 بالهيروغليفية، ⳅ بالمختزلة، الذي يحتويه كما يحتوي التاء، ويكتب *te* باللاتينية عند عامة الباحثين. فإذا ما قبلنا ترجيح المد ونوعه للرمز موضوع الحديث مستقلاً فإنه يجوز لنا أن نرجّح كون هذا المقطع مفتوحًا ممدودًا بالألف أيضًا. والله أعلم.

ب) الرمز 𓀀 (بالهيروغليفية): 𐦥 (بالمختزلة):

الرأي العام هو قَبول هذا الرمز كمقابل لحرف *i* باللاتينية مقصورًا من غير مدّ. ولكني أميل إلى اعتباره ياء مدّ، ومن غير إمالة إلى الألف، لأن الإمالة، لو جاز لها أن تكون في أي واحد من الرموز الثلاثة، فهي أقرب لأن تكون في الرمز السابق (أ)، لا في هذا الرمز أو تاليه (جـ). وإذا كانت هناك حالات للمقابلات المرويّة مع غيرها

(٢٣) Steindorff, *op. cit.*, p. 23.

تُوحي بأن الرمز يُقابل الكسرة، أي أنه غير ممدود، فإن هناك من الحالات ما يؤيد المد. وكما قلنا من قبل في هذا القسم، فإن قَصْرَ الصوت ومدَّه قد يحدث في اللغة الواحدة، فلا ضير إذن أن يكون بين اللغة المرويّة وغيرها في الكلمات المشتركة بينهما (انظر «ب»: المثال الثالث). ومما يمكن سوقه كإيحاءات لما أقوله مثالان أحدهما لكلمة غير مرويّة مكتوبة بالمرويّة وآخر لمرويّة مكتوبة بغيرها.

(٢ : ١) المثال الأول لاسم علم مصري دخيل في اللغة المرويّة مكتوب بالمرويّة واليونانية، وهو:

المرويّة: [illegible] تا ب ي ك ي «أنثى النسر»[٢٤]

اليونانية: τβῆκις ت ب ي كِ س[٢٥]

τβέκις ت ب يٖ كِ س

فهو مكتوب في المرويّة بالمقطع المفتوح الممدود تا ([illegible]) والباء ([illegible])، والرمز [illegible]، فالكاف ([illegible]) فالرمز [illegible] نفسه مرة أخرى. وهو اسم علم مصري حملته امرأة مرويّة، ومؤنث [illegible] «نسر» في الفقرة السابقة (أ: ٢ : ٢). ولا شك أن [illegible] هنا مقابلة لـ [illegible]، لكنها من غير إمالة. والإسم نفسه يكتب في اليونانية τβῆκις و τβέκις حيث قابلت [illegible] المرويّة ياء المد (ῆ) اليونانية مرة و ε (بإمالة) مرةً أخرى، بعد الباء (β)، كما قابلتِ الحرفَ ι بعد الكاف (K) مرة أخرى.

ولا تُعتَبر مقابلةُ كل من [illegible] و[illegible] المرويتين الآتيتين بعد الباء ([illegible]) المرويّة لياء المدّ اليونانية (ῆ) هنا وفي المكان السابق (أ: ٢ : ٢) سببًا لمساواة [illegible] و[illegible] المرويتين، ذلك لأن هذا الاتفاق بين الرمزين المرويين مع الحرف اليوناني قد يكون مردُّه إلى كون الأولى مدًّا بالألف بإمالة للياء، وإلى كون الثاني ياء مدّ.

والمثال الثاني لكلمة مرويّة كتبت بالكتابة المصرية الهيروغليفية، هي:

المرويّة: [illegible] ك د ي م لُ وْ ي ا «المرأة/السيدة الطيبة/الصالحة/الفاضلة»

المصرية: [illegible] ك ا ت ي مِ/مَي لُو[٢٦]

والكلمة اسم علم لسيدة، مكتوبٌ بالمرويّة بالكاف ([illegible])، والدال ([illegible])، والرمز [illegible]، والميم ([illegible])، واللام ([illegible])، وواو المد ([illegible]. وانظر جـ)، والياء كصامت لا كحرفِ مدّ ([illegible])، وألف المد ([illegible]). وكُتبت في المصرية بالكاف ([illegible])، وألف المدّ ([illegible])، والتاء ([illegible]) كمقابلٍ للدال المرويّة، وياء المد ([illegible])، فالميم المكسورة أو الممدودة

(٢٤) Griffith, *op. cit.*, p. 114 (jj).

(٢٥) Preisigke, *op. cit.*, p. 425a.

(٢٦) Grapow, *ZÄS* 76, p. 24 ff.

بالياء (...)، المركبة من الميم (...) وم/مي (...)، ثم المقطع الممدود لو (...) ومخصصي المعنى (...)[٢٧]. والشاهد هنا هو مقابلة الرمز المروي 4 بالمصري // ، والأخير ياءُ مدّ عادةً. ونرى في الكتابة المصرية شيئين لا نراهما في الكتابة المرويّة، أحدهما هو ألف المد (...) بعد الكاف، وثانيهما تركيب الميم ... ، مما يوحي بمد الصوت بالألف في الحالة الأولى وكسره أو مدّه بالياء في الحالة الثانية؛ وحيث إن شاهد الاسم المكتوب بالمصرية أقدم من شاهده بالمرويّة بعدة قرون فإن الاختلاف بينهما في النطق قد يكون مردُّه إلى الفارق الزمني بين الشاهدين؛ وإن لم يكن هناك فارق زمني فيمكن تفسير ذلك باختلاف اللهجة كما رأينا في القبطية واليونانية من قبل. يُضاف إلى ذلك أن الرمز المركب ... في المصرية الهيروغليفية كثيرا ما يقصد به مجرد الميم أو الميم المكسورة إن جاز لنا ذلك القول، لا الميم الممدودة بالياء.

إذن هناك ما يسوّغ ظنّي بجواز اعتبار الرمز المروّي المدروس في هذه الفقرة ياءً للمد من غير إمالة.

(جـ) الرمز ... (بالهيروغليفية): / (بالمُختزلة):

(١) الرأي الشائع هو اعتبار هذا الرمز مقابلاً إما للحرف *u* أو للحرف *o* ، بمد أو بدونه. ولكني أرى أنه خاص بالمد فقط، بإمالة أو بدونها.

(٢ : ٢) ويمكن أن نورد مثالين تأييدًا لما قيل في الفقرة (١)، أحدُهما لكلمة مرويّة مكتوبة بغير الكتابة المرويّة، والثاني لكلمة غير مرويّة مكتوبة بالمرويّة.

أما المثال الأول فهو الاسم المرويّ:

المرويّة:	4ʒ3ɛω//ɜ	قْ وْ ر ا م ن ي[٢٨]
المصرية:	...	كُـوْر أمن في الاسم
	...	كوْ رُ أمن تُ ن

الاسم مكتوب في الكتابة المرويّة المختزلة بالقاف (...)، والرمز / ، والراء (...)، والرمز ε (كألف مد)، والميم (...) والنون (...) وياء المد (...). وهو محفوظ كاملا بزيادة في الاسم الكوشي ... المكتوب

---

(٢٧) يعني مخصص المعنى ... أن المقصود امرأة، أما ... فلا نعرف له دورًا في الإسم، وربما اقتضاه المعنى العام للإسم، ومعناه «المرأة / السيدة الطيبة / الصالحة / الفاضلة»، أو ما شابه ذلك.

(٢٨) بحث المؤلف في: *Ägypten und Kusch*, p. 19

بالمصرية الهيروغليفية بالمقطع المفتوح الممدود كُو ( )، والمقطع المفتوح غير الممدود رُ ( )، والهمزة ( )، والمقطع المقفول من ( ) والنون ( ) المؤكدةِ للصوت الثاني في المقطع السابق، والمقطع المفتوح غير الممدود تَ ( ) والنون التي بها غُنَّة ( ). والشاهدُ هنا في مقابلة المقطع المفتوح الممدود كُوْ في المصرية للمقطع ، المكون من القاف والرمز في المرويّة. والمعروف لدينا في المصرية القديمة كما حفظتها لنا القبطية أن المقاطع المفتوحة الممدودة بالألف، سواء أكانت الكتابة أبجديةً فيها ألف مدّ ظاهرة مستقلّة أو كانت الألف جزءًا من مقطع مفتوح ممدود بها مثل (كا)، و (تا) وغيرها، تعدّ فيها ألف المد واوَ مدّ مُمالةً بالألف (ω) أو غير ممالة (ογ). وإذا كانت هناك في القبطية حالات تحلّ فيها ياء المد محل الواو، فهذه مما أتت بها اللهجات، أما الغالب فهو المد بالواو. فمثال النوع الأول الذي تكون فيه ألف المد ( ) مستقلة هو الفعل ق ا ب «ثنى، طبّق، حوى»[٢٩]، المكتوبُ بالقاف ( )، وألف المد ( )، والباء ( )، ومخصص المعنى ( ) إشارة إلى الثني، والطي. والشاهد مكتوب KωB في القبطية، وفي جميع لهجاتها[٣٠]، بالكاف ومدّ الواو بإمالة للألف، والباء. ومثال الثاني، والذي تكون فيه ألف المد متضَمَّنةً في مقطع مفتوحٍ ممدودٍ بها، كما في الشاهد المروي أعلاه، هو كامو «بستان (للعنب خاصة)»[٣١]، المكتوبة بالمقطع المفتوح الممدود كا يليه ألف المد ( ) مؤكدًا لحرف المد فيه، والميم ( )، والواو ( )، ومخصص المعنى ( ) الخاص بالإحاطة والتسوير. والكلمة محفوظة في القبطية في ϭωм، في كل لهجاتها[٣٢]، وقد كتبت بالقاف ((gamma: ϭ بدلاً من الكاف، وهو مقبول، وواو المد الممالة بالألف (ω) والميم (M). وهناك حالات في الصعيدية قُصِرت فيها الواوُ الممالة لتصبح الكلمة ϭοм.

وكذلك الحال لما كان صامته تاءً بدلاً من الكاف. ويُرى ذلك واضحًا في كلمة مثل ، تاش، كما تُكتب اصطلاحًا، ومعناها «حدّ، حدود، طرف»[٣٣]، والمكتوبة بالتاء ( ) كمؤكّد للصوت والذي جاء متقدمًا على مقطعه، والمقطع المفتوح الممدود تا ( )، وألف المد ( ) كمؤكدٍ للصوت تالٍ لمقطعه، والشين ( )، ومخصصي المعنى ( ) الخاصين بالمساحات والأراضي. ويُرى المقطع المفتوح تا ( ) واقعًا بين حرفين أبجديين يُؤكدان صوتيه التاء ( ) المتقدمة عليه لصوته الأول، وألف المد ( ) المتأخرة عنه لصوته الثاني. والكلمة محفوظة في القبطية ϣωτ في الصعيدية والفيومية، وϩϣωτ في الإخميمية وϣωθ في البحيرية[٣٤]، وأهم - روفها

(٢٩) Faulkner, *op. cit.*, p. 278.

(٣٠) Crum, *op. cit.*, p. 98a.

(٣١) Faulkner, *op. cit.*, p. 284.

(٣٢) Crum, *op. cit.*, p. 817b.

(٣٣) Faulkner, *op. cit.*, p. 294.

(٣٤) Crum, *op. cit.*, p. 449b.

هي التاء (ثاء θ في البحيرية)، وواو المد المالة لألف (ω) والشين (ϣ). وفيها قابلت ألف المدّ في الهيروغليفية واو المدّ بالألف في القبطية.

وهكـذا قياسًا على ما أوردناه في المصرية الهيروغليفية والقبطية، فإن ما اصطلح علماء الدراسات المصرية القديمة على قراءته ألفًا للمد في الهيروغليفية هو واو مد ممالة (ω) في القبطية. والذي يهمنا ليس الإمالة وإنما المدّ.

وبناءً على ما تقدّم من تفصيل فإن (كا) في الكتابة الهيروغليفية للاسم المروي، تحتوي على مقطع مفتوح ممدود بالواو (الممالة لألف)، يُقابل صامته، وهو الكاف، القاف المرويّة، كما يُقابل صائت مدّه الرمزَ المرويّ /، مما يؤيد اعتبار الرمز الأخير واوَ مد، بإمالة أو بدونها.

أمـا الـرمز ، الثاني في الاسم المروي، فهو مكتوب بخط أسفله بالطريقة التي عرفت في رموز المعاني المصرية، ويذكِّر بالكلمة التي تُكتب بالطريقة نفسها وتعني «فم»، وهي ϱo بالراء (ϱ) وصائت الضمة (o) في اللهجات القبطية ما عدا الفيومية والتي تكتبها λα باللام (λ) وحرف الفتحة (α)[٣٥]. وحيث إن الاختلاف بين المرويّة وغيرها من حيث مدّ الصوت أو قصره لا يضير كثيرًا لما أوضحناه سلفًا فإنّ مقابلة المقطع المفتوح ϱo (λα في الفيومية) في القبطية للمقطع المفتوح المروي في الإسم أعلاه تعطينا اختيارًا بين o و a كمقابل للرمز المروي ؛ وإذا اعتبرنا المقصود مدًّا كان في الرمز جواز الاختيار بين مدِّ الواوِ ومدّ الألف[٣٦].

وإذا ما عدنـا إلى الاسم المـروي أعلاه في صورتيه، وقياسًا على ما سُقناه من المقابلات المصرية القديمة والقبطية، فإنه يجوز لنا أن نعدّ الرمز / في المرويّة مقابلاً لواو المد الممالة وْ (ω) في القبطية، وبخاصة في كلمة كامو «بستان» أعلاه، والتي يرد فيها الرمز كما في الكتابة المصرية الهيروغليفية للاسم المروي.

والشاهد الثاني الذي نورده، هذه المرة، لكلمة غير مرويّة كتبت بالكتابة المرويّة، هو:

المروية:		أروْ م ا «رومان، روماني»
المصرية:		هـ ر و م[٣٧]
اليونانية:	ʽϱώμη	أ ر وْ م ي[٣٨]

(٣٥) Op. cit., p. 288a.

(٣٦) يساعدنا في هذه الظاهرة تبادل الرمزين المرويّين و (بالكتابة المُختزلة) مكانيهما في آخر الكلمة نفسها حين تكتب (قُوْرا) أو (قُوْرَوْ).

(٣٧) JEA, 15, p. 71.

(٣٨) Kar VI, pp. 10 (u), 121.

وقد كتب الشاهد في المرويّة، بالكتابة المختزلة، بالهمزة (52)، والراء ( )، والرمز / ، والميم (3) وألف المد (¢). ويقابل في المصرية الهيروغليفية ، المكتوبة بالهاء ( ) والمقطع المفتوح الممدود رو ( )، والواو المؤكدة لصوته الثاني (9) والميم ( ). وقد جاءت فيه واو المدّ، في رو وفي الواو المؤكدة له، مقابلة للرمز / المرويّة، معطية له القيمة الصوتية نفسها. وكذلك الأمر نفسه في الكتابة اليونانية للكلمة نفسها حيث ظهرت فيها' كهمزة، والراء (ρ)، واو المد المُمالة بألف (ω) والميم (μ)، ثم ياء المد (η) محل ¢ المرويّة. وتُقوِّي الأخيرة ما جاء في الفقرة (أ) أعلاه. إذن فالرمز المرويّ / يقابل واو المد في (رو) الهيروغليفية و ω اليونانية.

ونُرْدِفُ ما أثبته الشاهد بآخر من الكتابتين المرويّة والقبطية، ويتمثل في كلمة مصرية الأصل حفظت في النقوش المرويّة، وهي[٣٩]:

المروية:	3/3554	پ ا ل مُ وْ ش «قائد (حامية، فرقة)، حاكم (منطقة)»
القبطية:	ΠΛΕΜΗΗϢΕ	پ لَ مِ ي شِ
	ΠΛΕΜΗΗϢ	پ لَ مِ ي ش

وقد كتبت الكلمة في المرويّة المختزلة بالپاء (٤)، وحرف المدّ (¢)، واللام (5)، والميم (3)، والرمز /، والشين (3). وترد في القبطية بالپاء (π)، واللام (λ) ، وحرف الكسرة المُمالة لفتحة (ε) ، والميم (μ)، وياء المد المكررة(HH)، والشين (ϣ)، وصائت الكسرة المُمالة مرة أخرى في إحدى الصيغتين. ويتمثل الشاهد هنا في المدّ (HH) المقابل للرمز المروي (/). وإن اختلف صوتا المد في الصيغتين المرويّة والقبطية، فإن وجه الشبه بينهما أنهما مدّ. ولا يُغيِّر الاختلاف شيئًا، ذلك لأن صوائت الحركات القبطية تتبادل الأماكن فيما بينها لا في اللهجات القبطية فقط، بل في اللهجة الواحدة. فأن يكون ذلك بين المرويّة والقبطية فهو أهون جدًّا، وكما ذكرنا من قبل.

ومـا صدق عن الرمز (بالهيروغليفية)، / (بالمختزلة)، مستقلاً، بجواز اعتباره حرف مدّ بإمالة أو بدونها، فإنه يصدق عليه وهو في المقطع المفتوح (بالهيروغليفية)، (بالمختزلة)، والذي يحتويه كما يحتوي التاء، ويُكتب *to* باللاتينية. ومن ثم فإنه يجوز اعتبار المقطع المفتوح ممدودًا بالواو، هكذا: تُــوْ.

(د) الرمز (بالهيروغليفية): 52 (بالمختزلة):

إن المتعارف عليه هو كتابة هذا الرمز *a* باللاتينية، على أنه صامت يأتي في أول الكلمة، وليس صائتًا للحركة يأتي في وسـطهـا أو آخرها. وهو بهذه الكتابة اللاتينية يُقابل الهمزة المفتوحة، وربما الممدودة بالألف، في الكتابة

(٣٩) *Op. cit.*, p. 9 (k).

العربية. ولم يعطنا أيٌّ من الباحثين شيئًا يقابل الهمزة المكسورة أو المضمومة، بمدّ أو بدونه. وكون هذا الرمز لا يأتي إلا في أول الكلمة فشيء لا جدال حوله، ولا مأخذ لي عليه، إنما المأخذُ عندي هو في اعتبار هذا الرمز *a* دائمًا، أي همزة مفتوحة دائمًا، بمدّ أو بدونه، وفي ألا يعطينا أحد شيئًا يُقابل الهمزة المكسورة أو المضمومة، بمدّ أو بدونه، إذ لا يمكن أن تخلو لغة ما من هذه الأصوات الناقصة. وقبل أن نحدد الصوت الذي يمثّله الرمز موضوع الحديث ينبغي أن اقترح ما أراه يسدّ النقص المذكور، لأن هذا يساعدني في الحديث عن الرمز نفسه بيسر بعد ذلك.

ما دمت قد رجحت أن يكون الرمزان بالهيروغليفية (بالمختزلة) و بالهيروغليفية (بالمختزلة)، صائتي مدّ، هما الألف في حالة الأول (أ: أعلاه)، والياء في حالة الثاني (ب: أعلاه)، فإنه لابد وأن يُعتبرا همزتين ممدوتين بالألف والياء يأتيان في أوائل الكلمات؛ ءا للأول، و إي للثاني. هذا من شأن هاتين الهمزتين الممدودتين. لكن الحيرة الكبرى في الهمزة الممدودة بالواو التي يقابلها واو المد الذي يكتب بالهيروغليفية (بالمختزلة. جـ: أعلاه)، حيث يكون من النادر جدًّا أن تبدأ كلمة به. ، فكيف كانت تكتب هذه إذن؟ الرأي السائد أن المرويّة أبدلت الابتداء بهذا الرمز الابتداء بالواو، الصامت، والذي يُكتب بالهيروغليفية (بالمختزلة)، يليه الحرف المذكور نفسه، هكذا: بالهيروغليفية، بالمختزلة، بحيث ينطق الحرفان مقطعًا مفتوحًا غير ممدود عند سائر الباحثين، وممدودًا عندي (هكذا: وُوْ). وهنا يبرز سؤال هو: أتكون هذه الطريقة هي التي تكتب بها الهمزة الممدودة بالواو في المرويّة إذن؟ أم أن هناك طريقة أخرى؟ إني لأشك في هذا الحل، ذلك لأنه إن كان ذلك كذلك فكيف نفرّق بين الهمزة الممدودة بالواو وبين الواو الممدودة بالواو أصلاً؟ فما الحل إذن؟

ربما كان جزءٌ من هذا الحلّ يتمثل في الرمز موضوع الدراسة في هذه الفقرة، وهو بالهيروغليفية و بالمُختزلة، والذي يُكتب *a* باللاتينية عند الباحثين عامة، وفي أول الكلمة.

المعروف أن هي الهمزة في الكتابة الديموطيقية. وما دامت الرموز المرويّة المختزلة مأخوذة من الديموطيقية فإن سؤالاً مهمًّا يبدو ضروريًّا وهو: أما كان يكفي المرويّين استعارة الرمز كما هو لكتابة الهمزة؟ ولماذا أضافوا إليها الرمز ؟ أرى أن الإجابة على هذا السؤال تكمن في أن المقصود باجتماع العلامتين ليس مجرد الهمز وإنما الهمز والمد معًا. وربما أيد هذا شيئان، أولهما مقابلة المروية للمهموز الممدود في اليونانية والقبطية أحيانًا، ومقابلة لبعض صوائت المد فيهما أحيانًا أخرى، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك (أ: أعلاه).

لكن الأمـر الذي يُحيِّر الإنسان هو أن / المرويّة تقابل في المصرية الهيروغليفية وفي القبطية وفي اليونانية عدة أصوات، وذلك في الكلمات المشتركة بين المرويّة وهذه اللغات، والدخيلة في المرويّة من هذه اللغات، أو على العكس من ذلك في الكلمات التي انتقلت من المرويّة إلى تلك اللغات. ولذلك أمثلة، أولها الكلمة المصرية

التي دخلت المرويّة، وهي :

المرويّة: أ ر «حور (حورس)»[٤٠]

القبطية: ϩⲱⲣ هـ وْ ر

اليونانية: 'Aϱ أ ر

وتـرد الكلمة في المرويّة مكتوبة بالرمز موضوع البحث والراء ، وكذلك تبدأ في اليونانية بالألف المهموسة 'A (مبتدئةً بحاءٍ خفيفة) والراء (ϱ)، أما في القبطية فهي مكتوبة بالهاء (ϩ) وواو المدّ المهالة لألف (ⲱ) والراء. وقد سقطت الحاء في المرويّة لعدم وجودها فيها، تمامًا مثلما سقطت وحلّت محلها الألف المهموسة في اليونانية؛ ولا ندري هنا أننطق المرويّة همزة ممدودة بالواو المهالة محاكاة للقبطية، أم همزةً مفتوحةً محاكاةً لليونانية التي خلت من الحاء المجهورة مثلها.

أما المثال الثاني فنجده في:

المرويّة: أ شْ وْ ر ا «أوزير (أوزريس)»[٤١]

القبطية: ⲟⲩⲥⲓⲣⲉ أو س ي رَ

والشاهد هنا في كتابة الكلمة المرويّة مبدوءة بالرمز ، مقابلا للهمزة الممدودة بالواو ⲟⲩ في القبطية.

أما في المثال الثالث التالي فهى شيء مخالف، حيث لا يوجد ضمّ أو مدّ فيه، ونجده في:

المرويّة: أُتـوْ «ماء»

القبطية: ⲉⲧⲧⲱ إ ت ت وْ[٤٢]

اليونانية: 'Aστα- أ س ت ا[٤٣]

وفيه قابلت المرويّة الحرف 'A ، الهمزة المفتوحة المهموسة (بحاء خفيفة في أولها) في اليونانية، كما قابلت الكسرة المهالة بفتحة (ε) في القبطية، فلا يظهر ضمّ ولا مدّ في المقابلة.

فإذا ما وضعنا في حسابنا ما ذكرناه كثيراً من قبل من عدم التطابق في المدّ والقَصْر بين المرويّة وغيرها من المصرية

---

(٤٠) *Op. cit.*, pp. 8 (f), 9, *JEA*, 3, p. 119.

(٤١) *Kar* VI, p. 8 (e).

(٤٢) Erman, *ZÄS* 35, p. 108.

(٤٣) *Op. cit.*, p. 23; *MI* I, pp. 52-53.

القديمة والقبطية واليونانية لم نستغرب لتفاوت [رمز] المرويّة بين مدّ الهمزة وقَصْرها، وضمها وفتحها فيما تقدم من أمثلة.

وعلى أية حال فإنه إذا لم نكن قد أفلحنا في تحديد القيمة الصوتية للرّمز موضوع هذه الفقرة، والذي يُكتب [رمز] بالهيروغليفية و [رمز] بالمختزلة في الكتابة المرويّة، فإن الظاهر لنا أنه ربما كانت همزةً بمدّ. أما نوع مدّها، بألفٍ أم واوٍ أم ياءٍ، فهذا مالم يمكن تحديده، لكن وجود [رمز] في الرمز في كتابته المختزلة يوحي بمدّ بالألف (انظر: أ: أعلاه). فإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يعني وجود همزتين ممدودتين بالألف في الكتابة المرويّة، إحداهما هذه، والأخرى هي [رمز] بالهيروغليفية و [رمز] بالمختزلة. ولعل وجود الأخيرة هذه في الأولى يوحي بذلك.

لكن قبول رمزين لإعطاءِ صوتٍ واحدٍ، هو الهمزة الممدودة بالألف، وعدم وجود شيء للهمزة الممدودة بالواو، معرَّضٌ للانتقاد نفسه الذي انتقدت به القول بوجود رمزين للصوتين اللذين يكتبان *e* و *i* باللاتينية، وبعدم وجود شيء للرمز *a* عندما يكون صائتا لحركة أو مدّ. وحيث إن الرمزين [رمز] و [رمز] (في الكتابة المختزلة) قد يكونان همزتين ممدودتين، الأولى بالألف، والثانية بالياء، ولعدم ظهور [رمز] (واو المد) كهمزةٍ ممدودةٍ بالواو في أول الكلمة عادةً مجاراةً للآخرين، فربّما أغنى عن الأخير الرمزُ [رمز] في المختزلة ([رمز] في الهيروغليفية)، وكُتِبَت به الهمزة الممدودة بالواو. والله أعلم.

الخلاصة

إنني أميل في الكتابة المرويّة إلى ترجيح ما يلي:

(١) (أ) انتماؤها إلى نمط الكتابة الساميّة القديمة التي تعتمد على صوامت وصوائت للمدّ وخلو من الحركات (انظر ٢ فيما بعد)؛ ذلك لاحتواء الكتابة المرويّة على ثلاثة وعشرين رمزًا، هي ثمانية عشر صامتًا، وثلاثة صوائت أرى أنها للمد، للألف والياء، والواو. وإلى جانب ذلك هناك مقطعان مفتوحان، صامتهما واحد هو التاء، وأرى أنهما ممدودان أيضًا، أحدهما بالألف والثاني بالواو. وهي كتابة تكاد تكون أبجدية صرفة، منعها من أن تكون كذلك وجود المقطعين المذكورين، وعلى الرغم من هذا الانتماء المقترح فإن الكتابة المرويّة تُخالف الكتابات الساميّة المعاصرة لها بإثباتها المد دائمًا.

(ب) وبناء على ما تقدّم فإن مجيء أي واحد من الرموز الثلاثة، والتي عددناها صوائت مدّ، في أول الكلمة، يجعله همزة ممدودةً، إما بالألف، أو بالياء، أو بالواو، حسب نوعه. وإن كان ورود الرمز الذي حسبناه واوَ مدّ في أول الكلمة نادرًا جدًا بصفة عامة، ومقارنة مع الرمزين الآخرين بصفة خاصّة، لذا كان التساؤل عمّا إذا كانت هناك وسيلة أخرى لكتابة الهمزة الممدودة بالواو. ولربما كانت إحدى الوسائل هي المذكورة في الفقرة (جـ) التالية.

(جـ) جواز أن يكون الرمز الذي يُكتب [illegible] بالهيروغليفية ([illegible] بالمختزلة) همزةً ممدودةً بدلاً من مجرد *a* كما تعارف عليه الباحثون في كتابته باللاتينية، مع ملاحظة عدم وروده في وسط الكلمة. أما نوع مده فهو شيء في حاجة لمزيد من الدراسة، وربما دخلت فيه الهمزة الممدودة بالواو.

(٢) يُخالف الرأي المذكور في الفقرة (١ ـ أ) الرأي السائد عند الباحثين من أن الكتابة المرويّة على النمط اليوناني، بصوامت، وبرموز ثلاثة (للحروف اللاتينية *e* ، *i* ، *o*) يمكن أن تكون للحركات مرة وللمد مراتٍ أخرى. هذا بالإضافة إلى مقطعين مفتوحين يُكْتبان *te* و *to* باللاتينية، ويمكن أن يكونا مفتوحين بحركتين أو بالمد.

(٣) وإن كانت رموز الكتابة المرويّة، الهيروغليفية والمختزلة، مأخوذةً بتصرف من رموز الكتابة المصرية المعاصرة لها، من الهيروغليفية ومن الديموطيقية، فالغالب أن الكتابة المرويّة لم تستوحِ نظامها من الكتابة المصرية المعاصرة لها، ذلك لأن الكتابة المصرية آنذاك (هيروغليفية وديموطيقية) كانت على النمط القديم الموروث، والذي تختلط فيه الكتابة الأبجدية بالكتابة برموز المعاني والمقاطع والمركبات المقطعية، وبالإضافة إلى مخصصات المعاني. وإن لم يكن من المستحيل أن يكون المرويّون قد اصطفوا النظام الأبجدي في الكتابة المصرية وبنوا عليه، إلا أنه ولقرينتين سأوردهما فيما بعد، يبدو ذلك غير مرجّح.

(٤) إن من قرائن الأحوال ما يُشير إلى استيحاء المرويّين لمبدأ الكتابة الصوتية الصرفة، والأبجدية إلى درجة تكاد تكون كاملة، من الكتابة الساميّة المعاصرة لها، وفي الجزيرة العربية بصفة خاصة الآتي:

(أ) إكتفاء الكتابة برموز أصوات محدودة العدد، ويقع عددها في إطار عدد الحروف الأبجدية الساميّة، وهو ثلاثة وعشرون رمزًا، بما في ذلك المقطعان المفتوحان. هذا مع إدراكنا بأن هذا العدد مقارب لعدد الحروف الأبجدية في الكتابة المصرية، وهو أربعة وعشرون رمزًا، وإقرارنا بسبق الكتابة المصرية للكتابات الساميّة في الاهتداء للكتابة أبجديًّا.

(ب) توجيه الرموز ذوات الوجهات، وما عدا واحد منها هو [illegible] ، في الكتابة الهيروغليفية نحو نهاية السطر، وليس إلى بدايته، وهو توجيه يتفق مع الكتابة الساميّة ويُخالف المصرية (انظر: ثانيًا).

(جـ) استخدام الفاصلة بين الكلمات في خطيها، الهيروغليفي والمختزل، وهي بذلك تحاكي الساميّة العربية، واللحيانية بصفة خاصة (انظر: ثانيًا: ٣).

(٥) إن نظرة غيري من الباحثين للكتابة المرويّة نابعة من بيئتهم الحضارية والثقافية، اليونانية الرومانية في جذورها، اكتفت بقياس واحد لها، وهو القياس اليوناني الروماني. وإني وإن كنت أملك خلفية ثقافية مخالفة لهم فقد جاريتهم فيما ذهبوا إليه دون تساؤل عما إذا كانت الكتابة المرويّة على النمط السامي. وإني أرى الآن، ليس بسبب خلفيّتي اللغوية الساميّة، بل لأسباب علمية استقصائية، أنه قد آن الأوان لإعطاء هذا التساؤل حقّه، عسى أن تكون الكتابة المرويّة على النمط السامي حقًّا. وإنه لتساؤل جدير بالاعتبار، لفتحه كُوة لضوء لا يستحق أن يُغفل ولو كان بصيصًا، إذ أن العلم يقتضي أن يستقصى هذا الجانب أيضًا، إما لإثباته أو لنفيه، وبخاصة عندما تؤخذ في الاعتبار القرائن المذكورة في القسم الأول (أولاً) من البحث، والله أعلم.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

عبدالله، عبدالقادر محمود،

(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) «تجربة لكتابة اللغة المرويّة بالحروف العربية»، *مجلة كلية الآداب*، جامعة الملك سعود (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود)، المجلد الأول، العدد الأول، ص ص ١٣١ - ١٧١.

(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) *اللغة المَرَوِيّة*، الجزء الأول: *ما هي؟ أبجديّتها وطبيعة كتابتها، قصةُ فكّ رموزها* (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود).

«السبق المصري في الكتابة الأبجدية»، (معد للنشر.)

ثانيًا: الإفرنجية:

Abdalla, Abdelgadir Mahmoud

1977 "Examples of Incremental Repetition in Meroitic Personal Names," *Ägypten und Kusch* (Berlin: Akademie Verlag), pp. 17-40.

1988 "Beginnings of Insight into the Possible Meanings of Certain Meroitic Personal Names: (1) Verbal Sentences," *Beiträge zur Sudanforschung* 3 (Wien-Mödling: St. Gabriel), pp. 5-15.

1992 "A System proposed for the Transliteration of Meroitic into Arabic". *Beiträge zur Sudanforschung 5.* (تحت الطبع)

Cross (Jr.), Frank Moore

1967 "The Origin and Early Evolution of the Alphabet", *Eretz Israel* 8, pp. 8*-24*.

Crum, W.D.

1962 *A Coptic Dictionary* (Oxford. Reprint).

Erichsen, W.

1954 *Demotisches Glossar* (Kopenhagen).

Erman, Adolf

1897 "Nubische Glossen", *ZÄS* XXXV, p. 108.

Faulkner, R.O.

1962 *A Concise Dictionary of Middle Egyptian* (Oxford).

Grapow, H.

1940 "Die Inschrift der Königen Katimala am Tempel von Semne", *ZÄS* 76, pp. 24-41 (Leipzig).

Griffith, F. Ll.

1911a *Meroitic Inscriptions,* part 1. *Soba to Dangêl* (London). With Crowfoot, J.W., *The Island of Meroë.*

1911b *Karanòg. The Meroitic Inscriptions of Shablûl and Karanòg* (Philadelphia).

1916 "Meroitic Studies," *JEA* 3, pp. 22-30; "Meroitic Studies II", *op. cit.*, pp. 111-124.

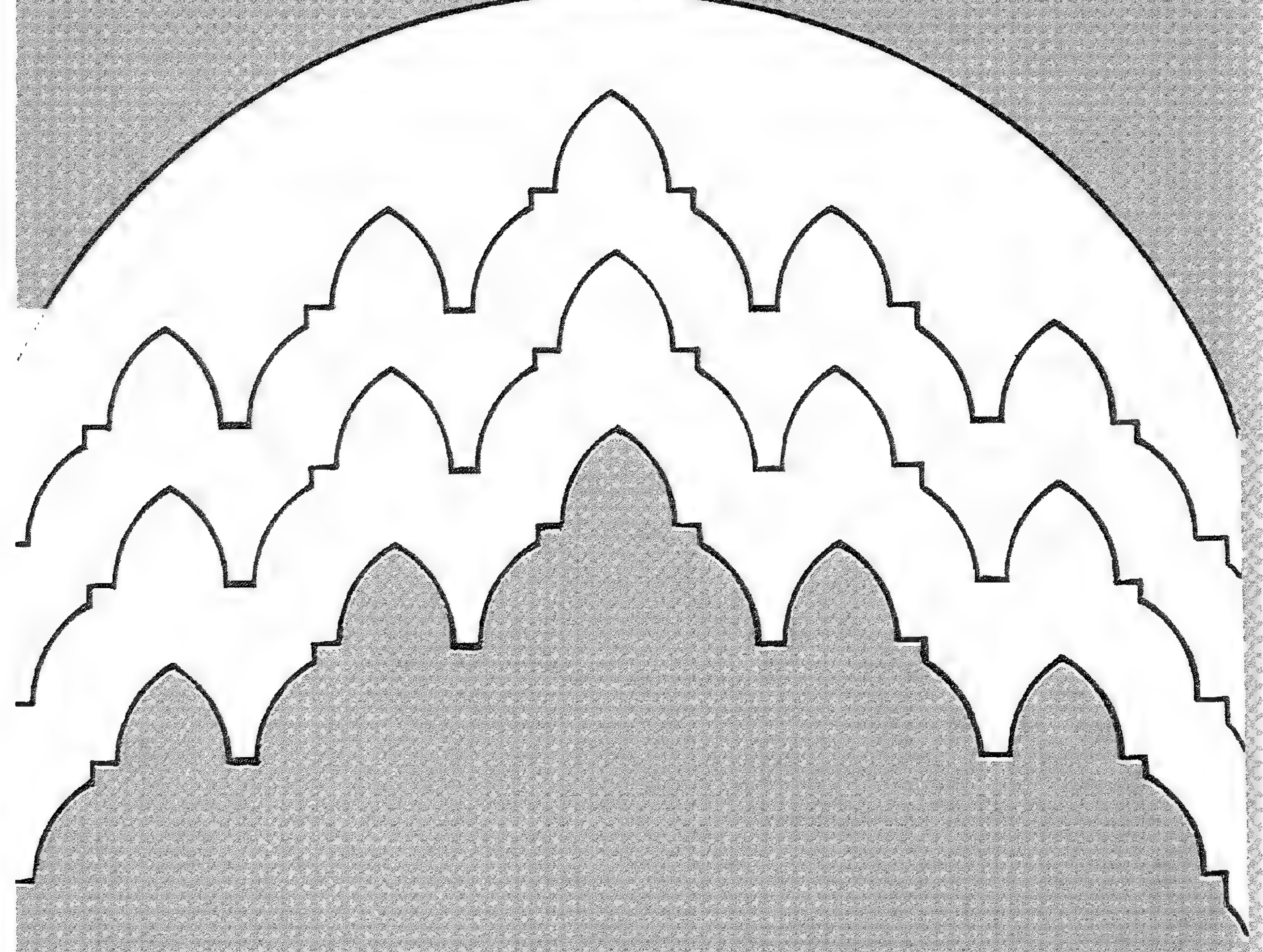
Hintze, Fr.

1988 "Zur Interpretation des meroitischen Schriftsystems", *Beiträge zur Sudanforschung 2,* pp. 41-50.

King, L.W.
1901 *Assyrian Language. Easy Lessons in the Cuneiform Inscriptions* (London).
Preisigke, F.
1967 *Namenbuch* (Amsterdam).
Steindorff, G.
1951 *Lehrbuch der Koptischen Grammatik* (Chicago).

الباب الثالث

آثار اسلامية



كشف وترميم وتقويم قصر البنات في الرقة
نتائج مواسم ١٩٧٧ ـ ١٩٨٦م

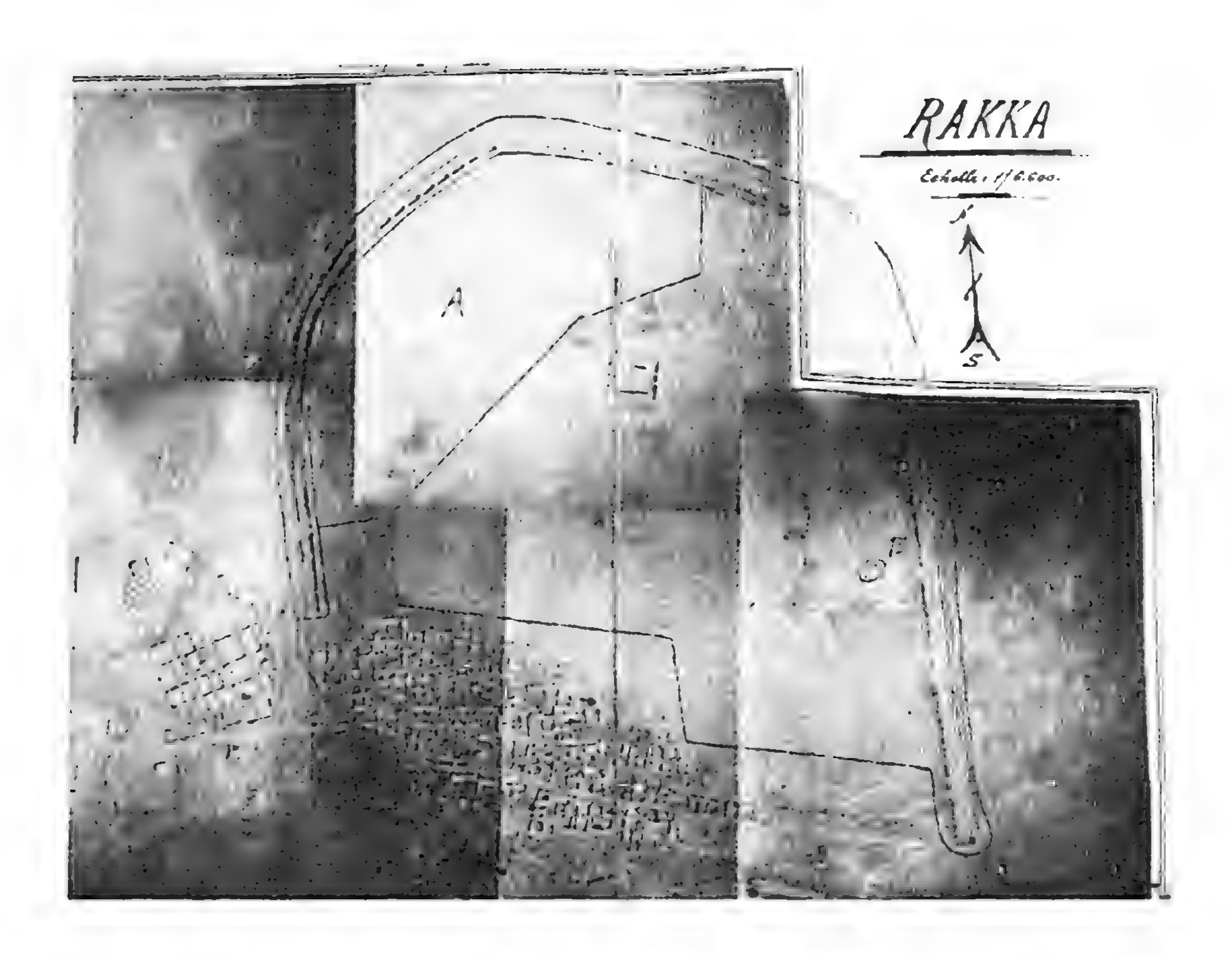
قاسم طوير

الموقع : كانت تقوم أطلال ظاهرة للعيان فوق سطح الأرض في القسم الجنوبي الشرقي من داخل سور الرافقة في الرقة الأثرية وتبعد مسافة حوالي (٤٠٠ متر) إلى الشمال من باب بغداد الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من سور الرافقة، كما تبعد مسافة حوالي (١٥٠ مترًا) إلى الغرب من جسم السور الرئيسي، (انظر الصورة الجوية التي التقطتها إدارة المساحة العسكرية الفرنسية في عام ١٩٤٤م ـ الشكل ١). ففي ذلك الحين لم يصل التوسع الحديث لمدينة الرقة الحالية إلى منطقة قصر البنات بحث ترينا الصورة الجوية آنفة الذكر أن الأطلال واقعة داخل مُنشأة ضخمة مربعة الشكل، ومعززة بأبراج زوايا، ولها بوابة في منتصف الضلع الشمالي، ويبلغ طول ضلع هذه المنشأة كما تظهر في الصورة الجوية مقدار حوالي (٢٥٠ مترًا). وتجدر الإشارة إلى أن سور الرافقة الذي تأسس في القرن الثامن الميلادي على يد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور يمر فوق الضلع الشرقي لتلك المنشأة مما يجعلنا نتكهن بأن المنشأة تعود إلى ما قبل عهد سور الرافقة.

حالة الأطلال في مطلع القرن الحالي : في عام (١٩٠٧م) قام الأثريان الألمانيان فريد رش ساره، وارنست هرتزفلد بجولة أثرية مسحا خلالها المواقع الأثرية المنتشرة بين نهري دجلة والفرات، ونشرا نتائج أعمالهما في مجلّدين كبيرين بعنوان: «جولة أثرية بين دجلة والفرات»[1]. قام هرتزفلد بوصف أطلال قصر البنات ورسم مخططًا للأجزاء الظاهرة منه فوق سطح الأرض، وطبقًا للصور الفوتوغرافية التي التقطها وقتئذ ونشرها في المجلدين آنفي الذكر، فقد كانت تقوم في الجنوب الغربي زاوية غرفة كبيرة تُطّل جدرانها فوق الأرض حتى ارتفاع يتجاوز خمسة أمتار، وتتحلّى الأجزاء العلوّية من سطوحها الداخلية بحقل من المحاريب الصماء ذات أقواس ثلاثية الفصوص ويعلوها في الزاوية مقرنصات تابعة لمثلث زاوية للانتقال بالغرفة من المربع إلى المثمن الذي من شأنه أن يحمل قُبَّةً كانت قائمة ذات يوم. وهناك برجٌ مربّع فارغٌ يدعم هذا البنيان في الخارج، (انظر الشكل ٢). وإلى الشرق من هذه الزواية تُطلّ من فوق مستوى الأنقاض غرفة صغيرة تعلوها قُبَّة.

---

(١) Sarre - Herzfeld, Archäologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet, I (1911), 156-161.



الشكل (١): صورة جوية لأثار الرقة/ الرافقة عام ١٩٢٤.



الشكل (٢): مقرنصات ومحاريب الغرفة الجنوبية الغربية - من تصوير هرتزفيلد عام ١٩٠٧م.

وإلى الشرق أيضًا كانت تُطلّ من فوق مستوى الأنقاض حتى ارتفاع حوالي أربعة أمتار زاوية غرفة كبيرة يظهر على جدارها الغربي في الداخل قوس نصف مستدير ومثلث زاوية للانتقال من الغرفة المربعة إلى المثمن الذي كان يحملُ قُبّة كانت قائمة ذات يوم، (انظر الشكل ٣). إلى الشمال من بقايا هذه الغرفة كانت تطلّ من فوق مستوى الأنقاض الزاوية الشمالية الغربية لغرفة كبيرة حتى ارتفاع يتجاوز العشرة أمتار. وترينا الصورة التي التقطها هرتزفلد لوجه جدارها الغربي وجود أربع طبقات من النوافذ، كما ترينا الصورة الملتقطة للغرفة نفسها من الداخل وجود إفريز من المقرنصات، (انظر الشكل ٣). وإلى الشمال الغربي من هذه الغرفة كانت تطلّ فوق مستوى الأنقاض الأجزاء العلويّة لجدران ثلاث غرف، المتوسطة منها مسقوفة بقبوة، (انظر الشكل ٤).

يَنسب هرتزفلد هذه الأطلال إلى العُقَيْليين، وهي قبيلة عربية نافذة كانت تُسيطر على منطقة الرّقّة ثم نقلهم السلطان السلجوقي ملكشاه في القرن الثاني عشر إلى قلعة جعبر.

حالة الأطـلال بعد ١٩٦٣م : ترينا الصورة الجوية التي التقطها المصور في المديرية العامة للآثار والمتاحف السيد قرملي من طائرة هيلوكوبتر في عام ١٩٦١م لأطلال قصر البنات، أن الموقع يعجّ بالحفر العميقة مما يُؤكد أقوالَ هرتزفلد وإفادات الأهالي أن سكان الرقّة الحاليين كانوا يحفرون في هذه المنطقة وغيرها بحثًا عن الآجر لبناء دورهم، وبحثًا عن القطع الأثرية، وخاصّة الأواني الخزفية، لبيعها للأجانب. كما ترينا الصورة نفسها أن جدران زاوية الغرفة الكبيرة التي كانت تتمتع بأربع طبقات من النوافذ قد زالت، (انظر الشكل ٥).

حالة الأطـلال قبيل أعمال الكشف والترميم : إلى جانب زوال جدران الغرفة ذات النوافذ آنفة الذكر تبيّن أيضًا أن الأجزاء العلويّة من مقرنصات الزاوية في جدران الغرفة المزينة بالمحاريب وقبّة الغرفة الصغيرة الملاصقة لها قد زالت. كما زالت الأجزاء العلويّة من زاوية الغرفة المجاورة لهما في الشرق، (انظر الشكل ٧).

قصـر البنات في المصادر التاريخية : يُطلق أهالي الرقّة الحاليين على هذه الأطلال اسم• (قصور البنات). وقد بحثنا في مختلف المصادر التاريخية العربيّة الوسيطة والمتأخرة فلم نعثر على ذكر لمثل هذا الاسم، ويبدو أن التسمية هذه محليّة وليس لها أساس وثائقي، كذلك لم نعثر في المصادر آنفة الذّكر على أيّ ذكر لوجود قصر داخل أسوار الرافقة، فابن شداد[٢] يتحدث في أيامه عن وجود مدرستين، واحدة شافعية وأخرى حنفية، وبيمارستان وخانقاه من بناء نور الدِّين، وأن عماد الدّين أصفهاني وزير قطب الدّين مودود بن زنكي بنى بها خانقاه. لكن ابن شداد لا يُحدّد ما إذا كانت هذه المباني موجودة في الرقّة أم في الرافقة، كما أنه لا يحدّد موقعها أو ما يجاورها.

(٢) ابن شدّاد، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، الجزء الثالث، تحقيق يحيى عبارة، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٩٧٨م، ص ٧١.



الشكل (٣): صورة التقطها هرتزفيلد عام ١٩٠٧م، ترينا قاعة في الجنوب الشرقي وعليها بقايا قوس جداري، وإلى الشمال منها قاعة مؤلفة من أربع طبقات.



الشكل (٤): بقايا أطلال ثلاث غرف في الشمال كانت ظاهرة للعيان قبل مباشرة التنقيب.



الشكل (٥): صورة جوية ملتقطة عام ١٩٦١م، ترينا أطلال قصر البنات وآثار التنقيبات السرية التي شوهت الموقع قبل التنقيب المنهجي عام ١٩٧٧م.

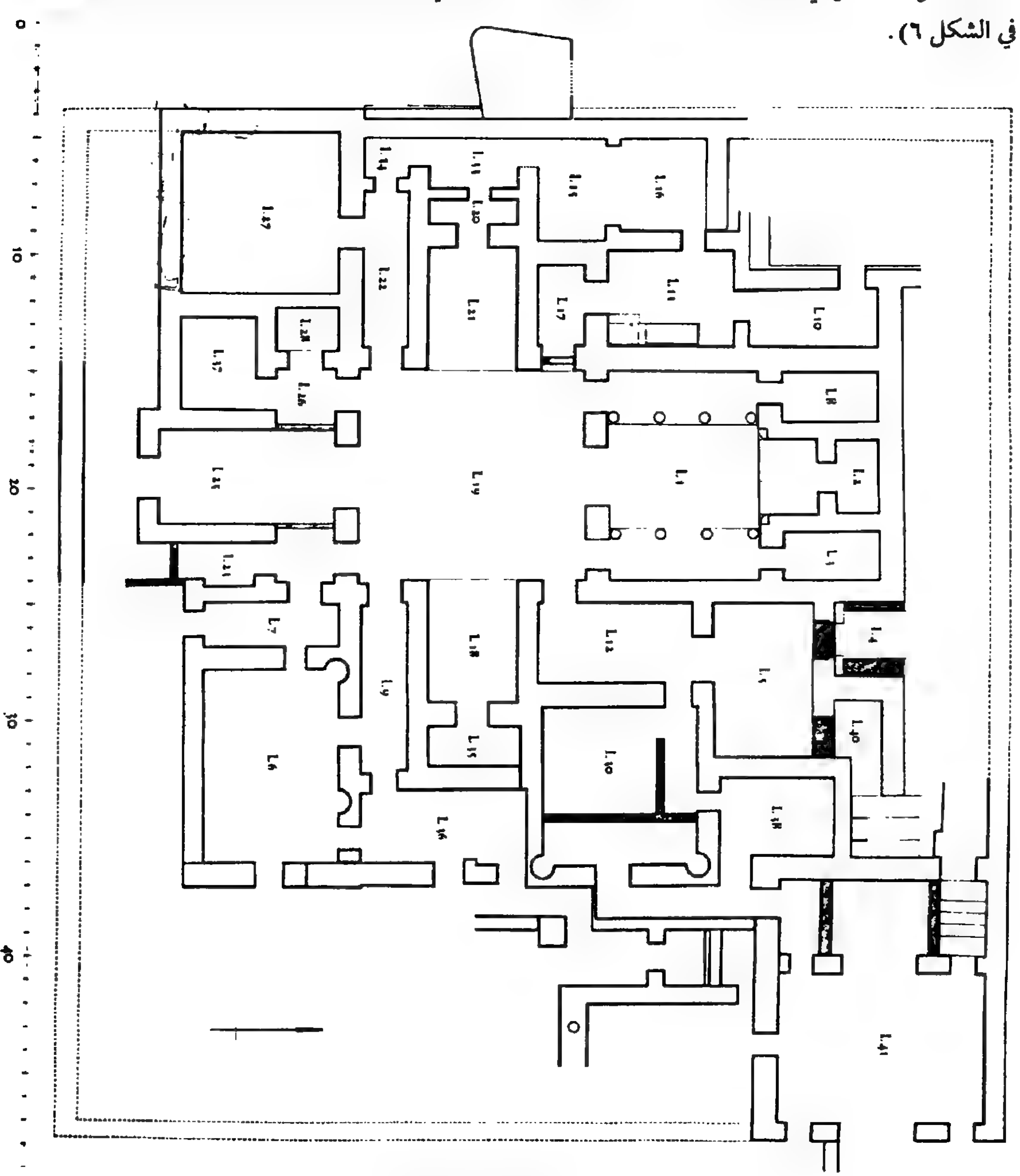
أعمال الكشف والترميم بين (١٩٧٧ - ١٩٨٦م) : وصل التوسع العمراني الحديث في مدينة الرقّة في عام ١٩٧٦م إلى حدّ خطير، بحيث غطّت البيوت المحدثة معظم الأراضي الواقعة داخل سور الرافقة، وأصبحت (أطلال) الجامع الأثري الذي بناه المنصور في القرن الثامن الميلادي محاطًا بالبيوت المحدثة من كل جوانبه، ولا يفصله عنها إلّا طريق. أما أطلال قصر البنات والأنقاض المحيطة بها فقد تقلّصت بفعل اقتراب البيوت المحدثة، ولم يبق منها إلا فَسْحة بعرض حوالي ثمانين مترًا وطول حوالي مائتي متر، يحدّها من الشرق سور الرافقة ومن الغرب شارع حديث، والبيوت تَرْتَصِفُ على الجانبين الجنوبي والشمالي. في ضوء هذه الحالة التي تُهدّد بزوال المنطقة الأثرية لأطلال قصر البنات فيما لو استمر التوسع العمراني على هذه الشاكلة، قرّرت المديرية العامة للآثار والمتاحف تكليف المؤلف بتشكيل بعثة علمية للكشف عن أطلال وبقايا هذه المنشأة الدفينة تحت الأنقاض والعمل على ترميم وتقويم ما يتمّ الكشف عنه في الحال. وقد اشترك في عضوية هذه البعثة العلمية الوطنية إلى جانب رئيس دائرة آثار الرقّة السيد مرهف خلف والمهندس شريف الخطيب وطلبة متطوعون من جامعات عربية وأجنبية مثل جامعة دمشق وجامعة إكس آن بروفانس بفرنسا وجامعة نيويورك بالولايات المتحدة، والجامعة الأمريكية في بيروت، ومن جامعة ريدينج بانكلترا، ومن متحف اللوفر في باريس، ومن متحف اوتريشت في هولندا. وفيما يلي نسجل عميق الشكر لروح الحماس الملموس والتفاني الذي بدأ من هؤلاء الطلبة المتطوعين خلال المواسم الستة التي عملوا فيها:

ليلى كواكبي، إيمان أشرف، خلود صباغ (قسم التاريخ جامعة دمشق)، فرج العش (كلية الهندسة المدنية - جامعة دمشق)، جاك مابيلون، سيسيل بلوان، باتريسيا كارير، فريدريك موران، جوسلين موزي (قسم الدراسات الإسلامية في جامعة إكس آن بروفانس)، مارت برنوس تايلور (متحف اللوفر)، ميشيل كورتس (كلية الهندسة - جامعة برلين)، جيف تيسكه (متحف اوتريشت بهولندا)، يسرى هنيدي (جامعة ريدبنج بانجلترا)، زينة مطر، شهرزاد جنبلاط (الجامعة الأمريكية ببيروت)، فرانسيس بيترز، دوريس ميللر، مارغريت لاركين، نادرة مبارك، نانسي نيل، نادين بوسنر، إيلين روبينز، كارل شيفر، راندي شوم، فرانك سوكولوف (من جامعة نيويورك).

أعمال الكشف والترميم : كان واضحًا منذ البداية كما هو واضح في الصورة الجوية. (انظر الشكل ٥)، كما أن أنقاض قصر البنات قد تعرضت للتشويه والتخريب الناجم عن حفريات الأهالي والباحثين عن الآثار، لذلك لم يكن من المتوقع مُصادفة طبقات أثرية سليمة، أو العثور على لقى في مكانها الأصلي. بناء على ذلك استهدفنا الكشف عن معالم المنشأة الغائبة تحت الأنقاض حتى مستوى أرضيتها، وعدم مواصلة التنقيب إلى أعمق من مستوى الأرضية. كان مستوى ارتفاع الأنقاض التي تغطي معالم المنشأة يتراوح بين ثلاثة وخمسة أمتار.

أسفرت أعمال الكشف الجارية بين (١٩٧٧ - ١٩٨٦م)، بمعدل شهرين إلى ثلاثة أشهر من كل عام، عن إظهار معالم منشأة ضخمة لم نتوصل حتى عام ١٩٨٦م إلى الكشف عن حدودها النهائية. فالدلائل تشير إلى أن

المنشأة لا تزال مستمرّة في اتجاهاتها الجنوبية والشمالية والشرقية وفيما يلي المواصفات التفصيلية لبنيانها. (انظر المخطط في الشكل ٦).



الشكل (٦): مخطط قصر البنات.



الشكل (٧): الباحة المركزية مع الإيوان الشمالي قبل ترميمه.

مادة البنـاء : الآجر المشوي قياس ٢٤ × ٢٤ × ٥سم، وهو مصنوع من تربة محليّة لحقيّة، وألوانه تختلف من الأحمر الفاتح والداكن إلى الأصفر، وذلك ناجم عن التفاوت في تعرضّه للحرارة داخل الفرن.

* **مادة الربط (المونة):** ـ الجص الأبيض بسماكة تتراوح بين ١ ـ ٢سم.

ـ المداميك: كل ١٠ ـ ١٢ مدماكًا تشكّل مترًا واحدًا في الارتفاع.

* **سماكة الجدران:** تبلغ ثخانة الجدران الرئيسية ١٠٠سم والجدران الفاصلة ٧٥ ـ ٩٠سم.

* **الكسوة:** الجدران كافةً مطليّة بطبقة من الجصّ الأبيض في الداخل والخارج بسمك ٢ ـ ٣سم. وكانت غرف معينة مدهونة بالدّهان الأحمر القرمذي مع بعض الرسوم الملونة فوق الجص. ولقد تبيّن استخدام ألواح خشبية سميكة في قلب الجدران وذلك بهدف تمتينها وتخفيف الحمولة عنها.

* **البلاط:** الآجر المشوي قياس (٣٨ × ٣٨ × ٧سم)، وتبين أنه مُعاد الاستعمال حيث إن الكثير منه يحمل طبعات محزوزة بالأصبع لأحرف يونانية. (انظر الشكل ٩)، ولابد أنه أُخذ من أطلال مبـان سابقـة للفتح الإسلامي في مدينة الرقّة. إلى جانب الآجر أُستخدمت الألواح الحجريّة في التبليط، وهي من نوع الصخر الجصي، وبأحجام مختلفة (٢٠×٩٠، ٥٠×٧٠، ٦٠×٨٠) وبسمك (٦ ـ ٧سم). وكان بين تلك البلاطات قطع محدبّة في الأسفل مما عزز الافتراض بأنه تم اللجوء إلى نشر أعمـدة حجـرية قديمـة إلى شرائح مناسبة للتبليط. أما النوع الثالث في التبليط فكان من البلاطات الخزفية المربعة أو المثمنة الشكل، قياس (٣٢ ـ ٣٢سم)، وهي عبارة عن ألواح آجرية مزجّجة بطلاء أزرق ضارب إلى الإخضرار لكن استخدامه كان محدودًا جدًّا.

مجاري التصـريف : تبينّ أن الميـاه كان يجـري تصريفها عبر أنابيـب فخّاريّة مؤلفة من أسطوانات متداخلة بقطر ١٥ سم، وتمر في قلب الجدران، ثم تصب تحت بلاط الأرضيات في مجارٍ مبنيّة بالآجر على هيئة قبوة بعرض حوالي (٦٠سم)، وعمق قد يصل إلى (٨٠ ـ ١٠٠سم). وثمة نقاط تجميع (بالوعات)، لتصريف المياه في الباحات، وفي غرف معينة من المنشأة تصبّ في بئر مستدير مبنيّ بالآجر ولابد أن يكون مرتبطًا مع شبكة المجاري المنتشرة تحت البلاط كما أسلفنا.

مخطط المنشأة

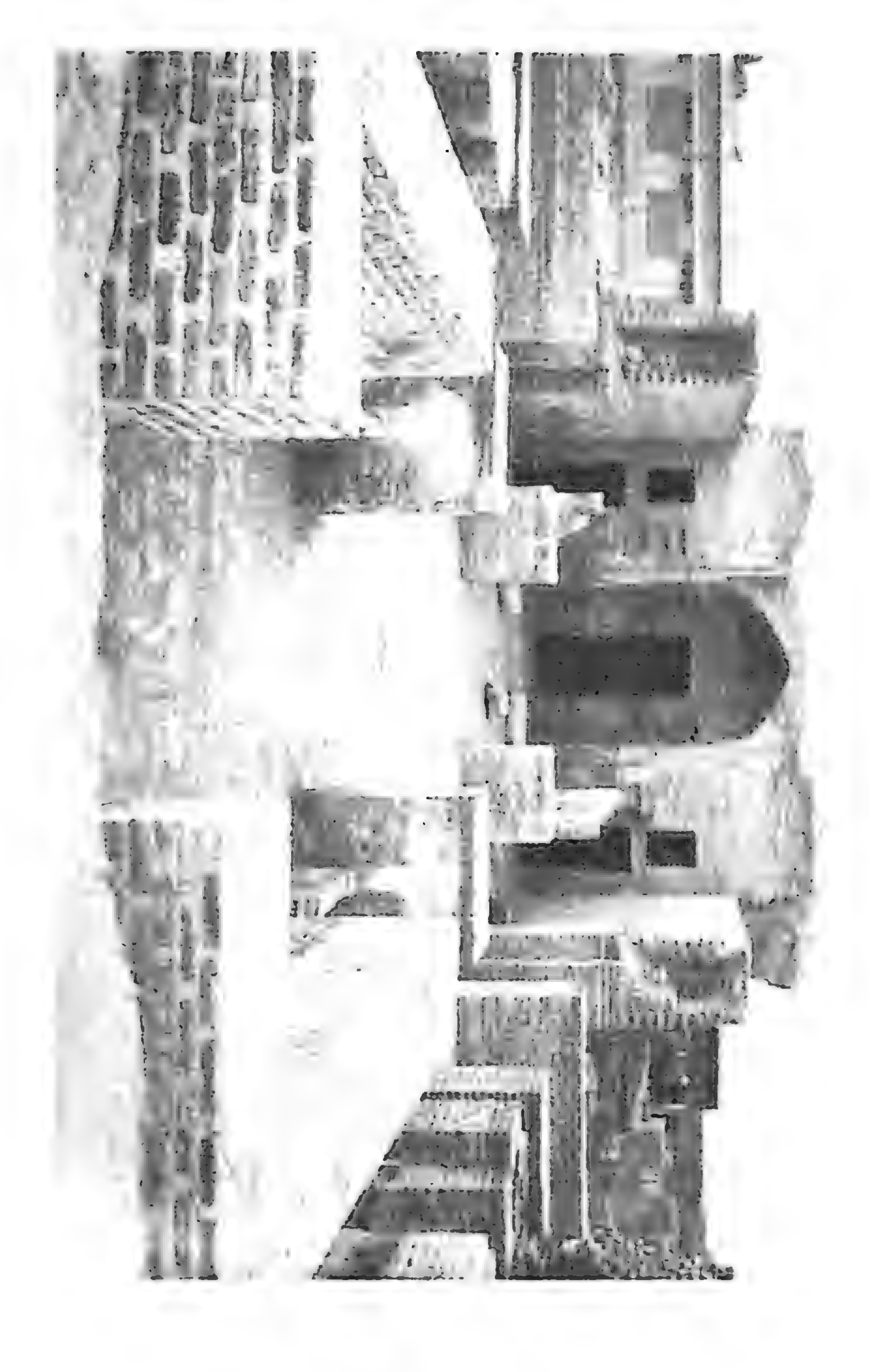
بلغت أبعاد ما تم كشفه من هذه المنشأة حتى عام ١٩٨٦م مقدار ٤٤ م من الشرق إلى الغرب و٤٢ م من الشمال إلى الجنوب. انظر المخطط في (الشكل ٦). يبدو أن التصميم الهيكلي لمخطّط المنشأة المكتشفة حتى الآن يعتمد على إنشاء شكل مربع تم تقسيمه إلى أربعة مستطيلات طولية موجهة من الجنوب إلى الشمال، وكل اثنين منها متساويان في العرض، فالمستطيلان الغربيان بعرض ٩,٥سم لكل منهما، والمستطيلان الشرقيّان بعرض ١١,٢٠ م للأول و١٠,٤٠ م للثاني.

أما التصميم الداخلي فإنه يعتمد على مبدأ المحور المتصالب، أي تقاطع محورين على شكل مصلب يحتل المحور الرئيسي، الموجّه من الجنوب إلى الشمال، المستطيل الغربي المتوسط. فقد تم تقسيم هذا المستطيل إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأوسط تحتله باحة سماوية مركزية (٩٦٠ × ٩٠٥سم)، وهي مفروشة بالبلاط الحجري آنف الذكر. وفي وسطها، وبالذات عند نقطة التصالب، توجد بئر مبنية بالآجر لابد أن كان فوقها بركة ماء رخامية، كما هو معروف في باحات المباني الإسلامية. ويمثّل الجزء الجنوبي للمستطيل نفسه إيوانًا (٣٨٠ × ٥٠٠سم) له مدخل في الجنوب بعرض ١٥٠سم، وإلى الشرق من هذا الإيوان تقوم غرفة أبعادها (١٨٠ × ٢١٦سم) لها مدخل في الشمال بعرض ١٤٠سم. وتقوم إلى الغرب من الإيوان نفسه غرفة أبعادها (٣٢٥ × ٣١٣سم)، لها مدخل في الشمال بعرض ١٣٣سم. يطل هذا الإيوان والغرفتان الجانبيتان الآنفتا الذكر على ممر مستطيل (٩٠٥ × ٢٥٢سم)، ويطلّ هذا الممر بدوره على الباحة المركزية آنفة الذكر من خلال ثلاثة مداخل تعتمد على دعامتين جداريتين جانبيتين (١٠٥ × ٤٥سم)، ودعامتين متوسطتين مستقلتين (١٥٠ × ١٠٥سم). المدخل الأوسط (٢٨٠سم) أوسع من المدخلين الجانبيين (١٤٠ سم). (انظر الشكل ٧). وتجدر الإشارة إلى أن أرضية الإيوان المفروشة ببلاطات الآجر أعلى من مستوى الباحة بـ(١٢سم).

يحتلّ الجزء الشمالي إيوانًا أبعاده (٢٦٠ × ٣٢٧سم)، يخترق جداره الشمالي باب أبعاده (١٣٥ × ٢٧٠سم)، ويؤدي إلى حُجَيْرة خلفيّة أبعادها (٣٢٧ × ١٧٢سم). وهذا الإيوان مغطّى بقبوة كانت محفوظة حتى الثلث الأخير من قمتها، أي حتى ارتفاع ٥٩٥سم عن سطح بلاطات الباحة المركزية. يجنّح هذا الإيوان عمودا زاوية مبنيّان بالآجر ويعلوهما تاج مبني بالآجر ومصّوغ بالجص، تقوم إلى جانبي الإيوان حجرتان مستطيلتان أبعاد كل منهما (٢١٠ × ٤١٠سم)، ولكل منهما باب (٩٠ × ٢٣٠سم)، يعلوه شباك (٧٤ × ٩٨سم) في الجدار الجنوبي.

يرتفع مستوى الإيوان المفروش ببلاطات الآجر بمقدار ١٤سم عن مستوى الباحة المركزية. ويطلّ الإيوان نفسه على باحة سماوية صغيرة (٤٥٢ × ٦٣٦سم) مفروشة ببلاطات الآجر، وهي في مستوى الباحة المركزية. تطلّ كل من الحجرتين الجانبيتين على رواق (٢٢٥ × ٦٣٦سم) يطلّ بدوره على الباحة السماوية الصغيرة بثلاثة أقواس مدببة محمولة على أعمدة حجرية (قطر ٥٠سم وارتفاع ٢٠٠سم)، وهي من الصخر الجصي ومعاد استعمالها، أي مأخوذة من أطلال مبان سابقة للفتح الإسلامي، وذلك لأن أقطارها متفاوتة (٣٥ ـ ٤٥سم) وطليت بالجص الأبيض بسمك متفاوت للوصول إلى قطر موحد مقداره (٥٠سم)، وتقوم تلك الأعمدة على قواعد مثمنة مبنية بالآجر.

تطلّ الباحة السماوية الصغيرة والرواقان والإيوان والحجرتان الجانبيتان على الباحة المركزية بثلاثة مداخل مناظرة في أبعادها ومواصفاتها للمداخل الثلاثة في الجزء الجنوبي. (انظر الشكل ٨).

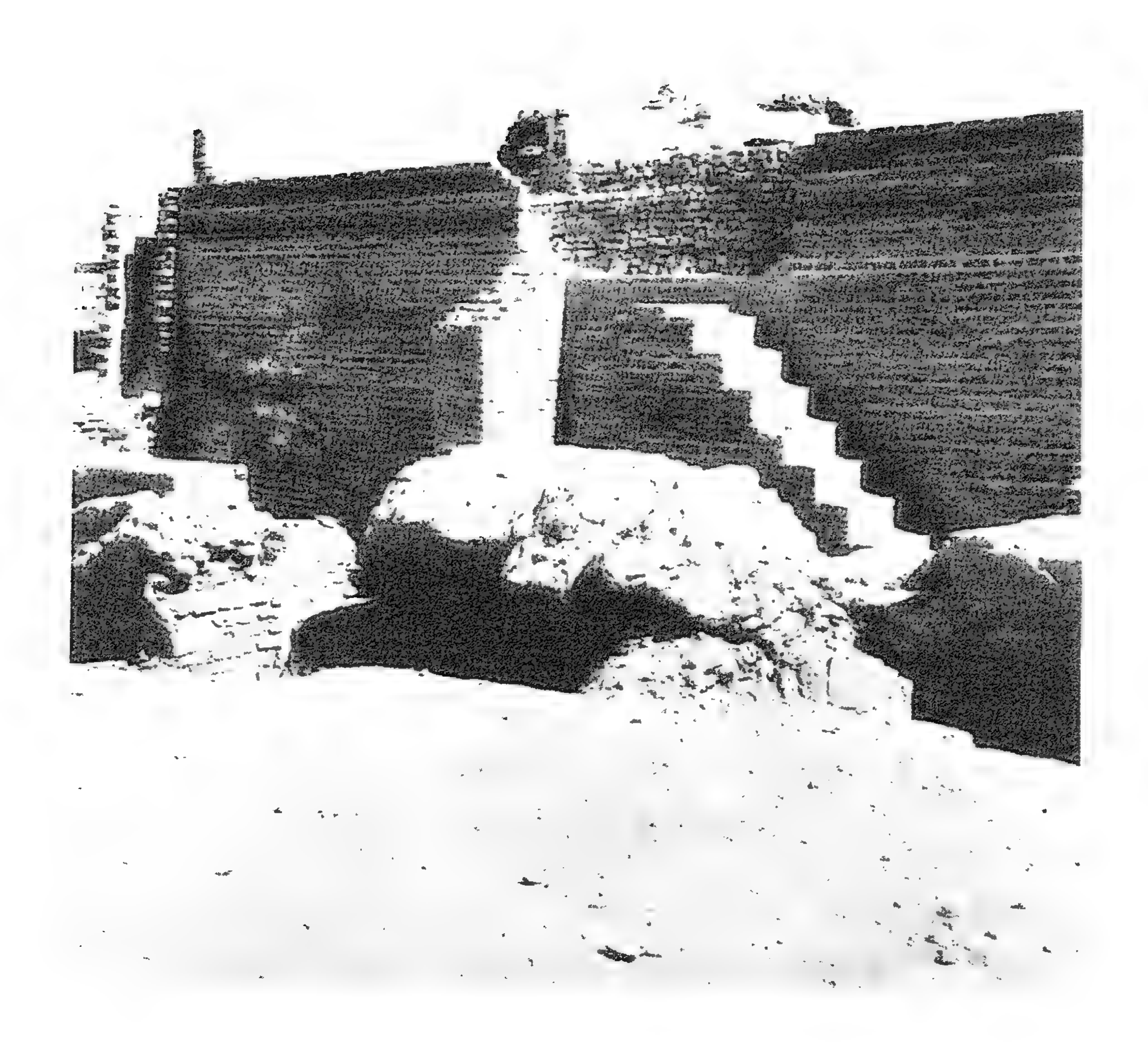


الشكل (٨): قصر البنات . الباحة المركزية والإيوان الشمالي بعد ترميمه

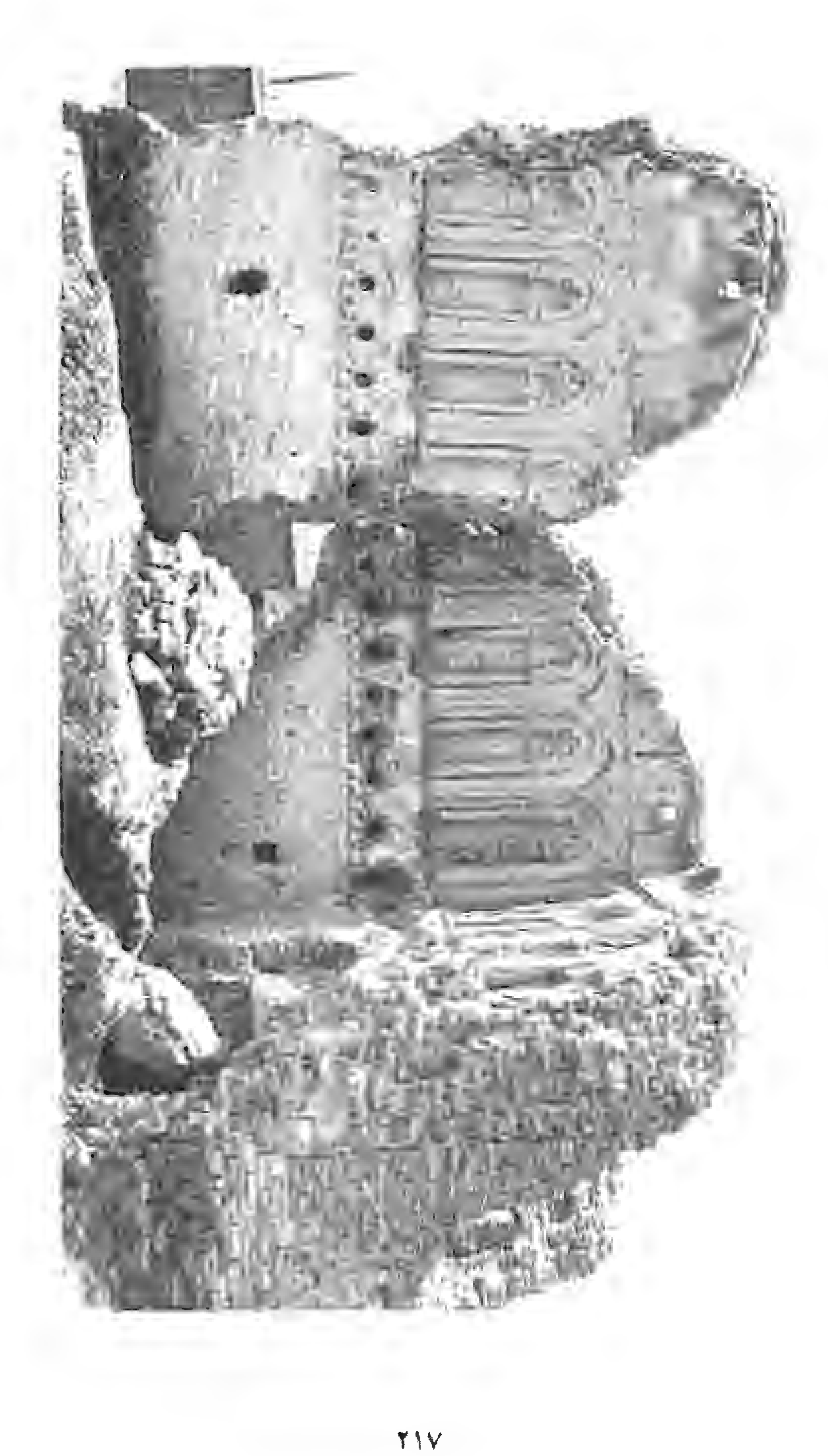
أمـا المستـطيلُ الغـربي الأقصى المجاور للمستطيل السابق فإن محوره معترض، وهو نصف المحور الذي يتصالب مع المحور الشمالي الجنوبي آنف الذكر. إن قوام المحور النصفي هنا عبارة عن إيوان موجّه من الشرق إلى الغرب أبعاده (٣٨٠ × ٥٣٥سم)، وهو يطلّ على الباحة المركزية في وسطها ومستوى أرضيته المفروشة ببلاطات الآجر، ترتفع عن مستوى الباحة المركزية بمقدار (٤٠سم). يخترق الجدار الخلفي (الشرقي) لهذا الإيوان باب (١٤٠ × ٢٨٠سم) يـؤدي إلى حُجيـرة مستـطيلة وهـذه بـدورها لها باب في جـدارها الخلفي (الشرقي) أبعاده (١٠٠ × ٢٠٠سم).

تتوزع الغرف والقاعات ضمن هذا المستطيل على جانبي الإيوان وخلفه، فإلى الشمال من الإيوان توجد غرفة تبلغ أبعـادها (٢٥٠ × ٢٠٠سم)، وهي تطلّ على الباحة المركزية بمدخل (١٤٠ × ٢٨٠سم) ومفروشة ببلاط حجري كامل في مستوى الباحة المركزية يخترق الجدار الشمالي لهذه الغرفة باب عرضه ١٤٠سم، ويؤدي إلى غرفة مستطيلة مفروشة بالبلاط الحجري، وتتضمن الأرضية تربيعة من البلاطات الخزفية السداسية الشكل والخضراء اللون وألوانها في حالة مشوهة جدًّا. وتبلغ أبعاد هذه الغرفة (٤٠٩ × ٥٣٩سم)، يلتصق بجدارها الشرقي درج مبني بالآجر يتجه من الجنوب إلى الشمال بعرض ١١٠سم. (انظر الشكل ٩). يخترق الجدار الشمالي لهذه الغرفة مدخـل بعـرض ١٣٠سم، يؤدي إلى غرفـة مستطيلة أخرى أبعادها (٢٥٠ × ٥٤٧سم)، وهي مفروشة ببلاط آجري. ترتفع أرضية هذه الغرفة والغرفة السابقة عن مستوى بلاط الباحة المركزية بمقدار ٢٥سم. يخترق الجدار الغربي مدخل بعرض ١٤٠سم، ويؤدي إلى غرفة مستطيلة وكبيرة، لكن جدارها الشمالي والجزء الأعظم من جدارها الغربي أزيلا من أساسهما.

يخترق الجدار الغربي للغرفة السابقة مدخل بعرض ١٤٠سم، ويؤدي إلى غرفة مستطيلة (٤٠٠ × ٤٦٠سم) ويلتصق في جداريها الشرقي والغربي دعامتان جداريتان لعلهما مُخصّصتان لحمل قوس فاصل، وأرضية هذه الغرفة مفروشة بالبلاط الآجري، وترتفع أيضًا عن مستوى بلاط الباحة المركزية بمقدار ٢٥سم. يخترق الجدار الجنوبي لهذه الغـرفة مدخل يؤدي إلى غرفة مستطيلة أبعادها (٢٢٠ × ٣٩٠سم)، وهي تتصل بالغرفة المجاورة بمدخل مشترك ويخترق جدارها الجنوبي مدخل آخر يؤدي إلى حجرة مربعة أبعادها (١٩٠ × ١٨٠سم)، وهي مفروشة أيضًا بالبلاط الآجري وترتفع عن مستوى الباحة المركزية مقدار (٢٥سم). إلى الجنوب من الإيوان تمتد صالة مستطيلة موجّهة من الشرق إلى الغرب، ومفروشة بالبلاد الحجري، وتطل على الباحة المركزية بمدخل عرضه ١٤٠سم، وتبلغ أبعادها (١٨٨ × ٦٧٥سم)، وأرضيتها على مستوى أرضية الباحة المركزية. يخترق الجدار الجنوبي لهذه الغرفة مدخل عرضه ١٤٠سم يؤدي إلى قاعة كبرى مربعة أبعادها (٧٠٠ × ٧٠٠سم)، وقد بقي جزء من جدارها الشرقي وكـامـل جدارهـا الجنوبي محفوظًا حتى ارتفاع تسعة أمتار تقريبًا، وهي مزينة بالمحاريب والمقرنصات في أجزائها العلوية، لكن الجـدار الجنوبي متصدّع ومنحرف عن أساسه، لذلك لم نحاول إزالة الأنقاض حولها لحمايتها من الانهيار والسقوط ريثما نتوصل إلى حلّ تقني. (انظر الشكل ١٠).



الشكل (٩) : الغرفة ذات الدرج بعد الترميم.



الشكل (١٠): القاعة ذات المحاريب والمقرنصات

يعزّز الجدار الغربي لتلك الغرفة في الزاوية الجنوبية الغربية من الخارج برج أبعاده (٤٤٧ × ٣٦٦سم) مفرغ في الداخل بمستطيل أبعاده (١٥١ × ٢١٥سم)، ولعلّ هذا البرج كان مخصّصًا لدعم المنشأة من الخارج في زاويتها الجنوبية الغربية لا سيما وأن جدارًا لاصقًا يمتد على طول الجدار الشرقي للمنشأة، يهدف أيضًا للتدعيم مثل الكتلة المربعة الأخرى التي تدعم الجدار في الوسط.

يمتدّ المستطيل الشرقي الأول الذي يبلغ عرضه ١١,٢٠ متر على نصف محور مماثل لنصف المحور الموصوف آنفًا، وقوامه إيوان وحُجَيْرة خلفية مماثلة في أبعادها ومواصفاتها للإيوان الغربي. وتتوزع الغرف والقاعات على جانبي هذا الإيوان وخلفه بصورة غير منتظمة باستثناء الصالة الطويلة الواقعة إلى الجنوب من الإيوان، فهي مناظرة في أبعادها ومواصفاتها للصالة المقابلة لها في الغرب. تقع إلى الشمال من الإيوان الشرقي غرفة مستطيلة موجهة من الشمال إلى الجنوب أبعادها ٣٤٣ × ٦٥٢سم)، وهي مفروشة ببلاط حجري يقع في مستوى بلاط الباحة المركزية. تتصل هذه القاعة مع الباحة المركزية بمدخل عرضه ١٤٠سم. يخترق الجدار الشمالي لهذه الغرفة مدخل عرضه متران يؤدي إلى غرفة مستطيلة موجّهة من الشرق إلى الغرب أبعادها (٤١٥ × ٦٦٤ سم)، وأرضيتها مفروشة بالبلاط الحجري، ومع وجود تربيعة من البلاط الخزفي الأزرق في جزئها الشرقي. يخترق جدارها الشمالي الغربي مدخل عرضه ١٥٨سم يؤدي إلى إيوان أبعاده (٣٢٠ × ٣٠٠سم)، ويتمتع هذا المدخل من ناحية الشمال بواجهة حجرية محفورة بشريط من الزخارف المحفورة، تنطلق من دائرة حلزونية في الأسفل وتدور مع حافة الباب من جوانبه الثلاثة. (انظر الشكل ١١). ويخترق القسم الشرقي من الجدار الشمالي للغرفة المستطيلة مدخل عرضه ١٧٥سم، يؤدي إلى حجرة مستطيلة أبعادها (٢٠٠ × ٤١٠سم)، لكن أرضيتها ترتفع عن أرضية الباحة المركزية مقدار ٣٠سم.

يخترق الجزء الشمالي من الجدار الشرقي للغرفة الواقعة إلى الشمال من الإيوان الشرقي مباشرة مدخل بعرض ١٠٠سم، يؤدي إلى قاعة كبيرة مربّعة أبعادها (٦٦٠ × ٦٧٥سم)، ويتقعّر في كل من الزّاوية الجنوبية الشرقية والشماليّة الشرقية حيز دائري يبلغ نصف قطره ٥٠ سم، وتبلغ فتحته ٧٠سم، ويخترق قبوته في الأعلى فتحة اسطوانية تخترق زاوية الجدار شاوقلينًا لعلّها فتحة مخصصة لضمان التهوية المستمرة للقاعة. وهذه هي القاعة التي كانت قائمة في الصورة الفوتوغرافية التي التقطها هرتزفلد مع أربع طبقات من النوافذ. (انظر الشكل ٥). أرضية هذه القاعة كانت مفروشة بالبلاط الحجري الذي يقلّ مستوى ارتفاعه عن مستوى ارتفاع الباحة المركزية بمقدار ٣٠سم. يخترق الجدار الشمالي لهذه القاعة مدخل عرضه (متر) وارتفاعه ٢٠٠سم، (المدخل محفوظ كليًّا) ويؤدي هذا المدخل إلى غرفة مستطيلة أبعادها (٤٩٠ × ٣٣٥سم) وأرضيتها مفروشة بالآجر، ومنخفضة عن مستوى بلاط الباحة المركزية بمقدار ٣٠سم، يخترق الجزء الجنوبي من الجدار الشرقي للغرفة نفسها مدخل عرضه ١٤٠سم، يؤدي إلى منطقة تحتلها غرف وممرات ليست من أصل المنشأة، بل أضيفت إليها في مرحلة متأخرة، وهي تقع إلى



الشكل (١١): الباحة الزرقاء مع الإيوان والدرج.



الشكل (١٢): الباحة ذات البلاط الخزفي الأزرق.

الشرق من القاعة العالية آنفة الذكر، إلى الشمال من المنطقة آنفة الذكر يمتدّ جدار موجّه من الشرق إلى الغرب، ويخترق جزؤه الغربي مدخل بعرض ١٢٧سم، يؤدي إلى قاعة مستطيلة أبعادها (٦٤٨ × ٣١٠سم)، مفصولة بجدار عرضه ٤٥سم، عن درج عرضه ٢١٠سم. تطلّ هذه القاعة والدرج نحو الشرق من خلال ثلاثة مداخل، الأوسط عرضه ٣٣٥سم، والجنوبي بعرض متر، والشمالي الذي يؤدي إلى الدرج بعرض ١٤٠سم، على باحة كبيرة أبعادها (٩٠٥ × ٦٤٥سم)، مفروشة بشريط من البلاط الحجري عرضه (١١٠سم). يليه شريط مستطيل آخر من البلاط الخزفي الأزرق الضارب للإخضرار بعرض (١٦٠ و١٠٠سم)، ويحصر هذا الشريط في داخله مستطيلا (٢٤٠ × ٢٨٠سم)، يملأه تشكيل هندسي من البلاطات الخزفية المثمنة المرصوفة في هيئة دوائر تحصر بينها نجمة مثمنة من البلاط الحجري. تنتهي هذه الباحة في الشرق بواجهة مؤلفة من ثلاثة مداخل، هي مناظرة في أبعادها ومواصفاتها للواجهة المقابلة لها في الغرب. وينخفض مستوى هذه الباحة عن مستوى الباحة المركزية بمقدار ١٥٠سم. يتجّه الدرج نحو الغرب وهو مؤلف من خمس درجات: الأولى والأخيرة بعرض ٨٥سم وارتفاع ٣٠سم، والثلاث الوسطى بعرض ٥٠سم وارتفاع ٣٠سم، (انظر الشكلين ١١ ـ ١٢).

يخترق الجدار الشرقي للقاعة المستطيلة الواقعة إلى الجنوب من الإيوان الشرقي مباشرة مدخل بعرض ١٠٠سم يؤدي إلى غرفة مستطيلة أبعادها (٣١٠ × ٧٠٠سم) وأرضيتها مفروشة بالبلاط الحجري، وهي تنخفض عن مستوى الباحة المركزية بمقدار (٨٧سم).

يخترق الجدار الجنوبي لتلك القاعة مدخل عرضه ١١٨سم، يؤدّي إلى قاعة كبرى أبعادها (٥٧٧ × ٨٢٣سم) أرضيتها مفروشة بالبلاط الحجري، وتقع في مستوى أرضية الباحة المركزية نفسها، يتقعر في الزاوية الشمالية الغربية حيّز دائري يبلغ نصف قطره مقدار ٥٥سم، وفتحته ٧٠سم، ويخترق قبوته فتحة اسطوانية تخترق زاوية الجدار شاقوليًا. كما يتقعّر الجزء الشرقي للجدار الشمالي لهذه القاعة محراب نصف دائري، يبلغ نصف قطره ٥٥سم. (انظر الشكل ١٣).

تتصل هذه القاعة مع الغرفة الواقعة إلى الشمال منها بمدخل يبلغ عرضه ١٠٠سم. يخترق الجدار الغربي للقاعة نفسها مدخل عرضه ١٠٠سم، وارتفاعه ٢٠٠سم، (مدخل محفوظ كاملاً). يُؤدّي إلى قاعة مستطيلة تمتدّ من الجنوب إلى الشمال، وتبلغ أبعادها (١٨٨ × ٥٧٧سم). تتصل هذه القاعة بالممر الذي يتقدّم الإيوان الجنوبي مدخل عرضه ١٤٠سم. يخترق جدارها الجنوبي مدخل عرضه ١٢٠سم، يؤدي إلى منطقة لم تكشف التنقيبات عنها بعد. كذلك لم تكشف التنقيبات حتى موسم ١٩٨٢م عن المنطقة التي تمتد إلى الشرق من القاعة الآنفة الذكر، باستثناء بعض الغرف المحدثة في مرحلة متأخرة والتي تتميز بجدرانها الضيقة (سمك ٥٠سم، ٥سم، ١٥سم). وبأنها محدثة فوق البلاط وملتصقة بالجدران الرئيسية للمنشأة الأصلية.



الشكل (١٣): القاعة المربعة ذات المحراب.

ترميم وإعادة بناء المنشأة

يتراوح ارتفاع الأجزاء المتبقية من جدران وغرف وقاعات المنشأة بين (٥٠ ـ ١٥٠سم) باستثناء الإيوان الشمالي حيث يصل ارتفاع أعلى نقطة قائمة في القبوة المتهدمة إلى مقدار ٥٩٨سم والجدار الشرقي للحجرة الواقعة إلى اليمين من الإيوان نفسه، حيث يصل ارتفاع أعلى نقطة قائمة فيه إلى مقدار ٦٥٥سم اعتبارًا من مستوى بلاط الباحة المركزية الذي اعتبرناه نقطة الصفر بالنسبة لارتفاعات بقية أجزاء المنشأة، يُضاف إلى ذلك الزاوية الجنوبية الغربية للغرفة الجنوبية الغربية، والتي تحتوي على المحاريب التزيينية وزاوية المقرنصات، فهي قائمة حتى ارتفاع ٨٤٠سم.

إعادة بناء الإيوان الشمالي والحجرتين الجانبيتين والحجرة الخلفية (انظر الأشكال ٧ ـ ٨ ـ ١٤)

كانت قبوة الإيوان الشمالي محفوظة حتى الثلثين تقريبًا، وقد زال الجزء الأوسط، حيث يوجد رأس القوس. ينطلق القوس من ارتفاع ٤٤٤سم. وقد تبينّ من خلال الدراسة الإنشائية لشكل القوس والقبوة أن القوس ينطلق من مركزين يبتعد كل منهما عن منتصف القطر بمقدار (٤٧سم)، أي سبع القطر، ويبلغ وتر القوس (٩٣سم). ولقد تبين أيضًا أن القوسين الناجمين عن المركزين الجانبيين لا يلتقيان في القمة. وبما أن رأس القوس لا يمكن أن يكون مستواه أقل من الارتفاع المحفوظ في جسم القبوة ومقداره (٥٩٨سم) فقد ارتأينا مدّ خط مستقيم خفيف التقوّس من مماس التقوّس الجانبي. وقد التقيا عند الارتفاع البالغ (٥٧٣سم)، وهو الارتفاع الباقي فعلاً على الطبيعة من القبوة. وإذا أضفنا ٥٧سم حشوة فوق هيكل القوس نتوصل إلى الارتفاع ٦٥٥سم، وهو الارتفاع القائم فعلاً في الجدار الشرقي للحجيرة المجاورة، والذي تظهر عليه آثار التقوس نحو الداخل.

تولّـد لدينا بعد هذا الإنشاء قوسٌ مدّببٌ شبه مستقيم في نهايته العليا ومنتفخ التقوس في الجانبين. وهذا الشكل من الأقواس يذكرنا تمامًا بشكل القوس الذي يعلو باب بغداد في الرافقة، الرقة نفسها.

بناء على ذلك اتخذنا من الارتفاع (٥٧٣سم والارتفاع ٦٥٥سم) منطلقًا لتغطية بقية الغرف والقامات وسطوحها. لقد حددّنا شكل القبو في كلّ الحجيرة الخلفية والحجيرتين الجانبيتين بناء على مبدأ تقسيم عرض الحجرة إلى ثلاثة أثلاث لتحديد مركزي التقوس وأنشأنا قوسًا لقبوه انطلاقًا من الارتفاع (٥٧٣سم و٦٥٥). كان ساكف المدخل المؤدي إلى الحجرة الجانبية متهدمًا، لكن بفضل البروز الناتىء من جانبه الأيسر، وبفضل الجزء المسطح فوق ذلك النتوء استطعنا تحديد ارتفاع الباب البالغ ٢٣٠سم، كما استطعنا تحديد سمك الساكف البالغ (٢٠سم)، فضلا عن تحديد موقع وأبعاد الشباك الذي يعلوه والبالغة (٧٤ × ٩٨سم). وقد نفّذنا الساكف والنافذة فوق مدخل الحجرة الغربية، وفق مبدأ التناظر. أمّا المدخل الذي يخترق ظهر الإيوان ويؤدي إلى الحجرة الخلفية فقد أعدنا بناءه

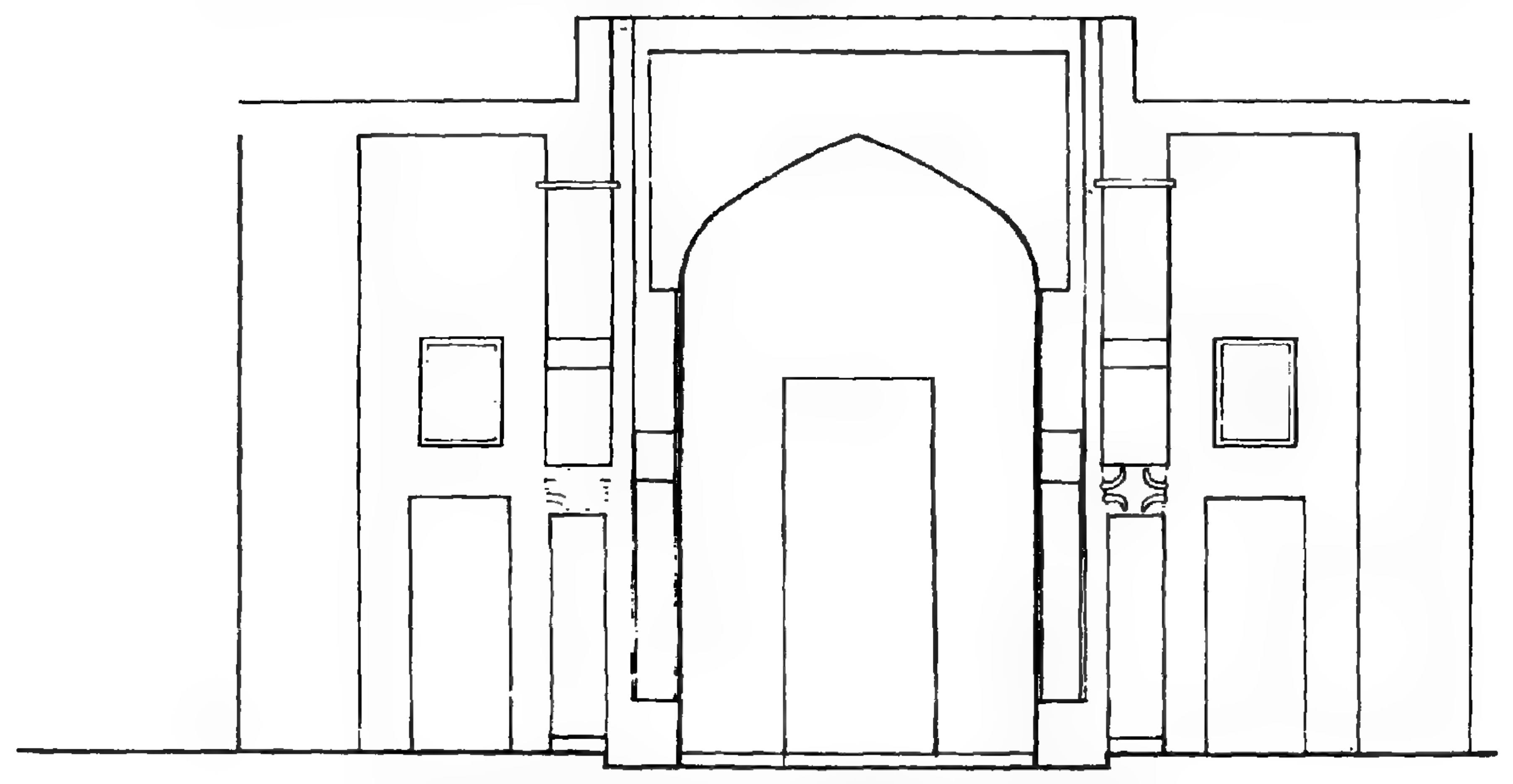
وتحديد ارتفاعه على أساس أن النسبة المتّبعة في الأبواب والمداخل في هذه المنشأة تعتمد على مبدأ الارتفاع ضعف العرض أي (٢ : ١).

إعادة بناء الرواقين الجانبيين

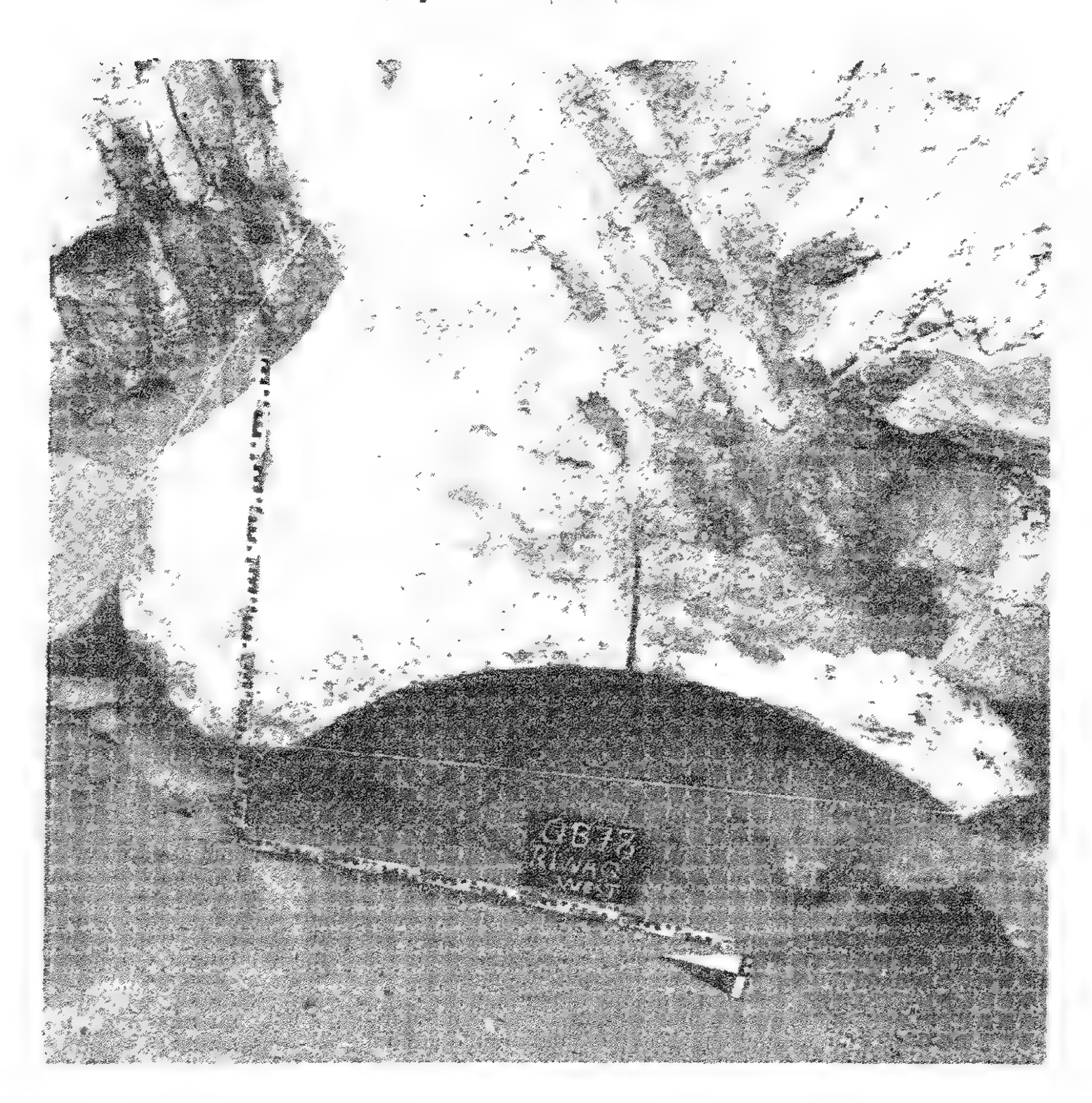
كان يحمل أقواس كل رواق أربعة أعمدة حجرية تتراوح أقطارها بين (٣٥ ـ ٤٥سم)، لكنها مطليّة بالجص بسموك مختلفة للوصول إلى قطر موحّد مقداره ٥٠سم.

كانت خمسة أعمدة منها قائمة في مكانها الأصلي، وثلاثة متهدّمة ومبعثرة فوق الأرضية. لقد حالفنا الحظ بأنه كانت بين الأنقاض المتهاوية قطعة جدار كانت جزءًا من منطلق قوسين من الأقواس التي كانت تحملها الأعمدة، وهي بسمك (٦٠سم)، وبفضل التقوّس الموجود استطعنا تصوّر شكل القوس بطريقة الإنشاء الهندسي النظري (انظر الشكلين ١٥، ١٦)، فتبين أن القوس مدبب، ويأخذ شكل حدوة الفرس في الأسفل، ويبلغ قطره (١٣٦سم)، ويبتعد مركزاه عن منتصف القطر مقدار (٢٢سم)، أي السدس، ويبلغ طول وتره (٩٢سم)، ويصل ارتفاعه إلى (٨٨سم).

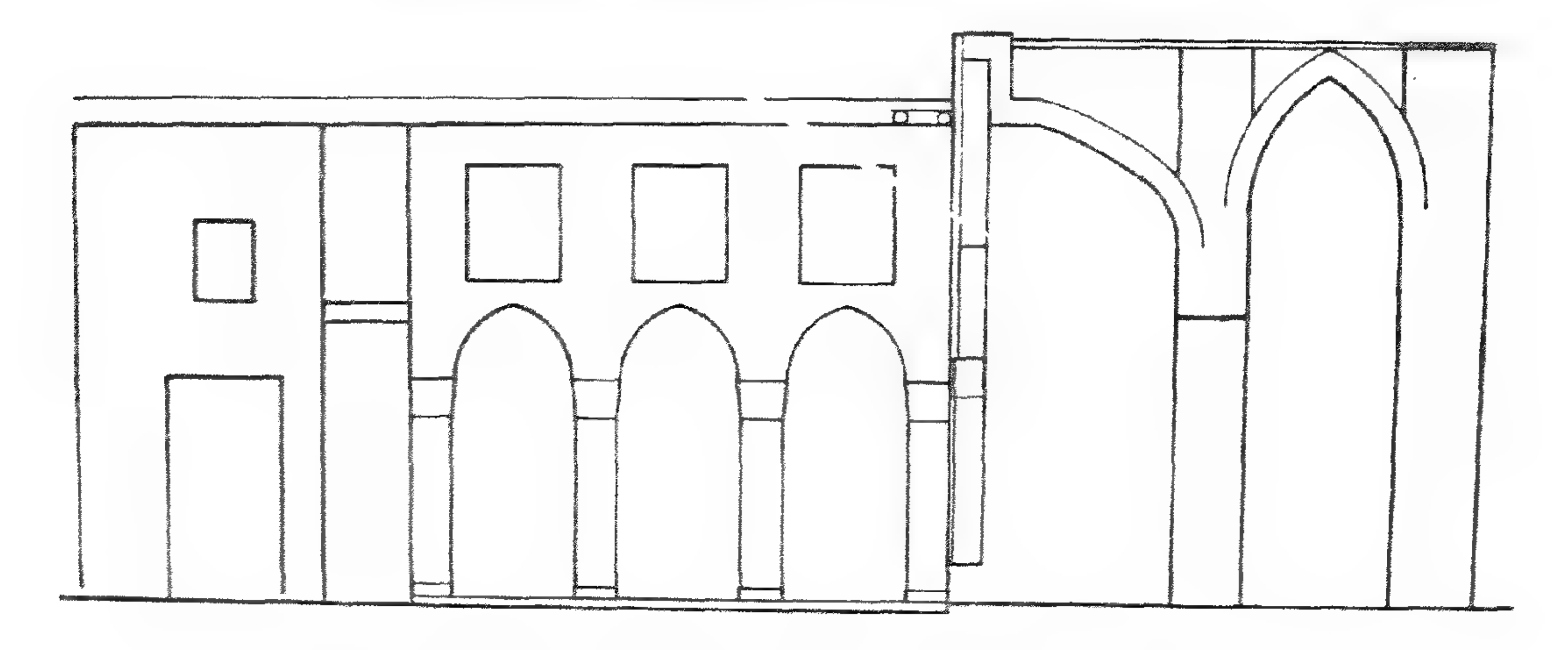
كذلك حالفنا الحظ بالعثور بين الأنقاض المتهاوية فوق الأرض على قطعة جدار بسمك (٦٠سم)، كانت جزءًا فاصلاً بين نافذتين، ويبلغ ارتفاعها ١٣٦سم، وعرضها ٨٠سم، وبفضل هذه القطعة استطعنا تصوّر وجود ثلاثة نوافذ بعرض ١١٠سم، وارتفاع ١٣٦سم، تعلو الأقواس الثلاثة في كل رواق (انظر الشكل ١٦).



الشكل (١٤): مخطط تقويم (إعادة إنشاء) واجهة الإيوان الشمالي.



الشكل (١٥): جزء من أقواس الرواقين في واجهة الإيوان الشمالي.



الشكل (١٦): مخطط تقويم (إعادة إنشاء) الرواقين في واجهة الإيوان الشمالي.

بما أن جدار الأقواس البالغ سمكه ٦٠سم، أقل بكثير من سمك الجدارين الرئيسيين الجانبيين والبالغ سمك كلٍّ منهما (١٠٥سم). ونظرًا لاحتمال عدم مقاومة جدار الرّواق لحمل قبوة ثقيلة، فإننا نقترح تغطية مستوية تستند على عوارض خشبية لهذين الرواقين.

إعادة بناء المداخل الثلاثة المطلة على الباحة المركزية

ذكرنا فيما سلف أن الإيوان الشمالي والحجرتين الجانبيتين والباحة الصغيرة التي تتقدم الإيوان والرواقين الجانبيين تطل على الباحة المركزية بثلاثة مداخل: الأوسط ٢٥٠سم، وهو أعرض من الجانبين (١٣١سم)، لكل منهما.

اعتمدنا في الإنشاء النظري للأقواس التي تعلو المداخل الثلاثة على مبدأ تقسيم عرض المدخل إلى ثلاثة أثلاث لتحديد مركزي القوس المدبب الذي نتصوره، وانطلقنا من الارتفاع (٥٧٣سم)، آنف الذكر في تحديد شكل القوس، فنتج لدينا أن قوس المدخل الأوسط الذي يبلغ قطره (٢٥٠ سم)، ينطلق من الارتفاع (٤٠٨سم)، ويبتعد مركزا القوس مسافة ٤١,٥ سم، أي سدس القطر ويبلغ طول وتر القوس (١٦٥سم). أما ارتفاع القوس فيصل إلى (١٦٠سم).

أما القوس الذي يعلو كلا المدخلين الجانبيين، فإنه ينطلق من الارتفاع البالغ ٤٨٥سم، ويبتعد مركزا القوس عن منتصف القطر بمقدار (٢١,٥سم)، أي سدس القطر، وتنطبق هذه المقاييس والمواصفات نفسها على إنشاء المداخل الثلاثة المقابلة لها، والتي تتقدم مجموعة الإيوان الجنوبي.

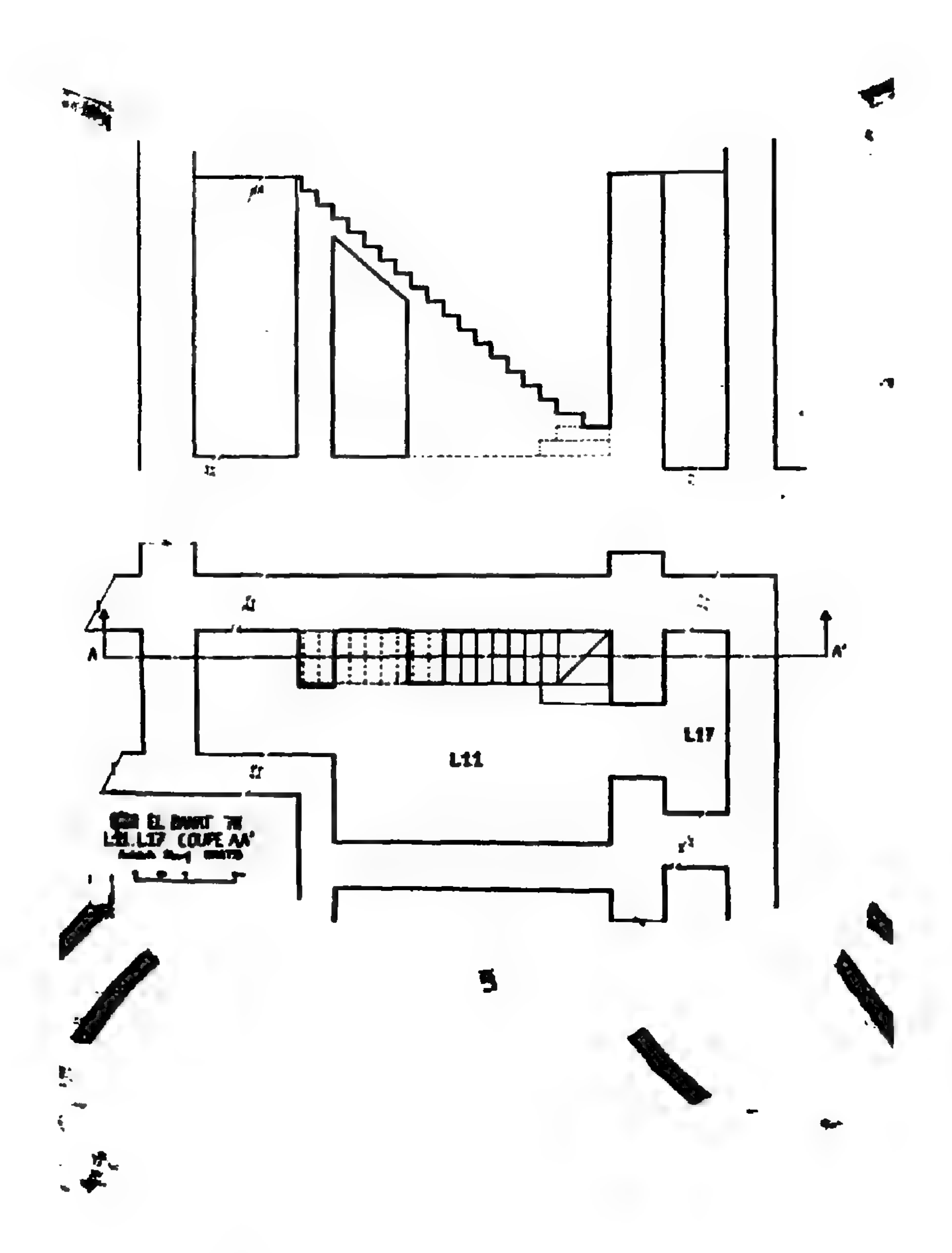
مجموعة الإيوان الغربي

تابعنا تطبيق المبدأ السابق في إعادة إنشاء أقواس التغطية للإيوان الغربي والغرفتين الجانبيتين، انظر (الشكل ١٧)، فنشأ لدينا قوس يغطي الإيوان الغربي، يبلغ قطره (٣٨٠سم)، وينطلق من ارتفاع (٣٦٥سم)، ويبتعد مركزاه عن منتصف القطر (٦٢,٥سم) أي سدس القطر، ويبلغ وتره مقدار ٢٥٠سم، ويصل ارتفاعه إلى ٢٢٠سم.

أما قوس القبوة التي تُغطي الغرفة الجانبية فإنه ينطلق من الارتفاع (٤٤٤سم)، ويبتعد مركزاه مقدار (٣٤,٥سم)، عن منتصف القطر، أي سدس القطر، ويبلغ وتره مقدار ١٣٨سم، ويصل ارتفاعه إلى (١٣٠سم). وتنطبق هذه المواصفات والمقاييس على قوس القبوة التي تُغطي الغرفة المجاورة. بناءً على الكسر الجصية لشبك النوافذ المكتشفة في كل غرفة والتي ستكون موضوع معالجة مستقل في الصفحات القادمة، فقد حددنا وجود



الشكل (١٧): تقويم (إعادة إنشاء) الإيوان الغربي والغرف المجاورة له.



الشكل (١٨): تقويم (إعادة إنشاء) الدرج في الغرفة الشمالية الغربية.

شباك بعرض ٧٦سم، وارتفاع ١١٤سم، فوق المدخل الذي يعمل بين الباحة المركزية والغرفة الملاصقة للإيوان، وحددنا سمك الساكف بمقدار ٥١سم، كما حددنا نافذة مناظرة فوق مدخل الغرفة المجاورة، فوق المدخل الواقع في الجدار الخلفي للإيوان الغربي، كما حددنا وجود نافذة مماثلة في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي للإيوان الغربي نفسه. تنطبق المقاييس والمواصفات المستخدمة في الإيوان الغربي على الإيوان الشرقي المناظر له، كما تنطبق مقاييس ومواصفات الغرفة الطويلة المجاور للديوان على نظيرتها المقابلة لها في الشرق.

إيوان المدخل الشمالي للمنشأة

يقوم في القسم الشمالي الشرقي للمنشأة إيوان يُطلّ نحو الشمال ويخترق جداره الجنوبي مدخل (١٥٧ × ٣١٤ سم) له واجهة حجرية مزيّنة بزخارف محفورة. وكان جداره الغربي قائمًا حتى ارتفاع ٦٥٥سم ويفضل نتوء بارز استطعنا تحديد ارتفاع المدخل والبالغ ضعف العرض أي ٣١٤سم، ويفضل نتوء علويّ محدّد بالجصّ الأبيض في القسم العلوي الذي يعلو الباب استطعنا تحديد مكان وحجم النافذة التي تعلو المدخل. كما يُؤكّد وجود الانحناء في أعلى الجدار على أن هذا الحيّز كانت تغطيه قبوة تطلّ نحو الخارج بقوس قطره ٢٢٠سم، وذلك تطبيقًا للمبدأ المستخدم في إعادة إنشاء تغطية الأماكن الأخرى في القصر، فنشأت لدينا قبوة تنطلق من ارتفاع ٤٤٥سم، ويبتعد مركزا قوسها عن منتصف القطر ٥٤,٥سم، أي سدس القطر. ويبلغ طول وتره مقدار ٢١٨سم، أي أن مركزي التقوس ينخفضان عن مستوى قطر القوس بمقدار ١١٨سم، ويصل ارتفاع القوس مقدار ١٢٨سم. أما النافذة التي تعلو المدخل فأبعادها (٧٦ × ١١٤سم)، وترتفع عن سقف المدخل مقدار ١٣٠سم.

الإيوان الجنوبي

بالطريقة السابقة نفسها أنشأنا قبوة وقوس الإيوان الجنوبي الذي يطلّ على الباحة المركزية فنتج لدينا قوس قطره ٣٨٢سم، ينطلق من الارتفاع ٤٤٥سم، ويبعد مركزاه عن منتصف القطر مقدار (٦٨سم)، أي مقدار السدس. ويبلغ طول وتره (٢٠٠سم)، ويصل ارتفاعه إلى (١٢٥سم)، يخترق الجدار الخلفي لهذا الإيوان مدخل عرضه ١٥٠سم. وبما أن الأبواب المحفوظة كاملًا تتمتع بنسبة ٢ : ١ أي الارتفاع ضعف العرض، فقد حدّدنا ارتفاع هذا المدخل بمقدار ٣٠٠سم.

وبناء على الكسر الجصية لشبك النوافذ المكتشفة في هذا الإيوان، فقد تصورنا وجود نافذة فوق هذا المدخل بأبعاد (٧٦ × ١١٤سم).

إعادة إنشاء القاعة ذات الطوابق الأربعة

أسلفنا أن هرتزفلد التقط صورتين في أطلال قصر البنات لأطلال غرفة قائمة فوق سطح الأنقاض بارتفاع

عال، ويخترق جدارها الغربي أربع طبقات من النوافذ.

لكن هذا الجدار قد تهدّم بعد ذلك التاريخ. وفي سياق الكشف عن بقايا قصر البنات تبين أن تلك الأطلال العالية تابعة للقاعة الموصوفة آنفًا. حاولنا إعادة إنشاء هذه القاعة بناء على الصورة التي التقطها هرتزفلد، (انظر الشكل ٣). وذلك بأن عدّدنا مداميك الآجر في الصورة الفوتوغرافية، واستخرجنا بذلك ارتفاع الواجهة وأبعاد النوافذ. توجد على ارتفاع ٤٧٠سم، ثلاث نوافذ أبعاد كل منها (٧٦ × ١١٤سم)، وعلى ارتفاع ٨٤٥سم، توجد في الوسط نافذة أبعادها (٧٤ × ٩٨سم)، وعلى الجانبين نافذتان صغيرتان أبعاد كل منها (٣٤ × ٦٨سم)، وعلى ارتفاع ٩٧٥سم، توجد أيضًا ثلاث نوافذ، أبعاد كل منها (٧٦ × ١١٤سم)، وعلى ارتفاع ١٢١٩سم توجد ثلاث نوافذ صغيرة، أبعاد كل منها (٣٤ × ٦٨سم). يبلغ الارتفاع العام لهذه القاعة كما هو موجود في الصورة الفوتوغرافية مقدار ١٤٤٩سم.

ترينا الصورة الفوتوغرافية الملتقطة لأطلال الغرفة نفسها من الداخل أن إفريزًا من المقرنصات يدور حول الجدران فوق الصفّ الأول من النوافذ. ولقد عثرنا في أنقاض الغرفة نفسها خلال الكشف عنها عن ثلاثة كتل من المقرنصات. يبدو أن الإفريز يتألف من كتل مستقلة ترتصف جنبًا إلى جنب ويبلغ ارتفاع كل قطعة مقدار ١٠٠سم وعرضها ٨٠سم وتبرز عن الجدار ٣٥سم في الأعلى و٢٦سم في الأسفل. تتألف المقرنصات من مستطيل في الوسط بعرض ٢٠سم وارتفاع ٥٠سم يتقعر في الأعلى، ويكتنف جانبيه ثلاثة صفوف متتابعة فوق بعضها البعض من المحاريب المجوّفة بحيث إن الكتلة تتقلص من الأسفل إلى الأعلى. يبلغ عرض المحراب السفلي ١٨سم، وارتفاعه ٢٥سم، وقوسه مدبب. أما المحراب الأوسط فيبلغ عرضه ١٦سم، وارتفاعه ٢٢سم. ويبلغ عرض المقرنص العلوي ٨سم، وارتفاعه ١٤سم.

يعلو الشريط المتوسط في أعلاه محراب خفيف التحدب عرضه ٢٠سم، وارتفاعه ٢٥سم. إفريز المقرنصات مبني بالآجر ومصوّغ بالجصّ الأبيض.

إعادة إنشاء القاعة ذات المحاريب

ذكرنا أن جدران الزاوية الجنوبية الغربية لهذه القاعة لا تزال قائمة حتى ارتفاع ٧٨٥سم، لكنها كانت قائمة حتى ارتفاع ٨٦٠سم، أي حتى الحدود الداخلية لنهاية مثلث المقرنصات، وذلك في الصورة الفوتوغرافية التي التقطها هرتزفلد في مطلع هذا القرن، (انظر الشكل ٢).

إن وجود مثلث المقرنصات في الزاوية يشير إلى أن قبةً كانت تُغطي هذه القاعة. بنقل مثلث المقرنصات مربع

الغرفة إلى مثمن. وبما أن الجدران الباقية حتى ذلك الارتفاع لا تشير إلى وجود نوافذ بسبب شريط من المحاريب الصماء فلابد إذن إن كان للقبة رقبة تستند إليها، ويخترقها عدد من النوافذ اللازمة لدخول النور الكافي إلى القاعة. ولقد اقترحنا أن يكون ارتفاع هذه الرقبة قريبًا من ارتفاع المحاريب الصماء التي تكتنف الجدران الداخلية. يبلغ ارتفاع تلك المحاريب ١٧٥سم، إذا أضفنا ٢٥سم في أسفلها وفي أعلاها عندئذ سنحصل على ارتفاع يبلغ مقدار ٢٢٥سم للرقبة المفترضة.

كذلك لابد من إضافة سمك مقداره ٥٠سم، للسقف الذي يعلو مقرنصات الزاوية (أي سقف المثمن الذي تستند عليه الرقبة)، لنحصل على ارتفاع مقداره (١١٣٥سم) لهذه القاعة من أرضيتها حتى نهاية الرّقة. وفيما يتعلق بشكل وحجم القبة التي ستغطيها، فقد اقترحنا أن لا يقل ارتفاعها عن ارتفاع القاعة ذات الطوابق الأربعة التي كانت قائمة أيام هرتزفلد، والبالغ ١٤٤٩سم. بناء على ذلك صممنا قبة تنطلق من الارتفاع (١١٣٥سم) وتنتهي قمتها عند الارتفاع (١٥٨٠سم). ويبتعد مركزا القبة عند منتصف قطرها مقدار ١١٣,٥سم، أي سدس القطر، ويبلغ طول وتر القوس ٤٥٥سم.

إعادة إنشاء الدرج في الغرفة الشمالية الغربية

يلتصق بالجدار الشرقي للغرفة الشمالية الغربية درج عرضه ١٠٠سم، كان قائمًا حتى ارتفاع حوالي ٢٠٠سم، وهو يتجه من الجنوب نحو الشمال. اعتمدنا في إعادة إنشائه على مدّ خطّ الميل نحو الشمال حتى التقائه مع قمة الجدار الذي يفصل الغرفة عن الغرفة التالية، (انظر الشكل ١٨). ولقد نتجت لدينا ١٧ درجة بعرض ٢٥سم وارتفاع ٣٠سم، ويمكن لهذا الدرج أن يقود إلى السطح لا سيما وأن خطّ الميلان يلتقي مع قمة الجدار عند الارتفاع البالغ ٥٧٢سم، وهو الارتفاع المعتمد للطابق الأول في هذا القصر.

إعادة إنشاء النوافذ

إضافة إلى الصورة الفوتوغرافية لواجهة القاعة ذات الطوابق الأربعة التي التقطها هرتزفلد والتي مكنتنا من تحديد أبعاد ثلاثة أنواع من النوافذ، وهي (٧٦ × ١١٤سم) و(٧٤ × ٩٨سم) و(٣٤ × ٦٨سم)، فقد تأكدت تلك الأبعاد ببقايا أثر النوافذ فوق المدخل الشمالي الشرقي والحجرة الواقعة إلى يمين الأيوان الشمالي حيث كانت الأولى بحجم (١٦ × ١١٤سم)، والثانية بحجم (٧٤ × ٩٨سم). كذلك فقد عثرنا في أنقاض الغرفة الملاصقة للإيوان الجنوبي على إطار جصي مستطيل الشكل محفور بالزخارف النباتية، وهو شبه كامل، (انظر الشكل ١٩). وبفضل هذا الإطار استطعنا تحديد أبعاد نافذة في الغرفة المذكورة آنفًا أبعادها (٧٦ × ١١٤سم)، كذلك عثرنا في الغرفة المجاورة للإيوان الجنوبي على بقايا إطار نافذة جصي محفور بزخارف نباتية، وهو يُحدّد حجم نافذة بمقدار (٣٤ × ٦٨سم)، يُضاف إلى ذلك أننا عثرنا في الغرفة ذات الدرج على جزء من قوس جصي لشبك نافذة مكننا من تحديد



الشكل (١٩) إطار جصي محفور لإحدى النوافذ،

حجم نافذة أبعادها (٧٤ × ٩٨سم)، علمًا بأن أبعاد الشبك الجصي المذكور هي (٦٦ × ٩٤سم). وقد لاحظنا سمك ٣سم مونة لربط هذا الشبك داخل فتحة النافذة.

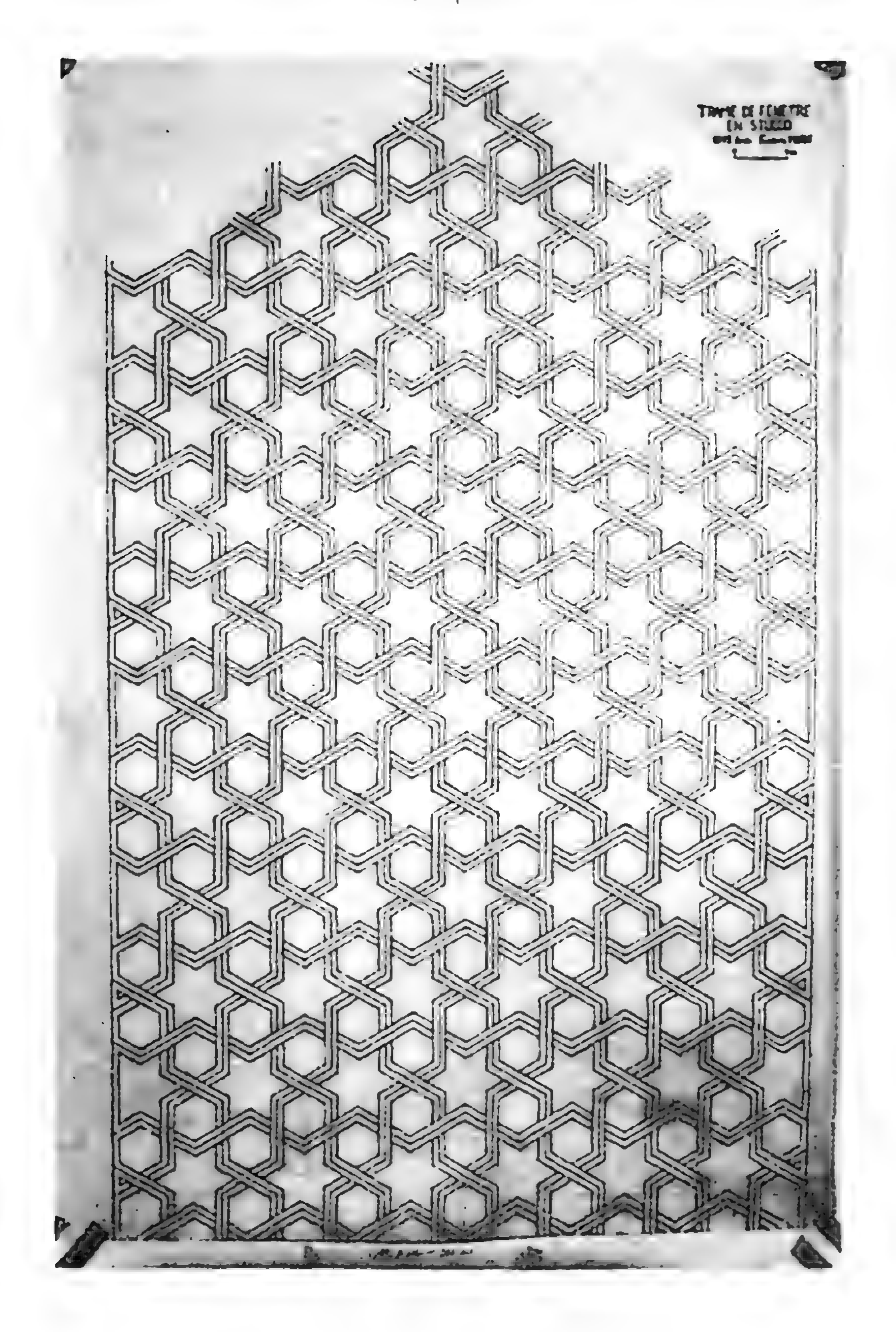
إعادة بناء شبك النوافذ وتحديد أماكن وجودها

عثرنا في معظم غرف المنشأة وقاعاتها على حطام شبك جصي بعضه معشق بالزجاج الملون كجزء من تكوين هندسي قوامه المضلعات السداسية والثمانية والدوائر. وبفضل هذه البقايا التي استطعنا إعادة إنشائها هندسيًا سيكون بإمكاننا تحديد عدد النوافذ تحديدًا دقيقًا في كل مكان من أماكن المنشأة، (انظر الشكل ٢٠).

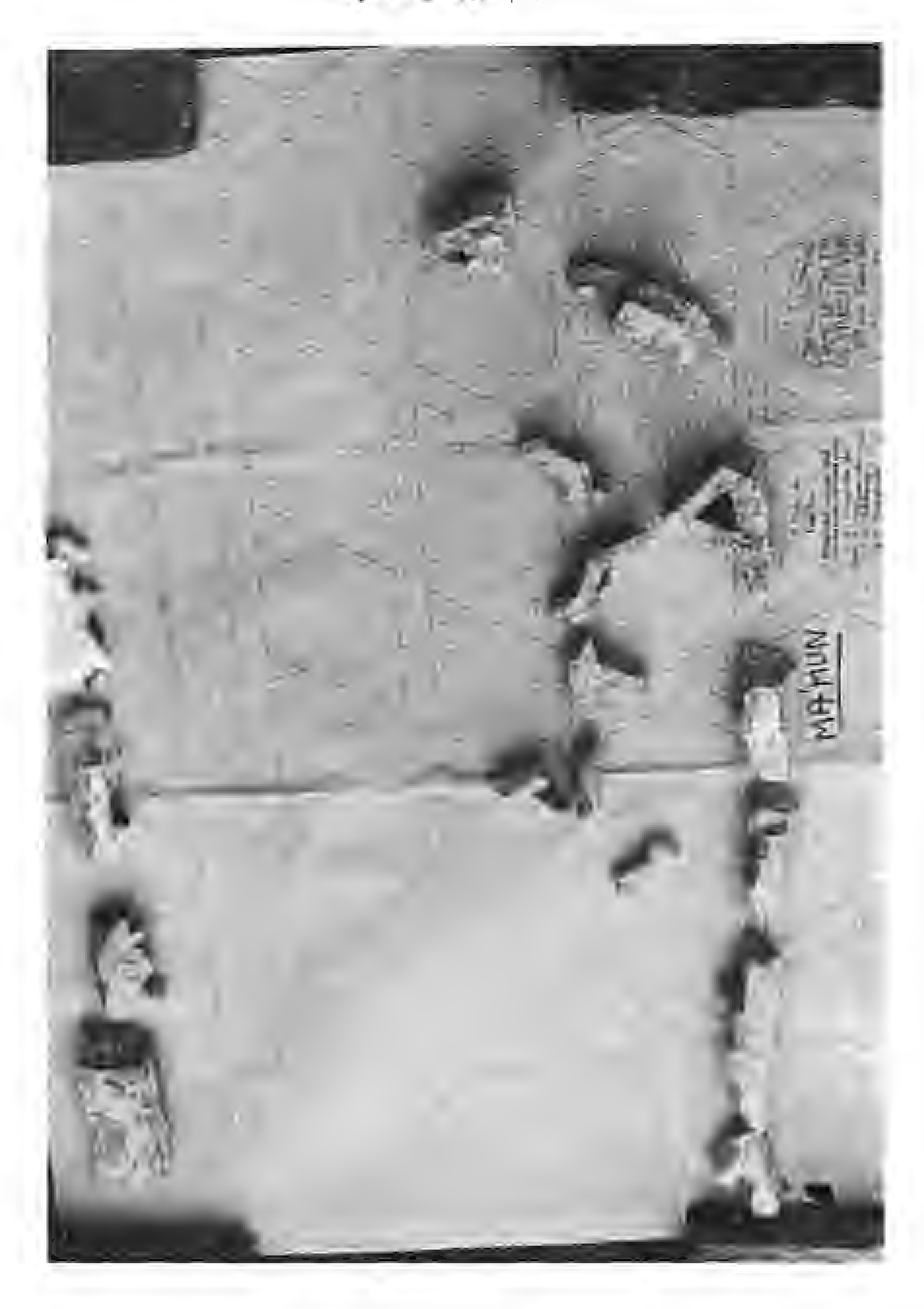
يتألف كل شبك من إطار يبلغ عرضه ١٠سم، والشبك في حدّ ذاته مزدوج، ويضم في داخله أقراصًا زجاجية ملونة (أزرق كوبالتي ـ أخضر حشيشي ـ أحمر خمري ـ أصفر برتقالي). تتماسك كتلة الشبك بفضل عيدان القصب في باطنها.



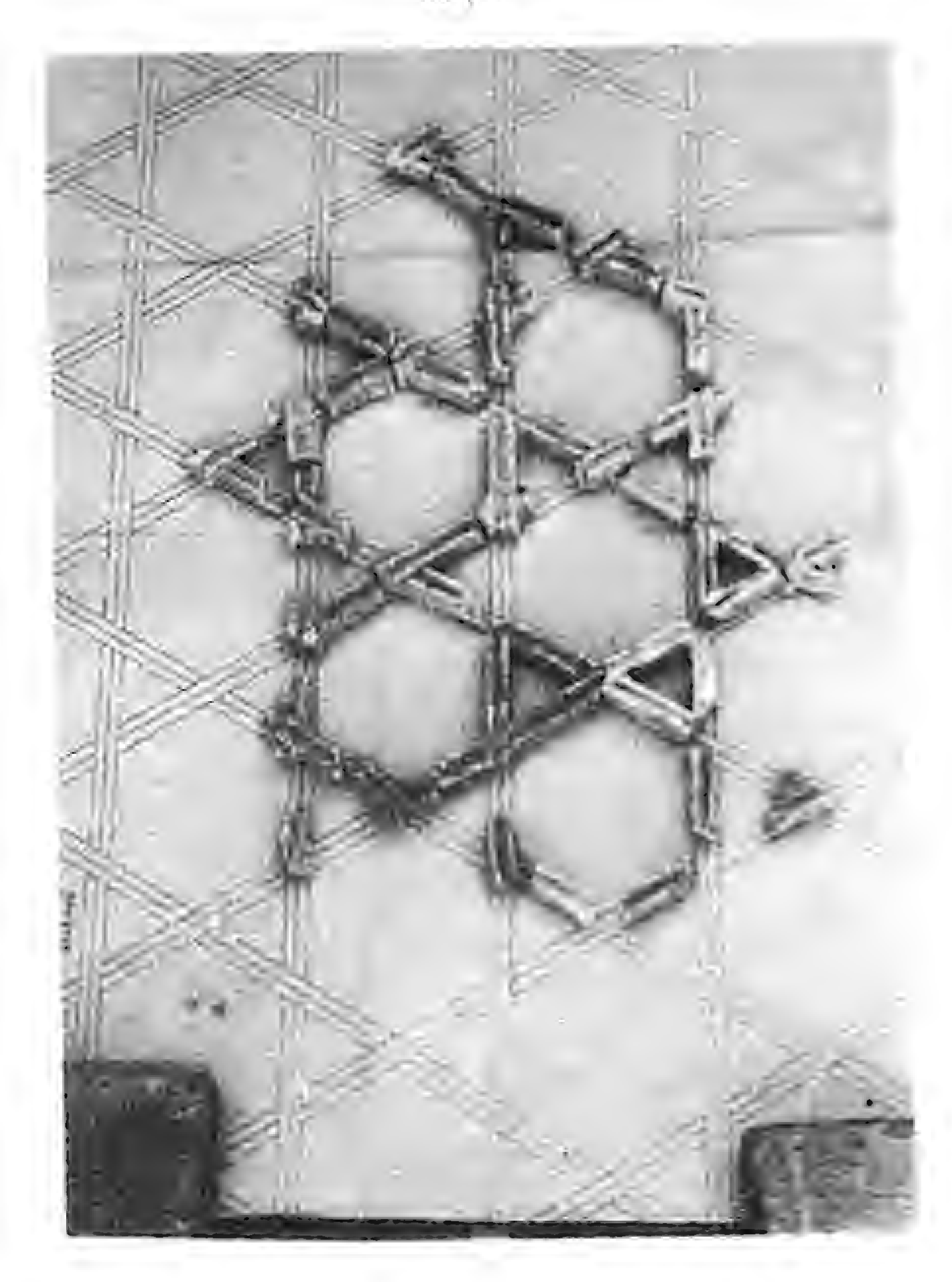
الشكل (٢١): نماذج من حطام الشبك الجصي المعشق بالزجاج الملون للنوافذ



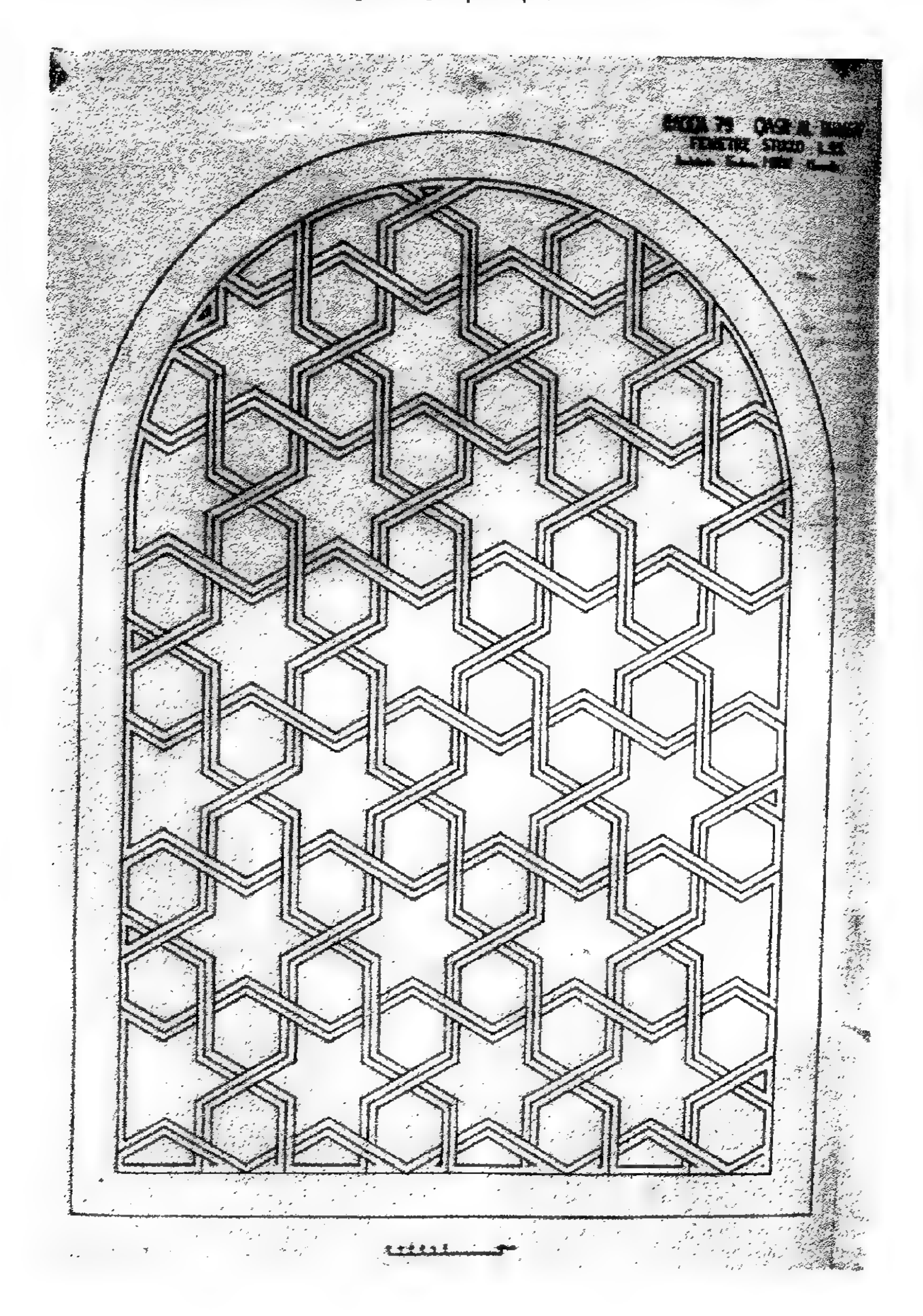
الشكل (٢١): تقويم (إعادة إنشاء) النوع الأول من الشبك الجصي المعشق بالزجاج للنوافذ.



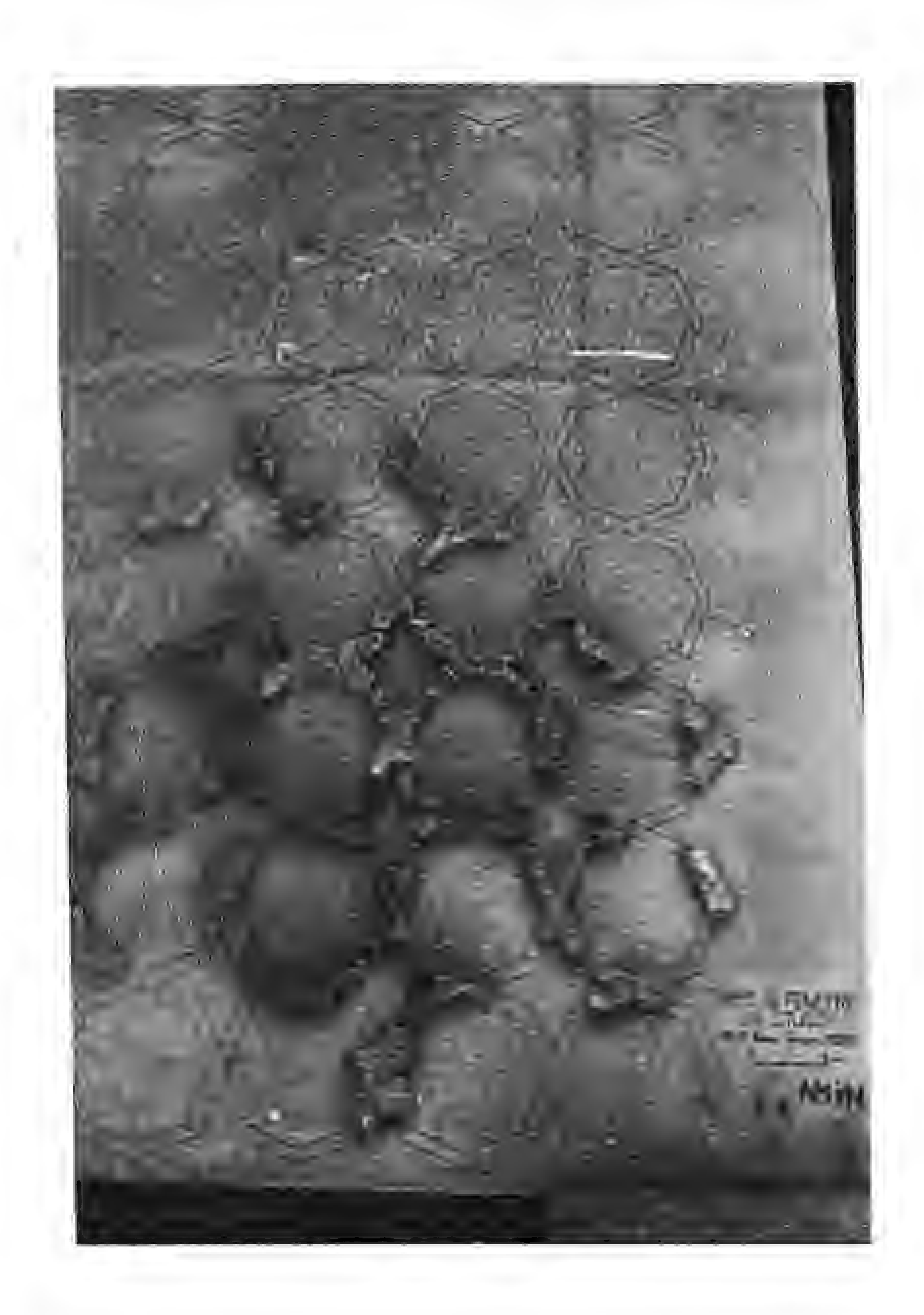
الشكل (٢٢) : تقويم (إعادة إنشاء) النوع الثاني من الشبك الجصي المعشق بالزجاج للنوافذ



الشكل (٢٣): تقويم (إعادة إنشاء) النوع الثالث للشبك الجصي المعشق بالزجاج الملون للنوافذ.



الشكل (٢٤): تقويم (إعادة إنشاء) النوع الرابع من الشبك الجصي المعشق بالزجاج الملون للنوافذ.



الشكل (٢٥): تقويم (إعادة إنشاء) النوع السادس من الشبك الجصي المعشق بالزجاج الملون للنوافذ.

أنواع الشبك وأماكن وجودها

النوع الأول: قوامه مضلعات سداسية (طول الضلع ٦,٥سم والمسافة الداخلية بين الضلعين ١١,٥سم، ويبلغ عرض الضلع ٢,٥سم). تحصر هذه المضلعات فيما بينها فراغات لمثلث متساوي الأضلاع، طول ضلعه ٣,٥سم، بحيث ينتج لدينا خيط هندسي لنجمة سداسية الرؤوس. وقد عثرنا على حطام هذا النوع من الشبك في كل من الرواقين الشرقي والغربي اللذين يتقدمان الإيوان الشمالي والحجرتين الجانبيتين، وفي الغرف المجاورة للإيوان الغربي والإيوان الجنوبي، (انظر الشكل ٢١).

النوع الثاني: قوامه مضلعات سداسية عرض ضلعها ١,٥سم، وطول الضلع ٢,٥سم، والبعد الداخلي بين كل ضلعين ٣,٧سم، وتحصر هذه المضلعات فيما بينها فراغًا لنجمة سداسية الرؤوس، (البعد الداخلي بين كل رأسين ٧,٧سم)، (انظر الشكل ٢٢). عثرنا على هذا النوع من الشبك في الرواقين الشرقي والغربي اللذين يتقدمان الإيوان الشمالي في الغرف الواقعة إلى الشمال من الإيوان الغربي.

النوع الثالث: قوامه مضلعات سداسية (عرض الضلع ١,٥سم، وطول الضلع ٧سم، والمسافة الداخلية بين الضلعين ١٢,٥سم). تحصر هذه المسدسات فيما بينها فراغات لمثلث متساوي الأضلاع يبلغ طول ضلعه ٥,٥سم، بحيث ينتج لدينا خيط هندسي لنجمة سداسية، (انظر الشكل ٢٣). لكن هذا النوع من الشبك مفرّغ ويخلو من الزجاج المعشق. عثرنا على هذا النوع من الشبك في كل من الرواقين الشرقي والغربي اللذين يتقدمان الإيوان الشمالي والغرفة الواقعة إلى الشمال من الإيوان الغربي.

النوع الرابع: قوامه خيط هندسي من المضلعات السداسية (عرض الضلع ١,٢سم، وطول الضلع ٣سم، والمسافة الداخلية بين الضلعين ٦سم) ونجمة سداسية (تبلغ المسافة بين الرأسين ١٦,٥سم). وهذا الشبك محصور داخل إطار (عرضه ٤سم)، ويعلوه قوس مدبب. تبلغ أبعاد هذا الشبك الخارجية (٦٦ × ٩٤سم)، وإذا أضفنا مقدار ٢ ـ ٣سم، في كل جانب للمونة التي تربطه مع فتحة النافذة تنتج لدينا نافذة أبعادها (٧٤ × ٩٨سم). عثرنا على هذا النوع من الشبك في الحجرتين الملاصقتين للإيوان الشمالي وفي الغرف الواقعة إلى الشمال من الإيوان الشرقي، (انظر الشكل ٢٤).

النوع الخامس: قوامه خيط هندسي بعرض واحد سم لمضلعات ثمانية، (طول الضلع ٤سم والمسافة الداخلية بين الضلعين ٩,٨سم). تحصر فيما بينها نجمة مفرّغة رباعية الرؤوس (المسافة الداخلية بين الرأسين ٩,٢سم). عثرنا على هذا النوع من الشبك في كل من الرواقين اللذين يتقدمان الإيوان الشمالي، وفي الغرفة الواقعة في أقصى الشمال من الإيوان الغربي.

النوع السادس: قوامه خيط هندسي مؤلف من دوائر، وتحصر فيما بينها دوائر صغيرة (انظر الشكل ٢٥). عثرنا على هذا النوع من الشبك في القاعتين الواقعتين إلى الشمال الشرقي من الإيوان الشمالي. بناء على ذلك تتوزع أنواع الشبك في الأماكن التالية: ثلاث من النوع الأول، واثنان من النوع الرابع، واثنان من النوع الثاني، وواحدة من النوع الثالث، أي ما مجموعه ثماني نوافذ في الرواقين الشرقي والغربي، وفي الحجرتين الجانبيتين للإيوان الشمالي.

يتفق هذا التوزيع كليًّا مع عدد النوافذ الموجودة في هذه المنطقة: ثلاث نوافذ بأبعاد (١١٠× ١٣٦سم)، وهي فوق أقواس كل رواق ونافذة فوق مدخل كل حجرة من الحجرتين الجانبيتين من الإيوان الشمالي. أما الغرفة الملاصقة للإيوان الشرقي ففيها شبك نافذة واحدة من النوع الثاني، وآخر من النوع الثالث، واثنان من النوع الأول، (المجموع أربع نوافذ).

تتمتع الغرفة آنفة الذكر بشبك نافذة واحد من النوع الخامس، وآخر من النوع الرابع، وآخر من النوع الثاني، وآخر من النوع الأول، (المجموع أربع نوافذ). يوجد في الغرفة الواقعة في الشمال من الإيوان الشرقي ثلاث نوافذ في كل منها شبك واحد من النوع الرابع، وشبكان من النوع الثالث. ويوجد في الغرفة المجاورة لها أربع نوافذ في كل منها شبك واحد من النوع الثاني، وآخر من النوع الثالث، وشبكان من النوع الأول. وفي الغرفة المجاورة للإيوان الجنوبي شبك نافذة واحد من النوع الرابع، وآخر من النوع الأول، أما الغرفة المجاورة للإيوان فيوجد فيها شبك نافذة من النوع الأول.

إعادة إنشاء واجهة القاعة المطلّة على الباحة الزرقاء

تطلّ هذه القاعة نحو الشرق من خلال ثلاثة مداخل على باحة سماوية كبيرة. ولقد أنشأنا القوس الذي يعلو المدخل الأوسط الكبير (عرض ٣٤٠سم)، حسب المبدأ الذي اتبعناه في مراحل الإنشاء السابقة، فتولد لدينا قوس ينطلق من الارتفاع (٥٨٥سم)، ويصل ارتفاعه إلى ٢٣٥سم، ويبتعد مركزاه عن منتصف القطر (٦٠سم)، ويبلغ طول وتره ٢٢٥سم، ويبلغ ارتفاع هذا المدخل من أرضية الباحة حتى رأس القوس مقدار (٧٨٠سم)، وذلك لأن مستوى أرضية الباحة التي يطلّ عليها هو أقل من مستوى أرضية الباحة المركزية الموصوفة سابقًا بمقدار (١٥٠سم).

ونظرًا لعثورنا على كميات كبيرة من حطام شبك النوافذ الجصي عند المدخلين الجانبيين فقد اقترحنا أن يكون ساكف المدخلين الجانبيين مستقيم الشكل بسمك (٥٠سم)، ويكون ارتفاع الباب ضعف عرضه، وأن يعلو ساكف كل من المدخلين الجانبيين نافذة يعلوها قوس مدبب بحجم (٧٦ × ١١٤سم). تتكرر هذه الواجهة على الضلع الشرقي للباحة الزرقاء بصورة متناظرة.

الجدران المحدثة داخل المنشأة في مرحلة متأخرة

كان مدخل الغرفة الملاصقة للإيوان الغربي مسدودًا بجدار مبني بالآجر، كذلك كان الممر الذي يتقدّم الإيوان الجنوبي مجزأ إلى ثلاثة أقسام بواسطة جدارين محدثين بعرض آجرة واحدة (٢٤سم). وقد تم إحداث جدارين بسمك (٦٠سم)، ويقسمان القاعة الملاصقة للإيوان الشرقي إلى ثلاثة أقسام. كذلك فقد تم سدّ المدخل الواصل بين الغرفة الجنوبية الغربية والغرفة المجاورة لها، فضلاً عن سدّ مدخل إيوان المدخل الشمالي الشرقي وإحداث مصطبتين على الجدارين الجانبيين للإيوان نفسه. تقوم في المنطقة الواقعة إلى الشرق من القاعة ذات الطوابق الأربعة إلى الجنوب من الباحة الزرقاء جدران محدثة فوق البلاط، وتؤلف ثلاث غرف تتجه من الشمال إلى الجنوب، وتتراوح سموك جدرانها بين (٥٠ ـ ٧٥ ـ ٩٥سم).

لقد اضطررنا إلى إزالة الجدار الذي يسدّ المدخل الشمالي الشرقي فعثرنا في أنقاضه على نقد نحاسي، تبيّن أنه أيوبي العصر، لكننا لم نستطع تحديد تاريخه بسبب حالته المشوهة. ولقد عثرنا على عدد لا بأس به من النقود النحاسية الأيوبية.

بناء على ذلك تكون المنشأة قد هجرها أصحابها في وقت ما في العهد الأيوبي، ثم سُكنت من قبل أكثر من عائلة في العهد الأيوبي نفسه، (القرن الثالث عشر)، وهذا أمر في غاية الأهمية، لأنه يؤكد أقوال المؤرخ أبو الفداء الذي يذكر في ١٢٨٥ أن الرقة بلد خراب لا أنيس فيها، كما أن الأخبار تنقطع كليًّا عن الرقة وأحوالها بعد أبو الفداء[٣].

المرحلة الثالثة للسكن داخل المنشأة

يبدو أن السكن عاد إلى أقسام من المنشأة في مرحلة متأخرة أخرى، وذلك من خلال الكشف عن تنور مشيد فوق أنقاض الغرفة الملاصقة للإيوان الغربي، وفي الغرفة المجاورة للأولى، وفي الحجرة الخلفية للإيوان الشمالي، ويحتمل أن يعود عهد هذا السكن المتأخر إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث سكن عدد من أهالي الرقة في أطلال هذه المنشأة.

دليل على سكن المنشأة في العهد العثماني

عثرنا في أنقاض القاعة ذات الطوابق الأربعة على بقايا رسوم جدارية مرسومة على أرضية حمراء، وواحدة منها تمثل شكل الشمس. كما عثرنا على بقايا طلاء جصّي يحمل كتابة عربية مخطوطة باللون الأسود على أرضية بيضاء

---

(٣) انظر: ابو الفداء، *تقويم البلدان*، ص ٢٧٦.

وفيها يلي النص الموجود: (كتبه العبد الفقير الحقير الذليل الراجي عفـ/وه/. . غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه ومن. . .
سنة تسعماية وأربعة وسبعين مرشد. . .) وعلى قطعة أخرى بوجود النص التالي:
(البحر يعلو الناظر على طبقات المياه وهو رفيع ولكنه كالدخان. . .) وعلى قطعة صغيرة أخرى توجد الكلمات التالية:
(عبدالرحمن بن عو/ف؟/. . .).

تتمتع هذه الكتابة بأهمية خاصّة لأنها تحمل تاريخًا هجريًا مهمًا فسنة (٩٧٤ هجرية) تعادل سنة ١٥٦٦ ميلادية)، وهذا التاريخ معاصر للسلطان العثماني سليمان القانوني. إذن يبدو أن المنشأة كانت مسكونة ولو جزئيًا في هذه الفترة.

أسبار اختبارية تحت مستوى بلاط القصر

جرت في موسم تنقيب وترميم عام ١٩٨٦م أسبار اختبارية في أكثر من موقع من مواقع القصر. وذلك بُغية الوصول إلى الأرض الطبيعية التي استقرّ عليها بنيان القصر والتعرف على طبقات البناء المتعددة التي سبقت نشوء القصر ـ إن وجدت ـ.

كانت البقعة الجنوبية الشرقية من القصر مرصوفة بالبلاط الحجري وخالية من الجدران، وتبدو وكأنها فسحة واسعة. كانت تلك البقعة مناسبة لإجراء سبر اختباري عميق بمساحة ١٠ × ١٠م. كانت الأرض الطبيعية على عمق حوالي متر ونصف المتر من مستوى البلاط الحجري. ولقد تبيّن أن جدران القصر تستمر في قلب الأرض وترتكز على الأرض الطبيعية مباشرة، مما يؤكّد على أن الأطلال الحالية لقصر البنات قد تأسست فوق الأرض الطبيعية، ولم تقم فوق أنقاض أو بقايا بناء سابق لها، (انظر الشكل ٢٦). كذلك تبين أن بلاط أرضيات القصر قد تجدد أربع مرات متتالية: ثلاث مرات بألواح الآجر المشوي، والمرة الأخيرة بألواح الحجارة الجصية. يعود البلاط الأول والثاني في الأسفل إلى العهد العباسي الأول، (عهد تأسيس المدينة في أيام أبي جعفر المنصور أو في أيام هارون الرشيد). وذلك بناء على الكسر الخزفية والزجاجية المميزة للعهد العباسي الأول تحت مستوى البلاطين المذكورين، أما البلاط الآجري الثالث والبلاط الحجري الأخير فإنهما يعودان إلى العهدين الزنكي والأيوبي، وذلك بناء على أنواع الكسر الخزفية التي تميز هذين العهدين.

ظهرت في هذا السبر عدد من المجاري لتصريف المياه القادمة من قلب القصر: المجرى الأول هو قناة منقورة في الأرض الطبيعية بعرض ٨٠سم وعمق ٤٠ مم، جانباها مشيدان من الآجر المشوي، وأرضيتها مصوّغة بالجص الأبيض، وهي مغطاة بألواح آجرية كبيرة (٤٠ × ٤٠سم)، وبألواح حجرية. وتصب هذه القناة في حفرة تصريف بعد قرابة خمسة أمتار من خروجها من القصر باتجاه الشرق.



الشكل (٢٦): السبر الاختباري في المنطقة الجنوبية الشرقية من القصر.

أما المجرى الثاني فإنه مؤلف من قساطل فخّارية أسطوانية متداخلة. ويبلغ قطر كل منها ١٥سم، وطولها ٣٠سم. وهي مشيدة فوق طبقة ردميات تعلو الأرض الطبيعية، وفي قلب ألواح من الآجر المشوي لحماية جانبيها وسطحها. تستمر هذه القساطل نحو الشرق لمسافة تربو على ١٠ أمتار، ثم تنعطف نحو الشمال لتصب بعد ثلاثين مترا في قلب حفرة واقعة تحت الجدار الخارجي في الجزء الشمالي الشرقي من القصر.

لم يظهر من المجرى الثالث في نطاق هذا السبر إلا قرابة ٤٠سم، وهي قساطل قادمة من الجهة الجنوبية الشرقية من قلب القصر، وتصبّ في حفرة قمتها مشيّدة من الآجر المشوي، وفوهتها مغطاة بلوحات الآجر الكبيرة (٤٠ × ٤٠سم).

أجرينا سبراً آخر في قلب الغرفة المحصورة بين القاعة الجنوبية الشرقية، والقاعة ذات الطوابق الأربعة (مؤشرة في المخطط برقم ٣٦)، وتبين أن أرضية الغرفة مفروشة بالآجر المشوي، وقد تجدّد هذا البلاط أكثر من مرة. وفي

الزاوية الشمالية الشرقية من الغرفة ظهرت حفرة بيضاوية جدرانها مشيّدة من الآجر ومنقورة في قلب الأرض الطبيعية بطول ٦٥سم، وعرض يتراوح ما بين ٣٥ و٢٥سم، ولقد تبينّ أنها حفرة مرحاض. وثمة جدار رفيع بعرض ٤٠سم يتجه من الغرب إلى الشرق، ويفصل حيز المرحاض عن بقية أرجاء الغرفة، وهذه أول غرفة من غرف القصر ممن تأكدت وظيفتها حتى الآن.

أسبار في الباحة المركزية

كان البلاط الحجري للباحة المركزية زائلاً بفعل الحفريّات السرية التي قام بها الأهالي في منطقة القصر في مطلع هذا القرن. ولقد ظهرت في وسط هذه الباحة فتحة لحفرة تصريف مياه قادمة بواسطة قناة تصريف مشيدة من الآجر وقادمة من الإيوان الشمالي. كانت القناة بدائية وغير متقنة وهي مشيدة فوق طبقة من الردميات. وبعد إزالتها ظهرت بركة مشيدة من الآجر، وهي على هيئة نجمة مثمنة يبلغ قطرها ٣٣٥سم، طول كل ضلع من أضلاعها ٧٠سم، وعمقها ٤٥سم، (انظر الشكل ٢٧). تقوم هذه النجمة فوق أساس على هيئة مضلع مثمن الشكل مشيد من الآجر طول ضلعه ٩٥سم، وعمقه ٧٥سم.



الشكل (٢٧): البركة المثمنة المكتشفة في وسط الباحة المركزية.

ظهرت في قلب البركة فتحة لحفرة تصريف المياه منقورة في الأرض الطبيعية حتى عمق ينوف على خمسة أمتار، كما ظهرت في الردميّات بقايا رخام محطّم لعله كان جزءًا من لوحات رخامية مخصصة لتغطية أوجه البركة من الداخل. وتؤكد الكسر الخزفية والفخارية داخل الردميّات نفسها على أن البركة مشيدة منذ تأسيس القصر في العهد العباسي الأول (القرن الثامن حتى التاسع بعد الميلاد). هذا وظهرت في أرجاء الباحة تمديدات القساطل الفخارية لتصريف المياه وهي تستمر تحت بلاط الغرف والإيوانات.

حول تاريخ القصر

أكدت الأسبار الاختبارية والكسر الخزفية والزجاجية والنقود النحاسية أن القصر تأسس فوق الأرض الطبيعية في العهد العباسي الأول، وتجدّد بلاط أرضياته أكثر من مرة، وظل القصر مستخدمًا حتى نهاية الرقّة والرافقة في أعقاب الغزو المغولي في القرن الثالث عشر.

بناء على ذلك نكون أمام منشأة معمارية متميزة بمخطط الإيوانات الأربعة المطلة على باحة مركزية، ولعل النموذج الوحيد للمقارنة مع مخطط قصر البنات في العهد العباسي الأول هو دار الإمارة التي كشفت عنها التنقيبات العراقية على طول الضلع الجنوبي لجامع المتوكل في سامراء[٤].

(٤) انظر: Al-Janabi, Tariq Recent Excavation at Samarra, World Archaeology, Vol. 14, No. 3, February1983, pp. 305 - 326, Fig. 6.

طست من النحاس باسم آقبردي أمير دوادار كبير

الدكتور رأفت محمد محمد النبراوي

يوجد من التحف المعدنية الإسلامية طست من النحاس الأحمر ينسب إلى العصر المملوكي الجركسي (٧٨٤ - ٩٢٢هـ/١٣٨٢ - ١٥١٧م) ويمتاز باشتماله على عناصر زخرفية متعددة وكتابات وشارات جديرة بالبحث والدراسة. ويبلغ ارتفاع هذا الطست ١٨,٥ سم، ومحيطه ١٣١,٥ سم، وقطره ٤٢ سم، وسمكه ٠,٥ سم، وكان ضمن مجموعة رالف هراري وحاليًا محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة[(١)].

ويُزخرف الطست من الخارج شريطان. أحدهما عريض ويلف حول الجزء السفلي من البدن ويزخرفه زهرة الأقحوان. والشريط الآخر ضيق ويلف حول الجزء العلوي من البدن عند الحافة ويشتمل على كتابات بخط الثلث. فالشريط العريض السفلي الموجود بالبدن يزخرفه زهرة الأقحوان ذات الاثنتي عشرة بتلة تحصر بينها اثنا عشر مثلثا كرويًا. ويوجد بست بتلات منها زخرفة نباتية، وبالست الأخرى زخرفة هندسية وتتبادل البتلات ذات الزخرفة النباتية مع تلك المشتملة على زخرفة هندسية بحيث إن كل بتلة مشتملة على زخرفة نباتية تحصرها من كل جانب من الجانبين بتلة بها زخرفة هندسية. وكذلك فإن كل بتلة ذات زخرفة هندسية تُحيط بها من كل جانب من الجانبين الأيمن والأيسر بتلة أخرى ذات زخرفة نباتية.

وتتألف الزخرفة النباتية (لوحة رقم ١، شكل رقم ١) من أوراق وتفريعات مختلفة عبارة عن الورقة النخيلية ذات الفصين والمراوح النخيلية وأنصاف المراوح النخيلية وهي الزخرفة المعروفة باسم الأرابسك[(٢)]. وقد وجدت هذه الزخرفة النباتية على بدن ورقبة شمعدان من النحاس باسم فاطمة الخاصكية زوجة السلطان قايتباي التي توفيت سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م[(٣)].

---

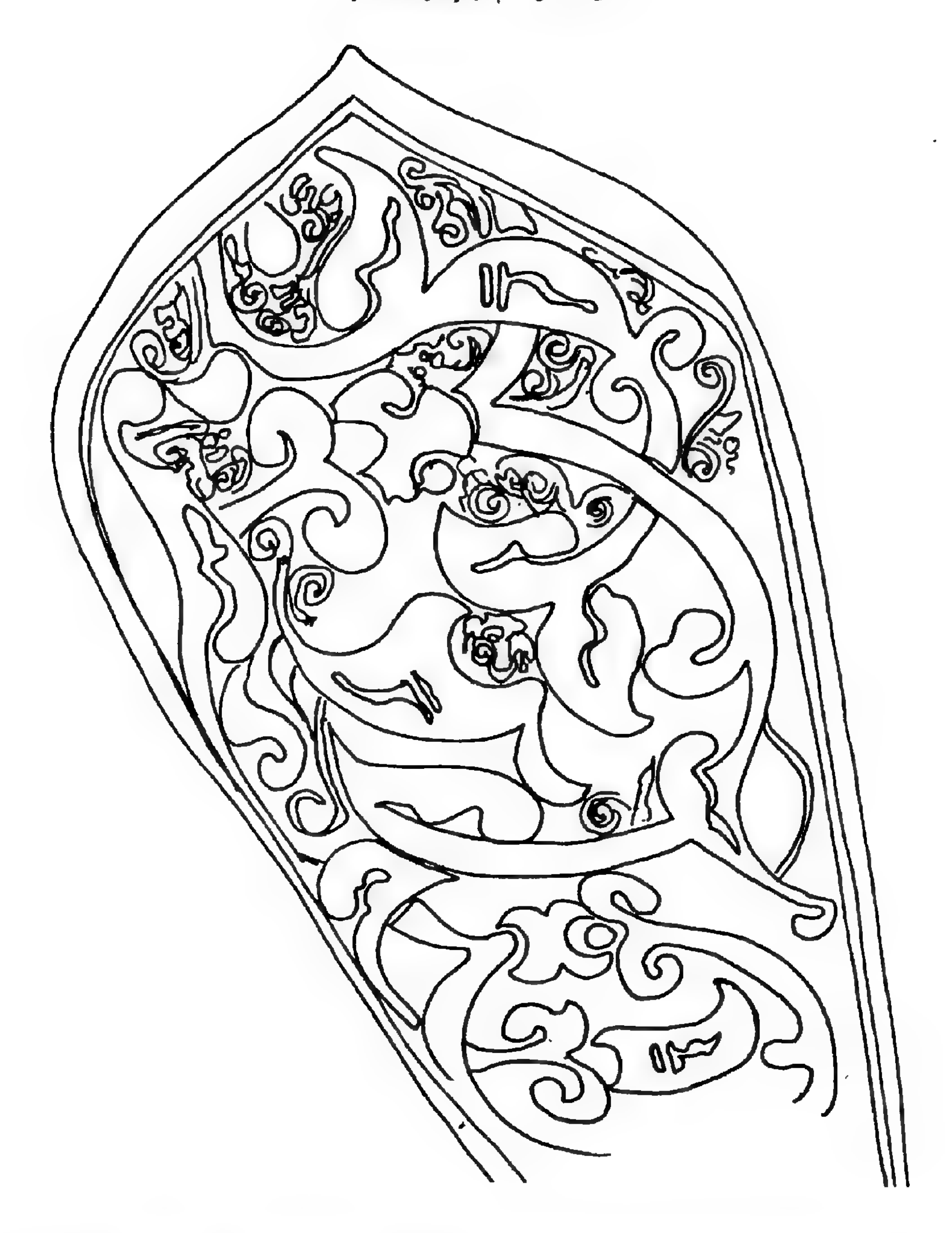
(١) سجل رقم ١٥١٩١.

(٢) عن الأرابسك، انظر: حسن، زكي محمد، *فنون الإسلام*، الطبعة الأولى (القاهرة، ١٩٤٨م)، ص ٢٥٠.

(٣) الان، جيمس. دبليو، «التحف المعدنية» *كتاب كنوز الفن الإسلامي، الصادر عن متحف راث بجنيف*. ترجمة حصة الصباح وآخرين، (الكويت، ١٩٨٥م)، ص٢٨٩.



لوحة رقم (١): طست من النحاس باسم الأمير آقبردي أحد أمراء السلطان قايتباي. محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل ١٥١٩١.



شكل رقم (١): رسم توضيحي للزخرفة النباتية التي جاءت بإحدى بتلات الشريط العريض السفلي الذي يلف حول بدن طست آقبردي.

كما نلاحظ على الطست موضوع البحث زخرفة زهرة عود الصليب Peony أو عود الريح أو الفاونيا(٤). وقد ظهرت هذه الزخرفة على صندوق مصحف(٥) من الخشب المصفح بالنحاس والمكفت بالفضة يرجع تاريخه إلى العصر المملوكي كما جاءت الزهرة نفسها على منضدة من النحاس الأصفر المكفت بالفضة تعود إلى العصر نفسه.(٦). وقد استمدت زهرة نبات عود الصليب من الفن الصيني(٧) الذي وفد إلى الشرق الأدنى عن طريق الغزو المغولي(٨) واستخدمت أولاً في إيران على التحف المعدنية ثم على الخزف المرسوم تحت الطلاء المنسوب إلى مدينة سلطانباد(٩). وكذلك على الخزف ذي البريق المعدني المصنوع في مدينة قاشان(١٠) الذي ينسب إلى القرنين السابع والثامن الهجري / الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، ثم انتقلت إلى الفن المملوكي بمصر(١١).

وتتكون الزخرفة الهندسية على الطست من الوحدة المكررة المسماة «دقماق» أو «رأس الرمح» والتي تشبه حرف y المكرر (لوحة رقم ١، شكل رقم ٢) وقد انتشرت هذه الزخرفة بصفة خاصة على العمائر والمحاريب والخزف والفخار المملوكي، واستمرت مستخدمة في مصر حتى نهاية العصر العثماني وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من أجزاء الأواني التي تظهر عليها تلك الزخرفة بوضوح. ومن ذلك قاع إناء من الفخار(١٢) يرجع إلى العصر المملوكي قوام زخرفته دائرة وسطى بداخلها رسم طائر (لوحة رقم ٧، شكل رقم ٣) يخرج منها ست اشاعات تحصر بينها ست مساحات زخرفية (شكل رقم ٣)، وهي على التوالي جدائل هندسية ثم فروع وأوراق نباتية يليها زخرفة الدقاميق الهندسية. وتتكرر هذه المساحات الثلاث مرتين بالشكل والترتيب نفسيهما وعلى ظهر هذا القاع توجد كتابة في سطرين تتضمن اسم الصانع ونصها: «عمل الأستاذ المصري» إذ يشتمل السطر العلوي على كلمتي «عمل الأستاذ» والسطر السفلي على كلمة «المصري». وكان الأستاذ المصري من أعلام صناعة الخزف في العصر المملوكي وترجع المنتجات الخزفية التي تحمل اسمه إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر للميلاد(١٣).

---

(٤) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الزهرة Shafii, Farid. *West Islamic influences on Architecture in Egypt, Bulletin of Faculty of Arts, Cairo University,* Vol. XVI, part II, December, 1954, Fig. 3.

(٥) هذا الصندوق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل ٨١٣.

(٦) هذه المنضدة موجودة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل ١٨٣.

(٧) Rice, D. S. *Studies in Islamic Metalwork, "BSOAS"*, 1953, XV13, p. 495.

(٨) ديماند، م.س. *الفنون الإيرانية*، ترجمة أحمد عيسى، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، عام ١٩٨٢م، ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

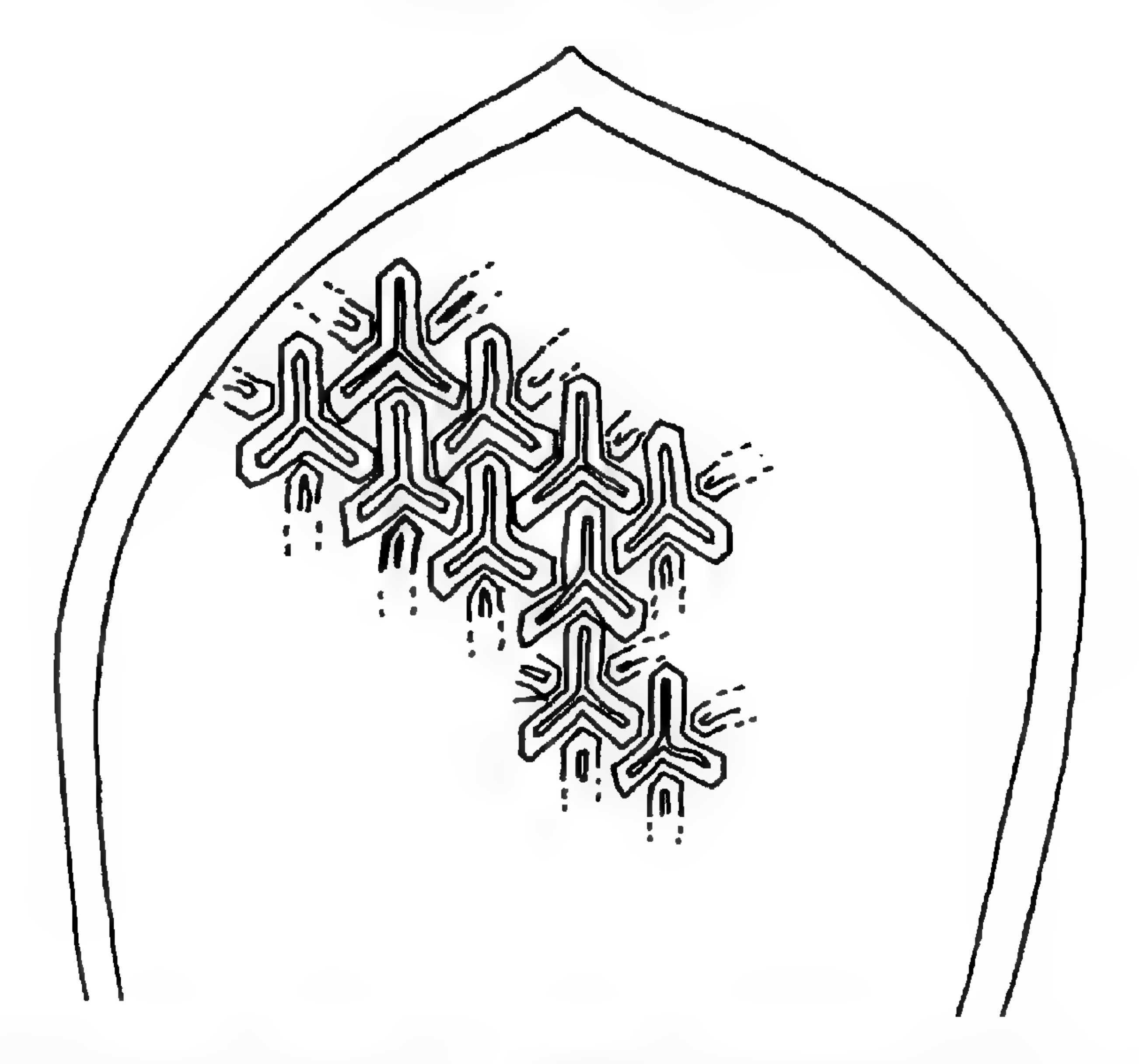
(٩) Pope, Arthur. *Survey of Persian Art,* Vol. V., p. 715.

(١٠) Ettinghause, Richard. *Evidence for identification of Kashan Pottery. "Ars Islamica"*, Vol. III, part I, pp. 45-51, Figs. 12-14.

(١١) ظهرت هذه الزخرفة على الشماعد المعدنية والمقلمات والمحابر والمشكاوات الزجاجية، انظر: Rice. *Studies,* p. 495.
Wiet, Gaston. *Lamps et Bouteilles en Verre emaille*. Catalogue general du Musee Arabe du Caire. (Le Caire, 1982).

(١٢) محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٦٠٣٩.

(١٣) الباشا، حسن. *فنون الإسلام*، ص ٣٢٣. وعن هذا الخزاف، انظر أيضًا: يوسف، عبدالرؤوف علي. «غيبي التوريزي» بحث في كتاب *القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها* للدكتور حسن الباشا وآخرين (القاهرة، ١٩٧٠م)، ص١١٦.



شكل رقم (٢): رسم توضيحي لزخرفة الدقاميق الهندسية التي ظهرت على إحدى بتلات الشريط العريض السفلي الذي يلف حول بدن طست الأمير آقبردي.



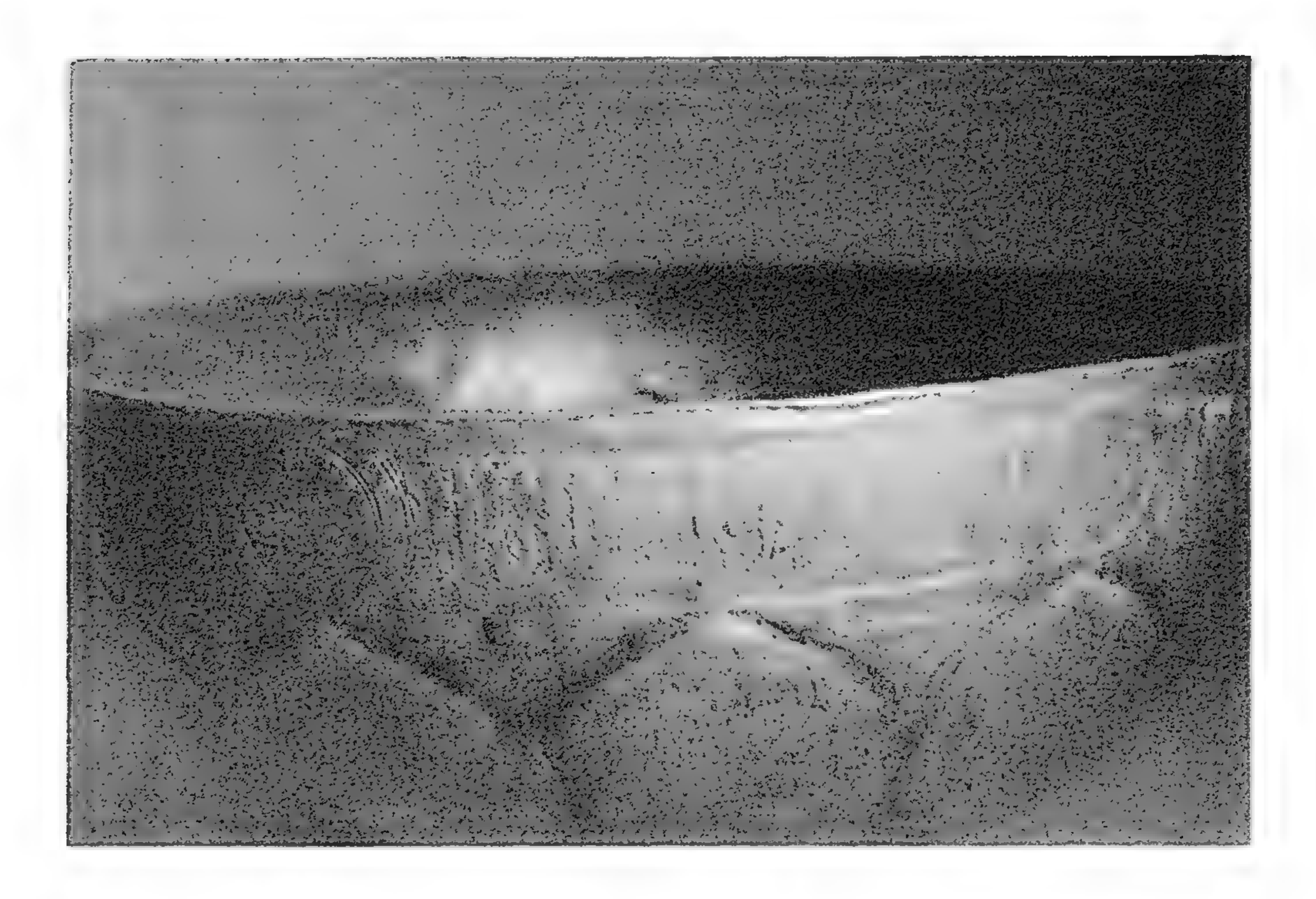
شكل رقم (٣): رسم توضيحي للزخرفة التي جاءت على قاع إناء من الفخار بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل ٦٠٣٩ ويظهر فيه زخرفة الدقاميق الهندسية.



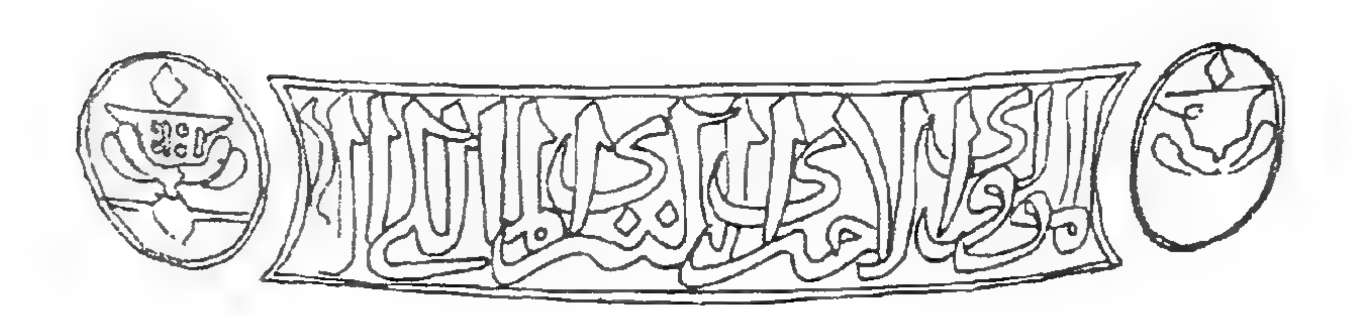
لوحة رقم (٢): جانب من طست الأمير آقبردي من الخارج، ويتضح فيه جزء من كتابات الشريط الضيق العلوي.



رسم توضيحي للكتابات التي جاءت على هذا الجزء من الطست ونصها: «مما عمل برسم المقر الأشرف الكريم العالي ا».



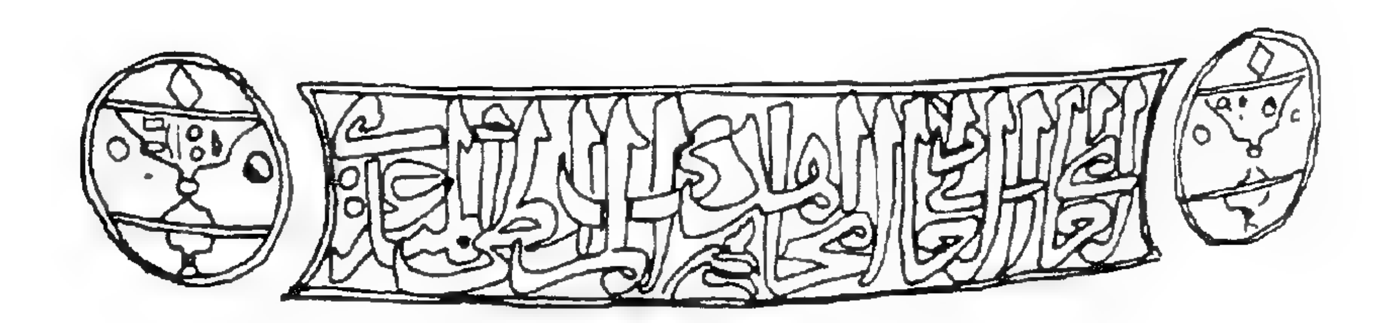
لوحة رقم (٣): أحد الجوانب الخارجية لطست الأمير آقبردي ويتضح فيه جزء من كتابات الشريط الضيق العلوي المسجلة بخط الثلث.



رسم توضيحي للكتابات التي وردت على هذا الجزء من الطست ونصها: «المولوى الأميرى الكبيرى المالكى الـ».



لوحة رقم (٤): جانب من طست الأمير آقبردي من الخارج ويتضح فيه جزء من كتابات الشريط الضيق العلوي.



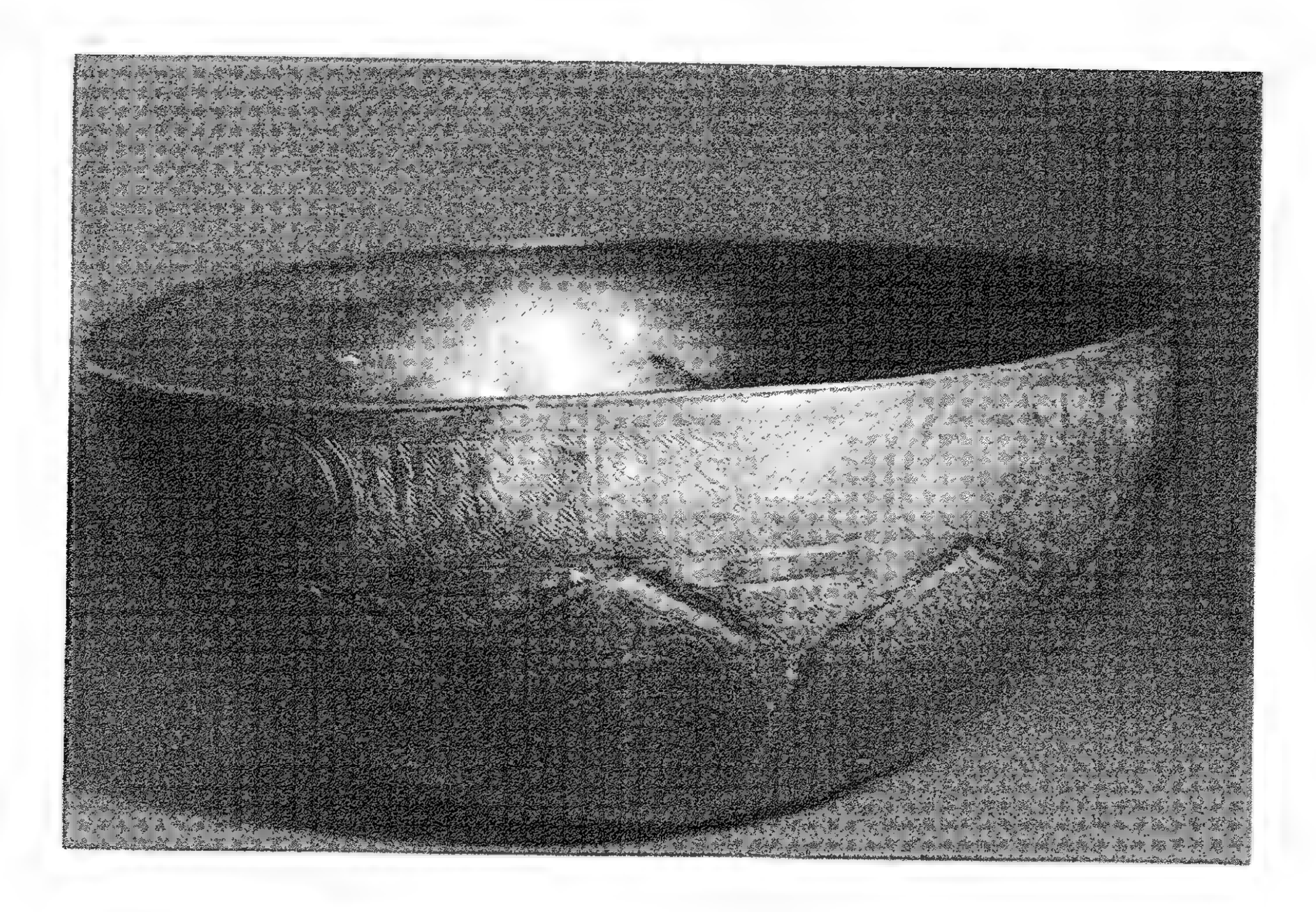
رسم توضيحي للكتابة التي جاءت على هذا الجزء من الطست ونصها: «لعالمى العادلى المجاهدى المرابطى المثاغرى».



لوحة رقم (٥): أحد الجوانب الخارجية لطست الأمير آقبردي ويظهر فيه جزء من كتابات الشريط الضيق العلوي.



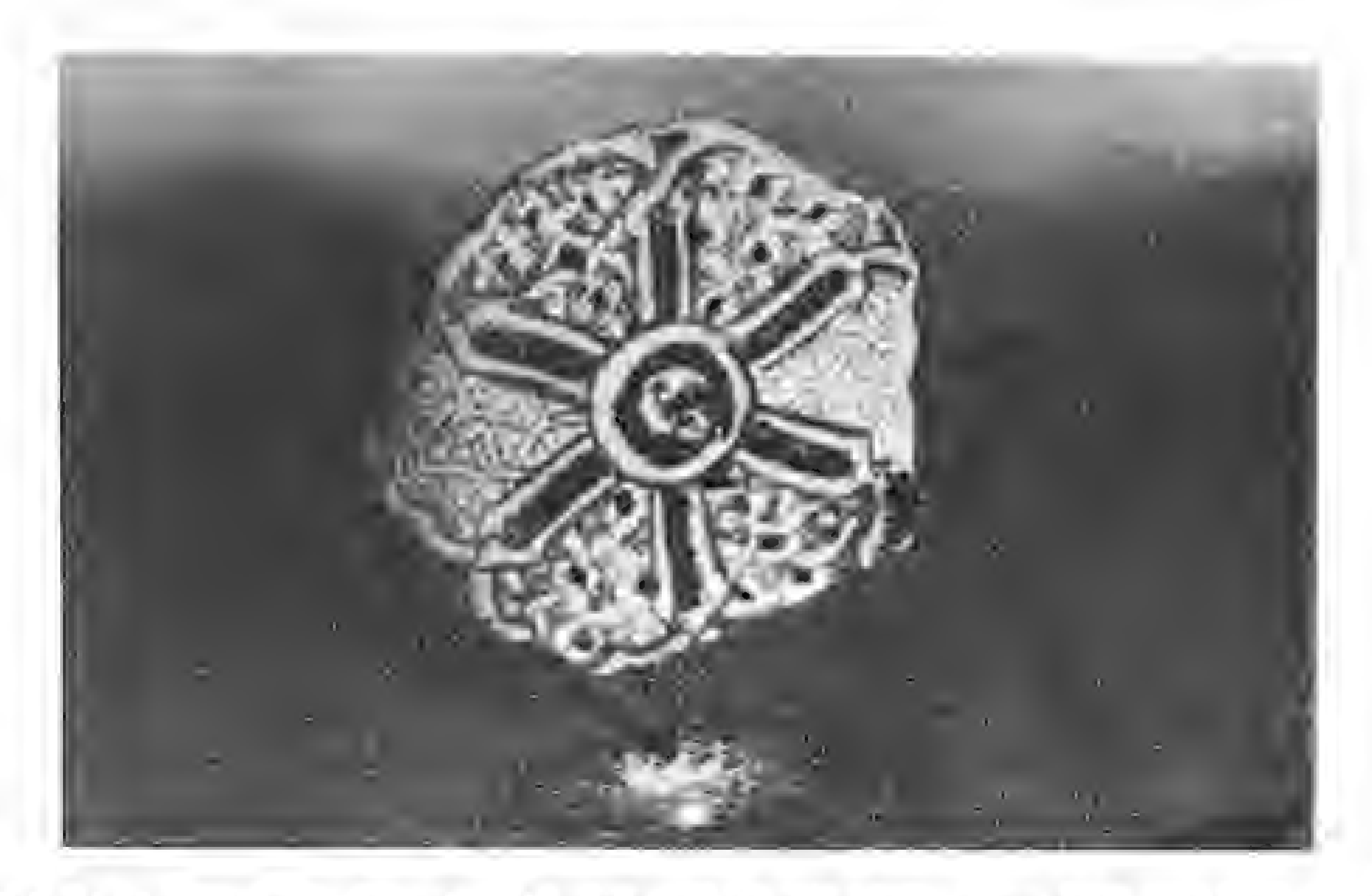
رسم توضيحي للكتابات التي وردت على هذا الجزء من الطست ونصها: «السيدى السندى الزخرى المخدومى ا».



لوحة رقم (٦): جانب من طست الأمير آقبردي من الخارج ويظهر فيه جزء من كتابات الشريط الضيق العلوي.



رسم توضيحي للكتابات التي جاءت على هذا الجزء من الطست ونصها: «لسيفى اقبردى أمير دوادار كبير ومدبر الممالك».



لوحة رقم (٧): قاع إناء من الفخار موجود بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم سجل ٦٠٣٩ يتضح فيه زخرفة الدقاميق الهندسية التي جاءت أيضا على طست آقبردي.



ظهر قاع الإناء العلوي (سجل رقم ٦٠٣٩) ويظهر فيه توقيع الصانع وهو «عمل الأستاذ المصري».

ومن خلال هذا الاستعراض للزخرفة النباتية والهندسية المنفذة على هذا الطست نستطيع أن نذكر أنّ هذا الطست يعود إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وبصفة خاصة إلى عهد السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي الذي انتشرت في عهده تلك الزخرفة النباتية وزخرفة الدقاميق الهندسية، ويؤكد هذا أسلوب الكتابة أيضًا على حافة الطست بالشريط العلوي الضيق ونصها كما يلي: «مما عمل برسم المقر الأشرف الكريم العالي (لوحة رقم ٢) لمولوى الأميري الكبيري المالكي الـ (لوحة رقم ٣) لعالمي العادلي المجاهدي المرابطي المثاغري (لوحة رقم ٤) السيدي السندي الزخري المخدومي ا (لوحة رقم ٥) لسيفي آقبردي أمير دوادار كبير ومدبر الممالك (لوحة رقم ٦) الشريفة الإسلامية الملكي الأشرفي عز نصره». وتتخلل هذه الكتابات ستة أشكال لرنك الأمير آقبردي.

ويتضح من هذه الكتابات أن الطست صنع لأمير مملوكي يسمى آقبردي ويلقب بالمقر الأشرف العالي وهي أعلى الألقاب التي كانت تطلق على الأمراء في العصر المملوكي، كما تلّقب أيضًا ببعض الألقاب التي تدل على الجهاد كالمجاهدي والمرابطي والمثاغري. وتبين هذه الكتابات أن آقبردي وقت صناعة هذا الطست له كان يشغل وظيفة أمير دوادار كبير، وكذلك وظيفة مدبر الممالك الإسلامية في عهد أحد السلاطين الملقب بالأشرف[١٤].

والدوادار كلمة تتألف من لفظين أحدهما عربي وهو «الدواة» التي يكتب منها، والثاني فارسي وهو «دار» ومعناه ممسك. فيكون المعنى «ممسك الدواة»[١٥]، أي دواة السلطان أو الأمير. وكانت هذه الوظيفة في الدولة المملوكية من الوظائف التي يشغلها عسكريون[١٦]. وكان الدوادار يتم اختياره من بين خاصة مماليك السلطان المعروفين بالخاصكية ثم أخذت رتبته تزداد تدريجيًّا حتى صار من أمراء المائتين، ويعد ذلك من أكابر أمراء المائتين[١٧].

ولم يكن للسلطان دوادار واحد فقط بل ربما بلغ عدد الدوادارية عشرة من الأمراء والجند تقل رتبتهم وتتفاوت الواحد بعد الآخر[١٨] وكان أعلاهم الدوادار الكبير الذي يسمى أيضًا أمير دوادار كبير. وكان عادة في رتبة أمير مائة

---

(١٤) من سلاطين دولة المماليك الجراكسة الذين تلقبوا بالأشرف: برسباي، اينال، قايتباي، والغوري.

(١٥) القلقشندي، (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ)، *صبح الأعشى في صناعة الانشا*، (دار الكتب القومية بالقاهرة، ١٩١٣م)، جـ٥، ص٤٦٢. الباشا، حسن. *الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية*، الجزء الثاني (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ٥١٩.

(١٦) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٤، ص ١٩، الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص٥٢٠.

(١٧) الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص ٥٢٠.

(١٨) الظاهري، (غرس الدين بن شاهين)، *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، تصحيح بولس راويس (مطبعة الجمهورية بباريس، ١٨٩٤م)، ص١١٦؛ الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص ٥٢١.

مقدم ألف[١٩].

وكانت مهمة الدوادار أساسًا هي حمل دواة السلطان وتبليغ الرسائل والأوامر عن السلطان وتقديم الرسائل والقصص إليه، وحمل الدواة له ليوقع عليها وعلى عامة المناشير والتواقيع والكتب[٢٠].

أما مدبر الممالك الإسلامية فكانت تطلق على الوزير أو النائب أو النائب الكافل[٢١]. وقد وردت هذه الصيغة ضمن كتابة أثرية مؤرخة سنة ٨٨٠هـ (١٤٧٥ - ١٤٧٦م) بقصر الأمير يشبك من مهدي أحد أمراء السلطان قايتباي والذي كان يشغل وظيفة أمير دوادار كبير قبل آقبردي. وهذه الصيغة تدل على أنه يجوز الجمع بين وظيفة أمير دوادار كبير ومدبر الممالك الشريفة[٢٢].

وبالمقارنة بين الاسم المذكور في الكتابة الأثرية على الطست موضوع البحث ونسبته إلى السلطان الأشرف وبين أسلوب صناعة الطست وزخرفته أمكننا التعرف على الأمير المذكور وهو آقبردي من علي باي أحد أمراء السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي.

وقد تولى آقبردي وظيفة أمير دوادار كبير في اليوم الرابع من المحرم ٨٨٦هـ/ السادس من مارس ١٤٨١م بدلاً من يشبك من مهدي الذي قُتل في الرها[٢٣]، وظل آقبردي يشغل الوظيفة المذكورة حتى وفاة السلطان الأشرف قايتباي في يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة ٩٠١هـ/ السابع من أغسطس ١٤٩٥م. وبعد أن تولى ابنه

---

(١٩) الظاهري، *زبدة كشف الممالك*، ص ١١٤. وكان أمير المائة ومقدم ألف يأتي في الرتبة بعد السلطان مباشرة ويمثل الطبقة الأولى من الأمراء ويمتلك مائة مملوك ويحكم في الحرب على ألف فارس. الظاهري، *زبدة كشف الممالك*، ص١١٣؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٤، ص١٤؛ السيوطي (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن)، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، الجزء الثاني، الطبعة الأولى (القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م)، ص١٢٩؛ الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص٥٢١.

(٢٠) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٤، ص١٩؛ الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص ٥٢١، ٥٢٢.

(٢١) الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٣، ص ١٠٤٤.

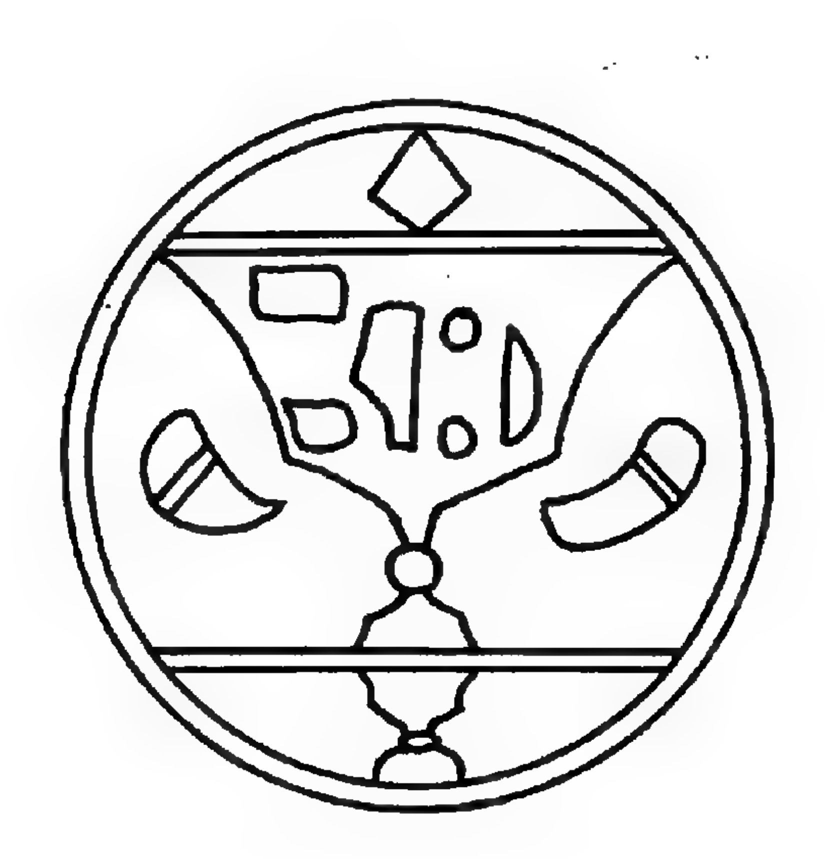
(٢٢) الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٣، ص ١٠٤٥.

Berchem, Max Van. *Métaux Pour Un Corpus Inscription Um Arabicarum*. Memoires de l'Institut francais d'archéologie Orientale, Egypte. I, Le Caire, 1894-1903, pp. 439-440, No. 305.

(٢٣) سكن آقبردي في دار الأمير يشبك ورسم له السلطان بجميع فرش يشبك وجميع ما في بيته، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، جـ٣، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية (القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ص١٧٨.

الناصر أبو السعادات محمد السلطنة عزل آقبردي من الدوادارية الكبرى وعين بدلاً منه جان بلاط من يشبك أمير دوادار كبير[٢٤]. وتوفى آقبردي ببلاد الشام في ذي القعدة سنة ٩٠٤هـ/يونية ـ يولية ١٤٩٩م[٢٥].

وينتهي نص كتابات الثلث الموجود في الشريط الضيق العلوي للطست بعبارة «عز نصره» وهي من العبارات الـدعائية التي جاءت بكثرة على التحف المملوكية حيث وجدت على بدن شمعدان من النحاس يرجع إلى عهد السلطان قايتباي ومؤرخ بسنة ٨٨٧هـ[٢٦]. كما وردت العبارة نفسها على التحف الزجاجية[٢٧]، ولم تقتصر على ذلك فقط فقد ظهرت هذه العبارة الدعائية على النقود الذهبية والفضية والبرونزية المضروبة في عهد السلطان قايتباي[٢٨].



شكل رقم (٤): رسم توضيحي لرنك الأمير آقبردي الذي ورد على طسته المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ١٥١٩١.

(٢٤) كان الناصر عند توليته السلطنة سنة ٩٠١هـ بعد وفاة والده مباشرة يبلغ من العمر أربعة عشرة عامًا، ابن إياس، *بدائع الزهور*، جـ٣، ص ٣٢٤ ـ ٣٣٣.

(٢٥) ابن إياس، *بدائع الزهور*، جـ٣، ص ٤٢١.

(٢٦) Wiet, Gaston. *Objets en Cuivre,* Catalogue General du Musee Arabe du Caire (Le Caire, 1984), pl. XXXIII, No. 4072.

(٢٧) Wiet, *Lamps*, pp. 48, 49, 51, 52, 53.

(٢٨) Balog, Paul. *The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria. (New York, 1964), pp. 348-358.*

وبالنسبة للرنك[٢٩] الموجود على الطست (شكل رقم ٤) فينقسم إلى ثلاث مناطق كل منها يسمى شطبًا. ففي المنطقة العليا رسم بقجة، وفي الوسطى رسم كأس بها دواة بين فرعي سروال، وفي السفلي كأس[٣٠]. والكأس يرمز إلى وظيفة الساقي[٣١]. أما القوس فيشير إلى وظيفة البندقدار. وتتألف كلمة البندقدار من لفظين هما بندق ودار، و«بندق» لفظ فارسي معرب بمعنى البندق الذي يرمى به، أما «دار» فكلمة فارسية بمعنى ممسك. والمعنى الكلي للبندقدار هو «ممسك البندق» ويطلق على الموظف المكلف بحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير[٣٢]. وبخصوص البقجة فترمز إلى الجمدار. ويتكون هذا الاسم من لفظين: أحدهما من اللغة التركية وهي «جاما» ومعناها الثوب، والثانية «دار» الفارسية بمعنى ممسك، فيكون المعنى الإجمالي هو «ممسك الثوب» أو الوصيف الذي يلازم السلطان أو الأمير لإلباسه ثيابه[٣٣]. والدواة ترمز إلى وظيفة الدوادار التي سبق تناولها. هذه الشارات الأربع تشير إلى وظائف أربع جاءت على الرنك الخاص بالأمير آقبردي، في حين أن الكتابات الأثرية على حافة الطست تنص على أن آقبردي كان يتولى فقط منصب أمير دوادار كبير ومدبر الممالك الشريفة الإسلامية. ويمكننا أن نستنتج أن آقبردي قد شغل هذه الوظائف التي ظهرت شارتها على رنكه حيث كانت الشارات والرنوك تظل ملازمة لأصحابها حتى إذا تغيرت وظائفهم بعد ذلك. فتضاف إلى رنكه شارة الوظيفة الثانية إلى جانب شارة الوظيفة الأولى[٣٤].

أما عن الطرق المستخدمة في صناعة الطست فهما الطرق والحز، فطريقة الطرق هي إحدى العمليات الصناعية التي تمر بها التحفة المعدنية حتى تصل إلى شكلها النهائي، وتتم بوضع ألواح المعدن على السندال المصنوع من الحديد والمنتهي عند طرفه بجزء من الصلب ليتحمل عملية الطرق. ثم يطرق المعدن بمطرقة تشبه «الجاكوش» الصغير الذي يستعمله الصناع حاليًا والهدف من ذلك هو تجميع ذرات المعدن حتى يكتسب مزيدًا من الصلابة من

---

(٢٩) الرنك كلمة فارسية تعني اللون. وقد استعمل المماليك هذه الكلمة في مصر وسوريا للدلالة على الشارة أو العلامة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها. وعن الرنوك الإسلامية، Artin, Yacoub. *Contribution a l'Etude de blason en Orient*, pp. 11-12. انظر: مصطفى، محمد. *الرنوك في عصر المماليك*، مجلة الرسالة، عدد ٤٠٠ لسنة ١٩٤١م؛ محرز، د. جمال. *الرنوك المملوكية*، مجلة المقتطف، عدد ٥، مجلد ٩٨، مايو ١٩٤١م، Rogers, Edward Thomas. *Le blason chez les princes musulmanes de L'Egypte et de la Syrie*, Vol. 2, B.I.E. 13 (Egypte, 1880), p. 83. Mayer, L. A. *Saracenic Heraldry* (Oxford, 1933).

(٣٠) وعن هذا الرنك، انظر: Mayer, *Saracenic*, pp. 214-215.

(٣١) الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص ص ٥٧٧ - ٥٨٦.

(٣٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص ١٣٧، جـ٥، ص ٤٥٩؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذا الرنك، انظر: الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ١ (القاهرة ١٩٦٥م)، ص ص ٣١٨ - ٣٢٠. Mayer, *Saracenic*, p. 5.

(٣٣) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٥، ص٤٥٩؛ الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ١، ص ص ٣٥٦ - ٣٥٧. وقد ورد رنك البقجة على النقود المملوكية أيضًا، منها فلس مضروب بحلب سنة ٨٤٨هـ وعليه اسم السلطان جقمق. Balog, *The Coinage*, p. 326, no. 751.

(٣٤) مصطفى، *الرنوك*، ص ٢٩٦؛ الباشا، *الفنون الإسلامية*، جـ٢، ص ٥٢٧. Mayer, *Saracenic*, pp. 4-5.

ناحية، ويتخذ الشكل المراد تنفيذه من ناحية أخرى. ثم تنعم التحفة حتى تصبح ملساء وينظف ما قد يكون عالقًا بها من شوائب، أو زيادة حتى تصبح معدة لإجراء الزخارف على سطحها(٣٥).

أما الحز فهو إجراء حزوز أو نقوش خفيفة غير غائرة على سطح المعدن وفقًا لتصميم معين يعده الصانع قبل تنفيذه، ثم يقوم بعد ذلك بحزه بآلة ذات طرف مدبب، تشبه آلة الزينة الحديثة التي تستعمل حاليًا. ويختلف الحز عن الحفر أن الحفر أكثر عمقًا في السطح(٣٦).

وفي ضوء ما سبق يتضح أن هذا الطست قد صنع خلال فترة حكم السلطان قايتباي، وعلى وجه التحديد أثناء الفترة منذ تولية آقبردي للدوادارية الكبرى سنة ٨٨٦هـ - ١٤٨١م وحتى عَزله منها سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٦م بعد وفاة السلطان قايتباي مباشرة وتولية ابنه الناصر أبو السعادات محمد عرش السلطنة.

ويوجد هناك طست آخر صنع خصيصًا للأمير آقبردي عليه النص الكتابي نفسه الموجود على الطست موضوع البحث وكذلك الأشكال الستة لرنكه وهو ضمن مجموعة ساسون Sasson وقد أورد لنا جاستون فييت Gaston Wiet (٣٧) نص كتاباته ولم يأت لنا بصورة له، ولذلك فمن الصعب إجراء مقارنة بينه وبين الطست موضوع الدراسة باستثناء التماثل في نص الكتابات المسجلة على كل منهما.

وكان الطست في العصر المملوكي يغسل فيه الأيدي والأقمشة، وقد غلب عليه آنذاك استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع فتح الطاء، وأصله طس بسين مشددة فأبدلت من إحدى السينين تاء للاستثقال فإذا جمع أو صغر ردت السين إلى أصلها، فيقال في الجمع طساس وطسوس، وفي التصغير طسيس(٣٨).

وبعد هذه الدراسة فقد أمكن التوصل إلى:

أولاً: تحديد الفترة الزمنية التي صنع خلالها الطست موضوع البحث.

---

(٣٥) عليوه، حسين عبدالرحيم. المعادن؛ «كتاب: القاهرة تاريخها فنونها وآثارها، للدكتور حسن الباشا وآخرين، ص ص ٣٧٠ - ٣٨٧.

(٣٦) عليوه، *المعادن*، ص ٣٧١.

(٣٧) Wiet, *Cuivre*, p. 236, no. 354.

(٣٨) القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٤، ص١٠.

ثانيًا: معرفة اسم صاحب الطست كاملاً وبدقة وهو «آقبردي من على باي» حيث لم يسجل على الطست إلا الاسم الأول فقط وهو «آقبردي» على الرغم من أنه كان يوجد أكثر من ستة أفراد ممن تولوا مناصب في دولة المماليك الجراكسة وكل منهم كان يحمل الإسم ذاته وهو آقبردي. ومن هؤلاء: آقبردي الأشرفي برسباي، وآقبردي الأشرفي اينال، وآقبردي الساقي الظاهري جقمق وغيرهم[٣٩].

ثالثًا: الوظائف التي تولاها الأمير آقبردي من على باى الواردة على الطست.

(٣٩) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن)، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، الجزء الثاني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د.ت.) ص ص ٣١٤ ـ ٣١٦.

نقش مؤرخ من العصر الأموي مجهول الموقع
من منطقة جنوب الحجاز

الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد

قبل عدّة سنوات؛ وبالتحديد خلال العام الدراسي ١٣٩٨ - ١٣٩٩هـ، أحضر لي أحد الطلبة في كلية الآداب صورة لنقش حجري بالخط الكوفي المبكر، وطلبت من ذلك الطالب أن يقدّم لي معلومات يسجلها بقلمه يُحدّد فيها المكان الذي يوجد فيه ذلك النقش، ووصفًا شاملاً للموقع الجغرافي والمعالم الموجودة في المنطقة نفسها. غير أن ذلك الطالب الذي لا أتذكر اسمه لم يوف بها وعد.

ومع خضم الأعمال وتكاثُر المسئوليات بقيت صورة النقش في حوزتي لعلي اهتدى لمزيد من المعلومات حول المكان الذي وُجد فيه النقش، خاصة بعد أعمال المسح الأثري الشامل الذي قامت به إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف[1] وكذلك من خلال اكتشافات الرّحالة الغربيين[2]. غير أنه مما يؤسف له لم أتبيّن أي معلومات مُفيدة بهذا الخصوص، ومع ذلك فقد شعرت بأنه لابد من إخراج صورة هذا النقش للدارسين في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، ولربّما ظهر من أبناء البلاد من هم أعرف مني بالنقش وتاريخ المكان الذي يوجد فيه[3]. وأذكر أن الطالب الذي أحضر لي صورة النقش قال: إنه شاهد النقش قرب قرية زراعية في منطقة الحجاز الجنوبية. ويلاحظ أن النقش كتب على صخرة كبيرة من الصخور النارية، وتقع ضمن حائط زراعي (أو سدّ قديم)، وهذا يعني أن الصخرة إما أن تكون منقولة (وهذا يبدو مستحيلاً بسبب ضخامة الصخرة)، أو أن النقش كتب على الصخرة عند بناء ذلك الحائط. وفي إحدى نهايتي الحائط يشاهد بناء يبدو أنه جزء من حظيرة أو لعله موضع بئر. وبالقرب من

---

(١) على سبيل المثال انظر: *الأطلال*، حولية الآثار العربية السعودية، العدد الرابع (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، العدد الخامس (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

(٢) Grohmann, A. *Arabic Inscriptions*, (Louvain, 1962). ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من النقوش الإسلامية التي جمعها كل من فيلبي ورايكمانز وليبنس في رحلتهم إلى جنوب غرب المملكة في عام ١٩٥١ - ١٩٥٢م والتي شملت منطقة الطائف وأبها ونجران ووادي الدواسر.

(٣) في المسح الأثري لسدود الطائف والذي يمتد لمسافة ١٤٠ كيلومترًا جنوب الطائف لم نجد ذكرًا لأي نقش لهذه الفترة الزمنية. انظر: *الأطلال*، العدد السادس (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

الحائط برج مربع الشكل يرتفع لعدة أمتار بني بالحجارة بالطريقة المتبعة في المناطق الزراعية في كل من الحجاز وعسير[٤].

قراءة النقش:

يتكون النقش من خمسة أسطر كتبه صاحبه لطلب المغفرة، والكتابة ليست غائرة تمامًا، وبعض حروف النقش غير واضحة بسبب النتوءات التي تظهر على الواجهة الصخرية وعوامل التعرية. كما أن الصورة الفوتوغرافية يبدو أنها التقطت من زاوية بعيدة غير واضحة تمامًا. ويمكن قراءة النقش على النحو التالي:

١ ـ اللهم اغفر للحكم بن عمر

٢ ـ ابن فروة ذنبه العظيم

٣ ـ إنك عفوو كريم

٤ ـ آمين وكتب في

٥ ـ رمضان سنة ثلث عشرة ومية

التحليل:

يتضح من قراءتنا للنقش أنه يتكوّن من عشرين كلمة ومؤرخ في سنة ١١٣هـ، وحروفه غير منقوطة، ولغة النص سليمة. ولا نعرف بالتحديد من هو صاحب النقش (الحكم بن عمر بن فروة). وبمراجعة كتب التراجم والسير لم نجد ما يُفيد عن شخصيته. وهل كان له شأن في هذا العصر أم أنه من عامة الناس؟ وتاريخ النقش يقع في فترة حكم الخليفة هشام بن عبدالملك الذي حكم في الفترة من سنة ١٠٥هـ وحتى ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ[٥]. ولا نستغرب نقشًا مؤرّخًا من العصر الأموي في جنوب الحجاز، فقد كانت منطقة الحجاز الجنوبية مزدهرة في العصر الأموي خاصة في الزراعة والصناعة. وعلى الرغم من أن الطائف وما جاورها كانت موضع اهتمام خلفاء بني أمية، إلا أن مراكز حضارية كان لها نشاط تجاري وصناعي بارز مثل مدينة جرش ونجران وتباله ورنيه وتثليث. وهذه المدن كانت من أهم المحطات التي تمرّ بها طرق التجارة والحج في العصور الإسلامية المبكرة. والنقوش الإسلامية مهمة جدًا للاستدلال بها على مراكز النشاط الحضاري، وتساعد على تحقيق المواقع القديمة للمدن والمراكز الإسلامية

(٤) توجد بعض النقوش والكتابات الإسلامية في منطقة عسير بالقرب من مدينة بيشة، ولكنها لم تدرس دراسة علمية وافية حتى الآن. انظر على سبيل المثال: عسير: *تراث وحضارة*، إعداد وتصوير وهيي الحريري الرفاعي (الرياض ـ ١٤٠٧هـ)، ص ١٨٢.

(٥) ابن الأثير، علي بن محمد. *الكامل في التاريخ*، المجلد الخامس (دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، ص ١٢٣، ص ٢٦١.

المبكرة، ولهذا فإن النقوش الإسلامية تعتبر مصدرًا مهمًّا لدراسة التاريخ الإسلامي، خاصة النقوش المؤرخة والتي نستطيع من خلالها معرفة أساليب كتابة الخطّ والصيغ اللفظية والدلالات التاريخية[٦]، ولذلك فإن النقش الموجود بين أيدينا يُعتبر من النقوش المهمة خاصة وأنه النقش الوحيد المؤرخ في منطقة الحجاز الجنوبية (حسب ما نعرف)، وسيكون مكمّلاً للنقوش الإسلامية المؤرّخة من العصر الأموي المكتشفة في الطائف ومكة المكرمة وشمال غرب المملكة[٧].

وهـذا النقش يقع ترتيبه العاشر من بين النقوش الإسلامية المؤرخة في العصر الأموي في المملكة العربية السعودية، والمعروفة لنا الآن من خلال الأبحاث والاكتشافات أو من خلال تقارير المسوحات الأثرية المنشورة. ولكمال الموضوع يمكن رصد النقوش الإسلامية المؤرخة تسلسليًّا حسب القائمة التالية:

١ ـ نقش خالد بن العاص، المؤرخ في سنة ٤٠هـ، درب زبيدة[٨].
٢ ـ نقش عبدالله بن ديرام، المؤرخ سنة ٤٦هـ، وادي سبيل، نجران[٩].
٣ ـ نقش جهم بن علي بن هبيرة، المؤرخ في سنة ٥٦هـ، درب زبيدة[١٠].
٤ ـ نقش معاوية بن أبي سفيان، المؤرخ في سنة ٥٨هـ، سد سيسيد، الطائف[١١].
٥ ـ نقشان من مكة المكرمة باسم عثمان، مؤرخان سنة ٨٠هـ[١٢].
٦ ـ نقش ميمون مولى أبي مريم مولى رباح، مؤرخ في سنة ٨٠هـ، طريق الحج الشامي[١٣].

---

(٦) من أشهر النقوش الإسلامية المكتشفة في منطقة الحجاز نقش معاوية بن أبي سفيان المؤرخ سنة ٥٨هـ الذي نشر لأول مرة سنة ١٩٤٨م والموجود عند سد سيسد شرق الطائف والذي أصبح له شهرة عالمية بين الباحثين للاعتماد على صيغه اللفظية وأسلوب كتابته في دراسة تطور الخط العربي المبكر.
انظر عن هذا النقش: Grohmann, A. *Arabic Inscriptions*, pp. 56-58, p1, XII.

(٧) عن أحدث النقوش الإسلامية المكتشفة في الجهة الجنوبية الشرقية من مكة المكرمة وعلى بعد ثلاثين كيلومترًا. انظر: سامح عبدالرحمن فهمي، «نقشان جديدان من مكة المكرمة مؤرخان بسنة ثمانين هجرية»، *المنهل*، العدد السنوي المتخصص (الأثر والآثار)، رمضان ـ شوال ١٤٠٧هـ ـ مايو ـ يونيه ١٩٨٧م، ص ص ٣٤٦ ـ ٣٦١.

(٨) *الأطلال*، المجلد الأول (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م)، ص ص ٧٣ ـ ٧٤، لوحة ٤٩.

(٩) Grohmann, A. *op. cit.*, p. 124, plate XXIII, Z 202 (194).

(١٠) *الأطلال*، المجلد الأول، لوحة (٥٠).

(١١) انظر حاشية (٦).

(١٢) انظر حاشية (٧).

(١٣) Hamed, Ali Ibrahim. "Introduction A l'Etude Archéologique des Deux Routes Syriènne et Egyptienne de Pelerinage Au Nord Ouest de l'Arabie Saoudite" Université de Provence Aix Marseille I, Avril, 1988, pp. 501-504, pl. 235.

٧ ـ نقش عفير بن المضارب، مؤرخ سنة ٨٣هـ، طريق الحج الشامي[١٤].
٨ ـ نقش مخلد بن أبي مخلد مولى علي بن أبي طالب، مؤرخ سنة ٩١هـ، طريق الحجّ الشامي[١٥].
٩ ـ نقش محمد بن يحيى بن أبي طفيل، مؤرخ سنة ١١٢هـ، غرب تبوك[١٦].
١٠ ـ نقش الحكم بن عمر بن فروه، مؤرخ سنة ١١٣هـ، منطقة جنوب الحجاز[١٧].
١١ ـ نقش حارث بن صاغر، مؤرخ سنة ١٢١هـ، منطقة الجوف[١٨].
١٢ ـ نقش سليمان بن أسعد، مؤرخ سنة ١٢٨هـ، خيبر[١٩].

ونودّ التأكيد أن النقوش التي استعرضناها لا تشكّل إلا نسبة ضئيلة من الأعداد الكبيرة من النقوش الإسلامية المؤرخة من الفترة الأموية والتي نجدها منقوشة على الواجهات الصخرية في مختلف مناطق المملكة وبالأخص في الحجاز وشمال غرب المملكة. والنقوش المعروفة ما زالت تنتظر خروجها للنور بواسطة المختصين والمؤسسات ذات العلاقة بتراث المملكة وحضارتها، ولا تدخل في موضوعنا هذا، النقوش الإسلامية مثل شواهد القبور والكتابة على العملات وخلاف ذلك.

ونأمل أيضًا أن تنال منطقة الحجاز الجنوبية ومنطقة عسير اهتمام الباحثين لإظهار ما فيهما من آثار إسلامية وفي مقدمتها النقوش والكتابات الإسلامية، لأنها خير شاهد على الازدهار الحضاري لهاتين المنطقتين في الجزيرة العربية.

---

(١٤) Hamed, Ali Ibrahim. *Ibid*, pp. 508-510, pl. 238.

(١٥) Hamed, Ali Ibrahim. *Ibid*, pp. 484-486, pls. 225-230.

(١٦) *الأطلال*، مجلد ٩ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، ص ١٤٣.
ويلاحظ ذكر بعض النقوش المؤرخة في العصر الأموي، ولكن نصوصها لم تُذكر وهي ثلاثة نقوش وتواريخها: ٤٠هـ، ٨٠هـ، ١٠٥هـ.

(١٧) وهو موضوع هذا البحث.

(١٨) Al-Muaikel, Khaleel Ibrahim. "A critical study of the archaeology of the Jauf Region of Saudi Arabia with Additional Material of its History and Early Arabic Epigraphy". Ph. D. pp. 155-157, pl. lxv.

(١٩) سعد بن عبدالعزيز الراشد، «الآثار الإسلامية في الجزيرة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين»، *مجلة العصور*، م٣، جـ٢، يوليو ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ، ص ص ١٩٩ ـ ٢٣٦، حاشية (٨٦)، ص٢١٧.



لوحة رقم (١) : صورة توضح النقش على صخرة كبيرة ملتحمة مع بناء يشبه السد.



لوحة رقم (٢) : صورة توضح أحد الأبراج الحجرية الذي يجاور النقش.

لوحة رقم (٣): صورة مفرغة للنقش ويبدو التاريخ واضحًا في السطر الأخير.

نقش تأسيسي من حارة الأغوات بالمدينة المنورة
مؤرخ في سنة ٧٠٦هـ ـ ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧م

الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي

تعود معرفتي بهذا النقش إلى سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، حينما ذهبت إلى المدينة المنورة في زيارة خاصّة، وفي أثناء مروري بحي الأغوات، بين المسجد النبوي الشريف ومقبرة البقيع، وقع بصري على هذا النقش الذي كان يعلو باب أحد الأبنية القديمة في هذا الحي المشهور بأبنيته الأثرية. وبعد قراءته فكرت في أي طريقة لتصويره، أو استنساخه على الورق الشفاف؛ ولكنني لم أتمكن من ذلك، لعدم اصطحابي آلة تصوير في تلك الزيارة، ولعدم حصولي على أي نوع من الورق الشفاف من محلات بيع الأدوات القرطاسية التي تكثر في الشوارع المجاورة، وازداد شوقي إلى توثيقه عندما علمت أن مشروع توسعة المسجد النبوي ستشمل الحارة بأكملها، وأن معاول الهدم ستطول هذا الأثر الجميل الذي أصبح هدمه ضرورة لإجراء هذه التوسعة.

وبعد أسبوعين من تلك الزيارة، عدت إلى المدينة المنورة، وبصحبتي ما أحتاجه من أدوات التصوير، وأخذ القياسات المطلوبة اللازمة لنشره؛ وكانت مناسبة صورت فيها معظم الأبنية الأثرية، والنقوش التأسيسية الموجودة في هذا الحي الذي طواه النسيان، وأصبح الآن جزءًا من المسجد النبوي الشريف في توسعته الحالية[1]. ثم صرفتني عن نشره طوال السنوات الثلاث الماضية مشاغل كثيرة؛ وعندما عزمت على ذلك في أول عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، وطفقت أجمع المصادر، والمراجع لهذا الغرض، وصل إلى يدي كتاب: *المدينة المنورة: تطورها العمراني وتراثها*

---

(١) ما زيد في مسجد النبي ﷺ، فهو منه، مهما بلغت هذه الزيادة، فقد قيل: إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما فرغ من الزيادة التي زادها في المسجد، قال: لو انتهى بناؤه إلى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ، وقيل: لو مدّ المسجد إلى ذي الحليفة أو إلى صنعاء لكان منه. انظر: ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود، *الدرة الثمينة في تاريخ المدينة*، حقق أصوله وعلّق عليه لجنة من كبار العلماء، ملحق بالجزء الثاني من كتاب *شفاء الغرام* للفاسي، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، بدون تاريخ، ص٣٧٠؛ المطري، جمال الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد، *التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة*، تحقيق محمد بن عبدالمحسن الخيال، نشر أسعد درابزوني الحسيني، المدينة المنورة، ١٣٧٢هـ، ص ص ٨٤ ـ ٨٥؛ المراغي؛ أبوبكر الحسين بن عمر المراغي، *تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة*، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعي، ط (١)، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، ص ٤٦.

المعماري، لمؤلفه الدكتور صالح لمعي مصطفى، أستاذ تاريخ العمارة بكلية الهندسية المعمارية، جامعة بيروت العربية[٢]، فوجدته خصّ المبنى الذي فيه هذا النقش، بحوالي أقل قليلاً من صفحة، تحت عنوان: «رباط ياقوت المارداني» دوّن في نهايتها قراءة للنقش المذكور[٣]، ولم يكن ما ذكره الدكتور لمعي في هذه الصفحة ليثنيني عن المضي في دراسة هذا الرباط بأكمله، لولا أنه أورد في بعض إحالاته في الهامش رقم «١٠»، صفحة «٣٠٩» ملاحظة يقول فيها: «توجد دراسة وافية للمؤلف عن المبنى في مجلة الاستشراق الألمانية Z.D.M.G. (تحت الطبع - ١٩٨١م)»، ولم يكن أمامي - بعد قراءة هذه الملاحظة - إلا صرف النظر عن دراسته.

غير أن هذه الدراسة التي أشار إليها الدكتور لمعي، ما لبثت أن وصلت إلى يديّ، فتفضل عليّ زميلي الدكتور وفيق محمد غنيم مشكورًا بترجمتها إلى اللغة العربية[*]، حيث جاءت هذه الترجمة في حوالي صفحتين فقط؛ وهي تقترب من حيث عدد الصفحات من النص الألماني، إذا استثنينا منه الإحالات، وصفحتين خصصتا للصور والرسوم التوضيحية[٤]، يضاف إلى ذلك أن ترجمة هذه الدراسة لا تضيف جديدًا، من الناحية التاريخية، إلى ما هو منشور في كتاب *المدينة المنورة*، حيث اقتصرت من الناحية المعمارية على دراسة البوابة والتقسيمات الداخلية للرباط، أما دراسة النقش، وأسلوب الخط، فلم تتعرض لهما ألبتة. ولاشك أن الدكتور لمعي، وهو من الأساتذة القلائل في العالم العربي الذين لهم باع طويل في علم العمارة، قد قدّم وصفًا جيدًا ومجملاً لهذه التقسيمات، ولكنه - على الرغم من الإمكانيات التي أتيحت له - لم يوضّح هذه التقسيمات، ولم يذكر عدد الوحدات الداخلية للرّباط، ولم يقم بعمل رسم توضيحي لهذا الغرض، كما فعل في رباط مظهر الأحمدي الواقع في الحارة نفسها[٥]. أما ما ذهب إليه الدكتور لمعي من فرضيات تتعلق بتاريخ التأسيس، وبعض الألقاب فإنها ستكون موضوعًا لبعض علامات الاستفهام التي ستطرحها هذه الدراسة.

---

(٢) بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨١م.

(٣) لمعي، المدينة المنورة، ص ٢١٧.

(*) وممن قدّم لي عونًا، مهما كان حجمه، إلى جانب الدكتور وفيق محمد غنيم، أستاذي الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وزملائي: الأستاذ الدكتور محمد عبدالستار عثمان، والدكتور علي إبراهيم غبان، والدكتور مرزوق بن تنباك، والدكتور عبدالعزيز حكيم، والمساح عطا عليوات، والرسام محمد علي مصطفى، والناسخ بمركز البحوث صلاح حسن محمد، فلهم مني جزيل الشكر.

(٤) انظر: Lamei, Saleh, "Die Eingangstuer des Ribāt des Yāqūt al-Māridāni in Medina," *S.D.M.G.*, Bd. 131, Heft 2, Kommus-sionsverlag, Franz Stemer GMBH, Wiesbaden, 1981, p. 338 ff.

(٥) عن هذا الرباط، انظر: لمعي، *المدينة المنورة*، ص ص ٢١٥ - ٢١٧؛ عمل الدكتور صالح لمعي مصطفى خبيرًا للتراث الحضاري بمشروع تخطيط المسجد الحرام، وأتيحت له الفرصة للمكوث فترة طويلة في المدينة، والاتصال بعدد من شخصياتها والمسئولين فيها الذين وضعوا بين يديه كثيراً من الإمكانيات التي ساعدته على عمله.
انظر: المرجع نفسه، ص ص ٧، ٨.

ولا يجد المرء بعد هذه المقدمة، حرجًا من المضي في تقديم دراسة بالعربية عن هذا النقش الذي لم يسبق له أن درس دراسة تبرز قيمته التاريخية والخطيّة، وكذلك استيفاء بعض الجوانب التي لم تستوف من قبل، مع الإشارة إلى جهود الدكتور صالح لمعي، ومن سبقه من الكتّاب الذين عرضوا بشكل أو بآخر لهذا النقش. ولا بأس من شمول هذه الدراسة على تعريفٍ بحارة الأغوات، ونسبتها، والزقاق الوحيد المنسوب إلى الأغوات أيضًا، وكذلك الرّباط الذي وجد هذا النقش فوق مدخله.

مصدر النقش (حارة الأغوات):

هذا النقش ـ كما أسلفنا ـ من المدينة المنورة، ومن أحد الأبنية القديمة بحارة الأغوات التي تُعدّ من أقدم الحارات في المدينة المنورة، وتقع إلى الشرق من المسجد النبوي الذي يُشكّل مع الساحة المواجهة للحارة، حدودها الغربية، وتنتهي من الشرق عند باب الجمعة، ويحدّها من الجنوب الموقع الذي كان يحتله سور المدينة، ومن الشمال البيوت الموازية لطريق البقيع، أو زقاق الأغوات في طرفه الشمالي[٦]، ويورد المرحوم عبدالقدوس الأنصاري هذه الحدود في كتابه «*آثار المدينة*»، الذي ظهرت أولى طباعاته في سنة ١٣٥٣هـ. أما قبيل هدم الحارة، ودخولها في التوسعة الجديدة للمسجد النبوي، فإنها كانت تطلّ من أغلب جهاتها على شوارع وساحات.

وتعتبر حارة الأغوات على جانب كبير من الأهمية التاريخية لدارسي خطط المدينة المنورة، لأن معظم أبنية هذه الحارة قامت على أرضيات كانت فيما مضى، تضم معظم بيوت الصحابة والتابعين الواقعة إلى الشرق من المسجد النبوي الشريف[٧]، وكان بها أيضًا معظم المدارس والأربطة التاريخية المشهورة بالمدينة المنورة[٨]، ولو أن غالبية الأبنية

---

(٦) الأنصاري، عبدالقدوس. *آثار المدينة المنورة*، ط (٣)، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٩٣هـ، ص ١٩٠، لم يكن تحديد هذه الحارة دقيقًا من الناحية الشمالية، لأن البيوت الواقعة إلى الشمال من زقاق البقيع بما فيها رباط مظفر، موضوع هذه الدراسة، داخلة في حارة الأغوات. وقد علمت من بعض ثقات أهل المدينة أن حارة الأغوات تمتد من الشمال إلى زقاق البدور، ومدرسة العلوم الشرعية، وبيت شيخ الحرم، وتصل من الجنوب إلى حارة ذَرْوَان.

(٧) عن هذه البيوت، انظر: ابن شبة، عمر بن زيد النميري، *تاريخ المدينة المنورة*، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جدة، دار الأصفهاني، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، جـ (١)، ص ص ٢٤٢، ٢٥٨ ـ ٢٥٩؛ السمهودي، علي بن أحمد؛ *وفاء الوفاء بأخبار المصطفى*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط (٣)، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، جـ (٢)، ص ص ٦٨٩ ـ ٦٩٤.

(٨) من هذه الأربطة على سبيل المثال: رباط السبيل، ورباط المغاربة، ومن أمثلة المدارس: المدرسة الشهابية، والمدرسة الباذكوجية أو الحنفية، انظر: المطري، *التعريف*، ص ٣٨ ـ ٤٠، السمهودي، *وفاء الوفاء*، جـ (٢)، ص ٦٨٩ والصفحات التي بعدها.

القائمة فيها قبل هدمها، ربما تعود إلى العصر العثماني باستثناء بناء واحد هو «رباط مظفر» الذي يعود إلى العصر المملوكي[٩].

وكانت أبنية حارة الأغوات تتكون من بيوت وأربطة، فالأولى كان يعتورها التجديد والبناء بحكم ملكيتها، والثانية اقتصر التصرف فيها على حالات استثنائية بسبب وقفيّتها على الفقراء والمساكين والأرامل، ومن ثم بقيت في مأمن من طوارىء الهدم والتجديد[١٠]. أما مادة البناء التي استخدمت في بيوت هذه الحارة، فكانت في الغالب من أحجار البازلت، أو ما يسميها علي بن موسى: «الحجر الأسود الحراوي» الذي استخدم على نطاق واسع في مباني المدينة المنورة[١١]، وهو من الأحجار المحلية المقطوعة من صخور الحرة القريبة، يضاف إلى ذلك استخدام اللبن والطوب الأحمر المدني، جنبًا إلى جنب مع الأحجار في مباني الأغوات، ولا سيما في الأدوار العليا؛ وأغلب بيوت هذه الحارة مسقوفة بخشب النخيل، وهي تتكون من طابقين، وأسقفها مسطحة، وأحسنها تطل حجراتها الداخلية على ساحات بها حدائق وآبار[١٢]، وقد كانت ـ ربما لقدمها ـ من أشهر حارات المدينة حتى «أنه جرى العرف في المدينة على أنه إذا ذكرت الحارة مجردة من وصف أو إضافة فإنما يعنى بها حارة الأغوات بشرقي المسجد خاصة دون غيرها من حارات المدينة»[١٣].

ومما يُلفت النّظر في حارة الأغوات تزاحم بيوتها وتلاصقها، وضيق طرقها التي كان يطلق عليها لضيقها أزقة، وقد لفت ضيق هذه الطرقات نظر الرحالة الإنجليزي «روتر» الذي يذكر أن طرق هذه الحارة ضيقة جدًّا لدرجة أنه لا يستطيع رجلان ماشيان أن يجتازا بعضهما دون أن يفسح أحدهما الطريق للآخر[١٤]. ويعتقد «روتر» أن هذا التزاحم والتلاصق ناتج عن غلاء الأرض القريبة من مسجد النبي ﷺ، التي كانت قيمة البوصة الواحدة منها لا تقدر بثمن، بسبب رغبة أهل المدينة في التبرك بالسكن قريبًا من مثوى النبي ﷺ، ولكن تبين له ـ بعد طرحه عدة

---

(٩) انظر: لمعي، *المدينة المنورة*، ص ١٧ ـ ١٨؛ يورد المرحوم عبدالقدوس رأيًا مخالفًا لما يذكره الدكتور لمعي عندما علّق على نقش رباط مظفر التأسيسي بقوله: «ومن هذه الكتابة فهمنا أن هذا الرباط من آثار القرن الثامن، كما استنتجنا أن ما شاكله في طراز البناء قرين له أو قريب منه»، والمرحوم الأنصاري من أهل المدينة، وصاحب الدار أعرف بما فيها، انظر: *آثار المدينة*، ص ١٩٠.

(١٠) الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ١٩١.

(١١) «وصف المدينة المنورة»، تحقيق ونشر: حمد الجاسر ضمن رسائل أخرى بعنوان: «رسائل في تاريخ المدينة المنورة»، ط (١)، الرياض، دار اليمامة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ص ص ٥٨، ٥٩، وفي أماكن أخرى متعددة.

(١٢) Burton, Richard F. Personal Narrative of Pilgrimage to al-Madinah and Meccah, New York, Dower edit., 1964, vol. 1, p. 392.

(١٣) الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ١٤٧، هامش (٢).

(١٤) Rutter, Eldon. The Holy Cities of Arabia, 1st. ed., London, The Westminster Press, 1928, vol. II, p. 214.

أسئلة - أن ذلك كان بهدف اتقاء رياح السموم التي تهب على المدينة المنورة، وأن تقارب البيوت وتزاحمها يخفف من هبوب هذه الرياح الشديدة الحرارة التي يلفح لهيبها أوجه أولئك الذين يسكنون في مساحات مفتوحة[١٥].

وقد عرف من هذه الأزقة زقاق رباط الشيخ مظهر، أو ما يُسمّى زقاق المواليد، وزقاق الصندل، وزقاق الشرك، وكلها غير نافذة[١٦]، على أن أهم هذه الأزقة وأقدمها، زقاق الأغوات أو زقاق البقيع كما يسميه السمهودي،[١٧] وهو طريق نافذ يخترق الحارة من جزئها الشمالي، ويبدأ من الساحة الشرقية للمسجد الحرام، في مقابل باب جبريل، وينتهي في درب باب الجمعة الذي يفصل مقبرة البقيع عن حارة الأغوات[١٨]، ويُسمّى هذا الشارع طريق البقيع، أو زقاق البقيع[١٩]، ولعل هذه التسمية هي التسمية القديمة، وأن تسميته بزقاق الأغوات حديثة نسبيًا، لأن ابن زَبَالة الذي ألّف كتابه في سنة ١٩٩هـ/٨١٤ - ٨١٥م، يُطلق عليه زقاق البقيع، فيما ينقله عنه المطري[٢٠]، وكذلك يورده ابن شبّة (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م) الذي يذكر أن أبابكر - رضي الله عنه - «اتخذ دارًا إلى زقاق البقيع، قبالة دار عثمان - رضي الله عنه - الصغرى»[٢١]، وهكذا يتّضح أن تسمية هذا الطريق بزقاق البقيع هي التسمية القديمة، وأنها تتجاوز في قدمها تاريخ استعمال الأغوات في خدمة المسجد النبوي الذي لم يتم - على أرجح الأقوال - إلا في القرن السادس الهجري - الثاني عشر للميلاد، أي بعد ابن زبالة بحوالي أربعة قرون[٢٢].

وممن يذكر هذا الزقاق من معاصري المطري السابق الذكر ابن فرحون (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) الذي أشار إليه في أكثر من موقع، ولكنه لم يضفه إلى البقيع، ولا إلى الأغوات، وإنما اكتفى بذكره عرضًا في حوادث متفرقة على

---

(١٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٦) علي بن موسى، *وصف المدينة المنورة*، ص ٤٦، ٤٧، ٥٣؛ لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٢١٥.

(١٧) *وفاء الوفاء*، جـ (٢)، ص ٧٣٧.

(١٨) انظر: شكل رقم (١)، وعن بداية هذا الطريق انظر: محمد باشا صادق، *دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج*، بولاق، المطبعة الأميرية، ١٣١٣هـ، ص ١١٤ (انظر الخريطة).

(١٩) ابن شبّة، *تاريخ المدينة*، جـ (١)، ص ٢٤٢، المراغي، *تحقيق النصرة*، ص ٧٧، الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ١٩٠.

(٢٠) المطري، *التعريف*، ص ٣٩.
أول من دون تاريخًا منفصلًا للمدينة هو عبدالعزيز بن عمران الزهري المدني (ت ١٩٧هـ - ٨١٢ - ٨١٣م)، انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، *المغانم المطابة في معالم طابة*، تحقيق: حمد الجاسر، ط(١)، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص (و) من المقدمة.

(٢١) *تاريخ المدينة المنورة*، جـ (١)، ص ٢٤٢.

(٢٢) إبراهيم رفعت باشا، *مرآة الحرمين*، دون تاريخ، جـ (١) ص ٤٥٩؛ ويرجح بعض أهالي المدينة أن تسمية هذا الطريق بزقاق الأغوات لم تظهر إلا في العصر العثماني، وأظن أنها تسمية شعبية بدليل أن التسمية الرسمية، وهي: «طريق البقيع» تظهر حتى اليوم في بعض المراجع الحديثة، انظر: الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ١٩٠، لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٢٧، (انظر الخريطة).

أنه معرفة[٢٣]؛ وكان عرض هذا الطريق قبل سنة ١٩٩هـ/٨١٤م، سبعة أذرع[٢٤]، وهو كذلك في زمن المطري، أي في القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي[٢٥]. أما ابن شبّة، ومن بعده السمهودي، فيذكران أن عرض هذا الشارع هو خمسة أذرع[٢٦]، وقد لقي هذا القياس قبولاً عند الدكتور لمعي الذي ينقل عن السمهودي، ويتفق مع ظاهر ما ينقله عنه بقوله: «وهو ما زال بنفس القياس حاليًّا»[٢٧]؛ ولكننا نجد في قياس عرضه بسبعة أذرع شيئًا من الصحة، ولا يتعارض مع ما قيل بأن عرضه خمسة أذرع، إذا أخذنا في الاعتبار معدّل العرض غير المنتظم لهذا الطريق؛ فهو يضيق في مكان ويتسع في أمكنة أخرى، فإذا قبلنا القياس الذي يذكره السمهودي، ويوافق عليه الدكتور لمعي، فإنه ينطبق فقط على الجزء المواجه لرباط مظفر الذي هو موضوع هذه الدراسة. ولعل هذا المكان هو أضيق منطقة في زقاق الأغوات، كما يتضح من القياسات التي أجريتها في رحلتي الميدانية السابقة الذكر، وعرض هذه الجهة ٢,٥م، أما عند بداية هذا الطريق في الجهة التي تُفضي إلى الساحة الواقعة إلى الشرق من المسجد النبوي فإن عرضه حوالي ٣,٥م وقياس العرض عند نهايته في الجهة المتعامدة على شارع باب الجمعة حوالي أربعة أمتار، وبحساب معدّل عرض زقاق الأغوات أو زقاق البقيع يتضح أنه في حدود حوالي ثلاثة أمتار ونصف المتر[٢٨]، وهو قياس يتفق تقريبًا مع ما يذكره ابن زبالة ثم المطري والمراغي من أن عرض زقاق البقيع سبعة أذرع، ولعل هذا الخلاف راجع إلى أن هؤلاء المؤرخين كانوا يكتفون فقط بأخذ القياس الواقع بين الدور التي يتحدثون عنها مثل ذلك الذي بين دار أبي بكر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ وبين دار عثمان ودار ريطة بنت أبي العباس[٢٩]، أو أن بعضهم يكتفي بأخذ القياس المواجه للدار التي يسكنها من هذا الطريق، وهي في الغالب رباط من الأربطة المنتشرة على جانبيه[٣٠].

---

(٢٣) *نصيحة المشاور وتسلية المجاور*، مخطوط، مكتبة الحرم المكي، رقم (٥)، تراجم ـ دهلوي، ورقة ٥٦أ، ٩٢أ.

(٢٤) انظر: المطري، *التعريف*، ص٤٠، نقلا عن ابن زبالة.

(٢٥) *التعريف*، ص ٤٠.

(٢٦) *تاريخ المدينة*، جـ (١)، ص ٢٥٩؛ *وفاء الوفاء*، جـ (٢)، ص ٧٣٢.

(٢٧) لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٣١٠، ولم يقبل السمهودي بكون هذا الشارع خمسة أذرع كما فهم الدكتور لمعي، وإنما أورد رواية ابن شبة وهي خمسة أذرع، ورواية ابن زبالة والمطري وهي سبعة أذرع، ثم قبل رواية ابن زبالة، وطبقها على واقع هذا الشارع في عصره، أي أن السمهودي يرى أن عرض هذا الشارع سبعة أذرع، ونصّ السمهودي هو: «ثم الطريق بين دار ريطة وبين دار عثمان ـ يعني العظمى ـ خمسة أذرع، قال ابن زبالة وابن شبه، ونقل المطري عن ابن زبالة أن الطريق بينهما سبعة أذرع، والذي ذكره ابن زبالة ما قدمناه، وهي اليوم نحو ذلك».

(٢٨) انظر: الشكل رقم (١، ٢)، وطول الشارع ـ على حدّ قول السمهودي ـ من باب الجمعة، في الشرق إلى عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل في الغرب، أربعمائة ذراع وثلاثون ذراعًا، انظر: *وفاء الوفاء*، جـ (٢)، ص٧٧٠. والذراع على ما يورده الدكتور لمعي يساوي ٤٩,٨ سم، انظر: *المدينة المنورة*، ص٢٥٤، هامش (٤٩).

(٢٩) انظر: ابن شبة، *تاريخ المدينة*، جـ (١)، ص ٢٤٢، ٢٥٩.

(٣٠) لمعرفة من سكن الأربطة من العلماء والمجاورين، انظر: ابن فرحون، *نصيحة المشاور*، ورقة ٢٤ ب، والصفحات التي بعدها في أماكن متفرقة.

أما نسبة هذه الحارة أو الزّقاق إلى الأغوات فلا نعرف متى ظهرت على وجه التحقيق؛ وإن كانت هناك بعض الإشارات التي تُرجع بداية ترتيب الأغوات لخدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة إلى أول عهد نور الدين زنكي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م) الذي عين اثني عشر منهم، وشرط عليهم حفظهم لكتاب الله تعالى، وربع العبادات، وأن يكونوا حبوشًا، فإن لم يوجد فأروامًا، فإن لم يوجد فتكاررة، فإن لم يوجد فهنودًا[٣١]؛ وقيل: إن أول من رتبهم السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، حيث عيّن منهم أربعة وعشرين شخصًا، وجعل عليهم شيخًا يُقال له: بدرالدين الأسدي[٣٢]، وقيل: إن نورالدين عين اثني عشر منهم، وزادهم صلاح الدين اثني عشر آخرين، ومن ثم أخذت الملوك والسلاطين تزيد في عددهم حتى وصل في بعض الأزمان إلى أكثر من مائة شخص، ولهم أوقاف مخصوصة، ومرتبات سنوية، ودور خاصة بالمدينة يسكنون بها[٣٣]؛ ومنذئذ سكنوا هذه الحارة التي أصبحت تنسب إليهم، بحيث تزايد عدد بيوتهم حتى وصلت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر للميلاد أربعين بيتًا[٣٤]؛ وأصبحوا يتولّون أرقى الوظائف في المسجد النبوي الشريف بما في ذلك مشيخة الخدام بالحرم المدني[٣٥]. وأخذ عددهم أيضًا في التزايد حتى تجاوزوا العشرات إلى المئات، وأضحوا يُشكّلون جزءًا من المجتمع المدني، ويلعبون فيه دورًا كبيرًا في الحرب والسلم[٣٦].

رباط مظفر:

عُمِلَ هذا النقش موضوع الدراسة، ليكون حجرًا تأسيسيًّا لرباط مظفر الذي عُثر عليه فوق بوابته. وهذا الرباط يعرف بين أهالي المدينة المنورة باسم رباط مظفّر، وهو مشهور بينهم بهذا الاسم فقط، وليس باسم «رباط ياقوت المارداني» كما يورده الدكتور صالح لمعي مصطفى في كتابه ومقالته[٣٧]؛ والدكتور لمعي، على أية حال، محق في هذه التسمية، لأنه لم يأت بها من فراغ، وإنما اقتبسها من الاسم الأول واللقب الأخير للشخص الذي أوقف هذا الرباط، وهو ياقوت المنصوري المارداني[٣٨]؛ غير أننا نفضل في هذا البحث استخدام الاسم الشائع والشهير

---

(٣١) إبراهيم رفعت، *مرآة الحرمين*، جـ(١)، ص ٤٥٩.

(٣٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣٣) البتنوني، محمد لبيب، *الرحلة الحجازية*، ط(٣)، الطائف: مكتبة المعارف، دون تاريخ، ص ٢٤٢.

(٣٤) علي بن موسى، *وصف المدينة المنورة*، ص ٧١.

(٣٥) انظر: ابن فرحون، *نصيحة المشاور*، ورقة ١٥أ ـ ٢٠أ.

Burchardt, John Lewis. *Travels in Arabia*, Beirut, Librairie Du Liban 1972, pp. 343-344.

(٣٦) انظر: عبدالسلام هاشم حافظ، *المدينة المنورة في التاريخ*، ط (٣)، نادي المدينة المنورة الأدبي، دمشق ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م. ص ١٤٦.

Burchardt, Travels. pp. 344-345.

(٣٧) انظر: لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٢١٧.

Die Eingangstuer Ribāt des Yāqūt al-Māridānī, p. 338.

(٣٨) انظر: الشكلان رقم (٧)، ورقم (٨).

بين أهالي المدينة أي «رباط مظفر»، وهذه التسمية لها دلالتها أيضًا في النقش، إذ أنها جاءت من النسبة «المظفري» التي تسبق في سياق الاسم الكامل للمُوقِف، كلمة «المارداني».

أما كونه رباطًا فإن كلمة الرباط تعني في الأصل مكان مرابطة الجنود، والربط نوع من التحصينات الحربية، يؤهل فيها المرابطون عسكريًّا ودينيًّا للدفاع عن الثغور الإسلامية[39]؛ وكانت بداية نشأتها ـ على ما يعتقد ـ في بلاد المغرب الإسلامي، لصد محاولات الغزو البحري من أوروبا، واشتهر منها في تونس رباط المنستير، ورباط سوسة في أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجريين ـ آخر الثامن وأوائل التاسع للميلاد، ومنها جاء اسم الرباط، عاصمة المملكة المغربية[40]. ثم أصبح مفهوم الرباط يطلق اصطلاحًا على المنازل التي تُوقف لسكن قدماء المحاربين، والفقراء من الصوفية، رجالاً ونساء، مثل الخانقاوات، والزوايا، والتكايا، ونحو ذلك[41]؛ وقد انتشرت الأربطة، بمفهومها الاصطلاحي في جميع أرجاء العالم الإسلامي، وتسابق الموسرون على بنائها، والصّرف عليها بسخاء، وألحق ببعضها مدارس على مذهب معين، أو حتى على المذاهب الأربعة معًا[42].

وكان نصيب مدينتي الحجاز المقدستين، مكة والمدينة، كبيرًا من بناء الأربطة ونحوها؛ ففي مكة المكرمة كان عدد الأربطة القائمة في عهد تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) أكثر من خمسين رباطًا[43]، وكان بالمدينة

(٣٩) انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، بدون تاريخ، جـ (١)، ص ١١٠٨، الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ٤١، أنور الرفاعي، *تاريخ الفن*، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨، لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٢١٧؛ ولعلّ كلمة الرباط جاءت من قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلكم تفلحون﴾، وقوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل. . .﴾، الآيتان: رقم (٢٠٠) سورة آل عمران، ورقم (٦٠) سورة الأنفال.

(٤٠) الأنصاري، *آثار المدينة*، ص ٤١، أنور الرفاعي، *تاريخ الفن عند العرب المسلمين*، ط (٣)، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ص ص ١٠٧ ـ ١٠٨؛ لمعي، *المدينة المنورة*، ص٢١٧.

(٤١) محمد عبدالستار عثمان، *نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية*، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أسيوط، ١٩٨٠م، ص ص ١٤٩ ـ ١٥٢؛ إبراهيم بن محمد الفائز، *البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة*، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م، ص١٠٩، ويذكر أقطاي أصلان أن القرخانيين والغزنويين والسلاجقة العظام أطلقوا اسم الأربطة على الخانات (خانات الطرق)، ثم أطلق أتراك الأناضول عليها فيا بعد اسم (خان السلطان)، وأهملوا مسمى الرباط، انظر: *فنون الترك*، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول، ١٩٨٧م، ص١٠٠.

(٤٢) من أمثلة المدارس الموقوفة على المذاهب الأربعة: المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة، ومدرسة غياث الدين ملك بنجالة بمكة المكرمة، انظر: المراغي، *تحقيق النصرة*، ص٤٢، الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط (١)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، جـ(١)، ص٥٢٤.

(٤٣) الفاسي، *شفاء الغرام*، جـ(١)، ص ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

عدد كبير منها في عصر الفاسي، بثت أسماؤها في المصادر التي اهتمت بتاريخ المدينة دون أن تورد حصرًا شاملاً للأربطة والمنشآت الأخرى بمدينة الرسول ﷺ، كما فعل مؤرّخ مكة[٤٤]، ويغلب على الظنّ أن الأربطة بالمدينة المنورة في تلك الفترة كانت غير قليلة، بدليل أن عددها في عهد السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) بلغ حوالي أربعين رباطًا[٤٥]، ثم تضاعف هذا العدد ليصل في مطلع القرن الماضي إلى مائة وثمانية من الأربطة[٤٦].

أما متى بدأ بناء هذه الأربطة في الحجاز؟ فهذا ما لا نعرفه على وجه التحقيق، وإن كان رباط السدرة، بالجانب الشرقي من المسجد الحرام بمكة المكرمة، أقدم رباط في الحجاز، وصل إلى علم الباحثين؛ حيث يذكر الفاسي أنه كان موقوفًا في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩ ـ ١٠١٠م[٤٧]، وموضع هذا الرباط دار القوارير التي بنيت في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ/٨٠٩م)[٤٨]، أما في المدينة فلم نعثر على تاريخ دقيق لأقدم أربطتها، وما وصل إلينا عن الأربطة فيها، لا يتجاوز فقط ذكر بعض أسماء مؤسسيها، ويتضح من تاريخ وفيات هؤلاء المؤسسين أن أقدمها ربما كان الرباط المنسوب إلى وزير بني زنكي، جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني المعروف بالجواد، المتوفى سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، وقد أنشأه في حياته، وأوقفه على فقراء العجم، وجعل فيه مشهدًا، فلما تُوفي حملوه إلى المدينة، وفيه دفن[٤٩]. ثم توالى إنشاء الأربطة بالمدينة المنورة، وتعددت أسماؤها والفئات الموقوفة عليهم، حتى وصلت في مطلع القرن الماضي إلى العدد المشار إليه سابقًا. غير أن جميع هذه الأربطة اندثرت وامّحت قبل أن تصل إلينا، وذلك باستثناء رباط مظهر الأحمدي، وهو حديث التأسيس نسبيًّا، وبني في أواخر العصر العثماني سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م[٥٠]. ثم رباط مظفر، موضوع هذه الدراسة، وهو أقدم رباط في العصر المملوكي، وبقي قائمًا بالمدينة المنورة حتى وقت قريب، مما يؤكد أهميته التاريخية.

---

(٤٤) انظر: المطري، *التعريف*، ص ص ٣٨ ـ ٤٠، المراغي، *تحقيق النصرة*، ص ٤٤، ص ص ٧٦ ـ ٧٨، السمهودي، *وفاء الوفاء*، جـ(٢)، ص ٦٨٩، والصفحات التي بعدها في أماكن متفرقة.

(٤٥) شمس الدين، *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*، تحقيق محمد حامد الفقي، عني بطبعه ونشره أسعد طرابزوني الحسيني، القاهرة مطبعة دار نشر الثقافة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، جـ(١)، ص٦.

(٤٦) إبراهيم رفعت، *مرآة الحرمين*، جـ(١)، ص ٤١٤.

(٤٧) *شفاء الغرام*، جـ(١)، ص ٥٢٧.

(٤٨) الأزرقي، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تحقيق رشدي ملحس، ط(٣)، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، جـ(١)، ص١١٣، الفاسي، *شفاء الغرام*، ص ٥٢٧.

(٤٩) المطري، *التعريف*، ص ٣٨. يذكر سليمان مالكي أن رباط عثمان بن عفان رضي الله عنه أو رباط المغاربة أسسه مجموعة من التجار المغاربة في سنة ٤٢٣هـ. وكان مصدره *تحقيق النصرة*، للمراغي، ص ١٧٦، وقد رجعت للمراغي، وما وصل إلى يدي من مصادر المدينة، فلم أعثر على هذه المعلومة. انظر، *بلاد الحجاز*، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٥٠) لمعي، *المدينة المنورة*، ص ص ٢١٥ ـ ٢١٧.

ومما يبعث على الدهشة أن المصادر التي اهتمت بتاريخ المدينة، وذكر خططها، ودورها لم تشر إلى هذا الرباط، ولا إلى مؤسسه بأي حال من الأحوال، هذا على الرغم من معاصرة بعض مؤلفيها أمثال المطري، وابن فرحون، والمراغي لتأريخ تأسيسه، أو على الأقل قربهم من فترة التأسيس تلك، ولا غرو فإن الأهمية التاريخية التي يحتفظ بها الآن، على اعتبار أنه أقدم أثر في المدينة المنورة يصل إلينا بحالته الراهنة، ربما لم تكن كذلك في عصر هؤلاء، بسبب عدم أهمية مؤسسه، أو أهمية الفئات التي أوقف عليها وسكنته؛ لأن نصّ الوقفية لم يختص بأهل مذهب معين مثل: المالكية أو الحنفية، أو بجنس محدّد مثل: المغاربة أو العجم، ونحو ذلك، حتى يقع في بؤرة اهتمام مؤرخي أهل تلك المذاهب أو الأجناس الذين أفردوا مؤلفات عديدة لأهل مذاهبهم وبني جنسهم، وإنما كان لعامة الفقراء، والمساكين الغرباء، يضاف إلى ذلك احتمال عدم أهمية الدار التي قام على عرصتها، لأن معظم الأربطة التي ذكرت في هذه المصادر أقيمت على أرضيات كانت فيما مضى دورًا لأصحاب رسول الله ﷺ، مثل دار عثمان التي أصبحت فيما بعد رباط المغاربة، ودار خالد بن الوليد التي أقيم مكانها رباط السبيل المعروف برباط الرجال[٥١].

وصف الرباط

يقع رباط مظفر من حارة الأغوات على الحافة الشمالية من الزقاق المنسوب إلى البقيع أو إلى الأغوات أيضًا، وهو يطلّ على هذا الزقاق بواجهة جنوبية، ربما كانت المنفذ الوحيد لساكني هذا الرباط. ويبلغ طول المبنى على هذه الواجهة حوالي سبعة أمتار، يتوسطها تقريبًا باب صغير طمَّ الشارع جزءًا كبيرًا منه، والباقي مسدود بالطوب، مما يعني أن الرباط هجر من وقت غير قصير؛ أما من الجانبين والخلف، فهو محاط بالمباني، وإن كان يوجد منفذ من الشمال يطل على ساحة خلفية بها كومة قمامة كبيرة، ولا أدري أهي مؤخرة الرباط أم لا؟ لأن هذه المؤخرة ليس بها باب، ولا يوجد منفذ آخر من الجانبين حتى تكون تابعة لمبنى آخر، مما يعني أن رباط مظفر يمتد إلى الداخل بطول أكثر بكثير من طول الواجهة المطلة على الشارع، وقد استغل هذا المكان لرمي القمامة بحيث كونت كومة كبيرة يغطي ارتفاعها حوالي نصف الجدار الخلفي الذي يبدو أنه كان على عكس الواجهة، مبنيًا بالآجر أو الطوب الأحمر فقط، إلا أن يكون الجزء المبني بالحجر الحراوي قد اختفى تحت أكوام هذه القمامة[٥٢].

ولما كانت الواجهة الجنوبية لرباط مظفر، الواجهة الوحيدة الشاخصة والواضحة في أثناء رحلتي الميدانية فإن جميع الوصف الذي نقدّمه لهذا المبنى يعتمد فقط على مشاهدة هذه الواجهة؛ حيث يتضح منها أن المبنى يتكوّن من دورين فقط، وسترة يبلغ ارتفاعها حوالي نصف دور، ولعلها كانت تشكل حِجْرًا يعلو فتحتي الميزابين الوحيدين من

---

(٥١) المراغي، *تحقيق النصرة*، ص ٧٨، انظر هامش رقم (١)، السخاوي، *التحفة اللطيفة*، ص ٦٥، السمهودي، *وفاء الوفاء*، جـ(٢)، ص ٦٩٣، مالكي، *بلاد الحجاز*، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦، ١٥٨.

(٥٢) انظر: الشكل رقم (٣، ٤).

تلك الجهة، ويحيط بالسطح الذي ربما كان يستخدم للنوم من قبل الساكنين في الليالي غير الباردة[٥٣]. والرباط مبني، من أسفل بالحجر البازلت المجلوب من الحرة القريبة، على نحو لم يتجاوز عتبة الباب إلا قليلاً. أما من أعلى فإنه مبني بالطوب الأحمر المحلي، وتتخلل هذه الواجهات خمس فتحات: إحداها صغيرة في الدور الأرضي، وقد سدّت حديثًا بالطوب المصنوع من الأسمنت، وتعلوها نافذتان متوسطتا الحجم يعتقد أنهما تطلان من الدور الثاني، ويلي النافذتين من أعلى فتحتان صغيرتان هما فتحتا الميزابين الوحيدين اللذين أشرنا إليهما سابقًا، والمبنى من هذه الواجهة جيد نسبيًّا باستثناء طرفه الأيمن الذي سقط جزء من أعلاه[٥٤].

أما فتحة الباب، أو المدخل فليست في وسط هذه الواجهة تمامًا، وإنما تميل قليلاً إلى اليمين، وهي صغيرة نسبيًّا بحيث لا يزيد عرضها على ٨٠ سم، أما طول هذه الفتحة فإن زيادة ارتفاع منسوب الشارع بمرور الزمن قلل من طولها بحيث لم تبق منه إلا مسافة تُقدّر بحوالي ١٠٣ سم[٥٥]، وقد بنيت عضادتا هذا المدخل بالحجر المحلي أيضًا؛ وهاتان العضادتان تنتهيان من أعلى ببروز بنائي زخرفي على هيئة مسند «كابولي» حجري يأخذ شكلاً نصف مستدير، ويشبه من حيث العنصر الزخرفي المعماري ذلك الذي يجري استخدامه في أسفل أعتاب الأبواب، ويعرف في المصطلح المعماري باسم «رقبة معتدلة»[٥٦]، ولكنه هنا برز بروزًا واضحًا، وبحجم كبير نسبيًّا. ثم يلي ذلك من أعلى عتب حجري، ويعلوه مباشرة الحجر الذي نقش عليه نصّ الوقف[٥٧]. ومن الملاحظ أن هذا الحجر ينحرف عن المحور الرأسي لفتحة الباب، جهة يمين الداخل، مما يوحي بأن تعديلاً معماريًّا حدث في هذه الجهة، ونتج عنه تعديل في موضع الحجر، حيث يفترض أن يكون حجر نص الوقف على المحور الرأسي تمامًا. ويؤطر هذا الحجر بناء من الآجر. ويلاحظ أيضًا أن الجانب الأيمن من الواجهة، يرتفع بمداميكه الحجرية عن الجانب الأيسر لفتحة الباب، بمدماكين حجريين اثنين[٥٨].

---

(٥٣) حجر (جمع حجار)، وحجاب، وحجي: بناء غير مسقوف يتخذ على ظهر البيت ويحيط بسطحه ليمنع من ينام بداخله في الليل من السقوط. وهو مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ، : «من نام على ظهر بيت ليس عليه حجار فقد برئت منه الذمة»، ويروى: حجاب بالباء، وحجى بالألف المقصورة، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، جـ (١)، ص ٥٧٢.

(٥٤) انظر: الشكل رقم (٥).

(٥٥) لم يقتصر الانخفاض في أبواب المنازل عن مناسيب الشوارع الواقعة عليها على رباط مظفر فقط، بل كان سمةً مميزة لمعظم البيوت القديمة في حي الأغوات والأحياء القديمة الأخرى بالمدينة المنورة، انظر: عبدالقدوس الأنصاري، *بين التاريخ والآثار*، ط(٢)، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٦، ١٦٨، هامش رقم (١).

(٥٦) اصطلح البناؤون على تسمية هذا النوع من الزخرفة «بالرقبة المعتدلة» إذا كان بروزه نصف المستدير إلى الخارج، لمشابهته للرقبة التي يبرز منها غضروف الحنجرة، وفي حالات أخرى تكون الاستدارة غائرة إلى الداخل، فتسمى «رقبة مقلوبة». وهو مألوف في العمارة المملوكية، وغيرها.

(٥٧) انظر: الشكل رقم (٦، ٧).

(٥٨) انظر: الشكل رقم (٣، ٥).

أما التقسيمات الداخلية للرباط فيؤسفني أنني لم أتمكن من رؤيتها، لأن فتحة الباب كانت مسدودة خلال رحلتي الميدانية، ولا أعرف متى سُدّت، وإن كان هناك من أهل المدينة من يعتقد أنها سُدّت قبل عشر سنوات، غير أنه من الواضح أن الدكتور لمعي تمكن من الدخول إلى الرباط، ورأى تفصيلاته الداخلية، حيث يذكر «أنه كان يحتوي على ساحة ضيقة في الوسط، تتخللها بعض الأعمدة، ويصلها بفتحة الباب ممر مظلم، وتؤدي هذه الساحة إلى الخلوات التي كان يسكنها الفقراء والمساكين، وهذه الخلوات أو الغرف مبنية من حجر البازلت الذي تتكون منه أيضًا أسقف الغرف التي جاءت على شكل أقبية، والتي تستمد الإضاءة والتهوية من الساحة الداخلية عبر فتحات ضيقة. وكان هذا المبنى يحتوي على دورة مياه، ومطبخ وبيت الدرج، ولا تزال بعض هذه الغرف، وبيت الدرج ماثلة في الوقت الحاضر»[٥٩].

ويتضح من هذا النصّ عدم الدّقة في الوصف، وعدم ذكر عدد الغرف، وأماكنها ومساحاتها، وما إذا كانت مطلية باللون الأبيض أم لا! ولا نشكك مطلقًا في رؤية الدكتور لمعي لهذا الرباط من الداخل، ولكن يبدو أن المبنى كان في حالة سيئة، وغير آمن، بحيث لم يستطع تقديم وصف على النحو الذي فعله في المنشآت الأخرى بالمدينة المنورة، ولم يستطع أيضًا القيام بعمل رسم معماري من الداخل لهذا الرباط المهم، كما فعل في رسم تفاصيل فتحة الباب الخارجية، ورسم مساقط أفقية لمبان أخرى في المدينة، تقلّ عنه في الأهمية التاريخية[٦٠].

القراءة والوصف

لعلّ أول من قرأ هذا النصّ ـ على حدّ علمي ـ إبراهيم رفعت الذي كان أميرًا على الحج المصري، وزار المدينة المنورة أربع مرات بين عامي ١٣١٨ ـ ١٨٢٥هـ/١٩٠١ ـ ١٩٠٨م، وقرأه أيضًا المرحوم عبدالقدوس الأنصاري، ثم الدكتور صالح لمعي مصطفى، واكتفى هؤلاء جميعًا بقراءة النصّ دون دراسته والتعليق عليه[٦١]، ولم يقرأه أو حتى لم يشر إليه، أي من الرحالة الغربيين الذين زاروا المدينة المنورة، ووصلت أعمالهم إلى يدي من أمثال: ريتشارد بيرتون R. Burton ، وإلدوف روتر E. Rutter ، وجون لويس بوركاروت J.L Burchardt. أما نوع الحجر الذي نُقش عليه النصّ فيذكر المرحوم الأنصاري أنه حجر مسن[٦٢]، ويذكر الدكتور لمعي أنه لوح من

(٥٩) Lami. "Die Engangstuer des Ribāt des Yāqūt", p. 339.

(٦٠) انظر: لمعي، *المدينة المنورة*، ص ٢١٦، رقم (١٦٦)، والصفحات والأشكال التي بعدها في أماكن متفرقة. Die Engangstuer des Ribāt des Yāqūt, p. 340. انظر الشكل رقم (٦).

(٦١) انظر: *مرآة الحرمين*، جـ (١)، ص ٤١٠، *آثار المدينة*، ص ١٩٠، *المدينة المنورة*، ص٢١٧. زاد إبراهيم رفعت «واوًا» قبل كلمة الماردانى في السطر الثاني، حيث جاءت قراءته لهذا السطر على النحو الآتي: الفقير ياقوت المظفري المنصوري والمارداني.

(٦٢) *آثار المدينة*، ص ١٩٠.

الرخام[٦٣]، وهذا القول الأخير هو الأرجح، لأن المسن يتخذ من الحجر الرملي، وهذا من الرخام المنقوش دون شك[٦٤]، وهو غير منتظم الشكل، ويبلغ معدّل الطول ٤٧ سم، ومعدّل الارتفاع ٣٥ سم تقريبًا، ويتكون من خمسة أسطر، بخط الثلث الغائر، يقرأ محتواها على النحو الآتي:

١ ـ وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد
٢ ـ الفقير ياقوت المظفري المنصوري المارداني على
٣ ـ الفقرا(ء) والمساكين الغربا(ء) من الرجال خاصة دون
٤ ـ النسا(ء) تقبل الله منه وأثابه الجنة برحمته وكرمه بتاريخ
٥ ـ سنة ست وسبعمائة.

القيمة التاريخية

يُعدّ هذا النقش على جانب كبير من الأهمية من حيث قيمته التاريخية، لأنه يؤرخ لتأسيس أقدم رباط كان حتى عهد قريب قائمًا ومعروفًا بالمدينة المنورة، ويمثل في الوقت نفسه دليلاً آخر على حجة الوقفية، ووصف الفئات الذين أوقف عليهم، وهو مؤرخ في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦ ـ ١٣٠٧م، في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤١م) في أثناء ولايته السلطنة للمرة الثانية من سنة ٦٩٨ ـ ٧٠٨هـ/١٢٩٨ ـ ١٣٠٩م[٦٥]، وكذلك في عهد الحاكم المحلي للمدينة المنورة الأمير منصور بن جماز الحسيني الذي تولى إمارة المدينة بعد أن تنازل له والده جماز عن الحكم في حوالي سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠ ـ ١٣٠١م، واستمر في حكمه غير المستقر للمدينة حتى وفاته سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م[٦٦].

أما مؤسس الرباط، ياقوت المظفري المنصوري المارداني فلم نعثر ـ مع شديد الأسف ـ على أي ترجمة لحياته في المصادر التي تناولت تاريخ المدينة في هذه الفترة، بما في ذلك نصيحة المشاور لابن فرحون الذي عني بتراجم شيوخ الحرم وخدامه والمجاورين والعلماء... إلخ؛ ولكن يبدو أن ابن فرحون لم يترجم إلا للمشاهير من هؤلاء، وخاصة بني جنسه وأهل مذهبه من المغاربة، ومن هم أقل شهرة لم يضمنهم كتابه، واكتفى بقوله: «وأعلم أنه كان قبل

---

(٦٣) *المدينة المنورة*، ص ٢١٧.

(٦٤) اعتمدت في هذا الترجيح على ما تفضّل به عليّ زميلي الأستاذ الدكتور علي بن عبدالله الفريح، أستاذ الجيولوجيا بجامعة الملك سعود، من شرح لنوع الحجر الذي يتخذ منه المسن، فله الشكر.

(٦٥) أبو الفدا، الملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل، *المختصر في أخبار البشر*، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، جـ(٤)، ص ص ٤٠، ٥٥، ١٣٤؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(١)، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م، جـ(٢)، ١١٢.

(٦٦) ابن فرحون، *نصيحة المشاور*، ورقة ١٠٤أ، ١٠٦أ، السخاوي، *التحفة اللطيفة*، جـ(١)، ص ٩٤.

هؤلاء، ومعهم وبعدهم جماعة كثيرون يفوقون على المائة لو عددتهم، كلهم متصفون بالخير الكثير، والدين المتين، والأوقاف من الدور والنخيل، وعتق الأرقاء من الخدام الذين كثير منهم اليوم في الحرم الشريف، والعبيد والإماء. . . ولو تتبعتهم، وذكرت صفاتهم، وما علمت من أحوالهم لطال الكلام واتسع المجال»[٦٧]؛ ولم يصل إلي يدي أيضًا كتاب آخر معاصر لتأسيس هذا الرباط، لعفيف الدين عبدالله بن محمد بن أحمد المطري (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣ - ١٣٦٤م) يسمى: «*الإعلام بمن دخل المدينة من الأعلام*»، وهو كما يتّضح من عنوانه يبحث في تراجم الوافدين إلى المدينة المنورة. ويغلب علي الظن أنه الآن في حكم المفقود[٦٨]، أما كتاب السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، «*التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*»، وهو أيضًا في التراجم، فإنه ينتهي عند حرف الميم[٦٩]، ولم يقتصر بحثي في الحصول على ترجمة لياقوت المارداني على الكتب التي اهتمت بأعيان المدينة، وإنما تعدى ذلك إلى استعراض معظم كتب التراجم والأنساب الميسورة، فلم يكن لهذه الشخصية نصيب من الذكر فيها.

ولا يقلل عدم وجود ترجمة لياقوت من القيمة التاريخية التي يحملها هذا النقش، وذلك لما فيه من ألقاب لها دلالات تؤكد قيمته التاريخية، ولعلها بالتالي تعين على تحديد هوية مؤسس هذا الرباط، والأصول البعيدة له، ومن هذه الدلالات: انتساب ياقوت على التوالي إلى شخصين أحدهما: يلقب بالمظفر، والآخر يحمل لقب المنصور. ويعتقد أنهما من سلاطين المماليك، وأن ياقوت كان من مماليكهما، وأنه انتقل بطريقة أو بأخرى من ملكية أحدهما إلى الآخر، فالأول: من المحتمل أنه الملك المظفر سيف الدين قطز الذي هزم التتار في معركة عين جالوت الشهيرة في رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وقتل بعدها بشهر واحد، وهو في طريق عودته إلى مصر[٧٠]، والثاني ربما كان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الذي تولى السلطنة بمصر والشام والحجاز في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وتوفي في سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م[٧١]. وكان المنصور قد جمع خلقًا كثيرًا من المماليك بلغ عددهم اثني عشر ألفًا، «وصار منهم الأمراء الكبار، والنواب، ومنهم من تسلطن من بعده»[٧٢]. ولم يقتصر هذا العدد الكبير الذي جمعه المنصور على

---

(٦٧) «نصيحة المشاور»، ورقة ٢٤أ.

(٦٨) الفيروزآبادي، *المغانم المطابة*، صفحة (و، ط)، من المقدمة للشيخ حمد الجاسر.

(٦٩) انظر: جـ(٣)، ص ٧٢٣.

(٧٠) المطري، *التعريف*، ص ٣٢، ابن شاكر، محمد الكتبي، *فوات الوفيات والذيل عليها*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م، جـ(٣)، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٧١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، *كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، جـ(١)، ص ص ٦٦٣، ٧٥٤ - ٧٥٥، السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ(٢)، ص ص ١٠٦ - ١١١.

(٧٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دون تاريخ، جـ(٧)، ص٣٢٧.

جنس معين، بل كان يتوخى النجابة في مماليكه كائنًا من كان[٧٣]، وقد انتسب جميع هؤلاء المماليك، الذين أصبح كثير منهم أحرارًا، إلى الملك المنصور نفسه، بحيث نرى هذه النسبة تلحق كثيرًا أسماء المشاهير منهم الذين وصلت إلينا سيرة حياتهم[٧٤]، كما أن المنصور قلاوون نفسه ينسب إلى سيده، فيقال له: الصالحي النجمي، نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وإلى ثمنه، فيقال له: الألفي، نسبة إلى أنه اشترى بمبلغ ألف دينار[٧٥]. وللسلطان قلاوون من الإصلاحات في المدينة المنورة بناء قبة من الخشب المسمر بألواح الرصاص على الحجرة الشريفة سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ولم تكن عليها قبة قبل ذلك، وأنشأ ميضأة بالقرب من المسجد النبوي في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م[٧٦].

أما المارداني فيظن أنها نسبة إلى ماردين، المعروفة بآسيا الصغرى، ولو أن القياس في النسبة إلى ماردين هو «ماrديني»، وما نذهب إليه هنا يُخالف القياس دون شكّ؛ ولكن يبدو أن الوجهين جائزان في النسبة إلى هذا الموقع، بدليل أن الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) يورد نسبة الأمير علاء الدين، نائب السلطنة المملوكية بدمشق، على أنها «المارداني»، مرة و«الماrديني» مرة أخرى، وهما نسبتان لشخص واحد هو علاء الدين المذكور[٧٧]، ولحقت النسبة إلى ماردين على الوجهين بأسماء عدد من مشاهير المماليك في مصر والشام[٧٨].

وتجرنا هذه النسبة «المارداني» إلى طرح احتمال آخر، وهو انتساب ياقوت، مؤسس هذا الرباط، إلى حاكم ماردين قرا آرسلان المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ثم إلى ابنه المنصور غازي الثاني المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، فربما كان ياقوت في بادىء الأمر، من مماليك المظفر، ثم تحول بعد وفاة الأخير إلى ملك ابنه المنصور غازي بن قرا آرسلان، وحمل هذا اللقب أيضًا تمييزًا له عن مماليك ابنه الآخر شمس الدين بن قرا آرسلان المتوفى سنة

(٧٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٧٤) ابن تغري بردي، *المصدر نفسه*، جـ(٩)، ص ص ٢٢٥، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٧، ٣١٢، ٣١٧، ٣٢٤، جـ(١٠)، ص ٢٣٧، ٢٤٤، وفي أماكن متفرقة، السيوطي، *حسن المحاضرة*، جـ(٢)، ص١١٢.

(٧٥) الكتبي، *فوات الوفيات*، جـ(٣)، ص ٢٠٣، المقريزي، *السلوك*، جـ(١)، ص ٦٦٣.

(٧٦) المطري، *التعريف*، ص ٤٠، السمهودي، *وفاء الوفاء*، جـ(١)، ص ٧٠٤، العباسي، *عمدة الأخبار*، ص ص ١٠١-١٠٢.

(٧٧) *العبر في خبر من غبر*، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، جـ(٤)، ص ص ١٦١، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٤، ١٩٠.

(٧٨) انظر: ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ٩، ص ١٢١، جـ١٠، ص ص ١٠٥، ٢٣٠، ٢٣١، جـ١١، ص ص ١١٦، ١٢٩، ١٣٠، وفي أماكن متفرقة. ولم يعثر على ما يفيد بوجه الاحتمال الآخر من النسبة إلى ماردين في كتاب الأنساب للإمام أبي سعيد السمعاني، لوجود بياض في الأصول نبه إليه المحقق، انظر: الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، جـ(٥)، ص ١٦٢ (في الهامش).

٦٩١هـ/١٢٩٢م[٧٩]، أما إذا افترضنا أن ياقوت كان واحدًا من ذلك العدد الهائل من مماليك المنصور قلاوون وإليه ينتسب وأنه انضم إليهم فعلاً من بلده الأصلي ماردين بعد أن أصبح رجلاً، فربما كان ياقوت أيضًا من مماليك المظفر قرا آرسلان، صاحب ماردين، واحتفظ بنسبته إليه، ثم وصل إلى المنصور قلاوون بالبيع أو بالإهداء، ونسب إليه أيضًا. ويؤيد هذا الاحتمال الأخير وجود أصل لمهاداة الأرقاء بين سلاطين المماليك وحكام ماردين، ومن ذلك على سبيل المثال: استهداء الملك الناصر محمد بن قلاوون لعلي بن عبدالله المارديني (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) من صاحب ماردين، وشراؤه أيضًا ألطنبغا المارداني الساقي (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)، وهو صغير فأصبح أثيراً عنده، وزوّجه ابنته، وتقلد أعلى المناصب في السلطنة المملوكية[٨٠].

أما ما ذهب إليه الدكتور لمعي من نسبة ياقوت إلى ألطنبغا المارداني، أو أن ياقوت هذا هو افتخار الدين ياقوت الرسولي الطواشي الخزندار الذي كان شيخ الخدم بالمسجد النبوي، وتوفي في سنة ٨٧١هـ/ ١٣٨٠م، وافتراضه حدوث خطأ في تاريخ النقش، وأن صحّته ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩هـ، بدلاً من ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧م[٨١]، فهذا ما لا يعتقد بصحته؛ لأن كتابة النقش واضحة تمامًا، ولا تقبل الاجتهاد بأي حال من الأحوال، ولأن ياقوت الخزندار ربما كان أصله من مماليك بني رسول باليمن، على حين أن ياقوت هذا ينسب ـ كما تقدّم ـ إلى ماردين، ولعله كان من المماليك الترك أو الروم الذين كانوا يشكّلون أكثر العناصر المجلوبة إلى مصر[٨٢]، ومنهم ألطنبغا المذكور الذي يُعتقد أن صلته بياقوت لا تتعدى كونهما جلبا من ماردين في زمن المنصور قلاوون، وهذا ما يتصل بياقوت، وفي زمن الملك الناصر، محمد بن قلاوون، فيما يتصل بألطنبغا المارداني الذي عرف أيضًا «بالناصري» نسبة إلى مولاه الملك الناصر المذكور[٨٣]، هذا إلى أن ألطنبغا المارداني كان صغيراً عندما جلب في زمن الملك الناصر ابن السلطان قلاوون، السابق الذكر، وربما كان كذلك عند بناء هذا الرباط في سنة ٧٠٦هـ ـ ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧م، مما ينفي نسبته إلى ألطنبغا من أساسها.

---

(٧٩) زامباور، *معجم الأنساب والأسرات الحاكمة*، ترجمة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، القاهرة، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥٢م، ص٣٤٥، يذكر أبو الفداء عماد الدين، صاحب حلب، أن المظفر قرا آرسلان بن غازي بن أرتق ملك في سنة ٦٥٣هـ، وتوفي ظنًا، في سنة ٦٩١هـ وابنه المنصور غازي توفي في سنة ٦٩٣هـ، ولم يمكث في الحكم إلا مدة يسيرة، انظر: *المختصر*، جـ(٣)، ص١٦٧.

(٨٠) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، دون تاريخ، جـ(١)، ص ٤٣٧، جـ(٣)، ص ١٤٩.

(٨١) انظر: "Die Eingangstuer des Ripāṭ des Yāqūt al-Maridānī, p. 341.

(٨٢) انظر: ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ٩، ص ١٦٦، عن ياقوت الخزندار، انظر: ابن فرحون، *نصيحة المشاور*، ورقة ١٩ب، ٢٠أ، المقريزي، *السلوك*، جـ(٣)، ص ٣٧٦.

(٨٣) ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ١٠، ص ١٠٥.

ومن الألقاب التي وردت في هذا النقش، لقبان آخران يسبقان اسم ياقوت هما: العبد، والفقير، وهما من ألقاب التواضع والتّذلل، ويكثر ورودهما في المراسلات، وعلى النصوص الكتابية في عصر المماليك وقبله(٨٤).

ومن المؤكد أن ياقوت لم يكن عند بناء هذا الرباط عبدًا، ولا فقيراً، وأن تلقبه بهذين اللقبين لا يخرج عن سياق تعريفهما السابق، وهو التواضع والتذلّل(٨٥).

الخصائص الفنية:

نقش هذا النصّ على قطعة واحدة من الحجر الرخام، على هيئة لوحة تأسيسية كتلك التي يكثر وجودها وانتشارها على الآثار الإسلامية، جنبًا إلى جنب مع الأسلوب الآخر المتمثل في تسجيل النصوص الكتابية الممتدة على هيئة أشرطة محفورة على الحجر(٨٦)، ويبدو أن لمضمون النصّ، وطبيعة البناء، أثر واضح في تفضيل نقشه على قطعة واحدة من الحجر تثبت على واجهة المبنى، لتعطي انطباعًا سريعًا عن تاريخ الوقف، وطبيعة الفئة الموقوف عليها، وتأتي أفضلية هذا النوع من النصوص الوقفية، في الأساس، من رغبة الواقفين في تسجيلها على آثارهم لتكون شاهدًا ماديًا محسوسًا على ما أوقفوه، ويدعم من ناحية أخرى، ماورد في حجج الأوقاف الخاصة بهذا النوع من الآثار الإسلامية الموقوفة، ويؤيد هذا الاعتقاد تسجيل شرط الوقفية، والاهتمام بإثباته في النص، وهو أن هذا الرباط أوقف على «الرجال خاصّة دون النساء»(٨٧)، ومن المحتمل أن ذلك مرتبط بظاهرة انتشار الأربطة الخاصة

---

(٨٤) حسن الباشا، *الألقاب الإسلامية*، القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ص ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣، ٤٢٢.

(٨٥) معروف شرعًا أن العبد الذي لا يملك حرية نفسه لا يستطيع أن يوقف شيئًا، لأنه هو وما ملكت يداه لسيده، وكذلك الفقير الذي لا يملك ما يسدّ به حاجته كيف يستطيع بناء رباط مثل هذا؟

(٨٦) جرت العادة أن تنقش النصوص التأسيسية على هيئة لوحات تأسيسية، كما هو الحال في هذا الرباط، أو على هيئة أشرطة ممتدة على جدران المنشآت كجامع أحمد بن طولون الذي جمع بين اللوحة التأسيسية والأشرطة الكتابية، وقد شاع استخدام اللوحات التأسيسية والأشرطة الكتابية على المنشآت الإسلامية في مصر والحجاز، ولمزيد من الأمثلة انظر: أحمد فكري، *مساجد القاهرة ومدارسها*، مصر، دار المعارف، ١٩٦١م، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٤؛ محمد عبدالعزيز مرزوق، *مساجد القاهرة في عصر المماليك*، القاهرة، ١٩٤٢م، ص ص ٣٩ ـ ٤٠؛ حسن عبدالوهاب، «خانقاه فرج بن برقوق وما حولها من الآثار»، *دراسات في الآثار الاسلامية*، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، ١٩٥٩م، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ محمد عبدالستار عثمان، «الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة»، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص ٧٥ ـ ٨١؛ محمد أنور شكري، *لوحان أثريان*، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، ص ص ٢٦ ـ ٢٧؛ وانظر أيضًا: حسن عبدالوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية*، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٦م، ص ص ٣٨ ـ ٤١، ٤٤.

(٨٧) انظر: الشكلان رقم (٧)، ورقم (٨).

بالنساء في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي[٨٨]، غير أن شرط الوقفية المتعلق بهذا الرباط بالذات لم يكن على ما هو عليه قبل تسع سنوات من الآن، حيث يذكر الدكتور صالح لمعي أن بعض النسوة الفقيرات كنّ يقطنه في أثناء زيارته الميدانية للمدينة[٨٩]، ولا تعرف على وجه التحقيق الأسباب الرامية إلى تحوله من سكن للرجال الفقراء إلى سكن للنسوة الفقيرات، ولا متى بدأ ذلك؟ ومن المحتمل أن ذلك حدث في زمن متأخر جدًّا، وذلك عندما انعدمت منفعته بوصفه سكنًا للرجال، وذلك بسبب توافر المجمعات السكنية المريحة لطلاب العلم في الجامعة الإسلامية وغيرها، وتحسن الأوضاع المالية لزوار المدينة الذين أصبحوا قادرين على السكن في الفنادق والشقق المنتشرة في مدينة الرسول ﷺ، فربما تحول الانتفاع به إلى النساء الفقيرات اللائي ربما كن من أولئك المقطوعات اللاتي لا عائل لهن[٩٠].

أما الخصائص الفنية لهذا النص فتتمثل في كونه نقش بالخط الثلث المملوكي الذي شاع استخدامه في النصوص الكتابية على الآثار المملوكية، والذي عادة ما يسميه رجال الآثار والفنون «النسخ المملوكي»[٩١]، وقد استخدم هذا النوع من الخط على الآثار الإسلامية ابتداء من القرن السابع الهجري «الثالث عشر الميلادي»، ويمثل هذا النص الذي بين أيدينا نموذجًا جيدًا ومتطورًا لهذا الخط، إذا ما قورن بأمثلة أخرى شوهدت على الآثار الأيوبية والمملوكية المبكرة، وتعود إلى القرن المشار إليه[٩٢]، ويلاحظ هذا التطور في طريقة رسم الحروف القائمة، كحرفي الألف واللام وما في حكمهما، وما يميز معظم رؤوسها من «ترويس»، هذا بالإضافة إلى استطالتها ودقّة أطرافها السفلى، ونحولتها مما أكسب هذه الحروف رشاقة واضحة.

---

(٨٨) انتشر في هذه الفترة إنشاء الأربطة المخصصة للنساء في مصر والحجاز، وربما كان التأكيد في نصّ التأسيس على تخصيص هذا الرباط للرجال دون النساء من القرائن التي تُشير إلى شيوع أربطة النساء بالمدينة المنورة في ذلك الوقت، انظر: الفاسي، *شفاء الغرام*، جـ(١)، ص ص ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٧؛ المقريزي، أحمد بن علي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٧٠، جـ(٢)، ص ٤٢٧، السمهودي، *وفاء الوفاء*، جـ(٢)، ص٦٩٢ والصفحات التي بعدها في أماكن متفرقة، محمد عبدالستار عثمان؛ «نظرية الوظيفة بالعمارة الدينية المملوكية بالقاهرة»، ص ١٥٦.

(٨٩) *آثار المدينة المنورة*، ٢١٧.

(٩٠) ومن المحتمل أن يكون الموقفِ قد نصّ على سكنه من قبل النساء في حجة الوقفية المنسوخة على الورق، إذا لم يتوافر الرجال لسكناه.

(٩١) انظر: Wiet, Gaston. *Catalogue Gènèral Du Musèe De L'Art Islamique du Caire, Inscriptions Historiques Super Piere, Le Caire*, Imprimerie De L'Institut Français D'Archeologie Orientale, 1971, pp. 71-72.

(٩٢) انظر: *المصدر نفسه*، رقم ١١٨، وتاريخ ٥٧٥هـ / ١١٨٠م، ورقم ٥٨٣، تاريخ ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، ورقم ١٦٤٩٥، تاريخ ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م. وانظر أيضًا للمؤلف نفسه، الجزء السادس من المجموعة نفسها، رقم ١٢٥٥، تاريخ ٥٩٧هـ / ١٢٥١م، ورقم ٤٣٩٤، تاريخ ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م، ورقم ٢٧٢١ ـ ١٤٤، تاريخ ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م، وأخيراً رقم ٧١١٦، تاريخ ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م.

وقد نقش النص في أربعة سطور متساوية متنظمة، يليها سطر خامس لا يبدأ من بدايات السطور الأربعة الأولى، ولا ينتهي بنهاياتها، وربما كان لمساحة سطح الحجر المنقوش عليه هذا النص أثر في تنظيم سطوره الخمسة، وكذلك في صغر حجم السطر الخامس نسبيًا، إذا ما قورنت من حيث الحجم مع السطور الأربعة الأولى، ويمتد هذا الأثر ليشمل ظاهرة التركيب، أي نقش بعض الكلمات والحروف بعضها فوق بعضها الآخر، ومن أمثلة ذلك: كلمة تعالى (سطر ١) التي أركبت حروفها الثلاثة الأولى فوق كلمة الله، وكلمة ياقوت (سطر ٢) التي جاءت تاؤها راكبة على حرفي القاف والواو، وينطبق مثل ذلك في السطر نفسه، على كلمة المظفري وفيها أركبت الياء على حروف الظاء والفاء والراء، وكلمة المنصوري التي أركبت راؤها على النون والصاد، وأركبت ياؤها ركوبًا ثلاثيًا يعلو الراء والحروف التي تحته، وكلمة المارداني التي جاء حرف الدال فيها راكبًا فوق حرف الراء، وفي السطر الثالث أركبت كلمة من على كلمتي الغرباء والرجال، وكلمة دون فوق كلمة خاصة، وتلاحظ ظاهرة الركوب أيضًا في السطر الرابع الذي جاءت فيه كلمة منه راكبة فوق كلمة الله، وكلمة برحمته راكبة فوق كلمة الجنة، والأحرف الثلاثة الأخيرة من كلمة تاريخ أركبت على كلمة كَرَمِهِ، ويغلب على الظن أن شيوع التركيب أو الركوب في هذا النقش سببه ضيق المساحة، ورغبة النقّاش في تضمين هذه المساحة جميع كلمات النص التي غالبًا ما تكون قد أعدت سلفًا[٩٣]، ولعلّ لضيق المساحة أيضًا أثرًا في رسم بعض الحروف مثل حروف السين التي خلت من التسنين في كلمتي المساكين (سطر ٣) والنساء (سطر ٤)[٩٤]، ويمتد هذا الأثر أيضًا ليشمل إهمال الإعجام في بعض الكلمات، وإثباته في كلمات أخرى متى ما توافرت المساحة، ولعل غياب الإعجام في هذا النقش يعود إلى تداخل بعض الحروف، وإركاب بعضها فوق بعضها الآخر، بسبب ضيق المساحة ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقًا ـ ومن أمثلة الكلمات التي لم يستوف إعجام حروفها:

* حرف الباء في كلمة الرباط، (السطر الأول).
* حروف الياء والقاف في كلمة ياقوت، والظاء والفاء والياء في كلمة المظفري، والياء في كلمة المنصوري، (السطر الثاني).
* الغين والباء في كلمة غرباء، والنون في كلمة من، والجيم في كلمة الرجال، والتاء المربوطة في كلمة خاصّة، (السطر الثالث).
* الثاء والباء في كلمة أثابه، والتاءالمربوطة في كلمة الجنة، (السطر الرابع).
* التاء المربوطة في كلمتي سنة وسبعمائة، (السطر الخامس).

---

(٩٣) لمعرفة طريقة إعداد الحجر للكتابة والأدوات المستخدمة، انظر: إبراهيم جمعة، *دراسة في تطور الكتابة الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة*، القاهرة، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ص ٨٥. Grohmann, A. Expedition philby - Rychmans - Lippens En Arabie, Leuven, Institut Orientaliste, 1962, Tom I, p. 20.

(٩٤) يرسم حرف السين في كثير من النصوص المعاصرة بهذه الهيئة، أي خال من التسنين، ولا يكون ذلك بأثر المساحة (انظر الأمثلة في هامش ٩٢ أعلاه، وهامش ٩٩ أدناه)، ولكن لجوء النقاش إلى هذا الأسلوب والالتزام به يحملنا إلى ترجيح أثر المساحة عليه.

ولعل أثر ضيق المساحة يتضح أيضًا في وضع بعض نقط الحروف في أمكنة تبعد قليلاً عن الحروف الخاصة بها، مثل وضع نقطة الذال في كلمة هذا (سطر ١)، والنون في كلمات المارداني (سطر ٢) والمساكين، ودون (سطر ٣). وربما للسبب نفسه أركبت بعض نقط الحروف المثناة بعضها فوق بعضها الآخر، مثل نقطتي التاء في كلمات تقبـل، وبرحمته، و بتاريخ (سطر ٤)، وفي هذه الكلمة الأخيرة أيضًا جاءت نقطتا الياء راكبتين تعلو إحداهما الأخرى، وفي مكان يبعد عن الياء، ويقترب من الراء المجاورة (سطر ٤)، ومع ذلك فإن النقاش حرص على وضع التنقيط كلما وجد فراغًا في النص، حتى ولو لم تكن هذه النقط من أصل الحروف المعجمة مثل: وضعه ثلاث نقاط تحت كلمة المساكين (سطر ٣)، وثلاث نقاط أخرى متوازية تحت كلمة النساء في السطر الأخير، ونقطة واحدة يتيمة تحت حرف السين من كلمة سنة في السطر نفسه، ولعل السبب في وضع هذه النقاط، إلى جانب سد الفراغ، المحافظة على التوازن فيما يكتب؛ إذ إن هذه النقاط تأتي متوازية تمامًا مع نهايات الحروف النازلة عن خط استواء الكتابة[٩٥]. وتتضح المحافظة على التوازن في هذا النص، فقد برع النقاش في الالتزام بها، حتى أن المرء قلما يجد حرفًا يتجاوز الحروف الأخرى في جميع كلمات النص، سواء من الحروف القائمة أو المستلقية.

ومن منطلق المحافظة على التوازن وسدّ الفراغ استخدم النقاش بعض علامات الإعراب (التشكيل)، جنبًا إلى جنب مع بعض العلامات المتبعة عادة في زخرفة الخط الثلث لسد المساحات الخالية بين الحروف، وإضفاء روح زخرفية جميلة، ولو بسيطة، على النصّ[٩٦]، ونجد تناثر الأمثلة على هذا النوع من الزخرفة البسيطة فوق كلمات هذا النص، وتحتها، وبين أسطره، وتتضح تمامًا في الأسطر الأربعة الأولى، ولا تخفى على من يتبعها[٩٧].

أما الهمزة المُفردة، التي يفترض أن تثبت في نهاية كلمتي الفقراء والغرباء (سطر ٣) والنسـاء (سطر ٤)، فقد أغفلت في هذا النص، ولا غرو فإن الهمزة لم تكن شائعة الكتابة في النصوص التي وصلت إلينا من العصر المملوكي، الأمر الذي يدعونا إلى الاقتناع بأن ذلك لن يقلل من جودة خط هذا النص، وإتقان إملائه[٩٨]. ويمكن مقارنة هذه

(٩٥) خط استواء الكتابة هو مستوى التسطيح العام الذي تعلو بعض الحروف فوقه، ويهبط بعضها أسفله، انظر: إبراهيم جمعة، *دراسة في تطور الكتابات الكوفية*، ص ١٠٤.

(٩٦) بعض هذه الزخارف على هيئة براعم صغيرة، بشحمة واحدة، أو ثنائية الشحمات وبعضها رؤوس ألفات صغيرة، منتصبة، أو مائلة أو منضجعة وأوضحها ما كان على كلمة العبد (سطر ١)، وكلمة النساء (سطر ٤)، انظر الشكل (٧).

(٩٧) انظر: الشكل رقم (٨).

(٩٨) الهمزة ـ مفردة أو فوق الحروف ـ معروفة منذ عصر الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ ـ ٧٨٦م)، ولكنها غير شائعة الكتابة في النقوش الخطية على الأحجار في هذا العصر وقبله، أما في المخطوطات والوثائق فإنها تكتب أحيانًا وأحيانًا أخرى تهمل، ولا سيما الهمزة المنفردة التي تأتي في نهاية الكلمة بعد حرف مد بالألف كما هو الحال في هذا النقش، ولمزيد من الأمثلة على إثبات هذه الهمزة أو عدمـه، انـظر: المؤلف مجهـول، وحـدة الخط العـربي، الـرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص ص ٥٩، ٦٩، ٧١ والصفحات التي بعدها في أماكن متفرقة.

اللوحة التأسيسية بأمثلة أخرى متنوعة من العصر المملوكي، بعضها يسبقها في التاريخ، وبعضها يأتي بعدها، ومثل ذلك ينطبق على أسلوب الخطّ، والتفاوت في درجة التشابه من حيث الجودة والإتقان(٩٩).

والخلاصة، أن هذه اللوحة التأسيسية تضيف إلى أهميتها التاريخية، أهمية أخرى، هي قيمتها الخطية المتمثلة في نقل صورة عن أسلوب الخط المملوكي في إحدى مدن الحجاز العريقة التي كانت في ذلك الوقت خاضعة إلى حدٍّ ما، لسلطان المماليك. ولكونها من المدينة المنورة فإنها الدليل الوحيد - على حدّ علمي - الذي وصل إلينا من مدينة الرسول ﷺ، من هذه الفترة، ونأمل أن تكون في المستقبل أساسًا للمقارنة عند دراسة أي أدلة خطية تكتشف في المدينة المنورة، وتماثلها من حيث تاريخ صنعها، وأسلوب خطّها، وحتى أغراضها، ودواعي استخدامها.

---

(٩٩) للمقارنة، انظر:

Wiet, Gaston. *Catalogue Gènèral Du Musèe De L'Art Islamique Du Caire, Inscriptions Historiques Super Piere,* No. 14480 (610/213), No. 15670 (677/1278), No. 4151 (706/1306), No. 3789 (709/1306-7), No. 4598 (752/1351).

الحرف	البداية	الوسط	النهاية	ملاحظـــــــات
أ	أ	ا (مشبوك)	ا ا (منفرد ومشبوك)	يروّس الألـف هنا في بدايـة الكلمـات وفي أواخـرها وأواسطها إذا كان منفردًا وغير مشبوك، ويفطح رأسها بميل من اليمين إلى اليسار إذا كانت مشبوكة سواء في وسط الكلمة أو في نهايتها.
ب	بـ بـ	ـبـ ـبـ	–	ترسم الباء المبتدئة على وجهين: بطرف مقوس إلى الداخل، أو بطرف قائم وله ترويسة وفي الوسط عادية أو مقوسة.
ت	تـ	ـتـ	ـت ـت ـه	التاء المبتدئة مخروطية الشكل، طرفها العلوي مفطح ويميل من اليمين إلى اليسار، والوسطى عادية، ورسمت النهائية إما مفصولة مقوسة تميل نحو اليسار، وإما متصلة عادية معجمة، أو مربوطة تشبه الهاء في خطّ الثلث، ولكنها غير معجمة.
ث	ٮـ	–	–	وردت مرة واحدة في بداية وسط الكلمة وهي غير مميزة وخالية من الإعجام.
ج	جـ	ـجـ		مبتدئة غير معجمة، ووسطى معجمة.
ح	حـ			مبتدئة عادية.
خ	خـ		ـخ	مبتدئة ونهائية معجمة، وجميع هذه الأحرف الثلاثة متشابهة إلى حدٍّ ما، وهي عادية ومألوفة، وغير مميزة.
د	د	ـد	ـد	المنفردة مخروطية الشكل، ويميل قائمها من اليمين إلى اليسار، وتتفق الموصولة النهائية مع سابقتيها في التفطيح وميلان قائمها من اليمين إلى اليسار.

الحرف	البداية	الوسط	النهاية	ملاحظـــــــات
د			ـد	نهائية غير معجمة، وأكثر انقعارًا من أختها، وسابقتها الدال.
و		ـو	ـو	مفصولة أو موصولة، متشابهة إلى حدٍّ ما.
س	سـ	ـسـ		السين، مبتدئة أو وسطى، خالية من التسنين بصفة عامة، ويلاحظ قصر امتدادها في الوضع المتوسط، وطولها نسبيًّا في الوضع المبتدىء، وغلاظتها في الحالة الأولى، ونحولها أو دقتها في الحالة الثانية.
ص	صـ	ـصـ	—	رسمت على هيئة واحدة متماثلة.
ط			ط (منفردة)	قائم الطاء مروس، كما هو الحال في رؤوس الألفات واللامات وما في حكمها.
ظ		ـطـ		رسمت بالأسلوب نفسه الذي رسمت به الطاء بالرغم من أنها في الوسط، وهي ـ على أية حال ـ خالية من الإعجام.
ع	عـ	ـعـ		المبتدئة فكّها الأسفل مرتفع قليلاً عن خطّ استواء الكتابة، والوسطى كتبت على نحو متشابه في جميع الكلمات.
غ		ـعـ		الغين الوسطى رسمت على هيئة سابقتها، وهي أيضًا غير معجمة.
ف		ـفـ	ـف	معجمتان والتركيز فيهما على عقدة الفاء.
ق	قـ وـ	ـقـ		رسمت على هيئة واحدة، وأعجمت المبتدئة منها في مكان، ولم تعجم في مكان آخر، وعقدتها في الحالتين أكبر من عقدة الفاء.

الحرف	البداية	الوسط	النهاية	ملاحظـــــــات
ك				الأولى والثانية، إلى حدٍّ ما متشابهتان، وتختلف النهائية عنهما من حيث امتداد طرفها النهائي، لا سيما أنها كتبت مستقلّة غير متّصلة.
ل				كتبت رأس اللام الأولى والوسطى، مرّة مروّسة وهو الغالب، ومرّة مقصوصة من الطرف العلوي، وتميل من اليمين إلى اليسار، وهي سمة تميز كثيرًا من الحروف التي ربما كان ذلك بتأثير المادة التي تكتب بها أرضية الحجر قبل حفره باستخدام الأزميل، وكتبت اللام النهائية برأس مقصوص، ومائل إلى اليسار، وبنهاية مقعرة، وغير متناسبة مع الارتفاع الكبير لقائم اللام النهائية.
م				رسمت الميم على ثلاثة أشكال: مستديرة العقدة ومرتفعة عن مستوى السطر في الميم المبتدئة، وفي الوسطى مستديرة ورأسها إلى أسفل في الغالب، أو مطموسة كما في كلمة سبعمائة بسبب ظروف كتابة نصّ السطر الخامس.
ن				المبتدئة عادية مفطّحة، والوسطى تُشبه الباء والتاء المتصلتين، والنهائية مرفّلة وتشبه حرف الراء في هذا النصّ، وهي معجمة في كل الحالات.
هـ				اتبع في رسم الهاء النهائية أسلوبان: الأول وهو الشائع، والثاني جاء مختلفًا ربما بسبب مساحة كلمة وجه، وتقاطع الهاء النهائية مع حرف الألف في كلمة الله.

الحرف	البداية	الوسط	النهاية	ملاحظـــــــات
و	و و	ـو	–	رسمت ذيل الواو المنفردة بشكلين مختلفين اختلافًا يسيرًا؛ أحدهما قصير وغليظ، والثاني ممتد ورشيق، وتتشابه الواو الوسطى، وتقترب عقدتها في الشكل من عقدة القاف.
ي	ى	يـ ـيـ	ى ي ى	تشبه المبتدئة والمتوسطة الموصولة حرفي الباء والتاء، ورسمت الياء النهائية على ثلاثة أشكال، الأول والثاني متشابهان في الرسم، والثالث جاءت الياء النهائية فيه راجعة كما في كلمتي المظفري والمنصوري، وهي غير معجمة على عكس ياء المارداني التي جاءت معجمة، وإعجام الياء النهائية غير شائع في مصر، على حين أن كتابتها بالإعجام شائعة وتقليدية في بلاد الشام حتى وقتنا الحاضر، الأمر الذي يدعو إلى طرح احتمال أن يكون النَّقَّاشُ محليًّا، ومتأثرًا بالمدرسة الشامية في الخط، مع العلم أن الأصل في الحروف عدم الإعجام.





زقاق الأغوات
طريق البقيع
حارة الأغوات
مقبرة البقيع

شكل «١» حارة الأغوات شرق المسجد النبوي الشريف.



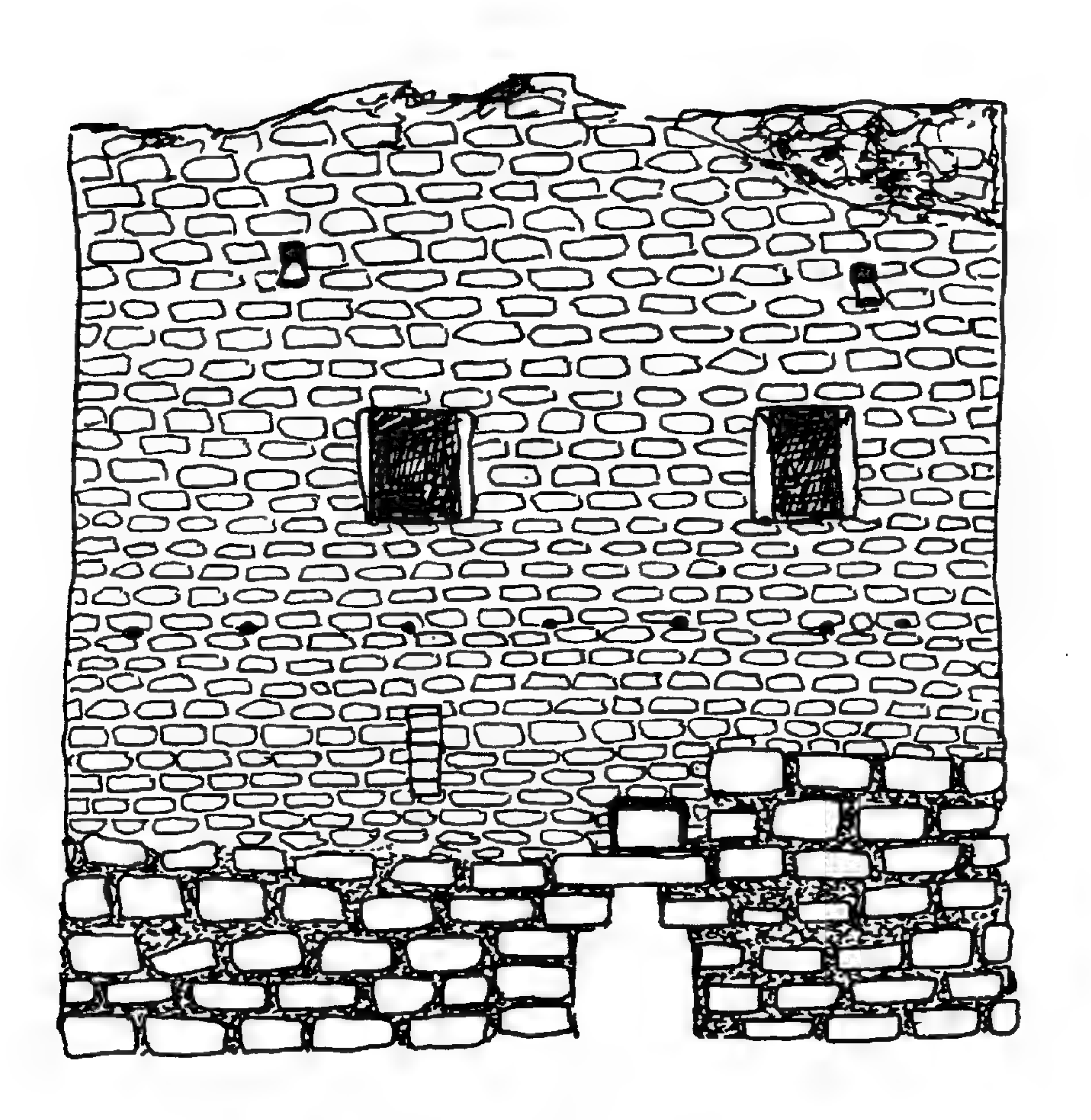
شكل رقم (٢) زقاق الأغوات (طريق البقيع).



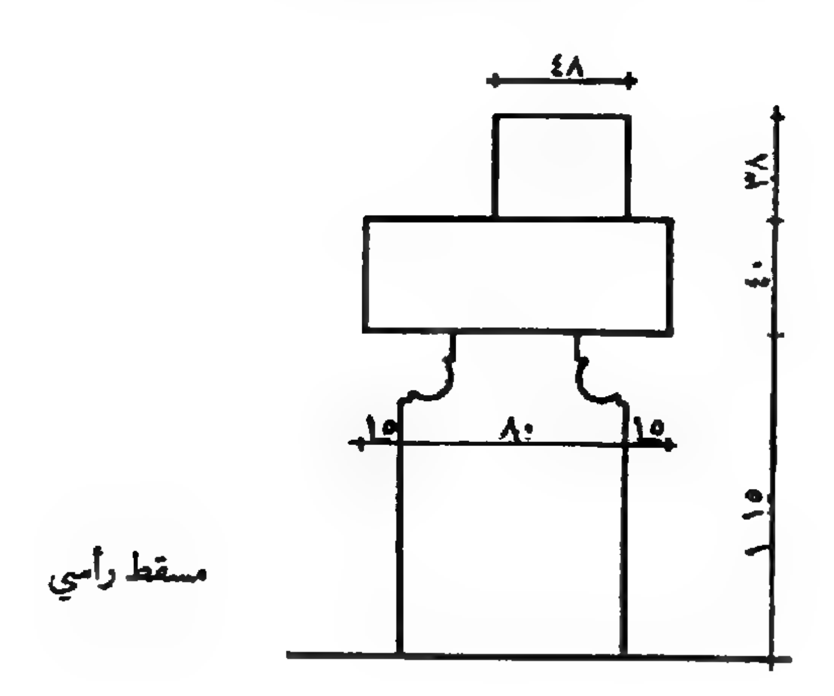
شكل رقم (٣) بوابة رباط مظفر بعد أن سدّت بالطوب .

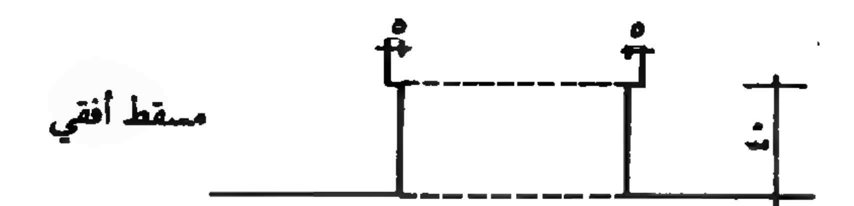


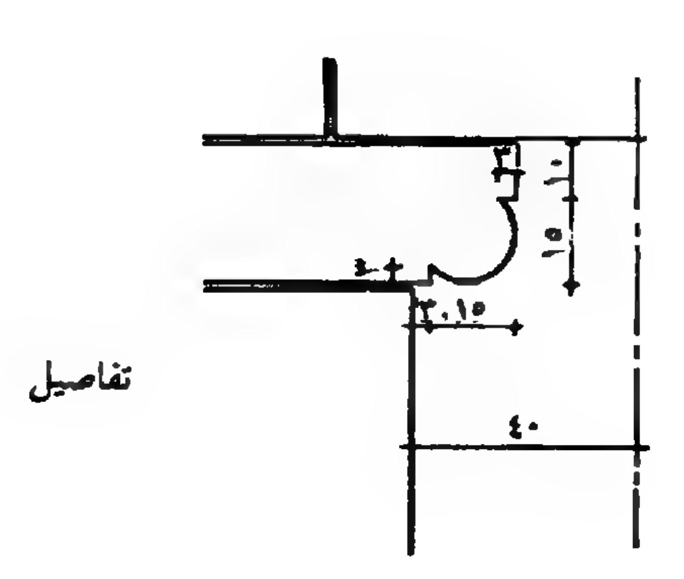
شكل رقم (٤) رباط مظفر بن الخلف، وترى في الصورة كومة القمامة بعد هجر الحارة.



شكل رقم (٥) رسم واجهة رباط مظفر المطلة على زقاق الأغوات (طريق البقيع).



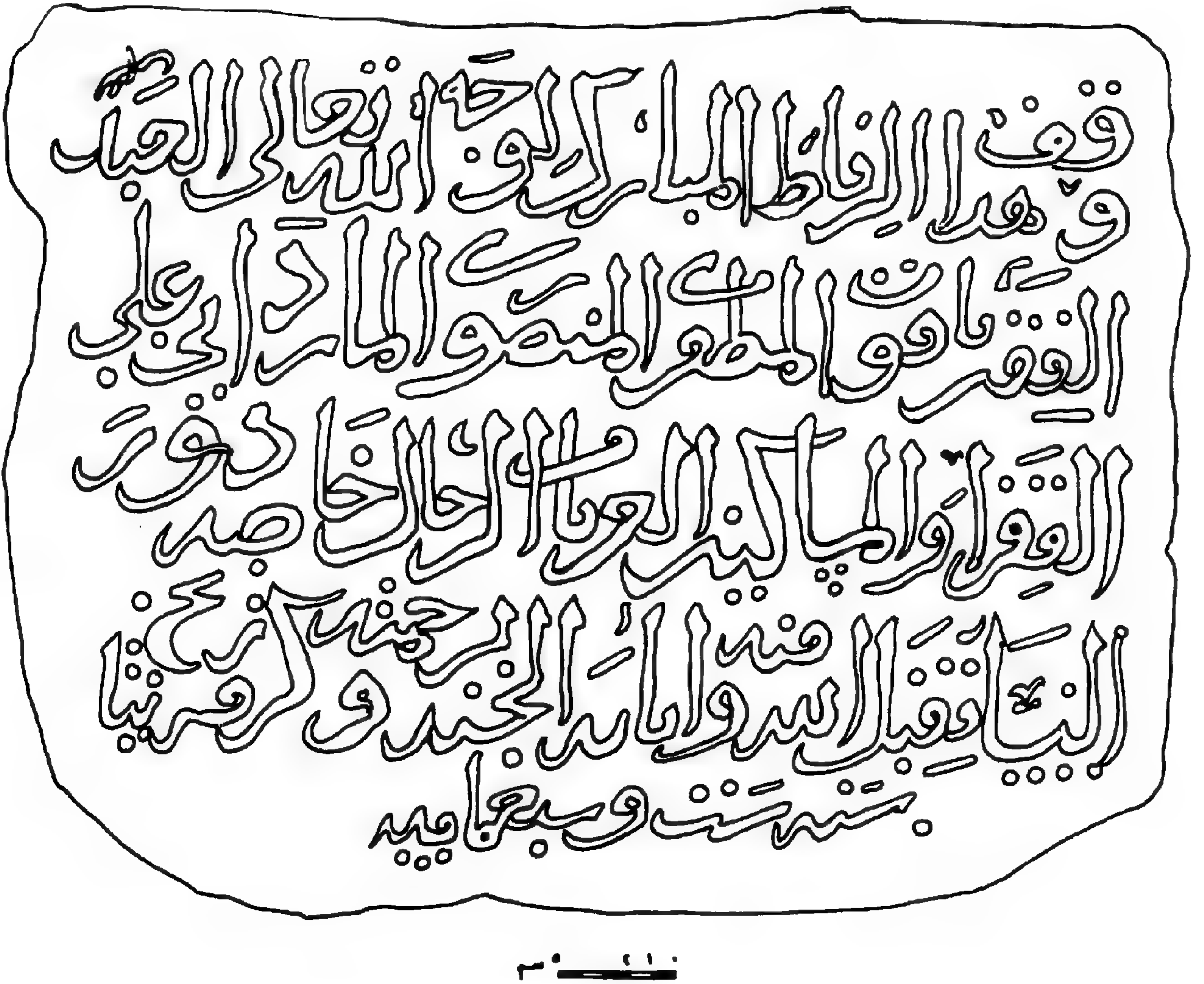




شكل رقم (٦) مخطط باب رباط ياقوت المارداني (المظفري)، عن: صالح لمعي مصطفى.



شكل رقم (٧) نقش رباط مظفر التأسيسي.



شكل رقم (٨) تفريغ نصّ الوقفية الوارد بنقش رباط مظفر التأسيسي.

نقش غير منشور من بلدة المويلح
(مؤرخ بعام ٩٦٧هـ - ١٥٦٠م)

الدكتور علي بن إبراهيم غبَّان

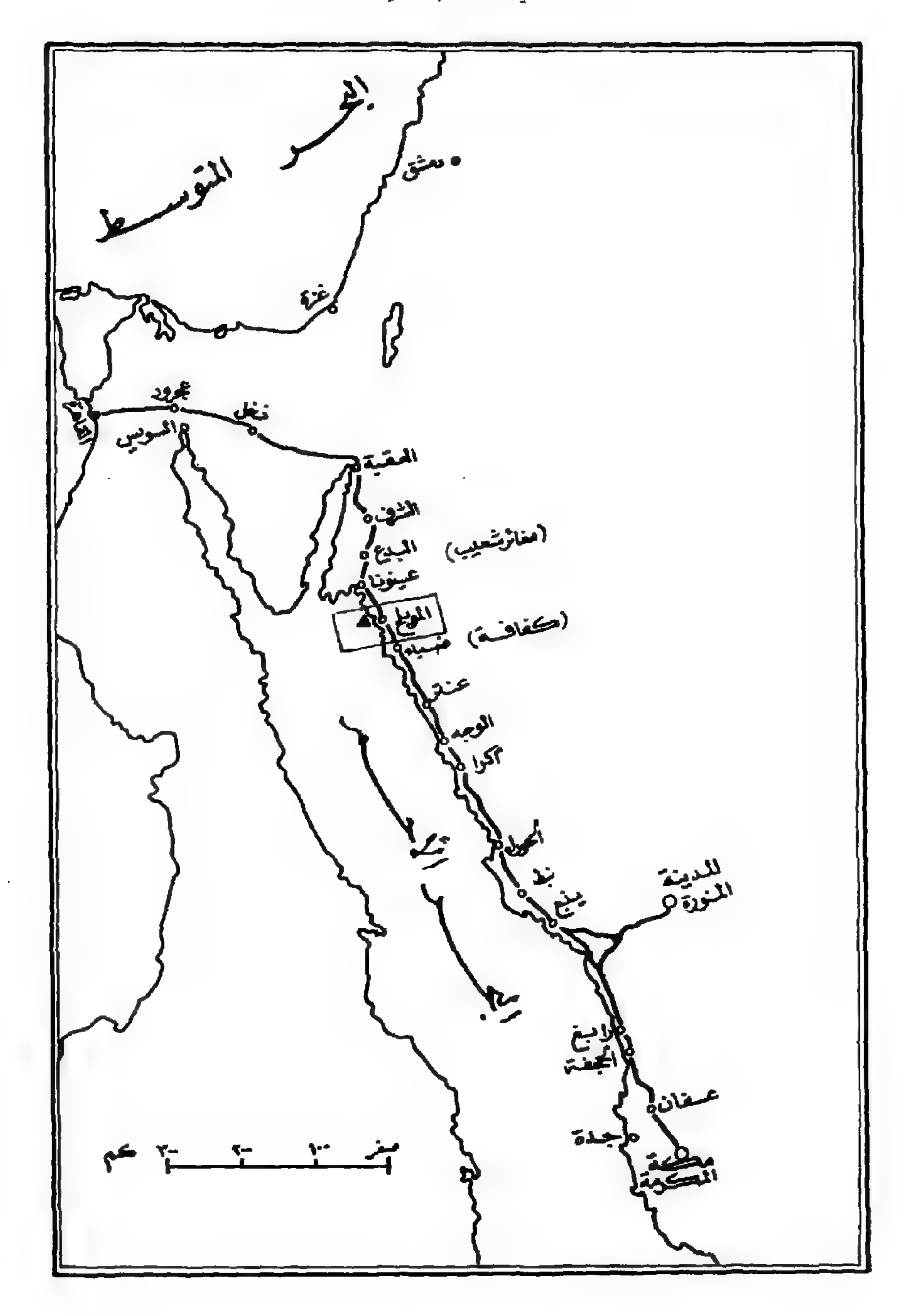
ملخص البحث

بلدة المويلح محطّة قديمة من محطّات طريق الحجّ المصري الساحلي. يوجد بها اليوم عدد من المباني التاريخية والمنشآت المائية التي أُقيمت خلال العصرين المملوكي والعثماني لخدمة قوافل الحجاج. وفي إحدى آبارها القديمة يوجد نقش تأسيسي - لم ينشر من قبل - مؤرخ بسنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م. وهو تاريخ إنشاء هذه البئر التي بنيت على نفقة أمير الحج المصري لتلك السنة.. عثمان بن أزدمر باشا. وفي هذا البحث نتناول بالدراسة المفصّلة النقش المذكور من الناحيتين التاريخية والأثرية، ونعرض ظروف بناء البئر المثبت عليها ذلك النقش، وسيرة الأمير الذي أمر ببنائها، وما حدث في سنوات توليه إمارة الحج المصري، كما نُقدّم وصفًا معماريًا للبئر، ودراسة فنية لخط النقش، ومقارنة له بنقوش من الفترة نفسها من المويلح ومن خارجها.

تقع بلدة المويلح في شمال غرب المملكة العربية السعودية، عند مصبّ وادي صرّ، على بعد ٤٥ كم إلى الشمال من مدينة ضباء (انظر الشكل رقم ١). وهي واحة صغيرة لعبت دورًا بارزًا خلال العصور الإسلامية المتأخرة في نشاطات المنطقة المحيطة بها. وقد نالت أهميتها بسبب كونها أحد المرافىء المأمونة على طريق الملاحة بين جدة والقلزم (السويس)، ولكونها إحدى المحطات المهمة على طريق الحج المصري الساحلي الذي يصل القاهرة بمكة المكرمة مرورًا بشبه جزيرة سيناء. ولذلك حظيت هذه المحطة بعناية العديد من الحكام المسلمين الذين دأبوا على تعمير طريق الحج والتجارة بين مصر والحجاز.

وقد عرفت المويلح في القرون الأولى للهجرة باسم النَّبْك، وعدّت منزلاً من منازل طريق الحج المصري الساحلي عند عدد من الجغرافيين العرب القدامى، أمثال قدامة بن جعفر، والمقدسي، والبكري، الذين اتفقوا على كون المويلح منزلاً متوسطًا بين الصّلا (شرمه) وضبّة (ضباء) في الطريق المتجه إلى مكة[1]. والنَّبْك في القاموس

(١) قدامة بن جعفر، أبو الفرج (ت بين ٣١٠ و٣٣٧هـ - ٩٢٢ - ٩٤٨م) *كتاب الخراج*، طبعة دى غويه (ليدن ١٨٨٩م) ص١٩١. المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، طبعة دى غويه (ليدن ١٨٧٣م) ص ص ١١٠، ١١٢. الدكتور عبدالله يوسف الغنيم، *جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري*، تحقيق ودراسة، الطبعة الأولى (الكويت: ذات السلاسل، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٩٧.



شكل رقم (١): خارطة تبين موقع محطة المويلح على طريق الحج المصري الساحلي.

المحيط جمع نَبْكة وهي الأكمة أو التل الصغير أو الأرض التي فيها صعود وهبوط[٢]، وعند ياقوت الرابية من الرمال اللينة[٣]، وجميع هذه التضاريس متوافرة في أرض المويلح. ويبدو أن اسم النَّبْك بدأ يتلاشى في منتصف العصر المملوكي، فقد ذكر ابن فضل الله العمري الذي حجَّ في بداية القرن الثامن الهجري (١٤م) في وصفه لمراحل الطريق: «ثم يرحل إلى النبك وتسمى المويلحة وهو على ساحل القلزم»[٤]. والمويلح ـ تصغير مالح ـ وصفٌ سُمِّيت به الواحة لما يستطعم من ملوحة في مائها عند قلة الأمطار[٥].

وأول ذكر فيما بين يديَّ من مصادر تاريخية للتعمير في واحة المويلح يرجع إلى عصر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (ت: ٧٤١هـ/١٣٤١م)، حين بنى بها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار المنصوري بئرين لسقي قوافل الحجاج[٦]. ولا تزال هاتان البئران باقيتين في الجزء الشمالي من الواحة على مقربة من شاطىء البحر (انظر الشكل رقم ٢)، وثاني إشارة ترجع إلى نهاية العصر المملوكي من عصر السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ، ١٥٠١ ـ ١٥١٦م) الذي أصلح بئري آل ملك السابقتي الذكر[٧]. أما في العصر العثماني فقد انتقلت واحة المويلح من مجرد منزلة ثانوية على طريق الحج لتُصبح محطَّة رئيسية مُعدَّة للاستراحة والتموين والحفظ والتخزين، بعد أن أُنشِىء بها في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٧هـ ـ ١٥٦٠م[٨] قلعة كبيرة تُعدّ أكبر قلعة أُقيمت على طريق الحج المصري. ولا تزال باقية في حالة جيدة، وقد أُجريت عليها بعض الدراسات الموسّعة[٩]. وتقع القلعة على بعد ٥٠٠م إلى الجنوب من البئرين المملوكيَّتين على تلّة تُشرف على البحر (انظر الشكل رقم ٣). وقد أُنشىء مع مشروع

---

(٢) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، *القاموس المحيط*، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) المجلد الثالث، ص٣٢١.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم *البلدان*، (دار صادر: بيروت، ١٩٨٦م)، جـ٥، ص٢٥٨.

(٤) العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٩٦٨م)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، طبعة مصورة من مخطوطة مكتبة السليمانية باستانبول (فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) السفر الثاني، ص٣٣٢.

(٥) أورد هذا التعليل الجزيري، عبدالقادر بن محمد الأنصاري (ت بعد سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٩م)، *الدّرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة*، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى (الرياض: دار اليمامة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، جـ٢، ص١٣٧٨م.

(٦) المصدر والصفحة نفسيهما، وعن ترجمة الأمير الحاج آل ملك انظر أيضًا: المصدر نفسه، ص ص ١٣٧٨، ١٣٧٩.

(٧) وقد وردت هذه الإشارة في أحد نقوش عقبة عرقوب البغلة الواقعة في شبه جزيرة سيناء، والتي تؤرخ لعمارة السلطان المملوكي قانصوه الغوري لطريق الحج المصري. وحول عقبة العرقوب انظر: نعوم شقير، *تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها*، (مطبعة المعارف بمصر، ١٩١٦م)، ص١٦٠.

(٨) وهذا التاريخ هو تاريخ الشروع في بناء القلعة كما أورده الجزيري، *الدّرر*، جـ٢، ص ١٣٨٠، أما التاريخ المسجّل على حجرها التأسيسي فهو ٩٦٨هـ، وهو يشير إلى تاريخ الفراغ من بنائها.

(٩) عجيمي، هشام محمد علي، «قلعة المويلح ـ *دراسة معمارية حضارية*»، رسالة ماجستير لم تنشر نوقشت بجامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.



شكل رقم (٢) : صورة لبترين في المويلح من العصر المملوكي.



شكل رقم (٣): الواجهة الشمالية لقلعة المويلح .

هذه القلعة أربع آبار جديدة إحداهن تقع في فناء القلعة والثلاث الباقيات يقعن في بطن الوادي إلى الشرق من القلعة. وفي طيّ إحدى هذه الآبار الثلاثة يوجد نقش تأسيسي يؤرخ لعمارة البئر، وهو موضوع بحثنا هذا.

وعلى الرغم من الدراسات السابقة والمسوحات الأثرية التي تمت لواحة المويلح لم يسبق لأحد من الباحثين أن كتب شيئًا عن هذا النقش، ، كما أنني لم أُشر إليه في أطروحتي للدكتوراه التي تناولت فيها بالدراسة الآثار الإسلامية على أجزاء طريقي الحج الشامي والمصري الواقعة في شمال غرب المملكة العربية السعودية[١٠]، ولم أهتد إليه إلا في بداية العام المنصرم ١٤١٠هـ، ١٩٨٩ - ١٩٩٠م[١١].

موقع النقش:

تعرف البئر التي يوجد فيها هذا النقش باسم بئر الورّادة[١٢]، وتقع قريبًا من الضفة الشمالية لوادي صر[١٣] بجانب الضلع الجنوبي لمزرعة الأستاذ حسين درويش، وهي على بعد نصف كيلومتر تقريبًا من الضلع الشرقي للقلعة، وعلى بعد نصف كيلومتر أيضًا من طريق الأسفلت العام المتجه إلى ضباء. وتُحيط بها بساتين النخيل من جميع الجهات (انظر الأشكال أرقام ٤، ٥، ٦). والنقش مُثبّت بين مداميك طيّها في الجهة الجنوبية على عمق ٥٠ سم من مستوى فوهة البئر (انظر الشكل رقم ٧). ووضع أحجار تأسيسية في طَيِّ الآبار مألوف في العمارة القديمة، وله أمثلة في الجزيرة العربية من العصور السابقة واللاحقة للإسلام. فقد عُثر على نقش بالخط المسند في طي بئر بإحدى ساحات المنطقة السكنية بقرية الفاو[١٤] كما عُثر على نقش مؤرخ بعام ١٢١١هـ في طي بئر السعدية الواقعة على طريق الحج اليمني إلى الجنوب من مكة في وادي يلملم[١٥].

وصف البئر:

يبلغ قطر هذه البئر الأسطوانية الشكل الدائرية المسقط ٤,٤٠ متر من الداخل، وعمقها الحالي ٦ أمتار من

(١٠) Ghabban, Ali Hamed, *"Introduction a L'étude archéologique des deux Routes syrienne et égyptienne de Pélerinage au Nord-Ouest de L'Arbie Saoudite"*, Thèse de Doctorat d'Etat Soutenu en Avril 1988 a L'Université de Provence Aix Marseille 1, France.

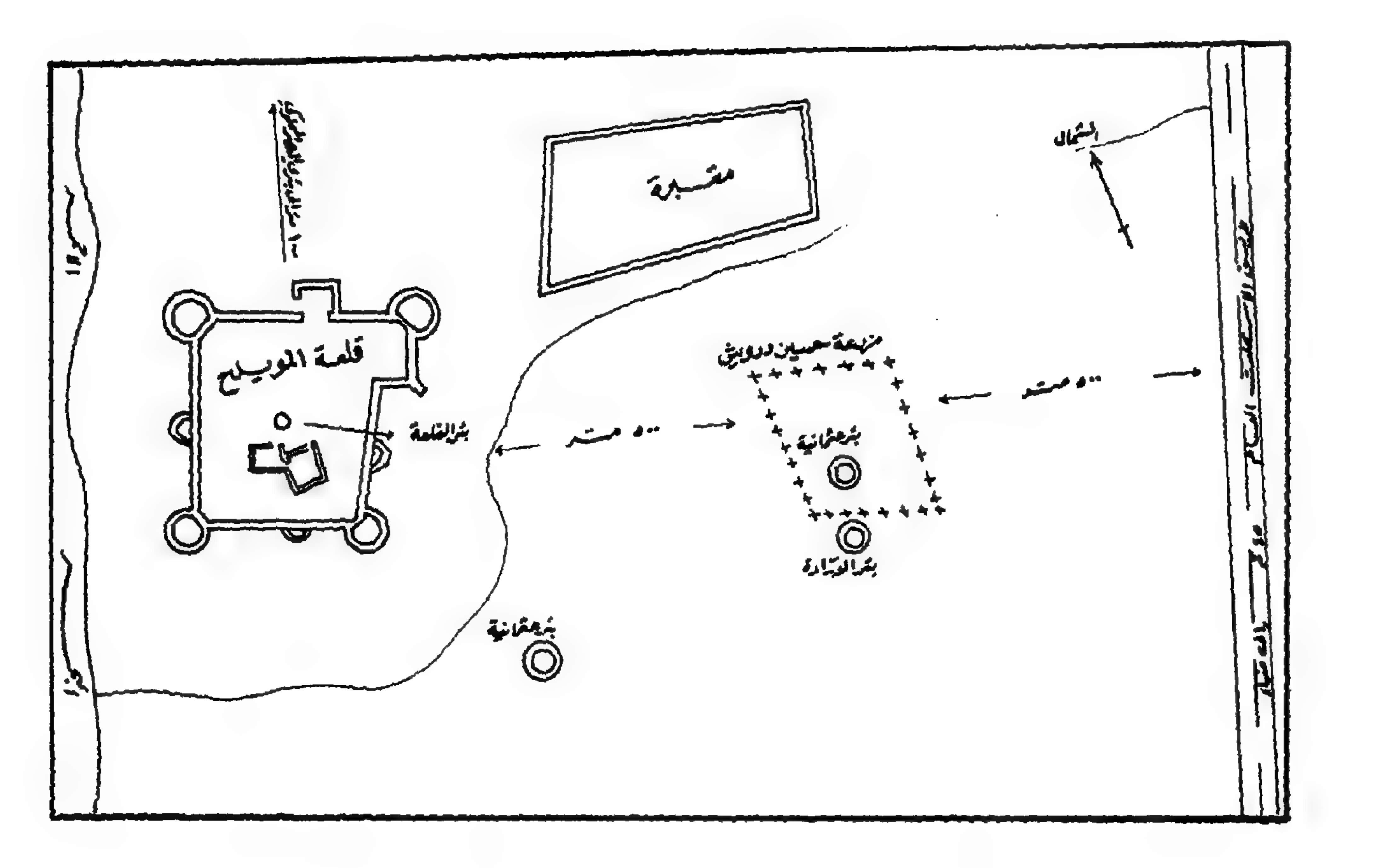
(١١) ويعود الفضل في ذلك - بعد الله - إلى الصديق الأستاذ حسين درويش، الموظف ببلدية ضباء الذي أرشدني إلى وجود هذا النقش.

(١٢) وقد أكّد لنا هذه التسمية الرائد المتقاعد الشيخ محمد بن علي بن عبدالرحمن المويلحي وأمير المويلح سابقًا الشريف عبدالرحيم الوكيل.

(١٣) وهذا هو الاسم الصحيح لهذا الوادي. وقد سُمّيَ خطأً بوادي سرّ في كثير من الخرائط الجغرافية المتداولة. كما شاع بين الناس - في الوقت الحاضر - إطلاق اسم وادي المويلح على جزئه الذي يمرّ بواحة المويلح حيث توجد القلعة والآبار.

(١٤) معلومة لم تنشر من قبل نذكرها بإذن من مدير بعثة التنقيب الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري.

(١٥) ذكر لي ذلك زميلي الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي وأطلعني على صورة لهذا النقش.



شكل رقم (٤): رسم توضيحي - بدون مقياس رسم - لموقع آبار العصر العثماني في بلدة المويلح.



شكل رقم (٥): صورة عامة لواحة المويلح توضح الوادي وبساتين النخيل والقلعة المطلة على البحر



شكل رقم (٦): صورة لبئر الورّادة.





شكل رقم (٧): صورتان توضحان موقع النقش في طي البئر.

مستوى الماء إلى مستوى الفوهة، ولها رقبة سمك جدارها ١,٠٥ متر ترتفع عن مستوى الأرض المحيطة بمقدار ٨٠ سم في المتوسط. وقد طويت هذه البئر بكتل من الحجر الجيري المتوافر في المنطقة منظمة على مقاسين رئيسيين: ٢٤×٥٧ سم و٢٤×٦٥ سم. ويتكون طيها من سبعة وعشرين مدماكًا، منها ثلاثة مداميك مرممة تُكون رقبة البئر. وتوجد حول البئر بقايا حوضين مكسورين منقورين في كتلتين من الصخر الجيري، أحدهما باقٍ في مكانه بجوار البئر، والآخر منقول لبضعة أمتار. ومقاس كل منهما ١٥٠×٧٠ سم ولم يبق إلا القليل من ارتفاعهما.

وصف النقش: (انظر الشكلين رقمي ٨، ٩):

نفذ هذا النقش على لوح من الرخام، رماديّ اللون ومربع الشكل، أبعاده ٨٥ سم × ٨٥ سم. وهو مقاس يتناسب مع قطر البئر (٤,٤٠م) وشكله الأسطواني.

أبعاد المساحة المكتوبة: يملأ نص النقش كامل مساحة اللوح، ولم يُترك إلا إطارًا رفيعًا عرضه ٢ سم في المتوسط.

عدد الأسطر: أربعة أسطر نفذ كل منها داخل إطار مستطيل الشكل يتكوّن من التقاء الخطوط الفاصلة بين الأسطر بالإطار الخارجي للوح.

عرض الخط الفاصل بين الأسطر: ١ سم في المتوسط.

طول السطر: ٨١ سم وجميع الأسطر متساوية.

ارتفاع السطر: ٢٠ سم لكل من السطر الأول والثاني والثالث و١٨ سم للسطر الرابع.

نوع الحفر: بارز مفرغ.

عمق الحفر: ١ سم.

نوع الخطّ: ثلث عثماني مركّب.

طول الألفات: ١٦ سم في المتوسط وتوجد ألفات قصيرة.

طول قائم اللام: ١٦ سم في المتوسط وتوجد لامات قصيرة.

الحالة الراهنة للنقش: جيدة مع ملاحظة وجود كسر صغير في زاويته العليا عند نهاية السطر الأول أضاع نهاية بعض الحروف، ولكنه لا يؤثر على القراءة. وربما حدث هذا الكسر أثناء الترميم الذي تم لرقبة البئر أو قبل ذلك. كما يلاحظ تكلس الأتربة على حروف النقش بفعل الرطوبة والأملاح مما أعطى الرخام الرمادي لونًا بنيًا داكنًا. ويجدر بنا أيضًا أن نشير إلى عدم تغيُّر موضع المكان الأصلي للنقش على الرغم من حدوث ترميم للثلاثة مداميك التي تعلوه.

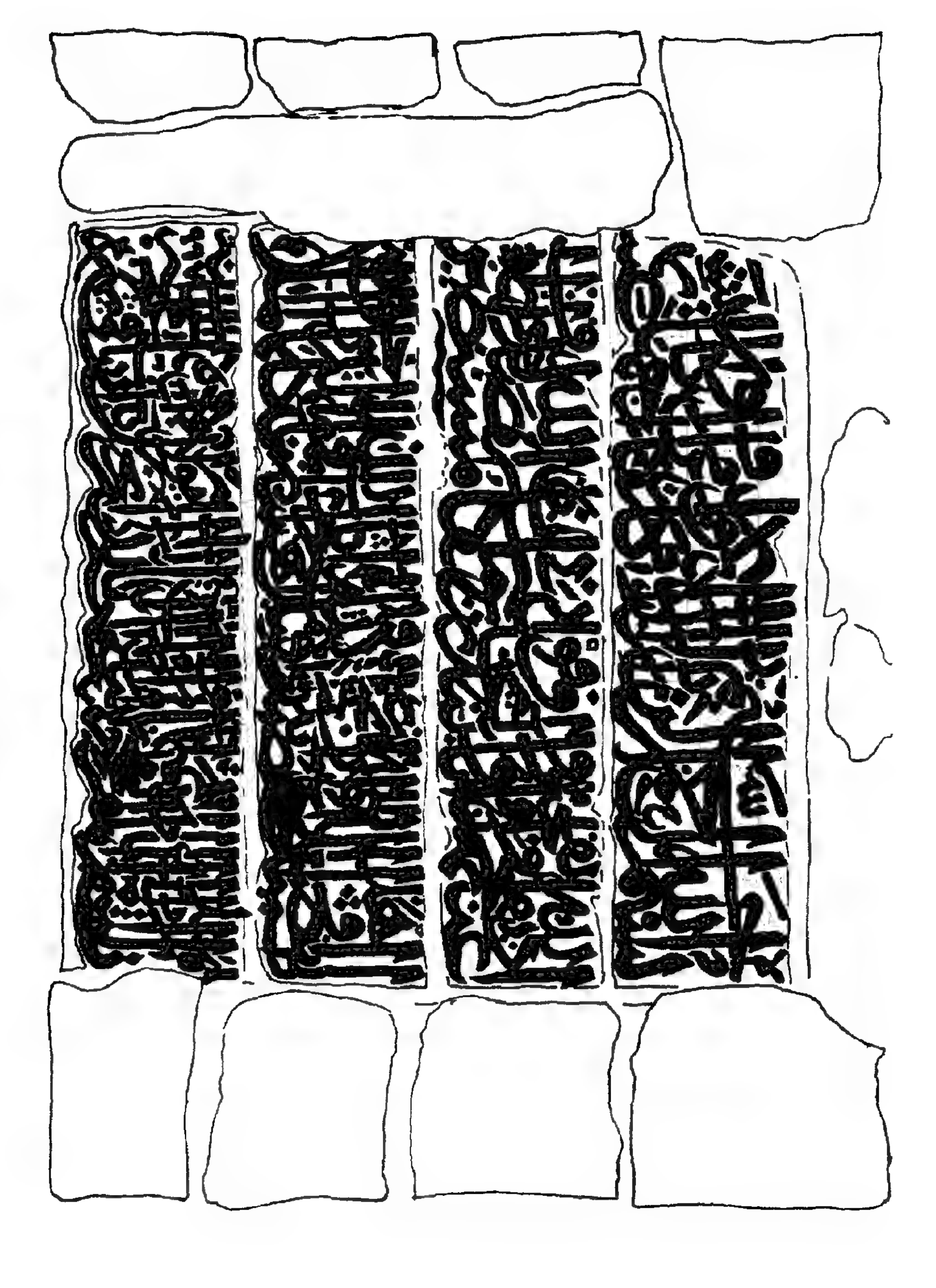
القراءة:

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينـ[ـا] يشـ[ـرب] بهـ[ـا]

٢ ـ عباد الله يفجّرونها تفجيراً يُوفُون بالنذر ويخافون يوما كان شرّه مستطيراً. صدق الله العظيم.



شكل رقم (٨) : صورة لنقش بئر الوزّادة



شكل رقم (٩): رسم مفرغ للنقش بئر الورادة.

٣ ـ السبيل الفضل هذا قد حصل، والله ربك قد أزان وأزجل. أقبل. مشرب لله هنيًّا. أثاب الله صاحبه، وأناله برًّا كلما ملا إخوانه.

٤ ـ أنشأ هذا البير المبارك المقر الفخري عثمان أغا، أحد أمراء السناجق، وأمير الحاج الشريف بالديار المصرية، نجل مولانا أزدمر باشاه، في سلخ شهر الحجة سنة ٩٦٧.

ملاحظات على القراءة:

في السطر الأول: * الكسر الذي في نهاية هذا السطر أضاع ألف تنوين كلمة «عينًا» وألف مدّ هاء «بها» وراء كلمة «يشرب» وجزءًا من بائها، وقد أمكن قراءة هذه الكلمات لأنها جزء من آية قرآنية.

في السطر الثاني: * في كلمة «يومًا» استخدم رأس الواو حلقة لحرف الميم ورسم الكلمة على هذا النحو (يوما).

* في كلمتي «كان شرّه» استخدم مدّة كاف «كان» كجزء من شين كلمة «شرّه» ورسم الكلمتين على هذا النحو (كان شره).

في السطر الثالث: : * الألف واللام في كلمتي «السبيل» و«الفضل» رسمهما مرة واحدة بطريقة تمكّن من استخدامها لكلا الكلمتين: (الفضل السبيل).

* كلمة «هنيًّا» كتبت بالياء المدغمة الناتجة عن تسهيل الهمزة، وهذا جائز لغويًّا، وهو لغة أهل الحجاز[16].

* حرف الصاد في كلمة «صاحبه» وقع فيه كشط غير من صورته.

في السطر الرابع: * كلمة «البير» سهل فيها الهمزة إلى ياء وجعلها مذكرًا، وكلا الأمران جائزان، قال الشاعر:

وبئري ذو حفرت وذو طويت

وذو هنا بمعنى الذي.

* كلمة «السناجق» كتبت بحرف السين وفقًا لأصل نطقها في اللغة التركية. وقد وردت في كثير من مصادر العصر العثماني العربية بحرف الصاد (الصناجق)، ككتاب الجزيري.

* حرف الألف مشترك بين كلمة «الفخري» وكلمة «أمراء».

* الألف النهائية في كلمة «أغا» ملتحمة مع كلمة «الصناجق»، وقد اعتبرت الألف الأولى للكلمة نفسها ألفًا لكل من كلمتي «أحد» و«الصناجق»، فجاء الرسم على هذا النحو (أغا أحد الصناجق).

---

(١٦) ابن مجاهد، أبوبكر أحمد (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م)، *كتاب السبعة في القراءات*، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية، (دار المعارف بمصر ١٩٨٠م)، ص ٣٤٦.

* لم يفصل الناقش بين راء كلمة «المصرية» وراء كلمة «مولانا» على الرغم من أنه رسم كلا الحرفين.
* كلمة «باشاه» رسمت بهاء في آخرها، وقد وردت بهذا الرسم في اسم الشخص نفسه (ازدمر باشاه) في كتاب الجزيري.[١٧]
* كلمة «سَلْخ» بفتح السين وسكون اللام ـ الواقعة في نهاية السطر الرابع تعني نهاية الشهر. وقد جاء في القاموس المحيط: السلخ آخر الشهر[١٨].

الخصائص الفنية:

يمكن حصر المهمّ منها في النقاط التالية:

- أعطى عناية خاصة لكتابة البسملة فوسع الفراغات بين كلماتها وشكّلها بالحركات وزينها بحروف صغيرة.
- نقاط الإعجام نقشت مستديرة ومربعة، ويلاحظ عدم إثباتها عندما لا يتسع المكان لها، وأمثلة ذلك كثيرة، ويمكن تتبعها.
- عدم إثبات الهمزة.
- استخدم الحرفَ الواحد في أكثر من كلمة ورسمه في المكان الذي يسمح بهذا الاستخدام.
- حُسن توزيع الكلمات في كل سطر واختفاء ظاهرة سوء تقدير المساحة اللازمة لرسم الكلمة.
- قلة العناصر الزخرفية. ولا يوجد منها سوى ورقة نباتية لوزية تتدلّى من لام ألف كلمة «ملا» وفرع نباتي في نهاية السطر الرابع يمرّ على راء كلمة «شهر».

الأسلوب والصياغة

يتكون هذا النقش من ثلاثة مقاطع:

(أ) المقطع الأول ويشغل السطرين الأول والثاني، وهو عبارة عن الآيات: ٥، ٦، ٧ من سورة الإنسان مسبوقة بالبسملة مختومة بـ صدق الله العظيم. وهذه الآيات ـ التي شغلت نصف مساحة النقش ـ جعلت افتتاحية له على الرغم من أنها تتحدث عن ماء الجنة وعيونها. وقد وجد الخطاط أو المشرف على العمارة أنها مناسبة لموضوع عمارة هذه البئر المتخذة سبيلاً يشرب منها المارة والحجاج.

---

(١٧) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ٩٨٦.

(١٨) الفيروز أبادي، *القاموس المحيط*، جـ١، ص ٢٦١.

(ب) المقطع الثاني ويشغل السطر الثالث، وقد خُصِّص لمدح مشروع البئر، والإشارة إلى تَسْبِيلِها أي وقفها وإباحتها لإبن السبيل، ولطلب الثواب والبر من الله لصاحبها كلما انتفع منها أحد. وقراءتي لهذا السطر تمثل غاية ما توصلت إليه، ولا أستبعد احتمال قراءة أخرى لبعض كلماته، ولكن المضمون ـ في اعتقادي ـ سوف لن يتغير.

(جـ) أما المقطع الثالث ففيه تاريخ إنشاء البئر واسم من أمر بإنشائها ووظيفته.

وكلام هذا النقش في سطره الثالث ليس بشعر وليس بنثر ولكنه كلام موزون. ونجد هذا المستوى من الأسلوب في نقش قلعة المويلح الذي كتبه الخطاط نفسه. وربما أمليا كلا النصين على الخطاط من قبل الأمير المشرف على العمارة قيت بن عبدالله الداوودي[١٩].

التعليق:

يُثبت نصّ النقش أن هذه البئر أنشئت بأمر من أمير الحج المصري لسنة ٩٦٧هـ/١٥٦٠م عثمان بن أزدمر باشا وعلى نفقته الخاصّة. وقد وردت إشارة عند الجزيري في كتاب الدرر عن ظروف وملابسات إنشائها ضمن حديثه عن بناء قلعة المويلح. وكان الجزيري قد مرّ بالمويلح صحبة أمير الحج المذكور في السنة المذكورة، وشاهد أعمال البناء في القلعة والآبار وسجل مشاهداته في نصّ طويل نورد منه ما يهمنا في هذا المقام: «ومن المتجددات في مناهل درب الحاج ما عرض في أمره وأمر به الباشا المفخم علي أغا عند ولايته باشا بالديار المصرية في عام سبع وستين وتسع مئة، فجهّز صاحبنا الأمير قيت بن عبدالله الداوودي كيخه جماعة العساكر الجراكسة. . . إلى عمارة حصار «يقصد قلعة» كبير ومعقل خطير يكون بالمويلح. . . فتوجه في السنة المذكورة وصحبته فئة كثيرة من العساكر المنصورة. . . وجهزت إليه المعمارية والآلات والمدافع. . . وشرع في وضع الأساس. . . فتم دائر الأساس، وعقد الباب وأربعة أبراج بدائرة في كل جانب واحد. . . ويداخله حواصل ومنافع، في بقية سنة سبع وستين، بحيث لما توجّه الرّكب شاهد هذا البناء والترتيب، ثم اعتنى المعمار بحفر الآبار هناك فحفر قيت المذكور بئرًا وجعلها وقفًا لمولانا الخندكار الأعظم «يقصد السلطان»، وبنى بئرًا ثانية وجعلها وقفًا له، ثم لما توجه الأمير عثمان بن أزدمر باشا أميرًا على الركب في تلك السنة أمر ببناء بئر ثالثة ففعل ذلك، ثم قبل عود الركب إلى المويلح وجدها فرغت، فوقفها على المسلمين، فتم بها خمسة آبار، وذكر لي قيت المعمار أنه يريد أن يحفر بئرًا داخل القلعة فيصير هناك قديمًا وحديثًا ستة آبار، وشربت من ماء المتجددات فرأيته عَذْبًا سائغًا شرابه»[٢٠].

---

(١٩) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ١٣٨٠.

(٢٠) المصدر نفسه، جـ٢، ص ص ١٣٧٩ ـ ١٣٨١.

والتاريخ المسجل على النقش موضوع هذا البحث، ووجود اسم أمير الحج عثمان بن أزدمر في نصّه، يتطابق مع كل ما ذكره الجزيري ويؤكده، فضلاً عن وجود بئرين مماثلتين لهذه البئر في العمارة. إحداهما على بعد ٢٥م شمال بئر الورّادة وسط مزرعة الأستاذ حسين درويش وقد انهارت قبل مدة قصيرة، والأخرى تقع إلى الجنوب الغربي منها. والغالب أن إحداهما هي البئر التي أوقفها السلطان والأخرى البئر التي أوقفها الأمير قيت الداوودي. والغريب أن بئر الورّادة هي البئر الوحيدة التي عليها نقش. ولعلّ الأمير عثمان بن أزدمر طلب ذلك بنفسه من المشرف على العمارة لكي يُعرَف أن إنشاء هذه البئر عمل معماري مستقل عن مشروع بناء القلعة والآبار الأخرى، فقد كان عثمان بن أزدمر شابًا محبًا للشهرة والظهور، وصل سريعًا إلى قمة السلم العسكري في عهده بفضل مكانة أبيه. ومثله يحرص على إشهار عمله الطيب. وإذا حسبنا المدة التي بين تاريخ مرور الأمير عثمان بن أزدمر على المويلح وطلبه بناء البئر، وتاريخ الفراغ منه، نستطيع القول بأن هذه البئر حُفرت وطُويت في شهر ونصف فقط. لأن قافلة الحجاج رحلت من مصر في تلك السنة في السادس والعشرين من شوال، ووصلت إلى المويلح في منتصف شهر ذو القعدة[٢١]، وفرغ العمل من بناء البئر في نهاية شهر ذو الحجة، فيكون المجموع ما يقارب خمسة وأربعون يومًا.

أسماء الأعلام الواردة في النقش:

ورد في هذا النقش اسم أمير الحج عثمان أغا مع اسم أبيه أزدمر باشا، وقد كتب بطريقة قصد بها إبراز مكانة وأهمية والده: (عثمان أغا أحد أمراء السناجق وأمير الحاج الشريف بالديار المصرية نجل مولانا أزدمر باشاه).

وقد ترجم الجزيري لازدمر باشا[٢٢]، وذكر أنه جركسي الأصل وأحد مماليك الأمير خداوردي نائب الإسكندرية، شرد من القاهرة خوفًا من القتل عندما دخلها العثمانيون. واستقر بإقليم البحيرة عند أمير بني عونه، وتزوج بامرأة من بنات الفلاحين رزق منها بابنه عثمان. ثم تنقلت به الأحوال حتى انتدب إلى اليمن ضمن العساكر المتوجهة لقتال إمامها. وعندما تولى مصطفى باشا النشار باشوية اليمن رقاه وجعله كاشفًا لناحية جازان، وتوسّط له عند السلطان، وحصل له على رتبة أمير لواء. وعندما حدث تمرّد في اليمن ـ لم يستطع مصطفى النشار السيطرة عليه ـ أُنتُدِبَ أزدمر باشا لنصرة الوجود العثماني. ونجح في ذلك ودبر أمور اليمن أحسن تدبير. فحمدت سيرته وأنعم عليه السلطان بولاية اليمن. ودارت بينه وبين إمامها المطهر شرف الدين حروب كثيرة استولى خلالها على عدد من القلاع. ولكن مصطفى باشا النشار كان يترصد أخطاءه. ، وعندما حانت له الفرصة شكاه بتهمة الخيانة، فعزله السلطان عن اليمن في سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٥م، وأعاد مصطفى النشار إليها. فرحل منها سرًا إلى مصر قبل

---

(٢١) تحتاج القافلة إلى حوالي أسبوعين لتصل إلى المويلح بعد رحيلها عن مصر، وفي تلك السنة (٩٦٧هـ) أقامت قافلة الحج يومين وليلة في مغائر شعيب ـ على غير عادة ـ بسبب فقد أمير الحج الكثير من جماله، الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ص ٩٩٠، ٩٩١، ١٣٠٨، ١٣٤٩.

(٢٢) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ٩٨٦ ـ ٩٨٩.

وصول واليها الجديد، وقابل باشا مصر ثم توجه إلى الباب العالي بصحبة ابنه عثمان، وهناك حصل له الرضا من السلطان، وخُيِّر في الولاية التي يريدها، فاختار تجهيزه بجيش لفتح بلاد الحبشة[٢٣]. فخاض فيها حروبًا لم تحقق نصرًا حاسمًا طيلة ثماني سنوات، وتوفي في الثلاثين من شهر ربيع الأول سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، متأثرًا بجرح أصابه أثناء المعارك[٢٤].

أما ابنه عثمان فقد أنعم عليه السلطان عندما قدم مع أبيه بوظيفة أغا لجماعة العسكر العرب، ثم أصبح أغا لجماعة العسكر الجراكسة. وفي جمادي الأولى من سنة ٩٦٧هـ/١٥٦٠م رقي إلى أمير لواء. وفي السابع من جمادي الآخرة من السنة نفسها وُلِّي إمارة الحج[٢٥]. ولتوليه إمارة الحج قصة ذكرها الجزيري أيضًا: فبعد أن عزل حاكم مصر أمير الحج خضر بن عبدالله الرمي، بعد عودته من حج عام ٩٦٦هـ/١٥٥٩م، عرض إمارة الحج على أمراء الألوية بمصر، فوقع اختياره على الأمير أحمد شلبي الذي تقلدها في التاسع عشر من ربيع الأول عام ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، وشرع في تجهيز حملته. وبعد شهر ونصف جاءه أمر من الباب العالي بالتوجه إلى بلاد الشام. فعرض حاكم مصر علي باشا إمارة الحج مرة ثانية على أمراء الألوية. فسأل عثمان بن أزدمر والده مساعدته في توليها، وتم له ما أراد، على الرغم من أنه رقي إلى أمير لواء منذ أقل من شهر[٢٦]. ولم يكن عثمان بن أزدمر يملك مؤهلات

---

(٢٣) شهدت الحبشة في القرن العاشر الهجري (١٦م) محاولات متكرّرة لبسط نفوذ الإسلام على كامل أرجائها، وقد قاد هذه المحاولات أحد الحكام المسلمين في بلاد الصومال ويدعى الإمام أحمد بن إبراهيم الأشول أو الأعسر (١٥٠٦ ـ ١٥٤٣م)، الذي استطاع بعد عشر سنوات من الحروب المتتالية أن يخضع لسلطته كامل الهضبة الحبشية، مما اضطر الإمبراطور المسيحي (ليناد‌نجل) إلى طلب العون من البرتغاليين الذين أمدوه بأسطول تمكن بعد عدة معارك من إلحاق الهزيمة بالمسلمين. وتوفي الإمام أحمد عقب معركة حدثت في سنة ١٥٤٢م، فسارع العثمانيون إلى الاستيلاء على مصوع وحرقيو وإنشاء ولاية في تلك المناطق، تحدّ من خطر الوجود البرتغالي في جنوب البحر الأحمر. وعندما تولى أزدمر باشا ولاية اليمن كان قريبًا من تلك المنطقة وعلى علم بما يجري فيها من تنافس بين المسيحية والإسلام. ولهذا نجده يختار ـ عندما خيره السلطان ـ إكمال المشوار الذي بدأه الإمام أحمد، إلا أنه لم يوفّق بدوره في هذا الأمر. ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ المسلمين وفتوحاتهم في الحبشة، انظر: عرب فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر الجيزاني، (من أهل القرن العاشر الهجري) *كتاب تحفة الزمان أو فتوح الحبشة*، نشره مع مقدمة بالفرنسية رنيه باسيه، وحققه فهيم شلتوت، (الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٤م) والكتاب يتحدّث عن حروب الإمام أحمد. د. زاهر رياض، *الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى*، الطبعة الأولى (دار المعرفة: القاهرة، ١٩٦٤م)، ص ص ١٩٥ ـ ٢٢٩. مهندس فتحي غيث، *الإسلام والحبشة عبر التاريخ*، (شركة الطباعة الفنية المتحدة: القاهرة، بدون تاريخ)، ص ص ١٥٠ ـ ١٦١.

(٢٤) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ١١٠٤.

(٢٥) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ص ٩٨٨، ٩٨٩.

(٢٦) ويعتبر عثمان بن أزدمر أول أمير لواء يتقلّد منصب أمير الحجّ المصري بعد صدور أمر السلطان بقصر تولي هذه الوظيفة على أمراء الألوية. وسبب ذلك أن العادة جرت بأن يتقدم أمير الحج المصري في الوقوف بعرفه على غيره، وحدث خلاف في حج سنة ٩٦٦هـ، حين اعترض أمير الحج الشامي على تقدم أمير الحج المصري، لكونه برتبة لواء، وأمير الحج المصري معدود من كبار التجار. الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ٩٨٤.

هذا المنصب: فقد كان صغير السن، شرس الأخلاق، محبًا للرئاسة والكبرياء، معتدًا برأيه، مُكثرًا للزينة وميالاً لمن لا خبرة له بالأمور[٢٧]. وقد فعل بمكة أفعالاً سيئة، وتلفظ بألفاظ قبيحة على بعض أشرافها، وقتل بها رجلاً بقطع يديه ورجليه جميعًا، وتسبب في فتنة عظيمة كادت تريق الدماء بين بني حسن وركب الحجيج، لولا نداء شريف مكة بالأمان لأهل مكة والحجاج[٢٨]. وكان يطمع في مرتبات العربان المخصصة لهم على درك الطريق، ويقتل كل من يرتاب فيه منهم، وأتعب الحجاج بالسرعة في المشي وعدم التقدير الجيد لمواعيد الرحيل والنزول. وشاء الله أن يزداد الحرّ على الطريق، فتوعك الناس ومات بعض الرجال والجمال. وتسمم كثير منهم من ماء مغاير شعيب، وفقد أمير الحج كثيرًا من جماله. وساءت معنويات الحجاج وأيقنوا بالهلاك، فأوصى السقيم والسليم، واستمر الموت فيهم في الذهاب والإياب[٢٩].

وبعد عودة عثمان بن أزدمر من الحج بعث بأحد ثقاته إلى الباب العالي يطلب ترقيته إلى منصب ناظر أموال مصر، فلم يجب طلبه. وطلب إليه البقاء في إمارة الحج[٣٠]. فحج بالناس في سنة ٩٦٨هـ/١٥٦١م وهو غير راغب في ذلك. وسار بهم بالسيرة السابقة نفسها، وكثر خلافه مع عربان الطريق[٣١]. وبعد عودته من الحج بعث بهدية إلى الباب العالي، فورد عليه الأمر ببقائه في إمارة الحج. فحج بالناس للمرة الثالثة في سنة ٩٦٩هـ/١٥٦٢م، وكانت آخر سنوات توليه لإمارة الحج[٣٢]. إذ عين في الثاني من شهر شعبان سنة ١٥٦٣/٩٧٠م باشا على الأجزاء الخاضعة لسلطة العثمانيين في الحبشة ومتوليًا لجهاد النصارى فيها بدلاً عن أبيه[٣٣].

وقَوِي في مدة حكمه النفوذ العثماني في مناطق مصوع ودباروا، وقام بعدة حروب ضد ملك الحبشة أظهر خلالها شجاعة ومهارة في القيادة العسكرية، واستمر في منصبه إلى أن عزل في السادس عشر من شهر صفر عام ٩٧٥هـ/١٥٦٧م في بداية عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني[٣٤]. ثم أرسل إلى اليمن لقمع ثورة أهلها، واستطاع هو وسنان باشا ـ الذي قدم من مصر على رأس جيش كبير ـ أن يلحقا الهزيمة بأنصار الإمام وأن

(٢٧) وقد نعته بهذه الأوصاف مؤرخ طرق الحج (الجزيري) الذي كان مرافقًا له طيلة سنوات إمارته للحج المصري، *الدرر*، جـ٢، ص٩٩٠.

(٢٨) الجزيري، *الدرر*، جـ٢، ص ٩٩٤.

(٢٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص ص ٩٩٠ ـ ٩٩٢، ٩٩٤.

(٣٠) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٠٠٣.

(٣١) المصدر والصفحة نفسيهما.

(٣٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص ١٠٢٧.

(٣٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص ١١١٢.

(٣٤) Orhonlu Cengiz, *Habeş Eyaleti, Edebiyat Fakültesi Matbaasi*, Istanbul 1974, p. 48-52.
(كتاب *إيالة الحبشة* وهو باللغة التركية).

يفتحا مدينة صنعاء، وعين عثمان باشا بن أزدمر واليًا على اليمن[٣٥]. وفي عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م أصبح واليًا لديار بكر[٣٦]. ثم أصبح في عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م قائدًا للجيوش التي تحارب العجم في إيران، وذلك في عهد السلطان مراد الثالث[٣٧]. ففتح بلاد طاغستان الواقعة على بحر الخزر (بحر قزوين). وسار إلى بلاد القرم مخترقًا جبال القوقاز[٣٨]. وفي عام ٩٩٢هـ/١٥٨٤م عاد إلى استانبول، فاستقبل استقبالاً حافلاً، وعينه السلطان مراد الثالث صدرًا أعظم وسر عسكر لجيش الكرج (قائدًا عامًّا للجيش المحارب في جبهة تبريز)، فسار إلى الشرق بجيش كبير اخترق به أذربيجان دون مقاومة، ثم استولى على مدينة تبريز[٣٩]. وفي شهر ذي القعدة من عام ٩٩٣هـ/١٥٨٥م توفي عثمان بن أزدمر باشا في تبريز[٤٠]. والعرض السابق يظهر تبدلاً في شخصية الأمير عثمان بن أزدمر بعد وفاة أبيه وتركه لإمارة الحج المصري. ويبدو أن حصوله على رتبة الباشوية في سن مبكرة ونجاحه في مهامه الأولى في الحبشة واليمن ساعده على أن يصنع لنفسه ـ فيما بعد ـ سجلاً عسكريًا حافلاً بالانتصارات، مكّنه في نهاية المطاف من تقلد وظيفة الصدر الأعظم ـ وهي أكبر وظائف البلاط العثماني ـ على الرغم من أنه من أبناء المماليك ومن أصل جركسي.

الألقاب الواردة في النقش:

وسنتحدث عنها فيما يلي وفقًا لتسلسل ورودها في نصّ النّقْش:

المقر الفخري: المقرّ في اللغة موضع الاستقرار. وهو لقب فخري استخدم في دساتير الألقاب للإشارة إلى صاحب المكان تعظيمًا له عن ذكر اسمه، وأطلق على بعض سلاطين المماليك وغيرهم من الأمراء والمدنيين ورجال الدين[٤١]، واستمر استخدامه في العصر العثماني. ويُضاف هذا اللقب دائمًا إلى صفات من قبيل الأشرف والشريف والكريم

---

(٣٥) شلبي، أحمد شلبي بن عبدالغني المصري (ت ١١٥٠هـ/١٧٣٧م)، كتاب *أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات*، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق: الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، (مكتبة الخانكي بمصر: القاهرة، ١٩٧٨م)، ص ص ١١٦، ١١٧. المحامي، محمد فريد بك، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: الدكتور إحسان حقّي، الطبعة الثانية: (دار النفائس: بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، ص٢٥٥.

(٣٦) ثريا، محمد، *سجل عثماني ـ تذكرة مشاهير عثمانية*، الطبعة الأولى (استانبول: ١٣١١هـ)، مجلد٣، ص ٤١٦، وندين بالشكر في اطلاعنا على هذا المصدر والكتب التركية الأخرى إلى زميلنا الدكتور عبداللطيف الحميدان.

(٣٧) المصدر والصفحة نفسيهما.

(٣٨) المحامي، *تاريخ الدولة العلية*، ص ٢٦٣.

(٣٩) ثريا، محمد، *سجل عثماني*، مجلد٣، ص ٤١٦؛ المحامي، *تاريخ الدولة العلية*، ص ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤٠) Ayvan Sarâyî, Hâfiz Hüseyin, *Vefeyât - I Selâtîn Ve Meşâhîr-Iricâl*, Hazirlayan Fahri Ç. Derin, Edebiyat Fakültesi Basimevi, Istanbul 1978, p. 71.

(كتاب *وفيات السلاطين ومشاهير الرجال* تأليف: حافظ حسين ايوان سراى، وتحقيق: فخري ديرين).

(٤١) الباشا، حسن، *الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار*، (دار النهضة العربية: القاهرة، ١٩٧٨م)، ص٤٨٩.

والعالي[٤٢]. وهو في هذا النقش مضاف إلى صفة الفخري.

أمـراء السناجق : السناجق جمع سنجق. والسنجق أو الصنجق لفظة تركية تعني العلم أو الراية وتطلق أحيانًا على القسم من الولاية مثل صنجقية جدة[٤٣]. وأمراء السناجق هم أمراء الألوية الذين يحقّ أن ترفع لهم راية سلطانية في مواكبهم. وكان عددهم في مصر العثمانية أربعةً وعشرين يختارون سنويًّا من قبل السلطان، ويتقلّدون المناصب المهمة كحكم الأقاليم ونِظَارة الأموال وإمارة الحج[٤٤].

أغـا : كلمة تركية تأتي بمعنى السيد، ولقب يُطلق على من له سطوة وعزّة، وعلى رؤساء بعض الوظائف في الدولة العثمانية[٤٥].

أمير الحـج : لقب من أقدم الألقاب الوظيفية في الإسلام. استخدم لأول مرة في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) حين أمر رسول الله ﷺ، واليه على مكة عتاب بن أسيد بإقامة الحج للناس بعد الفتح[٤٦]. وفي السنة التالية حجّ أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - بالمسلمين أميراً، فكان أول أمير حجّ يفد مع قافلة حجّاج من خارج مكة[٤٧]. واهتم الأمويون ثم العباسيون بإمارة الحج فأسندوها إلى من يثقون بهم من أقاربهم وكبار قوادهم، كما أسندوها في كثير من الأحيان إلى والي المدينة أو مكة[٤٨]. كما اهتم المؤرخون وكتاب النظم بتسجيل أسماء أمراء الحج لكل عام، وبيان شروط وواجبـات ومهام هذه الوظيفة[٤٩]. وبعد أن سيطر الفاطميون على الحجاز برزت مكانة أمير الحج المصري، فأصبح يُقدّم في مكة على غيره من أمراء القوافل القادمة من العراق والشام. وفي العصر المملوكي تولى

---

(٤٢) العمـري، ابن فضـل الله، *التعـريف بالمصطلح الشريف*، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ص ٥٠، ٥٦، ٦١، ٦٨؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ - ١٤١٨م)، *صبح الأعشى في صناعة الانشاء*، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، جـ٦، ص٩٨.

(٤٣) السباعي، أحمد، *تاريخ مكة*، الطبعة السادسة (نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، جـ٢، ص ص ٤٥١، ٤٥٢.

(٤٤) أحمد، ليلى عبداللطيف، *الادارة في مصر في العصر العثماني*، (القاهرة: ١٩٧٨م)، ص ص ٣٩١، ٣٩٢.

(٤٥) الصفصافي، أحمد المرسي، معجم *صفصافي تركي - عربي*، (كلية الآداب بجامعة عين شمس ١٩٧٩م)، ص٥.

(٤٦) ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري، وعبدالحفيظ شلبي، الطبعة الثانية (مطبعة مصطفى الحلبي: القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، القسم الثاني، ص٥٠٠.

(٤٧) المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ٥٤٣.

(٤٨) انظر عن أسماء ولاة الحج في العصرين الأموي والعباسي: الرشيدي، الشيخ أحمد، (ت حوالي سنة ١١٧٨هـ - ١٧٦٤م)، *حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج*، تحقيق: الدكتوره ليلى عبداللطيف أحمد (مكتبة الخانجي بمصر: ١٩٨٠م)، ص ص ٩٣ - ١٢٠.

(٤٩) وعن الشروط الواجب توافرها في أمير الحج وما يجب عليه القيام به تجاه القافلة التي يقودها، انظر: الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م)، *كتاب الأحكام السلطانية*، (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ص ص ١٠٨ - ١١٢.

إمارة الحج المصري أمراء المماليك وكبار التّجار وبعض شيوخ العرب[٥٠]. وفي العصر العثماني قصرت على أمراء الألوية[٥١].

مولانــا: أحد الألقاب الفخرية. أطلق على الخلفاء والسلاطين واستخدم فيما بعد لكبار رجال الدين وكبار الأمراء[٥٢].

باشـا: لقب كان يطلق على كبار العسكريين في الدولة العثمانية، مثل كبار القواد، وحكام الولايات، ثم أطلق على كبـار الموظفين المدنيين[٥٣]، وقد تدهور مستواه في نهاية العصر العثماني فأصبح يعطى لكل من تريد الدولة استمالته وكسب تأييده.

الملاحظات العامة على الخط:

لعل الباحث لا يكون مبالغًا إذا اعتبر أن هذا النقش عمل فني رائع، نفذه خطّاط ماهر محترف متقن لصنعته. ولكن الباحث ليتساءل أيضًا عن فائدة كتابة نص تأسيسي بخط على هذه الدرجة من التركيب والتعقيد، يفترض أنه وضع لتأريخ عمل معين واشهار اسم من عمله، فكم من حاج استطاع قراءة هذا النقش وعرف ما فيه[٥٤]. وربما كان على كاتبه أن يزيد في عدد أسطره ويوسّع بين الكلمات كما هو متبع في كتابة الأحجار التأسيسية، لا أن يلجأ إلى الخط بأسلوب كتابة النقوش التزيينية. ولعل سبب ذلك راجع إلى طول النص المراد نقشه والتزام الخطاط بمقاس معين للصخرة التي سينفذ عليها النقش يتناسب مع قطر البئر وشكله الأسطواني.

وقـد التـزم كاتب هذا النقش التزامًا كبيراً بالقواعد الخطية لقلم الثلث. ويمكن ملاحظة جملة من صور الإبداع الفني في عمله، مثل: قدرته على سحب قوائم الألفات في رشاقة متناهية، ودقّة تنفيذه لعراقات (أقواس) الحـروف المستلقية كالـراء والزاي والواو، ومهارته في اثبات حدقة رأس الفاء والقاف والواو وأمثلة ذلك كثيرة في النقش، ونجاحه في تلويز رأس العين المبتدئة «جعلها على شكل لوزة» كعين كلمة «عِباد» في بداية السطر الثاني، وإسباله للميم النهائية المركبة في كلمة «الرحيم» بالسطر الأول. وفيما يلي جدول بأشكال الرسم المختلفة لكل حرف استخدم في هذا النقش:

---

(٥٠) ولمزيد من المعلومات عن وظيفة أمير الحج في العصر المملوكي يمكن الرجوع إلى السليمان، علي بن حسين، *العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك*، (الشركة المتحدة للنشر والتوزيع: القاهرة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، ص ص ٨٠ ـ ٨٦.

Jomier, Jacque, *Le Mahmal et La Caravane égyptienne des Pèlerins de la Mecque (XIII^e-XX^e siècles)* èd. I.F.A.O., 1953, pp. 74-92.

(٥١) وعن إمارة الحج في العصر العثماني، انظر: عمر، سميره فهمي علي، *إمارة الحج في مصر العثمانية*، (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) رسالة ماجستير نوقشت عام ١٩٨٣م بجامعة الإسكندرية.

Shaw S. J., *The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt, 1517-1798*, Princeton N.J. 1962.

(٥٢) الباشا، حسن، *الألقاب الاسلامية*، ص ص ٥١٩ ـ ٥٢١.

(٥٣) صفصافي، *معجم تركي ـ عربي*، ص ٣٩٠.

(٥٤) وقد بذل الباحث جهدًا غير عادي حتى تمكن من قراءة هذا النقش، ولا يفوته أن يقدّم الشكر لزميليه الدكتور مسعد الشامان، والدكتور عوض القوزي، على ما قدماه من مساعدة.

الحرف	البداية		الوسط		النهاية	
	مفرد	مركب	مفرد	مركب	مفرد	مركب
أ	اا					ما
ب		ابابا		ـبـ	ب ب	
ت		تـ			ة	ـة
ث				ـثـ		
ج		جـ		ـجـجـ	ج	
ح		حـ		ـحـحـ		
خ				ـخـ		ـخ
د				ـد	د د	ـد
ذ				ـذ		
ر	ر		ر	ـر ـر	ر	ـر
ز			ز ز	ـز		
س		سـ سـ		ـسـ	س	
ش		شـ		ـشـ ـشـ		

الحرف	البداية		الوسط		النهاية	
	مفرد	مركب	مفرد	مركب	مفرد	مركب
ص		صـ		ـصـصـ		
ض				ـصـ		
ط				ط		
ظ				ظ		
ع	ع			ـعـ		
غ				غ		
ف		فـ		ـفـ ـفـ		ـف
ق		قـ		ـقـ ـقـ		ـق
ك		كا كا			ك	ـك
ل				ال ال		ـل ـل
م		مـمـمـ		ـمـ ا		ـم ـم
ن		نـ		ـنـ ـنـ ـنـ	ن ن ن	ـن ـن
هـ		هـ هـ هـ			ه	ـه ـه ـه

الحرف	البدايـة		الوسـط		النهايـة	
	مفرد	مركب	مفرد	مركب	مفرد	مركب
و	وو		و	وو		
لا			لا			لا
ي		ييي		ييي يي	ي	يا

لفظ الجلالة: تكرر ست مرات في هذا النقش، ورسم في جميعها بألف طويلة مسحوبة ولامين قصيرتين، الأولى منهما مُروَّسة. أما الهاء فدائمًا مخطوفة (الله).

الدراسة المقارنة:

يغلب على الظنّ أن الخطاط الذي حفر هذا النقش هو الخطاط نفسه الذي نفّذ النص التأسيسي المثبّت على مدخل قلعة المويلح. فكلا المنشأتين ـ البئر والقلعة ـ بنيتا في الوقت نفسه، وتحت إشرافٍ معماريٍّ واحدٍ. ويعزز هذا الاعتقاد التشابه الكبير بين خطّ النقشين، وتماثل رسم حروفهما (انظر الشكل رقم ١٠).

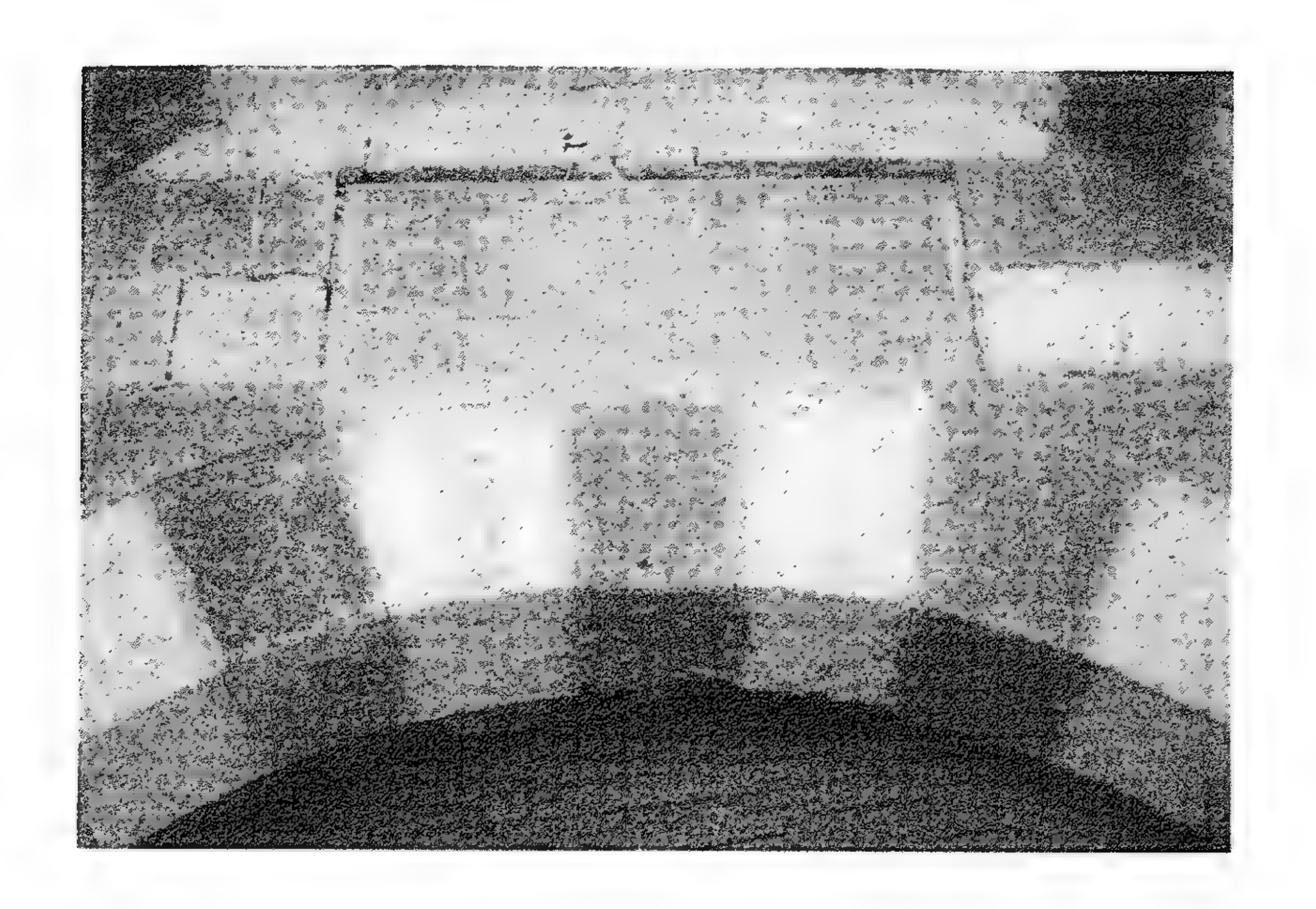
ونقش البئر هو السابق في التنفيذ لأنه مؤرخ بنهاية شهر ذو الحجة من عام ٩٦٧هـ، في حين أن نقش القلعة مؤرخ بالعام الذي يليه[٥٥]. وإذا قارنّا بين النقشين نجد:

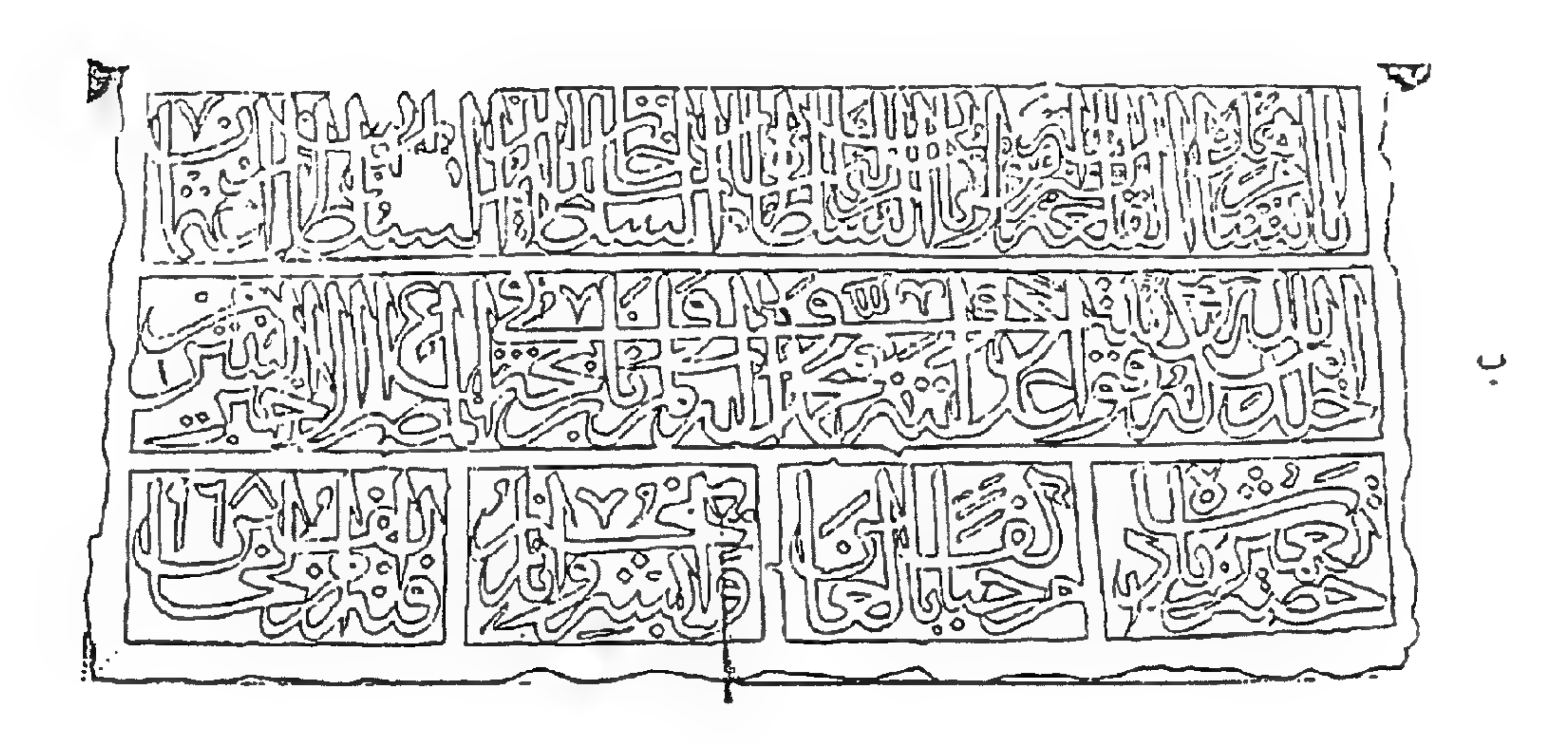
١ ـ أنهما حفرا على النوع نفسه من الرخام وبالمستوى نفسه من الجودة والإتقان.

٢ ـ أن الخطاط تخلى في نقش القلعة عن التركيب الشديد للحروف والكلمات بسبب كبر المساحة المتاحة له، فجاء النقش واضحًا سهل القراءة.

---

(٥٥) والغالب أن بناء القلعة تم في بداية عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠ ـ ١٥٦١م) لأنها كانت شبه مكتملة عندما مرّ بها الجزيري في نهاية عام ٩٦٧هـ.





ب

شكل رقم (١٠): ا ـ صورة لنقش قلعة المويلح .

ب ـ رسم مفرغ لنقش قلعة المويلح نقلاً عن هشام عجيمي (قلعة المويلح : دراسة معمارية حضارية) لوحة رقم ١١٠.



شكل رقم (١١): نقش من مدرسة السلطان قانصوه الغوري بالقاهرة. نقلاً عن: حسن المسعود، الخط العربي، ص٨٧.



شكل رقم (١٢): نقش من جامع سليمان باسطنبول، من عمل الخطاط التركي الشهير حسن أحمد قره حصارى. نقلاً عن: حسن المسعود، الخط العربي، ص٨٩.

٣ ـ أن الخطاط أكثر من وضع حركات التشكيل في نقش القلعة لملء الفراغات الحاصلة بين الحروف وبين الكلمات، ولم يفعل ذلك إلا في البسملة، وبعض الكلمات في نقش البئر.
٤ ـ استخدم الأرقام في كتابة التاريخ في كلا النقشين(٥٦)، وهو أمر شاع استعماله قبيل هذه الفترة واستمر بعدها.
٥ ـ وجود كلمات في كلا النقشين سُهِّلت فيها الهمزة إلى ياء، وأمثلة ذلك في نقش البئر كلمة هنيًّا وكلمة البير، وفي نقش القلعة كلمة الخايفين.

وخطّاط هذين النقشين يرجح أنه قدم من مصر مع فريق عمل قيت بن عبدالله الداوودي، وقد يكون غير مصري الأصل. ولا نميل إلى ما ذهب إليه زميلنا الدكتور محمد بن فهد الفعر من أن نقش قلعة المويلح من عمل خطّاط حجازي(٥٧). لأن المويلح ـ قبل إنشاء القلعة بها ـ كانت منهلاً من مناهل المياه تنزل عليها العربان، ويُستبعد وجود خطّاط بهذا المستوى من بين بدوها كما يُستبعد استقدام خطّاط من مدن الحجاز لعمل هذين النقشين، فمصر أقرب إلى المويلح من مكة أو المدينة أو أي مدينة حجازية يمكن أن يوجد بها خطّاط بهذا المستوى في ذلك الوقت. وقد قدم منها فعلاً ـ بدلالة نصّ الجزيري ـ المعماريون الذين بنوا هذه البئر وهذه القلعة(٥٨). ومستوى خطّ النقشين نجده في نقوش نهاية العصر المملوكي، والنقوش التزيينية بمدرسة السلطان قانصوه الغوري خير دليل على ذلك. (انظر الشكل رقم ١١). ويمكن القول أيضًا إن خط هذين النقشين لا يقلّ في مستواه عن خطّ الخطاط التركي الشهير حسن أحمد قره حصارى الذي تُوفي في سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م، ويتضح ذلك بمقارنتهما مع نقوش جامع سليمان باسطنبول التي نفذها قره حصاري قبيل وفاته. (انظر الشكل رقم ١٢).

الخاتمة: إن النقوش التأسيسية التي وضعت على عمائر طريق الحجّ المصري إبّان العصور الإسلامية المختلفة كثيرة جدًّا حسب ما يرد من ذكرها في المصادر التاريخية. ولكن الموجود منها اليوم على ما تبقى من مباني الطريق قليل ومحدود. وعثورنا على هذا النقش يفتح باب الأمل أمام الباحثين للعثور على مزيد منها. وهو أمر إن تحقّق سوف يُثري معلوماتنا عن تاريخ هذا الطريق والمناطق التي يمرّ بها. ولولا بقاء هذا النقش لما أمكن التعرف على البئر التي أوقفها أمير الحجّ المصري عثمان بن أزدمر في المويلح، كما أنه أضفى دلالة أوسع على نصّ الجزيري الذي يتحدّث عن هذا المشروع، فضلاً عن كونه وثيقة تاريخية مهمّة من بداية فترة الحكم العثماني للحجاز يضيفها الباحث إلى المنشور من وثائق تلك الفترة.

---

(٥٦) وزاد في نقش قلعة المويلح تاريخًا بحساب الجمّل.

(٥٧) الفعر، محمد بن فهد، *«الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني، من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري، (١٤ ـ ١٨م)»* رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت في عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) بجامعة أم القرى، ص٣٣٢.

(٥٨) الجزيري، *الدّرر*، جـ٢، ص ١٣٨٠.

القسم الإنجليزي

"Arabic Section"

Secondly, in such a cool or cold climate, exclusion of the wind and the rain was necessary and the architects on Jabal Banī Mālik had less need than elsewhere in Arabia to consider the effects of extreme heat in houses.

The building was not in use for domestic purposes at the time of the writer's visit, and it is not easy on the basis of this house alone to interpret confidently how such houses were inhabited. Judging from houses nearby on Jabal Fayfā, which the writer visited, the lowest room would have been used for storage. The middle floor was probably for reception, and the upper floor was for cooking. However, this is speculation and the writer entered no private house on Jabal Banī Mālik which was in current domestic use.

The house lacked internal decoration on the walls, but this may reflect its use as a government building. On the exterior, like many houses of the region, the house at al-Qahaba had white quartz blocks at the corners of the parapet which surrounded the top of the building. Elsewhere in the area, white quartz was used to form simple, limited patterns against the dark masonry.

At al-Tahir, on the summit of Jabal Banī Mālik, rather different tower houses were found. These were rectángular and stone-built like those at al-Qahaba, but the houses in the main were loftier, rising to four stores. The summits had terraced roofing at split levels. The walls were articulated by pairs of windows to each floor, carefully situated one pair above the next, floor by floor. The windows were stressed by a surrounding outline of white plaster, contrasting with the dark masonary of the walls. The house of al-Thahir, like those al-Qahaba and the rest of Jabal Banī Mālik were in effect fortresses, built with security as a prime concern in a time when the peace of recent decades was entirely absent.

Dating these houses proved to be very difficult. It seems reasonable to believe that in this part of Arabia the tower house is of great antiquity. Furthermore, many of the standing houses may themselves be quite old. The are sturdily built and look likely to last for a long time. Enquiry among the local peopole brought varied but imprecise responses. Some said the houses were more than a century old, or from about three generations ago. Other informants said that the houses date from before Islam, but this may merely mean from before the arrival of Saudi govenment in the 1340s/1920s. Archaeological investigation would help to explain the age of buildings of the types that still stand, while the surviving buildings would be of great help in attempting to reconstruct the elevations of ancient houses now fallen.

Notes

1 The writer is indebted to Dr. ᶜAbd al-ᶜAziz al-Sowayegh, formerly Assistant Deputy Minister of Information for arranging this visit, and making every facility available. In Jizān, the hospitality and assistance provided by the Amāra was invaluable and without this it would have been to impossible to visit the area.

2 King, G.R.D. *The Historical Mosques of Saudi Arabia,* London (1986), pp. 75-79.

3 Philby, H.St.J. *Arabian Highlands,* Ithaca, New York (1952), p. 501.

Some Domestic Buildings of Jabal Banī Mālik in the Tihāma Mountains.

Dr. Geoffrey King

East of Jizān is the Tihāma mountains, one of the more remote areas of Saudi Arabia even today. The landscape is impressive, with the hill-sides cut out by stepped terraces which form field systems. These reflect a massive human effort to exploit the agricultural potential of this district. The archaeology of the region is little known, and it is impossible at present to assess the antiquity of these terraces, but it cannot be doubted that the system and probably the terraces themselves are ancient.

The writer had the opportunity in 1404/1984 to spend two days in this district (11th-12th Rabi II/14th-15th January) thanks to the kindness of the Ministry of Information.[1] Elsewhere we have discussed some of the mosques of this area.[2] The present note records interesting houses in the Banī Malik district of the Tihāma mountains. These deserve further investigation for their intrinsic interest as representative local building types and also for the information that they may preserve on the nature of buildings in the highlands in more distant times.

The Banī Mālik hamlets and villages are perched on mountain ridges and bare rocky ledges apparently to avoid diminishing the available land for terracing to allow farming. The building material encountered everywhere in the region is stone, roughly cut to shape and overlaid, with no cementing mortar, plaster sometimes disguising the underlying masonary. Today the residence of the local Amīr is in the valley below Jabal Banī Mālik but in earlier times, the administrative centre was at al-Qahaba on the summit of the Jabal. In al-Qahaba, the writer visited a house which was described by H.St.J. Philby in 1355/1936, when it was being used as a local administrative building.[3]

This house was built in stone, and its walls were left bare of plaster, although other houses in al-Qahaba and elsewhere in the district of Banī Mālik were covered in white plaster. The frequent rain in the highlands must make renewal of the plaster a frequent task of the house-owners. This house was rectangular in ground-plan with its walls banked. The sole access was on the south side where a simple rectangular doorway was provided. This gave onto a ground-floor divided into three separate rooms. The room in the centre formed a lobby, which is turn gave onto a staircase in stone on the northern side, allowing access to the upper floors of the house. From the central lobby it was also possible to reach the lateral rooms to east and to west. These rooms had ceilings supported on wooden columns, which in turn held up beams of wood running from the top of each column to the exterior walls of the house.

There were two upper floors which repeated the ground-plan of the lowest floor, although with the rise of each storey the area was reduced as a result of the banking of the walls. The rooms were dark as the narrow slit windows were more concerned with defence of the house than with illuminating the interior. Such windows are common in the area and reflect the instability of the past, inasmuch as they were made necessary by the need to fortify the houses.



Pl. No. 4: Mould No. 1 and its cast.



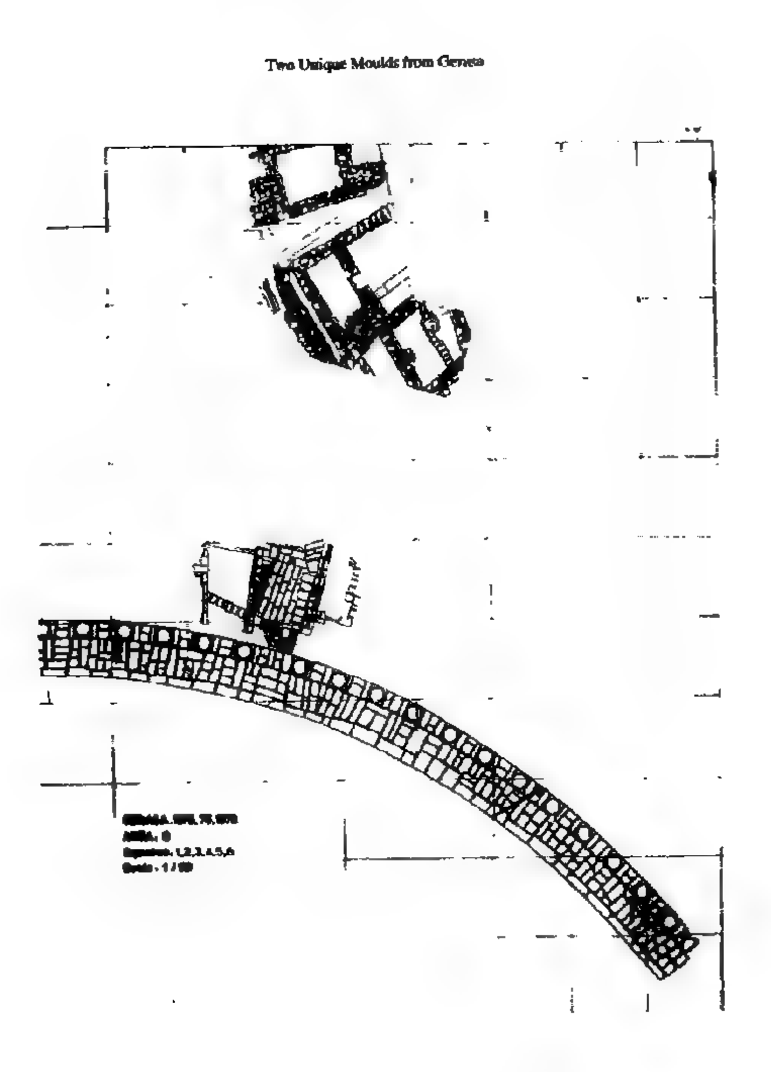
Pl. No. 5: Mould No. 2 and its cast.



Pl. No. 3: East-west view of Square 5, Area B.



Pl. No. 2: North south view of Squares 1-4, Area B, with Square 4 to the right.



Pl. No. 1: Top plan showing part of the western colonnade with Squares 1-6 of Area B.

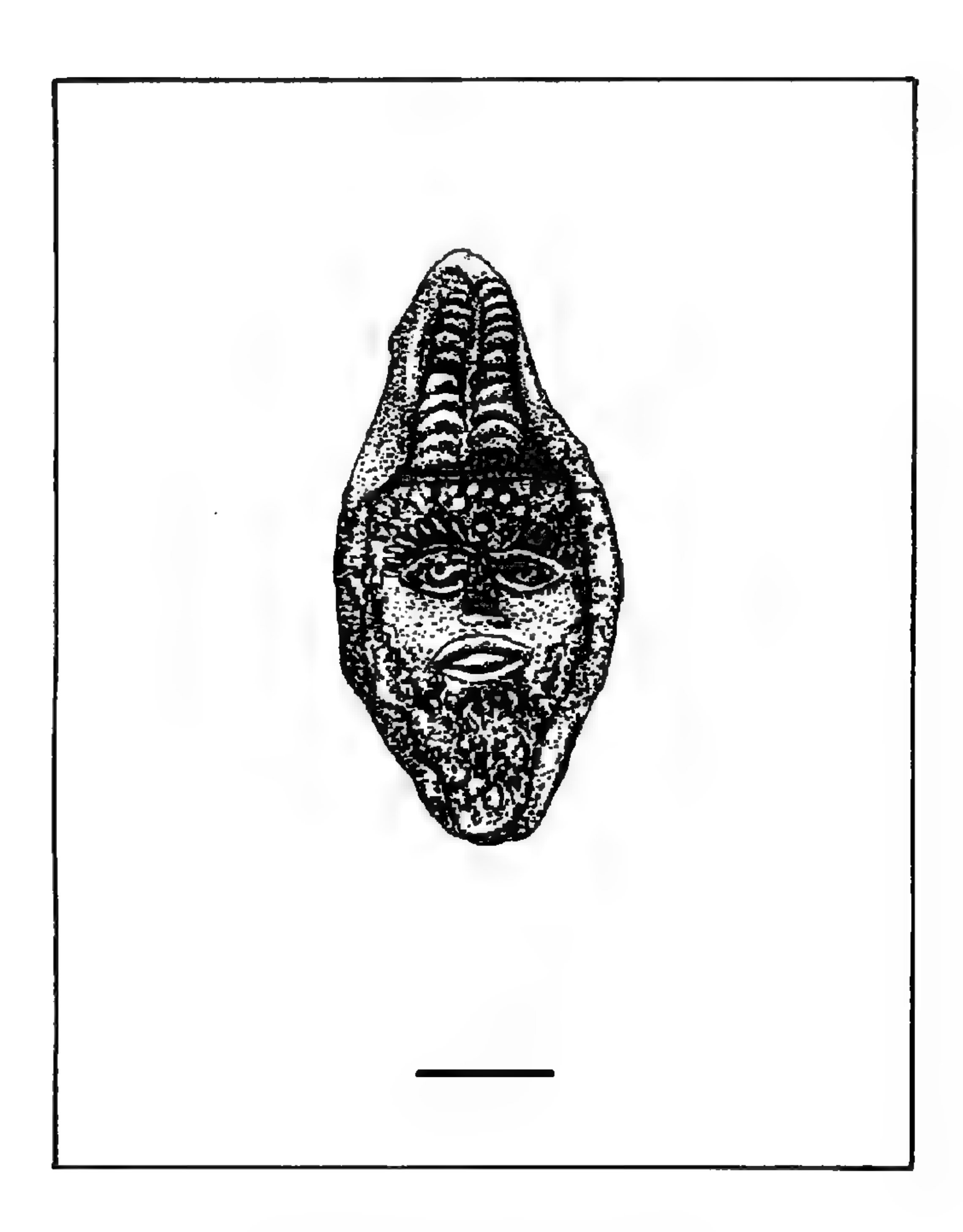


Fig. No. 2: Drawing of mould No. 2.

Figures and Plates



Fig. No. 1: Drawing of the cast of mould No. 1.

7. Cf. H.W. Janson, *op. cit.*, p. 201.

8. A plastic head figure (anthropomorphic) on the belly of a Byzantine wheel-made jug carry close affinity to the figure of mould 1, dated A.D. 6th. – 7th. century, was found in Gerasa, cf. E. de Montlivault, "Remarques sur un lot de ceramique d'Epoque Byzantine", pp. 71–73, Fig. 20.1, in F. Zayadin (ed.), *Jerash Archaeological Project, 1981–1983, I,* (Amman: Department of Antiquities of Jordan, 1986). The remarkable two raised circles, with dots in centres at either side of the wick-hole of the large "slipper-shape" Byzxantine lamps from Palestine and Jordan are noticeable, as they carry very close similarity to the form of the face in the mould. Radial pattern on rims around filling-hole reflects the same treatment of hair on the figure. In tracing such element, the circles on lamps seem to increase, by passage of time. First, two circles, then three in Early Ummayad, in which later they dominate the whole rim around the filling-hold. Cf. in particular, Renate Rosenthal and Renee Sivan, "Ancient Lamps in the Sohloessinger Collection", *Qedem 8,* 1978, pp. 112-13, 118, and p. 134, Figs. 547-50. Also similar modelling of face, eyes and hair could be seen in plastic figure on a Coptic terracotta flask (flat circular "Ampula"), as well as on a terracotta figuriene from Egypt dated to A.D. 6th – 7th century. Cf. A. Badawy, *op. cit.,* p. 346, Figs. 553-54. Icons "...had developed in early Christian times out of Greco-Roman portrait panels", H.W. Janson, *op. cit.* p. 213.

9. A number of plastic lamps carry same characteristics of the figure of mould 2, dated from Late 1st. B.C. – A.D. 3rd. century. Cf. D.M. Balley, *Catalogue of the British Museum I: Greek, Hellenistic and Early Roman Pottery Lamps,* (London: British Museum Publication, Ltd., 1975), pp. 267-8, No. Q577EA, pl. 111, pp. 351-52, No. Q743, pl. 137 and p. 356, No. Q752, pl. 138; Tihamer Szenttkekey, *Ancient Lamps,* (Budabest: Akademia Kaido, 1969), pp. 85–88, Nos. 114-16, 119 and 154; C.A. Kennedy, "The development of Lamp in Palestine, *Berytus XIV,* Fasc. II, 1963, pp. 67-115, Figs. 599, 601-2.

Dating

Mould No. 1, is plainly Byzantine theme belongs to late 6th – 7th century A.D. It was probably intended for plastic figure on a wheel-made vase, or an Icon plaque?(8)

Mould No. 2. betrays Hellenistic spirit that continued striving up to the third century A.D. It was probably intended for figurative moulded-lamp. A precise date, therefore, is difficult. Depending upon associated pottery and coins a first – second century A.D. date is suggested. This is also strengthened by the idea that the splayed end of the beard of the figure would produce a splayed lamp nozzel of 1st. – 2nd. century A.D. type.(9) However, the figure itself, reflects symbolic feeling or mystic atmosphere with a combintion of dignity and serenity.

Notes

1. For preliminary account of three seasons, cf. Asem N. Barghouti, "Urbanization of Palestine and Jordan in hellenistic and Roman Times", *Studies in the History and Archaeology of Jordan I,* (Amman: Department of Antiquities of Jordan, 1982), pp. 209-229.

2. "Byzantine" layer of square 4, yielded 13 coins: 7 obscure, Byzantine; 1 obscure, Umayyad; 1 of Arcadius (A.D. 383–408); 2 (follis and half follis), of Anastasius I (A.D. 491–518); 1 of Justin II (A.D. 565–578), Anno 3, A.D. 567/8; 1 (follis) of Tiberius II (A.D. 578–582), Anno 7, A.D. 580/1. "Roman Imperial" layer of square 5, yielded 3 coins: 1 of the Nabataen King Aretas IV and his queen Shaqilat I (9 B.C. – A.D. 40); 2 of Commodos (A.D. 177–180).

3. "Tiara": a pointed cap with three flaps, one behind and one at each side, originally an Oriental head-dress (Assyrian-Babylonian, Achmenian and Parthian), it could be worn in a variety of ways and shapes. "Mitre": tall head-dress worn by Bishops at certain ceremonies. Ivory carvings of Bishop's head with mitres carry affinity to the crown in mould 2., were found in Hesban, cf. J. Lawlor, "The 1978 Excavation of Hebsan North Church", *Annual of the Department of Antiquties of Jordan, XXIV,* 1980, pp. 95–105, pl. LX.

4. Such artistic spirit and mode can be traced through the five centuries of our era in painting, mosaic floors and sculpture in Roman Imperial and Byzantine world. Cf. Hellen Gardner, *Art Through the Ages,* (4th. rev. ed.), (London: G. Bell and Sons, Ltd., 1959), pp. 191-205; H.W. Jonson, *A History of Art,* (London: Thames and Hudson, 1981), pp. 193-124; Alexander Badawy, *Coptic Art and Archaeology: The Art of the Christian Egyptian from the Late Antique to the Middle Ages,* Cambridge, Massachusetts and London, England: The MIT Press, 1978). Refering to such element, Badawy remarks: "The evolution is well illustrated in the numerous plaster mummy masks from the beginning of the Roman period until the middle of the third century," p. 125, Figs. 3.18, 4.12.

5. This specific quality of style is evidenced at many Eastern, as well as Western sites. To mention some: Hatra, Dura Europos, Palmyra, Antioch, Constantinople, Gerasa, Madaba, Faiyum in Egypt, Rome and Ravena.

6. Fusion of Hellenistic and revived Oriental traditions in Roman era, elaborately and extensively discussed by Nelson Gluck, *Deities and Dolphins,* (New York: Farrar, Strans and Giroux, 1965), pp. 193–199, pls. 127-132.

The curly hair above forehead, as well as, the long splayed beard, formed by tiny notches or grooves. A grooved band, above forehead, with long feather (palmett?), crowned the head in the form of tiara or mitre.[3] Joined eyebrows formed by diagonal grooves, with a small circle in between. Rectangular-shape ridge nose, terminating on either side in a low ridge eye socket. Lozenge-shape eyes with circle on each centre formed eye balls. Oval-shape open mouth with parted lips, formed by two arched ridges and a lump in between.

Discussion

The two moulds from Gerasa, provide an opportunity for the study of certain artistic elements that were revived in Roman Imperial, then prevailed in Byzantine times. Actually, the figures of the two moulds are unusually simple and clear in style, and, in all probability, executed at Gerasa. But, it is not the question of simplicity with which one may deal, in order to explain and understand their modellings. Rather, it is the artistic mode and spirit that promoted such simplicity. A look at the two figures clearly indicates two distinct and contrasting artistic concepts. One is Hellenistic, aimed to represent the natural form in space and actuality. The other is Oriental sought the abstract representation through symbol artistic forms in rhythmic pattern.[(4)] In other words, one is formed to more Hellenistic-Oriental iconography, the other is formed to Byzantine iconography. The contrast between the two ways of looking at man and his universe, clearly reflected by the manner in which each artist modelled the figure of his mould.

The artist of mould No. 1 was interested in the symbolic concept of the idea which, only needed to be brought out by inspiration and in a simple way. Thus, feature details were patterned in rhythmic combination of linear lines, restricted to curves, circles and dots. The overall design is linear, flat and decorative. The resulting feature therefore, is more a stylized mask than an idealized likeness of a human face. On this account, the mould presents good exponent of the stylized modelling which characterized Byzantine art in the East in general and the Levant in particular.[(5)]

The figure in mould No. 2, represents the fusion of Classical and Oritntal traditions, a style which the artist had inherited from Hellenistic period, where naturalism was a distinctive feature. The figure shows Hellenistic influence, to be sure, but a profound oriental atmosphere has engulfed it, where the iconographic theme have Parthian Achmenian affinity.[(6)] The treatment of the face lacks individualistic and emotional expression that, clearly, betrays established oriental artistic tradition. details, were expressed in generalized and abstract form and frontality, accentuated by lack of fluidity of lines.

Apart from their contrasting modelling, the two figures, probably, carry religious symbolism. What the symbolism of their various elements may be is questionable, but that they do carry symbolism and are not mere decoration is certain. Their symbolism, like their techniques, is clearly a mixture of Oriental Christian elements.

With the passage from paganism to Christianity, art offered suitable example of that change in meaning and form. This type of artistic spirit may have been existed as early as in the second century. It was two centuries later that the artistic climate of the whole region became Christian. Early Christian art was primarily an art of symbols. Images were simple expressed in generalized and abstract forms. Such artistic manner constituted a dominant element of Early Christian and Byzantine art.[(7)]

Two Unique Moulds from Gerasa

Dr. Asem N. Barghouti

The two moulds concerned in this article were obtained during the second and third (1976, 1978) seasons of the joint archaeological expedition of the University of Jordan and the Department of Antiquities of Jordan at Gerasa, the Decapolis city, initiatied in the Summer of 1975.[1]

A well established Byzantine and Roman Imperial soil layers in Area B. Squares 4 and 5, yielded the two moulds. The area itself, is located to the west of the western colonnade of the Oval Plaza, (Pl. 1). The work in this area was in attempt to establish its occupational and architectural sequence. Six squares, measuring 5 × 7 meters, were opened in the area during the three seasons – two squares per season. Squares 1 – 4, were 25 meters to the west of the plaza colonnade and Squares 5,6, were just behind the portico itself (Pls. 2, 3).

Pottery collected from the area, included considerable quantity of sherds, few objects and a number of lamps, belong to Umayyad, Byzantine, Roman and late Hellenistic types. The associated bronze coins ranged in date between A.D. 1st. to 8th century.[2]

Collected material from excavatged areas during the three seasons of work, are all deposited at the Archaeological Museum of the University of Jordan in Amman.

Description

Mould No. 1, (G. 1976 / Square 4.13), (Fig. 1, Pl. 4): Hard fired, dark brown ware, pear-shape, flat discus-like, 7.2 cm. long and 6.2 cm. wide, in the form of a bearded head with stylized features, formed in deep relief indicating a high relief orginal model.

The parted hair is formed in curved thick lines at the side of forehead with an (S) shape in the middle. Four dots above eye sockets formed eyebrows. Beard is treated by six dots at one side and five dots on the other side of plain flat face. Two half circles, with a dot at each centre, formed ears at either side of the forehead. Protruding, triangular-shape, ridge noze, terminating on either side to ridge eye socket, like Boucrania. Large rounded eyes shaped in two circles, with a dot at centre forming eye puplis. Chin is formed by a smaller circle with a dot in centre depicting chin-hole. Closed small mouth formed by two parallel lines. All these details are incircled by a groove delimiting pear-shaped face.

Mould No. 2, (G. 1978 / Square 5.16), (Fig. 2, Pl. 5): Hard fired, reddish ware, concave oval-shape with elongated ends. A semi-triangular knob-handle on the back, 8.5 cm. long, 4.2 cm. wide, in the form of a bearded, crowned head, almost modelled in three dimensions, in high relief indicating a deep relief original model.

Salisbury, R.F. - Tooker, E. (Edit): Affluence and Cultural Survival. Proceedings of the American Ethnological Society: 134-149, Washington

Wellhausen, J.
1884 Skizzen und Vorarbeiten I. Letzter Teil der Lieder der Hundhailiten (No. 189-280) Berlin

Pospisil, L.
1975 Anthropology of Law. A Comparative Theory. HRAF Press, New Haven

Pristiany, J.G. (Edit.)

1966 Honour and Shame. Chicago – London
Rathjens, C.
1951 Taghī gegen Scherīᶜa. Gewohnheitsrecht und islamisches Recht bei den Gabilen des jemenitischen Hochlandes. Tribus - Jahrbuch des Museum für Länder-und Völkerkunde. Linden-Museum: 172-187. Stuttgart
Raymond, J.
1981 Honneur et baraka. Les structures sociales traditionelles dans le Rif. Cambridge - Paris
Rossi, E.
1948 In diritto consuetudinario delle tribu Arabe de Yemen. Revista degli Studi Orientali vol. XXIII, Nr. 1-4: 1-36.
1958 Note sull 'irrigatione, 1' agrucultura e el stagiogni nel Yemen. Revista degli Studi Orientale XXXIII, Nr. 8-9: 349-361
Schacht, J.
1975 The Origins of Muhammedan Jurisprudence. Oxford
Schweitzer, G.
1984 Wochenmärkte in der Arabischen Republik Jemen. Das traditionelle Versorgungssystem unter dem Einfluß von Entwicklungsprozessen. Jemen Studien, Bd. 1: 9-24 Wiesbaden
Serjeant, R.B.
1951 Two tribal law cases (documents) (Wāḥidī Sultanate, South-West Arabia). Journal of the Royal Asiatic Society: 33-47, 156-169
1962 Ḥaram ad Ḥawṭah, the sacred enclave in Arabia. In: Mélanges Taha Husain: 41-58 Caire
1977 South Arabia. In: Nieuwenhuijze, C.A.O. va (Edit.): Commoners, climbers and notables. A sample of studies on social ranking: 226-247. Leiden
1982 The interplay between tribal affinities and religious (zaydī) authority in the Yemen. In: Khuri, F.I. (Edit): State and society in the Arab World. Al-Abhath, Journal of the Center for Arab and Middle East Studies, American University of Beirut vol. XXX: 11-50
Ṣanᶜā' the 'protected' Hijrah. In: Serjeant, R.B. Lewcock, R.: Ṣanᶜā', an Arabian Highland Islamic City: 39-43, London
1984 Dawlah, tribal Shaykhs, the Manṣab of Waliyyah Saᶜīdah, Qasāmah in the Faḍlī Sultanate, South Arabian Federation. Lecture at the Symposium in memory of the late Prof. Mahmud Ghūl, Yarmouk University, 8-11 Dec. (in print) Irbid
1987 Famine death without loss of honour in Ancient Arabia and Yemen Arḥab. Bulletin of the School of Oriental and African Studies vol. L. P.3 527-528
Textor, R.B. (comp.)
1967 A cross-cultural summary, HRAF Press, New Haven - Connecticut
Varisco, D.M.
1983 Sayl and Ghayl: The Ecology of Water Allocation in Yemen. Human Ecology, vol. 11, no. 4: 365-383
Varisco, D.M. - Adra, N.
1984 Alliance and the Concept of the tribe in the Central Highlands of the Yemen Arab Republic. In:

Gräf, E.
1952 Das Rechtswesen der heutigen Beduinen. Beiträge zur Sprach-und Kulturgeschichte des Orients. Bd. 5 Walldorf/Hessen
1973 Brauch/ ^{c}urf und Sitte/ ^{c}ada in der islamischen Jurisprudenz. In: Tauchmann, K. (Edit.): Festschrift zum 65. Geburtstag von H. Petri: 122-144. Wien
Henninger, J.
1963 Deux études récentes sur I'Arabie Préislamique. Anthropos, vol. 58: 437-476
1968 Zum Erstgeborenenrecht bei den Semiten. In: Gräf, E. (Edit.): Festschrift für Werner Caskel zum siebzigsten Geburtstag am 5. März 1966 gewidmet von Freunden und Schülern: 162-183.
1972 Zum Erstgeborenenrecht im alten Südarabien. Ethnologische Zeitschrift Zürich, I: 185-192.
1981 Einiges über Ahnenkult bei arabischen Beduinen. In: Arabica Sacra. Aufsätze zur Religionsgeschichte Arabiens und seiner Randgebiete. Orbis Biblions et Orientalis, 40: 170-189. Göttingen.
Kruse, H.
1979 Tribal Systems and Social Stratification. The Case of North Yemen. Indian Journal of Political Science vol. 40, no. 3: 380-394.
Landberg, Comte de
1097 Arabica IV Leiden
1901 Etudes sur les dialectes de l'Arabie méridionale. I vol. Ḥaḍramout. Leiden
1920, 1927, 1942 Women in the aiyām al-^{c}arab. A Study of female life during warfare in pre-Islamic Arabia. Royal Asiatic Society, Price Publication Fund, vol. XVI, London.
Madelung, W.
1984 Land Ownership and Land Taxation in Northern Yemen and Najrān: 3rd-4th/9th - 10th century. In: Khalidi, T. (Edit.) Land Tenure and Social Transformation in the Middle East. American University of Beirut: 1989-207. Beirūt
Meeker, M.E.
1976 Meaning and Society in the Near East: Examples from Black Sea Turks and the Levantine Arabs. International Journal of Middle East Studies, vol. 7, part I: 243-270, part II: 383-422.
Müller, D.H. - Rhodokanakis, N.
1913 Eduard Glasers Reise nach Mārib. Sammlung I Eduard Glaser. kaiserliche Akademie der Wissenschaften. Wien
Mundy, M.
1979 Women's Inheritance of Land in Highland Yemen. Arabian Studies vol. V: 161-187
1989 On the Life and Death of a beautiful Source: irrigation and society in a Yemeni valley from the 17th to the 20th century. Peuples méditerranées, vol. 1 (in print)
Myntti, C.
1979 Women and Development in Yemen Arab Republic. German Agency for Technical Cooperation. Eschborn
Al-Nahrawālī, Al-Makkī,
1967/1387 H. Quṭb al-Dīn Mūḥammad b. Aḥmad: Al-Barq al-Yamānī fī 'l-fatḥī al-^{c}Uthmānī. al-Riyāḍ
Obermeyer
1981 Tāghūt, Man^{c}, and Sarī^{c}q: the realms of law in Tribal Arabia. In: Kadi, N. (Edit): Islamica and Arabica. Festschrift for Ihsan Abbas: 1-7 Beirut
Pitt-Rivers, J.
1966 Honour and Social Status. In: Pristiany, J.G. (Edit.): Honour and Shame: 21-77 Chicago - London

Dostal, W.
1983 Some Remarks on the Ritual Significance of the Bull in pre-Islamic South Arabia. In: Bidwell, R.-Smith, G.R.: Arabian and Islamic Studies. Articles presented to R.B. Serjeant on the occasion of his retirement from the Sir Thomas Adam's Chair of Arabic at the University: 195-213. London – New York
"
1985 Egalität und Klassengesellschaft in Súdarabien. Anthropologische Untersuchungen zur sozialen Evolution. Wiener Beiträge zur Kulturgeschichte und Linguistik Bd. XX, 1983. Horn – Wien
Dresch, P.
1984a The position of Shaykhs among the Northern Tribes of Yemen. Man, vol. 119 (N.S.): 31-49.
1984b Tribal relations and political history in Upper Yemen. In: Pridham, B.R. (Edit.): Contemporary Yemen: Politics and historical background. Center for Arabian Gulf Studies: 154-174. London – Sydney
1986 The Significance of the Course Events Take in Segmentary Systems. American Anthropologist vol. 13 (N.S.): 309-324.
1987a Episodes in a Dispute between Yemeni Tribes: Text and Translation of a Colloquial Arabic Document. Der Islam 64: 68-86.
1987b Placing the Blame. A Means of Enforcing Obligations in Upper Yemen. Anthropos 82: 427-443.
Forrer, L.
1942 Südarabien. Nach Al-Hamdānī's "Beschreibung der Arabischen Halbinsel". Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, Bd. XXVII, 3. Leipzig
Frese - Weghöft, G.
1986 En Leben in der Unrichtbarkeit. Frauen im Jemen. ro-ro-ro aktuell 5645 A. Hamburg
Gätje, H.
1971 Koran und Koranexegese. Zürich - Stuttgart
Gingrich, A.
1986 ᶜīš wa milḥ: Brot und Salz. Vom Gastmahl bei den Ḥawlān bin ᶜĀmir im Jemen. Mitteilunger der Anthropologischen Gesellschaft Wien, Bd. 116: 41-69.
1987 Die Banū Munebbih im nördlichen Hawlān. Einge vorläufige Ergebnisse ethnologischer Feldforschung im Nordosten der AR Jemen, Sociologus, N.F. Jhg. 38, H. 1: 89-93
1988 How the chief's daughters marry. Tribes, marriage patterns and hierarchies in Northwest-Yemen. In: Gingrich, A.-Haas, S.-Haas, Sy.-Paleczek, G. (Edit.): Kinship, Social Change and Evolution. Proceedings of the symposium held on the occasion of the 60th birthday of Walter Dostal. Vienna Contributions of Ethnology and Anthropology, 6. (in print) Horn – Wien
1989 Guest's Meal among the Munebbih. Some considerations on tradition and change of ᶜaysh wa milḥ in north-west Yemen. Peuples méditerranées, vol. 1 (in print)
Gingrich, A. - Heisz, J.
1986 Beiträge zur Ethnographie der Provinz Ṣaᶜda (Nordjemen). Osterreichische Akademie der Wissenschaften Phil.-Hist. Kl., Sitzungsberichte 462 Bd., Veröffentlichungen der Ethnologischen Kommission Nr. 3. Wien
Glaser, Ed.
1884 Meine Reise durch Arḥab und Hāschid. Petermann's Mitteilungen, vol. 30: 170-183, 204-213.
1886 Mittheilungen über einige aus meiner Sammlung stammenda Inschriften nebst einer Erklärung in Sachen der D.H. Müller'schen Ausgabe der Geographie Al Hamdani's. Prag (Selbstverlag)
n.d. Geographische Forschungen im Jemen I. - III. Band Manuscript (quoted as G.F.)

BIBLIOGRAPHY

Abū Ghānim, Faḍl ᶜAlī Aḥmad.
1985/1405 H. Al-bunyah al-qabalīyah fī'l-Yaman. Ṣanᶜā'

Abou Zeid, Ahmed M.
1966 Honour and Shame among Bedouins of Egypt. In: Pristiany, J.G. (Edit.): Honour and Shame: 245-259 Chicago – London

Adra, N.
1982 Qabyala. The Tribal Concept in the Central Highlands of the Yemen Arab Republic. Diss. phil. University Microfilms International Nr. 83 11 575 Ann Arbor

Ahlwardt, A. (Edit.).
1978 The Divans of the Six Ancient Arabic Poets. London

Al-Akwaᶜ, Qāḍī Ismāᶜīl b. ᶜAlᶜ.
1984/1405 H. Al-anthāl al-Yamānīyah. 2 vol. Sanᶜā' – Beirut

Al-Bāshā, Asmāᶜ Yaḥā
1988 Women in Yemen – Past and Present. In: Daum, W. (Edit.): Yemen. 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix: 392-395. Innsbruck – Frankfurt/Main

El Baradie, A.
1983 Gottes-Recht und Menschen-Recht. Grundlagen-probleme der islamischen Strafrechtslehre. In: Jeschek, H.-H. (Edit.): Rechtsvergleichende Untersuchungen zur gesamten Strafrechtswissenschaft. 3. Folge, Bd. 14 Baden – Baden

Bourdieu, P.
1966 The Sentiment of Honour in Kabyle Society. In: Pristany, J.G. (Edit.): Honour and Shame: 191-241. Chicago – London.
1979 Entwurf einer Theorie der Praxix. Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft Nr. 291. Frankfurt/Main.

Brauer, E.
1934 Ethnologie der jemenitischen Juden. Kulturgeschichtliche Bibliothek. I. Reihe: Ethnologische Bibliothek 7. Heidelberg

Brockelmann, C. (Edit.)
1891 Diwān des Labīd. II. Text. Leiden

Bruck, G. vom
1988 Re-defining Identity: Women in Ṣanᶜā'. In: Daum, W. (Edit.): Yemen. 3000 Years of Art and Civilization in Arabia Felix. 396-400. Innsbruck - Frankfurt/Main

Caskel, W.
1966 Gamharat an-Nasab. Das genealogische Werk des Hisām ibn Muḥammad. 2 vol. Leiden

Chelhod, J.
1976 Le droit intertribal dans les hauts plateaux au Yemen. In: Al-Bahit. Festschrift Joseph Henninger. Studium Instituti Anthropos 28: 49-76.

further ado." Ḥāshid: The destroyer of the peace (a ṣulḥ fī'l-wadjh) is not punished with cutting off of a hand but with a monetary fine (150 to 110 talers). In the case of payment being refused, hostilities ensue."

121. Abū Ghānim, p. 285.
122. Grohmann, p. 132.
123. Abū Ghānim, p. 285 f.; cf. also Glaser, 1884, p. 176a; G.F.II./III.2.P., p. 101 v.
124. Pospisil, p. 344 f.
125. op. cit., p. 341 f.

92. op. cit., p. 246; Mundy, 1979; the social life of women is illustrated by al-Basha; Bruck, Frese-Weghöft and Mintty
93. Betzler, p. 279 f., 178 f.
94. Abū Ghānim, p. 258; Adra, p. 206 f.; Dostal, 1985, p. 255 f.; Glaser, 1884, p. 1760b; G.F.II/III.2.P., p. 101v, 112. For "hidjrah al-bayt"s.also Puin, p. 434
95. Betzler, p. 129 f.; Varisco, 1983, p. 368 f.
96. op. cit.
97. Varisco, 1983, p. 369.
98. Mundy, 1989, n. pag.
99. Dostal, 1985, p. 323 f.
100. op. cit., p. 324, 331.
101. Abū Ghānim, p. 288.; Dostal, 1985, p. 328 f.; Betzler, p. 205 f.; Puin, p. 487; Schweitzer.
102. Dostal, 1985, p. 234; Puin, p. 487.
103. Glaser: Tagebuch XI. p. 121.
104. Puin; Serjeant, 1962.
105. Puin, p. 486; For Arḥab Ṣirwāḥ cf. Dostal: Eduard Glaser Im Yemen, II./7, n.pag.
106. Gingrich, 1987, p. 92; 1989, n.pag.
107. For details s. Glaser, 1884, p. 176 f.; G.F.II./III.2.P., p. 101, 102 r/v., 121 r/v., Müller-Rhodokanakis, p. 122 f.; Dresch, 1984b, p. 161 f.; 1987; Serjeant, 1951.
108. Dostal, 1985, p. 212 f.
109. op. cit.
110. Dresch, 1987, p. 70.
111. Cf. Serjeant, 1977, p. 229.
112. Müller-Rhodokanakis, p. 123b; Abu Ghanim, p. 265 f.
113. Al-Nahrawālī, p. 2
114. Abū Ghānim, p. 268 f.; Dresch, 1987, p. 76 n. 12, 77 n.16; Glaser, 1884, p. 177b.
115. Bourdieu, 1979, p. 35.
116. For details cf. Müller-Rhodokanakis, p. 123 f.
117. op. cit.; Abū Ghānim, p. 296; Landberg, Glos, Dat., p. 172 f.; for the procedure of the ordeal cf. Landberg, 1897, p. 162 f.. The function of the mubashi' seems to be restricted to some families only cf. Landberg, 1897, p. 171; Serjeant, 1971, p. 77.
118. Abū Ghānim, p. 285 f., 279, 288.
119. Abū Ghānim, p. 285.
120. Glaser, 1884, p. 176a; G.F.II./III.2.P., p. 101v, 112. In the latter he specifies the legal consequences of a violation of the "ṣulḥ fī'l-wadjh". Arḥab/ If this state of peace is violated before the settled period of ture has expired the right hand of the guilty party must be cut off, and indeed the right hands of all who are found to have taken a deliberate part in the violation. Should the culprit not yield himself up this fate, his house is destroyed, and with it the houses of his dependants, and all are stain dead without

71. Glaser, 1884, p. 176 a refers to the phrase: "kull wāḥid fī ashīrat-hu", everybody may give protection within the territory of his lineage". In G.F.II/III,2.P., p. 101v., 102r. Glasef repeats, separted from the one another, the data about Arḥab and the Ḥāshid tribes which he connected in is publication of 1884; Arḥab shaykh must inform his whole tribe, in general each one of his ashirah, of the fact that he has given wadkh (security of peace, or escorty)". Ḥāshid: "The rafīq al-adjanb may in Ṣuraym and Khārif be granted only with the consent of all tribal members. If this is not obtained, then the offer of a qabili to escort someone is invalid. By contrast, among the Uṣaymāt and the Sufyān anyone can agree to act as escort and this agreement will be respected by his fellow tribesmen".
72. Dostal: Eduard Glaser in Yemen, II/5, n. pag.
73. Abū Ghānim, p. 278 f.; Dostal, 1985, p. 329 f.
74. Gingrich, 1986, p. 53. See further: Abū Ghānim, p. 256 f., 284 f.; Adra, p. 180 f.; Rathjens, p. 181; Rossi, 1948, p. 19, 22. Glaser: 1884, p. 175b mentioned instead of "ḍayf" the word "mati'" or "mumatta'"; this is derived from "meaning"to dish" (Landberg, Glos, Dat., p. 2675)
75. Gingrich, 1989, n. pag.
76. Abū Ghānim, p. 256, 284. Glaser misunderstood the legal status of qatir (Müller-Rhodokanakis, p. 107 f.).
77. Abū Ghānim, p. 284, Cf. the description of right of asylum by Glaser, 1884, p. 178a; G.F.II/III.2.P., p. 102v.
78. Dostal, 1985, p. 209 f.
79. Adra, p. 175; Dostal, 1985, p. 211 f.; Glaser, 1884, p. 178a; G.F.II/III.2.P., p. 104r, 112.
80. Glaser: Diary of his journey to Arḥab and Ḥāshid, p. 131.
81. Abū Ghānim, p. 121, 127, 128 f.; Adra, p. 178; Rathjens, p. 183.
82. Adra, p. 199 f.; Glaser, 1884, p. 177a; G.F.II/III.2.P., p. 102r/v.; Müller-Rhodokanakis, p. 35a passim. In the latter p. 35b Glaser reports on the role of the woman in battle among the tribes of east Yemen:" When the tribe marches out one of the women, if possible the prettiest, rides out together with them on a camel. She raises the spirits of the fighters by appealing to their feelings of honour. During the engagement she remaines side-saddle, but always mounted high on the camel, and spurs on the cowardly and faint-hearted. It counts as the greatest disgrace to be called cowardly by the muzayyinah, as the amazon is called, after retreat from the battle. The muzayyinahs of both sides are not fired upon". Apart from the incomprehensible commitment of a muzayyinah, who comes from after all from the socially underprivileged muzayyinin, this custom reminds one of the corresponding role played by the woman during warlike engagements in the "ayyām al'arab". Cf·. Lichtenstädter: pp. 17 f., 21, 41 f., 44, 80, 83.
83. Müller-Rhodokanakis, p. 36.
84. Dresch, 1986, p. 314 f., 1987.
85. Dostal, 1983, p. 121; Müller-Rhodokanakis, p. 34b.
86. Dostal, 1985, p. 214 f.
87. op. cit., p. 217 f.
88. op. cit., p. 219 passim.
89. op. cit.: p. 220; more details given by Betzler, p. 179 f.
90. Dostal, 1985, p. 203
91. op. cit., p. 247; Henninger, 1968.

(Serjeant, 1971, p. 77). See also the phrases" lawm 'alayk", a shame to you, "shāyim wa lāyim", anything what touches a man's honour (Serjeant, op. cit., p. 35,45).

48. Dresch, 1987, p. 436.
49. Glaser, 1884, p. 177 f.
50. Dresch, 1987b, p. 433 f.
51. Indicated also by the phi-coefficient values of the following items from the "Cross-Cultural Summary" compiled by Textor: Code Nr.: 186/204,210,390,392; Code Nr.: 295/391,393; Code Nr.: 389/90, 186, 190, 198, 204, 210, 393, Code Nr.: 390/90, 186, 204, 210; Code Nr.: 391/90, 10, 210,. 386, 393; Code Nr. 392/90, 190, 198, 204, 386, 397; Code Nr.: 393/190, 295, 386, 391, 392.
52. Following Glaser, 1884, p. 177a an adulteress has to be killed, also the adulterer, who may be condemned to pay a compensation. In his G.F.II/III.2P., p. 112 he noted that among Ḥāshid tribes the adulterer has to pay a comapensation and to marry the adulterress if she is pregnant. If he refuses to marry, she has to be killed.
53. For the following cf. Dostal, 1985, p. 205 f.
54. Abū Ghānim, p. 292.
55. Dostal, 1985, p. 193.
56. op. cit., p. 259.
57. cf. also Dresch, 1987, p. 85 n. 52.
58. Müller-Rhodokanakis, p. 134b. The root is obviously ra'ā (cf. Landberg, Glos, Dat., p. 1055). "Muta'wwir" cf. Landeerg, 1901, p. 173; Serjeant, 1951, p. 162.
59. For "bāyis" cf. Dresch, 1987a, p.80 n.28.
60. Abū Ghānim, p. 288.
61. Dostal, 1985, p. 213 f.
62. Müller-Rhodokanakis, p. 35b.
63. Rossi, 1948, p. 21 f.; Adra, p. 177 f.
64. The prohibition of desecration may be rooted in ancient Arab death ministration and aid, but needs further investigations. Cf. Henninger, 1981, p. 184.
65. Adra, p. 148 f,; Dostal, 1985, p. 227,314., 338,362.
66. Abū Ghānim, p. 298,244; Dostal, 1985, p. 194; Brauer, p. 276 f.
67. Abū Ghānim, p. 293.
68. Abū Ghānim, p. 284.
69. Abū Ghānim, p. 265; Adra, p. 178; Dostal, 1985, p. 210 f., 223; Gingrich, 1986, p. 46 f.; Rathjens, p. 181; Rossi, 1948, p. 20. Glaser, 1984, p. 176a is mentioning also "rafīq al-djanb"; he refers to the formula describing the legal status of the traveller as beeing fī qarn wa dhimmah", correted by Rossi, 1948, p. 3 in "fī qarn addh-dhimmah- sotto la protezione". For "qarn" s. Landberg, Glos. Dat. p. 2847 = "au figure protection".
70. Contrary to that custom the payment of a Khāwī was uncommon among the Khawlan b. 'Amir confederation, since the function of a Khāwī was carried out on the basis of reciprocity between the tribes. In the present time this custom became gradually changed by the influence of monetorization (Gingrich, 1968, p. 49).

tions and tribes have no substance". In a further contribution P. Dresch (1986) deals only with the term "ᶜard" in connection with "sharaf", neglecting the other interrelated terms. For the interelationship of honour and customary law cf. Adra, p. 165 f. A different aspect has been discussed by J. Raymond, who emphazises the interdependence of the two value systems, honour and the religious dimension of baraka, illustrated by the Iqargen, a Berber society.

35. Grāf, 1952, p. 123 n.1.
36. Serjeant, 1987, p. 529.
37. Serjeant, 1977, p. 277.
38. Dostal, 1974, p. 6 f.; 1985, p. 212; Adra: p. 195; Dresch, 1987a, p. 76 n.10: "on their honour": ilā wijuh-hum (also wijh-hum), meaning that the guarantors are honour-bound and responsible for seeing the decision executed. ila wajh or fi wajh can be almost synomymous with fī dhimmah".
39. Al-Akwa, vol. I., p. 299 (nr. 1010), 301 (nr. 1016), vol. II., p. 1335 (nr. 5929).
40. Dresch, 1986, p. 311 f.; Abu Ghanim, p. 290; Rossi, 1939, p. 224; Serjeant, 1984, p. 9. For Shīmah cf. Dostal, 1985, p. 207; Rossi, 1939, p. 229 (under "onore").
41. Rossi, 1939, p. 229 quotes "nāmūs" under "onore". In Turkey and among Egyptian bedouins this term is refered as "sexual honour" (Meeker, 1976a, p. 244; 1976b, p. 384; Abu Zaid). Glaser (Tagebuch X, 178,188) refers "namus" as a synonym for honour.
42. Abū Ghānim, p. 243, 284 f.; Rossi, 1948, p. 16, 28; For "dayf" cf. Abū Ghānim, p. 256, Adra, p. 180 f.; Gingrich, 1986, p. 53 f.; 1989, n. pag.; Rathjens, p. 181.

    For "sayyir" cf. Abū Ghānim, p. 284. Glaser, 1986, p. 53 gives the following additional explanation regarding this term: "sayir = comrade, friend, playmate ... Sayr is a badge which uncircumcised youngsters or boys wear around the neck. By virtue of this they are reckoned as sacrosanct under enemy fire. One need go further than to say that an uncircumcised person is like a child or a female creature, considered only capable of amusing itself with games and knick-knacks. Sar is then a sign of a childlilke nature, of cheerfulness, and of the unspoilt and sacrosanct capacity for romping about." In his diary of the journey to Mārib (Muller-Rhodokankis, p. 9 f.) he writes: "The seyir is merely a qabili or bedouin, who, is the name of his tribe, or in the name of the tribal subdivision which he belongs to, stands surety for security of passage in his tribal area. He accompanies his sairat, that is to say his protege or proteges, and it is regarded as a disgrace to the whole tribe if anyone should prevent him from execution of his right."

    For "qaṭīr" cf. Abū Ghānim, p. 256, 284. In Muller-Phodokanakis, p. 107 passim Glaser describes the function of the qaṭīr wrongly.

    For "rabīᶜ" cf. Abū Ghānim, p. 284.

    For "rafīq" cf. Abū Ghānim, p. 256, Adram p. 173 f.; Dostal, 1985, p. 210 f., 223; Gingrich:, 1986, p. 46 f.; 1989, n. pag.; Rathjens, p. 181; Rossi, 1948, p. 20 "ḥurmat al-waṭan" cf. Rossi, 1948, p. 19 Glaser, 1886, p. 58 remarks that "waṭan" means tribe.
43. Abū Ghānim, p. 286.
44. op. cit.
45. Al-Akwa', p. 416 (nr. 1479).
46. Cf. Rossi, 1948, p. 28.
47. Müller-Rhodokanakis, p. 76b, 86b, 134b; Dresch, 1987b, p. 428 f., there a photo p. 434. The term "lawm" is of great importance in customary law. There exist a "lawm-money" for restoring the honour

5. Ahlwardt, p. 18,9-10.
6. Caskel, vol. I, p. 59.
7. For my interpretation of genealogy cf. Dostal, 1985, p. 18., 167 f.
8. Abū Ghānim, p. 121.
9. Firstly recognized by J.A. Barnes, elaborated by P.H. Gulliver cf. Dostal, 1985, p. 174.
10. Dostal, 1985, p. 185 f., and the sources quoted there.
11. Dostal, 1985, p. 185 f., 362 f. and the sources quoted there.
12. Muller-Rhodokankis, p. 29a; Rossi, 1948, p.2, 8; Gingrich, 1987, p. 92; Rathjens, p. 175; Obermeyer, p.3,6.
13. Gingrich, 1989, n. pag.
14. Rossi, 1948, p. 10 f.
15. Gätje, p. 186, 359 n. 9, 283.
16. Serjeant, 1962, p. 42.
17. Müller-Rhodokanakis, p. 5 n.2.
18. Rossi, 1948, p.8.
19. op. cit., p. 7.
20. Obermeyer, p. 3 f.
21. op. cit., p. 7.
22. Rossi, 1948, p. 21; further El-Baradie, p. 132 f., 141 f., Schacht, p. 309
23. Dostal, 1985, p. 253; for the eastern tribes Glaser refers to the connection between circumcision and the personable cf. Müller-Rhodokanakis, p. 135b
24. Dostal, 1985, p. 245, 251.
25. Adra, p. 148 passim; Dostal, 1985, p. 253.
26. As a general principle of tribal customary law cf. Dostal, 1985, p. 49 f., 206 f., 222; 1983, p. 200.
27. Glaser, 1884, p. 176b, 178a; G.F.II/III,2.P., p. 102v; Dostal, 1983, p. 199 f., 185, p. 226; Dresch, 1987a, p. 71; Henninger, 1942/45, p. 793 f.
28. Henninger, 1963, p. 463.
29. Dostal, 1983, p. 199 f.
30. Abū Ghānim, p. 268 f.
31. cf. also Dresch, 1987a, p. 85 n.53.
32. Adra, p. 53 f.; Dostal, 1985, p. 230 f., 236.
33. Adra, p. 65 f., Dostal, 1985, p. 186 f.; Gingrich-Heiss, p. 21.
34. For the problem of "honour" cf. J.G. Pristiany and the contributions by J. Pitt-Rivers, Ahmad Abou-Zaid and P. Bourdieu, for the latter cf. also 1979, pp. 11-47. In these contributions the concept of honour is considered in connection with lineages. A different point of view is found in M.E. Meeker, who considers the social group as an expression of honour. This view has been adopted by P. Dresch in an overstatement (1984a, p.35):" Apart from this collective honour, which exists only in opposition, sec-

and shame" is hinting at. In this case, instead of blood money a sum of 100 MT, "mazādah al-ghadā" or "leather sack of the midday meal", must be handed over to the victim's group of relatives.[121] This naturally begs the question whether this is not a survival of an older legal practice with reference to the possibility of the death sentence being inflicted on murderers, the question also arises to what extent this practice is rooted in a pre-Islamic tradition, as in Qatabanian law murderers were also sentenced to death.[122] Quite apart from this unresolved problem of the death sentence, the practice usual among the Ḥāshid tribes of the partial destruction of the murderer's house and his expulsion from the tribe calls for further investigation in the whole context of the legal practice of these groups.[123]

Conclusion

The discrepancy between what the researcher aims at and what he actually achieves remains as great as ever. It was also inevitable that I should have to point out the attention of future research should be drawn to the possibility of pre-Islamic traditions and to influences exerted by Islamic law. This reference is closely connected to another which must be made, namely to the change in customary law in the process of social development. In other words, the present day customary law in the tribes of Yemen is not to be seen as an immutable system; it has in all probability, as a result of social and political changes and external influences, undergone changes which have yet to be defined. To name but one example, we only have to think of the influence of the Zayditic tax regulations on the tribes, as influence which W. Mandelung has documented. Changes in legal habits brought about by external influences should also not be overlooked, such as the adoption of modern weapons during the civil war, even if its effect was only temporary. As late as 1970 mines were being laid with the purpose of carrying out blood revenge. These anonymous acts, entirely in opposition to traditional legal customs, resulted in the suffering of many uninvolved people. On the whole nevertheless, I believe it has been to the good that I have made my effort as an insight into the inner constitution of these tribal societies. In conclusion it might be stated that the customary law of the tribes in question proves to be in conformity with conditions in a patrilinear, social stratified society and with the prevailing eco-system. The customary law lays down the structures for procedure, in which the concepts of justice crystalize around the reciprocal relations laying at the basis of all interactions; the decisive factor is conformity with the prevailing system of norms. The precondition for this is the internalisation of the legal system by the majority of the members of the society.[124] Internalisation here means the preception of social norms with their collective aims, aims which must be realised without consideration for subjective and pragmatically oriented points of view. Furthermore, it was clear that the legal characteristics, functions and procedures which manifested themselves are similar to those which we know from codified law.[125]

Notes

* This field research was carried out for the edition of Ed. Glaser's diaries of his journeys in the Yemen (1882-1894). His data on customary law will be compiled in my forthcoming book "*Eduard Glaser-Forschungen In Yemen.* Eine quellenkritische Untersuchung in ethnologischer Sicht". Österreichische Akademie der Wissenschaften, Wien (Appendix II).

1. For the acceptance of customary law in Islamic Jurisprudence ch. Gräf, 1973; El-Baradie, p. 57 f.
2. In the Qurān 4,35 "'uqūq" is refered to as one of the seven deadly sins. cf. the commentary by Bayḍāwi (Gätje, p. 248)
3. Wellhausen, p. 143,9.
4. Brockelmann, fr. VIIb, 3 (in the edition erroneously marked with VII).

The surrendering of daggers to the arbitrator as a pledge of the intent to solve the dispute, and especially the surrendering of rifles (banādiq al-ᶜadl, rifles of justice) plays an important role in the process leading to arbitration; arms are also handed over tot the guarantor with the same intention. A clear distinction must be made between arms that are handed over to the opposite party in the dispute as penance or as compensation, and the arms which are handed over as a pledge of good intention. Since the introduction of firearms – the people of Yemen were not familiar with this sort of weapon until the arrival of the Ottomans – a complicated system of weapon surrender in the regulation of disputes has been developing.[113] It is probable that the new arms merely replaced the older weapons, since the general expression "ṣiāḥ al-ᶜadl" (weapon of justice) is also used. The handing over the weapons is an integral part of the legal procedure, and is obligatory; the term used to refer to this handing over varies according to the case at bar. The nomenclature varies also from tribe to tribe and is a subject which calls for more detailed investigation. In Arḥab, for example, distinction is made between "banādiq al-naṣaf" (weapons of justice), "banādiq al-wafā" (weapons of fulfilment) which applies to offences not involving the taking of life, "banādiq al-ṣubrah" (weapons of endurance) to be handed over in case of minor injury, and "banādiq al-ḥayy wa'l-mayt" (weapons for life and death) the handing over of which constitutes a part of the redress in cases of serious injury and death by violent means.[114] The opinion held by P. Bourdieu on the basis of his researches among the Berbers that the weapons act as a symbolic embodiment of agnates requires further investigation.[115]

In the legal procedure use is also made of the hearing of witnesses, of the swearing of oaths (yamīn, ᶜadh) and of the ordeal (bishᶜah).[116] For the swearing of an oath, a circle is formed in the way described above, called "khaṭṭ allāh" (circle of God), into the middle of which the oath-taker steps. After the plaintiff has once again brought his accusation, he swears his oath. The ordeal is carred out by a specialist responsible for the job (mubashiᶜ) and consists of a glowing iron being drawn three times across the tongue of the person undergoing the ordeal. If no traces of a wound are visible after this then the person in question is reckoned to be innocent.[117]

The resolution of a dispute is achieved by compensation being made (gharāmah), partially in money (tasrīḥ) and partially in livestock (ghallāq). In addition to the compensation, the mediators must also be paid for their services. In blood offences it was possible for the injured family to demand a girl from the culprit's family as additional compensation, as, for example, among the B. Ḥushaysh. Such a girl is known as 'bint al-ᶜadl". She is brought to the house of the injured family accompanied by a white bull whose horns are festooned with garlands.

One question which has not yet been tackled is the assessment of the price of the blood money (diyah). Although the price is essentially determined by negotiations in the process of mediation, there must exist guidelines agreed by concensus in each tribe to which such expressions as "al-marbūᶜ" (fourfold blood money), "al-maᶜnūq" (tenfold blood money), "muḥaddash" or al-ghalā (elevenfold blood money) refer.[118] These categories of blood money are dependent on the specific facts of the case; given the present state of research, the exact way in which deeds are asigned to categories is still unknown. In addition, the classification of the deed into one of the categories of shame plays an important part in the setting up the price of the blood money.

The custom as in the matter of punishement in the Arḥab present us with an interesting problem. There a murderer will have his right hand cut off;[119] this custom of cutting off the hand is, as far as I know, restricted to the tribes of Arḥab. Its origin calls for further investigation. If I may give credit to the statements of my informers, a murderer in the Arḥab was, or is, put to death after his right hand has been cut off.[120] There we touch on the question of capital punishment, which may be what the arbitrational sentence among the Sufyān "taydīm rās al-qātil fil-naqā'i wa ᶜaybi", the presentation of the murderer's head in purity

of decision-making reduces the social significance of the principle of seniority, but that should nevertheless not lead us to suppose that the influence of the elders is eliminated. This is not the case, it is merely reduced. Moreover, we must bear in mind the real state of affairs, namely the decisions are frequently made by consultation. It is of anthropological interest that the function of the marriage policy in shaykhs' families is to some extent to create a network of mediators through a final relationships (brother-in-law, sons-in-law); when they act as mediators their legitimacy and the respect they are accorded are enhanced by these relationship.[106]

5. Proceedings leading to arbitration.[107]

Arbitration proceedings basically run according to the folowing pattern:[108]

– the taking of steps to establish a neutral state of play as a basic condition for mediation in a dispute. These steps are called ᶜawd al-ᶜadal, or "restoration of justice."

– the pronouncement of an award, expressed in terms of a settlement of the honour question (ṣulḥ fīl-wadjh).

5.1 Among the B. Ḥushaysh, in a simple dispute to be arbitrated upon by a tribal member functioning as a ḥākim, the settlement of the conflict is introduced by the two disputing parties being required to hand over their daggers to be ḥākim.[109] It is because of the pressure of public opinion that the two antagonists simply have to fulfil this requirement. This has two consequences for them. Firstly, the course of the dispute is interupted and may not be taken up again, and secondly they are obliged to accept the arbitration of the ḥākim.

The process of coming to a decision allows for the disputing parties to be heard and likewise witnesses; occasionally the ḥākim will consult the elders. In the presence of the litigants the ḥākim announces his arbitration.

Should one of the litigants refuse to accept the award, the ḥākim is obliged to inform the shaykh of the local area. The latter issues the injunction to the litigant in question to submit to the decision of the ḥākim. If he preserves in his refusal, the shaykh after three ultimatums, instructs the men of his local area to destroy the recusant's house. This however, if we may believe the statements of my informers, has never happened.

5.2 In complex disputes, where the solution is left up to the higher levels of the decision-making organisation, it becomes more important to bring forward guarantors (ḍamin/ḍumanā or kaīl/kufalā); they guarantee that the party for whom they are standing surety will refrain from continuing the dispute and is willing to submit to the arbitration. The system of surety allows for the possibility of a guarantor himself having a guarantor (kafīl al-radm or merely radm/rudamā'), and a co-guarantor (ṣawān), usually a blood relative of one of the litigants. Whether these are brought into play or not is naturally dependent on the complexity of the case. If the guarantors of both parties form an alliance then this common surety is called "shabk"[110] The shaykh who is mediating in a dispute is known as the "shaykh al-ḍamān", "shaykh of the guarantee".[111] Mediators are also know synonymously as, muwassiṭ, ḥākim and muḥakkim.

Legal procedure allows for the possiblity of contesting the decision (ḥukm), in which case the party concerned, in agreement with the first arbitrator, comes to appoint a second one. These second arbitrators are comparable to an instance of appeal, known in the highlands as "furūᶜ", and in the eastern Yemen as "murāyigh."[112]

the possibility, so they informed me, of bringing expiatory sacrifice to the tomb of the victim, and of initiating negotiations with the relatives of the victim concerning blood money. The culprit is thus relieved of the responsibility for negotiations regarding compensation. When desireable, any site may be declared to be a place of assembly by a shaykh, quite independently of the permanent places of assembly, and will then have the same legal character as a permanent one. Such a place is known as "khaṭṭ al-mawqif", though occasionally the word "ḥalqah" (ring) is used in place of "khaṭṭ". Ed. Glaser described the procedure which is followed in such a case: "A shaykh stand up, and calls by name those with whom he wishes to speak, saying: "qum, netḥaqa", "Stand up, that we may talk with one another". Then he sticks his rifle or spear in the ground and squats; all others do the same forming a semi-circle; then they will speak quietly and none other may enter the circle.[103] My informers told me that the shaykh may draw a circle with a stick around the group and may stand his rifle in the middle.

3.9.2 The graves of holy men act as sacrosanct areas of asylum, as do the settlements of the Sādah, sometimes those of the Qūḍā, and such traditionally sacred areas as Ṣirwāḥ in Arḥab.[104] They are know as "hidjrah", or in the east as "ḥawṭah". According to inter-tribal agreements these areas are deemed to be extra-territorial and thus inviolable.

Nevertheless, as G.R. Puin was able to show, there also exists an individual hidjrah-status which may be conferred on a shaykh's family, as was the case with the ^{c}Iyāl ^{c}Abdillāh family in Arḥab.[105] If this happens, the house of the family in question is acknowleged to be a muhadjdjar and remains so even if the family gives up residence there and leaves.

I have not mentioned the market place where, though functionally speaking it is also available as a place of assembly by virtue of its recognised ḥaram-status. A market place should not just be viewed as a place for the exchange of goods but also as a place of communication and of social intercourse.

4. Levels of decision-Making

Decision-making is carried out at several levels:

– in the household by the head of the household, who is recognised by the members of the household as having decision-making power, described as "yita^{c}aqal wa ya^{c}fi..^{c}an", "he punishes and pardons"

– at the general level of legally responsible men who basically can all act as a ḥākim and indeed should if they are called upon to do so

– at the level of the settlement community, by its head (^{c}ayn/^{c}ayān)

– at the level of tribal local areas, by the shaykhs of these local groups

– at the tribal level by the head of the tribe and by a committee of tribal heads (ladjnah al-mashāyikh)

– at the level of a hearing at a court of second instance, i.e. at a tribal "court" in a case of appeal (furū^{c}, murāyigh)

– at the level of the Sādah

– at the level of the confederation of tribes, by the head of the confederation.

Which of the above-mentioned levels of decision-making a dispute will be assigned to is of course dependent on the complexity of the case. In general, we can see that the fact that there is a range of levels

badal: simply the exchange of various consumer items.

manfa^c^ah: the occasional exchange between tribal cultivators and butchers relating to the acquisition of a bull, and taking place without the depositing of a pledge. The farmer undertakes to fulfil his obligations after the harvest.

3.7.3 Exchange at the market (wāsṭah).[100]

According to customary law, exchange of commercially valuable goods such as cereals, livestock and wood at the weekly markets is carried out only with the hlep of a mediator. For this reason, two institutions have come into being that of the muṣāliḥ and that of the kiyālin. Among the B. Ḥushaysh tribal members functioned as muṣāliḥ (for cattle, small animals and wood) and a Muzayyin as kiyāl (for cereals). These mediators belong to the ḥukmah al-sūq; they are either nominated by the shaykh al-sūq and voted by the group which has undertaken to guarantee the peaceful state of the market, or simply appointed by the head of the tribe. The appointing of mediators has the function of reducing conflict. Exchange regulated in this way is carried out as follows: the farmers hand over, for instance, cereals to the mediator who takes a ten percent cut (farḍ) for his services from the bidder, and also from the seller. At the close of the market, the mediator gives the farmer the sale price he has managed toget, having deducted the mediation fee due to him.

3.8 The market

Among the tribes of Yemen we find a system of regular weekly markets. In customary law of the market, in the "qawā^c^id al-sūq", the state of peace at the market place (salām al-sūq) is firmly established as the indispensable precondition for the market to take place; this results from the ḥaram – status of the market area, described as "hidjrah al-sūq". As a result of this status in law it is legally established that all disturbances of a violent nature are prohibited in the market area during a market day. This state of affairs becomes legally effective through the collective guarantee (ḍumanā' al-sūq) which the group in whose area the market place lies, or the head of the tribe representing the whole tribe has undertaken to provide. In some individual tribes a shaykh al-sūq is appointed and he, with the support of the collective guarantee, ensures peace and orderliness. The collective guarantee of peace results in the law that after a bloody deed has taken place, whether on the way to the market, at the market, or on the weay away fom the market, the culprit must pay, as well as the blood money payable to the family of the victim, additional compenation to the group which undertook to guarantee of state of peace at the market. The presentation of expiatory sacrifices accompanies this additional compensation.

3.9 The area of asylum

In view of the inherent tendency of patrilinear societies to generate conflicts, areas of asylum have been established in customary law, that is to say, areas which, as a result of their having the legal character of ḥarams, and thus being areas where violent conflicts are strictly forbidden, provide a place where parties involved in a dispute may meet with the aim of putting an end to their quarrel. There are two basic types of area of asylum, namely secular ones (1) and those rating as sacrosanct (2).

3.9.1 To the secular grouping of areas of asylum belong the tribal places of assembly (misrākh, malqā/malāqi); those places of assembly known as "malqā" exist for the restolution of intra-tribal as well as inter-tribal conflicts.[102] My informants explained to me that a murderer taking refuge there would be protected, so long as he stayed there, from pursuit and acts of revenge. Members of his group of relatives would have

and the furthermore coordinates he building of dams (often carried out cooperatively by the community) and the maintenance of the dams.

In the "ghayl"-system of irrigation the allocation of water is laid down in accordance with the surface area of fields owned. Priority in allocation is determined by a system of annual rotation, or by the drawing of lots. The jobs of keeping a check on the distribution of water is also here the responsibility of a wakīl. Recently M. Mundy has published a study of water law in the Wādī Ḍahr with details of the regulation of water distribution and of the roles of the relevant inspectors. The importance of this study lies merely in the provision of this data but above all in that it presents a picture, based on historical documents, of the development of water law resulting from the regulations of the Zayditic central government. I quote: "Our record of this tradition begins with the regulation of the respective shares of rural communities and the state in the form of the Mutawakkilite Imams of Kawkaban – an overall settlement imposed by the conquering Imam al-Muᶜayyid bi-'llah in the 17th century. In this formulation the rights are stated as shares in water ... independent from land. This does not of course mean that water rights were not tied to land but that, so far as one can tell from extant documents, the manner of the marriage of water and land remained a matter, internal to the communities. It is only in the nineteenth century that we begin to have reference to the central certification of the "entitled" lands and to judgements reformulating the relation between water and the communities: the shares in water are now to be mediated by the size of "irrigated lands" from upstream to downstream. The relationship between the communities should be mediated to downstream. The relationship between the communities should be mediated through the measurable substance, land."[98]

Ground water may be captured by any landonwer on his land by means of a spring, so long as he does not have any substantial effect on his neighbour's water systems. If several households have a common spring at their disposal, thus forming a sort of co-operative (sharikah), then a man elected to the post undertakes the responsibility of a wakīl.

The precondition for the utilisation of the right of access to water is investment in terms of work on the part of the individual, whether he has built smaller dams and branch canals or has taken part in the co-operative work of the community.

3.7 The transfer of goods.[99]

The practice of the transfer of goods among the B. Ḥushaysh is classified in customary law on three levels: 1. Exchange of goods between members of the same tribe, 2. Exchange of goods between tribal members and the socially underpriviged Muzayyinīn, and 3. Exchange at the market.

3.7.1 The transfer of goods takes a variety of forms, expressed in the following terms:

salaf: loan of subsistence foods which are then returned after the harvest without the laying down of a pledge.

muẓakībah: exchange of grain, in sacks, for commodities.

muqāyidah: exchange of commodities for fields.

qurṭah: loan of money against the deposit of pieces of jewellery – this does not apply to the morning gift - as security. The word "qurṭah" means "earrings".

3.7.2 Exchange between tribal members and Muzayyinīn takes two distinct forms:

ciple of primogeniture may be waived. This is the case when, for instance, the eldest son, as a result of a physical or mental handicap, is considered incapable of performing the duties of a head of household.[91]

A further unresolved problem is the rights of women in the matter of inheritence, as sources on this topic are often contradictory.[92] Even when exercising all appropriable caution one could easily arrive at the conclusion that women are excluded from all claims to inheritance of land. Among the B. Ḥushaysh they are allowed to inherit from the estate (taqsim al-tarīkah) portions of the house and a part of the livestock. Nevertheless, it is to be understood from a document from the B. Ḥushaysh published by E. Betzler that women – in this case the mother is named – may indeed inherit portions of land and may also acquire and exchange them. In this document there is also evidence of brother and sister enjoying co-ownership of a field.[93]

The next subject to be considered is the regulations in customary law in the matter of theft (sariqah).[94] This offence is one of those which offends against the honour of the affected party – it is said of the deed: "tasawwada wadjh ṣāḥib al-bayt", translated "he has besmirched the honour of the house-owner", since the culprit has offended against the inviolability of the house (hidjrah al-bayt).

If a thief is caught red-handed and killed on the spot, his killing is regarded as legitimate since forcible entry is regarded as an attack. A thief convicted of the act is constrained by the shaykh of the local group not only to return the stolen property, but to make the offended party a payment as compensation (gharāmah, ghāli al-bayt) for damages incurred (naqṣ/naqīṣah). Furthermore he is obliged to present an expiatory sacrifice (a sheep) in front of the latter's house. In the case of persistent offence the shaykh's, house, for a specified period of time, in order that he be held up to public decision. A thief deemed to be an inveterate offender will, at the request of the shaykh of the local group, be expelled by the tribe's head, and must leave the tribal territory forthwith. By means of the expulsion (ṭarḥ) the tribal community rids itself of an individual held to be socially intolerable.

3.6 Water

There is a fundamental distinction made between the right to temporary use of water within a tribal territory, a right open to every man, and the permanent right which is subject to qualifications in customary law since it bears directly on the provision of water for the tribe, a matter essential for their survival. Since water law is, setting aside a few publications, a relatively unexplored field, what follows will present only its most essential traits.[95] Setting aside the rain water for the widespread rainfed agricultural the tribes provide themselves with water from three sources: 1. Flood water (sayl/suyūl) flows into the valleys during the seasonal rains and is led away to the fields by means of dams and aqueducts. 2. Spring water (ghayl) is mainly collected in cisterns and thence distributed to the fields. There was a time when the qanāt-system in the Ṣanᶜā' basin was linked with this, but it has since been destroyed. Finally, 3. ground water is captured in springs and, having been raised by a ladelling system is, or was, then distributed to the fields.[96]

The basic problem to the solved by customary law is the just distribution of the water. D.M. Varisco describes the rules for the sayl-irrigation as an "arrangement of upstream and downstream rights."[97] In these rules priority is given to the upstream user, a fact which complicates the allocation of water in the lower searches of the valley. Contractual agreements between settlements and also within settlements have the effect of guaranteeing a distribution of the water which does justice to individual needs. The criterion governing the allocation of water is the number and size of the dams which the members of a settlement are allowed to build. The distribution is controlled by a system of time units (hours). A man appointed by the settlement in question (he is called wakīl al-ᶜaqm) ensures that the rules concerning distribution are kept,

The tribal claim in matter of property law is given validity among the B. Ḥushaysh by the "djuwār"-regulation.[87] This regulation stipulates that a man who intends to sell a field is obliged to offer this field for sale to his neighbours, i.e. the households of this local group. In the case of his neighbours having no interest in the property, the offer can be extended to other local groups within the tribe. The idea of the "djuwār" regulation is thus to prevent the sale of land to non-members of the tribe. This regulation is frequently circumvented; naturally enough given that these tribesmen are hardly of a lambike society. But for this eventuality a preventive measure in the form of the neighbout's right of intervention has been developed. It states that if a man who intends to sell a piece of land enters into negotiations with an alien regarding the disposal of the property outside the tribe, the neighbours have a right of intervention which may result in the breaking off of negotiations; in the case of a contract of sale already having been singned, this contract is considered annulled by the neighbour's intervention. The procedure for intervention is as follows: a neighbout interested in buying the field despatches a Muzayyin to the seller's house. The Muzayyin enters the house without giving a greeting and hands over a Riyāl to the seller in front of witnesses with the words: "I am required by Fulān b. Fulān to inform you of his interest in the acquisition of the field." The seller is thereby obliged to break off negotiations with the alien. If before the intervention a price has already been agreed upon and paid by the alien then it is the alien who is paid the sale price by the intervener (yishfa^c al-mushtarī)

If the seller, having sold a field to an alien, presents the community with a fait accompli, the following procedure is followed: The shaykh of the local group makes contact with the alien, with the intention of persuading him to renounce the purchase of the field and to accept reimbursement. The shaykh uses his influence in his own community to interest a member of the local group in the purchase of the field. If a party declares his interest but is not at the time in a position to raise the price payable, the sum will be advanced him by the shaykh. As a rule the alien accepts this settlement; if he refuses – and the possible consequences of his refusing is made adequately clear to him – then he is denied access to the tribal territory. When this procedure has been concluded, the high – handed seller is obliged to present an expiatory sacrifice (white bull) in front of the shaykh's house.

The djuwār regulation also comes into effect in cases when land is mortgaged and an alien acts as creditor. With regard to the agreed duration of the relationship of debt (rahn), the distinction is made between a short-term one (qā^{c}idah li 'l-qism al-fulān) and a long-term one (adjālah al-ṭawīlah), the latter stretching on occasion over as many as three generations. Both forms of debt contract allow for the mortgaging of field, which may then be used or leased out by a creditor of the same tribe. Should it not be possible for the debt to be paid in the stipulated period of time, the part of land falls to the creditor who has stood surety for the mortgage. But if the creditor is an alien the djwār - relation comes into effect. In this way tribal aliens are denied the possiblity of coming into ownership, by the devious route of acting as creditor to a mortgage of land considered common property of the tribe.

Finally we should look more closely at conditions of lease (sharikah). If we set aside the above-mentioned possiblity of leasing in the context of a mortgage, the rule stands that a contract of leasing can only be concluded between two members of the same tribe. Two varieties of contract are commonly used. The first one stipulates that the lessor provide seed and water and thereby be entitled to claim one half of the yield from the leaseholder. In the second type the contract obliges the leaseholder to bear the costs of seed and he is thereby entitled to two thirds of the harvest for himself; leaving one third for the lessor.[89]

The fundamental principle of the law of inheritance is primogeniture, that is, the preference given to the eldest son over his younger brothers in the matter of appointioning their inheritance. Nevertheless, a father may in his lifetime make a testamentary provision (wasīyah li 'l-walā^{c}i) as a result of which the prin-

3.4.3 *The muᶜākhah* relationship.[81]

Contrasting with the individual partnership outlined above is the alliance known as "ikhwā/muᶜākh ah", an alliance of brotherhood on the level of inter-tribal relationships between tribal groups and resulting from political considerations. The critical precondition for this is equality of descent. Nevertheless, according to statements from my informers this kind of alliance has no consequences regarding genealogical alliance (structural amnesia). The establishment of brotherhood is initiated by a group bringing sacrificial bulls to a certain place, either the market place of the tribal group with which the former group wishes to enter into an alliance, or in front of the house of its shaykh.

3.4.4 *War*[82]

For the purposes of customary law we must distinguish between real war (ḥarb) and the robbing of livestock (ghazw); the latter is relevant for nomads living in eastern Yemen (including the eastern high plateau). However, "ghazw" is used by the settled tribes to designate acts of violence during conflicts of long duration (fitnah/fitan) but it may also be used as a synonym for "ḥarb". In legal terms was is defined as the common affairs of the tribe as a whole, although not all groups in a tribe are duty – bound to take part in conflicts of a warlike nature. As a rule only the groups affected by the conflict are involved in hostilities. A "ghazw" among nomads is carried on by individuals or by individuals in cooperation with their friends or relatives.

War may be declared by the shaykh of a tribe on the condition that he has agreement of the representatives of individual lineages; a wartime leader (ᶜaqīd) is usually chosen for the duration of hostilities. Peace negotiations are initiated by mediators, either by a well-respected shaykh or in serious cases by a committee of well-respected shaykh (ladjnah al-mashāyīkh). According to Ed. Glaser, the negotiations are initiated (in the Mashriq) with the presentation of expiatory sacrifices (white bulls) by the group which wishes to start peace negatiations. In such a case this group despatches a delegation to the enemy's camp with the expiatory sacrifices. If the offerings are accepted then the two groups assemble, each represented by their shaykhs and a group of tribal members, usually well-respected elders, in order to come to a conclusion about compensation to be paid for damages caused during hostilities (deaths, injuries, loss of goods, etc.). After they have come to an agreement and damages have been paid, a sort of peace is considered to have been restored. P. Dresch has reported on the details of the compensation payments.[84]

Robbing of livestock as practised by nomads (ghazw) is not only to be seen as a forcible means of enlarging herds – only camels were stolen – but should also be understood in the light of the increase of personal prestige. We should not forget that in these societies the camel is a symbol of social status and if we bear this in mind we may understand better the interdependence between social standing and ownership of camels.[85]

3.5 Tribal property and household property

The prevalent conditions relating to property are defined by the dialectical relationship between the common land held to be the property of the tribe, this claim being made concrete in the term "milk al-qabīlah" and land held to be the property of a household. Because of the proprietorial claim exerted by the tribe the right of disposal over the land held by households is naturally limited, so that such property may only be referred to as "quasi-private". The tribe maintains its title right to the land by prohibiting the transfer of land to tribal aliens. Now-a-days a transition phase may be observed in which this collective claim to property is having to yield ground, in a situation where the private nature of property held by households is quite marked.[86]

survival of his herd, request his neighbouring tribe to arrange the use of pasture on their territory. If this is granted him, he is called "qaṭīr.[76] In this area he may move around without escort and has the protection of his host tribe. For the use of these pastures he pays no fee which means that the "qaṭīr" relationship is based on the principle of reciprocal inter-tribal mutual assistance. The right of use acknowledged is limited, namely in that a "qaṭīr" may not lay out or till fields.

3.4.1.4 *Right of asylum*

A tribal member is considered to be a "rabīᶜ" (refugee), who takes refuge among a tribe not his own, and asks for protection and support the matter of an injustice done to him. If he is accepted, then the shaykh of the tribe giving him protection acts as mediator in the dispute.[77]

Among the B. Ḥushaysh the procedure leading to the granting of asylum has three phases and the most important legal requirement for its initiation is that between the candidate and the tribe he is applying to three should be equality of descent.[78] The three phases are as follows:

– Application for brotherhood (ṭālib al-mukhwā). Normally the person applying is a man who in consequence of an disgraceful act has had to leave his tribal gorup. After the candidate has found a family willing to grant him temporal protection the head of this household informs the head of the settlement of the application for asylum. As from now the applicant is known as "naqīl / naqā'il). This term defines his legal status clearly: he is an alien who is considered neither as a relative nor as a djār.

– The head of the settlement raises the matter in the assembly of men, which usually gathers after prayer on Friday. Whether the result is positive or not depends on whether consensus in favour of the application can be obtained from among the assembled men. We should not overlook the fact that as a result of the deed the applicant has committed, positive consensus may have an effect on inter-tribal relations. If consensus is obtained then the third phase be initiated.

– The central event in the third phase is the presentation of a sacrificial bull. The naqīl has a white bull killed by a butcher in fron of the house of his protector. The meat of the sacrificed bull is shared out in the following way: the protector's family and the naqīl each receive a quarter, and half the meat is reserved for the families resident in the settlement. After the bull has been sacrificed and the meat has been shared out, the naqīl is nown as "muᶜākh".

3.4.2 *The ḥalīf-relationship.*[79]

This relationship consists of a kind of partnership between members of two different tribes. The responsibility of a ḥalīf is to look after the interests of his partner in his own tribe, in case of an injustice threatens to befall him from that quarter. This legal relationship, based on the principle of reciprocity, can reduce the occurences of inter-tribal conflict, as each of the partners makes his influence felt as a kind of mediator. In his diary (journey in the Arḥab) Ed. Glaser quotes the content of a contract of assistance: "hamaltu al-ḥilf al-taqī al-naqī li Faḍlī Aḥmad ārithu li maᶜrūthi ᶜalā man ḥablī yarudda-hu wa djuhdī yamaᶜu ᶜalā silf al-qabā'il."[80] Roughly translated this contract runs as follows: "I have undertaken to keep to the honourable pact of alliance with Faḍlī Aḥmad. If a claim (on the part of my partner) is made (regarding his property) against a member of my group of relatives, I will induce (this member of my group of relatives) to reimburse him. As far as it is in my power, and in accordance with the legal traditions of my tribe, I will prevent such infringements."

The second degree of protection, the rafīq-degree (called in the north west khāwī), is, on the other hand, concerned with a person from outside the tribe whose circumstances exclude him from the "sayyir" degree.[69] It is based on the expression on the part of a personable tribal member of his desire to escort a tribal alien through the tribal area and to be a guarantor for his protection (life and property), in return for which the tribal alien has to pay a previously agreed fee.[70] In the arrangement the duration and the route are laid down. Since the guarantee of protection and undertaken by the rafīq is worded in terms of personal honour – "fī wadjh al-ḍamin", honour of the protector – it is thus considered "ayb al-aswad", black shame" if he kills or robs his protégé. The geographical area where the guarantee of the "rafīq" holds good varies and this requires further explanation. The guarantee may be restricted to the territory of the rafīq's own lineage, but may also, with the agreement of the tribal shaykh be valid for the whole tribal area.[71] In Arḥab it was only with the agreement of his tribal groups that the shaykh himself could function as rafīq for the whole tribal area. The fact that the Arḥab shaykhs undertook to provide rafīqs - protection without this agreement – their protection was forced out of them by the Ottoman governor – was the cause of the many difficulties which Ed. Glaser encountered during his stay in Arḥab.[72]

The preservation of the tribal autonomy also requires a regulation of the law concerning journeying into the territory and sale of goods, which application to tribal cliens taking part inthe weekly markets. Basically, access to the market is only permitted to members of those tribes with which the tribe in whose territory the market is situated has no hostile relationships. The state of peace (ḥāl al-salām), though the most important prerequisite for the guarantee of the right to travel into the territory and to sell goods, is not however in itself considered to be a fully sufficient precondition; it also required that the aliens in question bring with them goods for exchange, inorder that they may show visible proof of the purpose of their journey. For the itinerant traders (buyyā^c, sg. bāyi^c) from all corners of the country this latter stipulation is the only precondition. The guarantee of tribal protection for life and property of aliens implied in the right to travel in and sell goods is valid for the journey in and out and for the market day.[73]

The right to hospitality consists, according to A. Gingrich to whom we owe the first analysis of this legal sphere, a study made among the northern Khawlān tribal groups, of the following features: "...the obligation of the host to offer protection and provisions, the obligation of the guest to respect the honour and prestige of his host and to keep to the time limit of his stay, and the right of each to expect of each other that he acknowledges his obligations. The duty of protect is the not merely restricted to extreme cases where the guest, in the case of his being threatened, must be defended by the host in person, and if necessary with weapons. This duty obtains in the event of all other sorts of provocations. In the case of the guest being insulted the host must take a stand according to the possibilities of his social status and corresponding counter – measures. In the case of theft being committed on his guest the host is responsible for the apprehension of the thief and if he fails to do this, for paying appropriate compensation. Among some part – tribes he must even cover the guest's losses immediately and is relieved of any further duty. At the market the host must ensure that his guest does not cheat and will take care to pacify any dissatisfied customers ... In the case of misdemeanour on the part of his guest towards other households, such as insults, the host is held responsible ... in this case etiquette requires that the guest terminate his stay promptly, so that he does not cause his host too great difficulties."[74] In practice the problem arises of the duration of the protection granted to the guest. The B. Munebbih have established a ruling for this problem, according to which the relationship of protection last just as long after the guest has left his host's house as the meal he has eaten there remains in his body.[75]

3.4.1.3 *The right of tribal aliens to use tribal territory in times of emergency*

If a tribal alien is in a crisis because of lack of pasture during a drought he may, in order to ensure the

A further and special arrangement for the preservation of life is provided by the namesake-relationship (samī).[63] According to this, a man who is on the point of being violently attacked can, to show his subjugation to his attacker, ask him if he, the defender, may name one of his sons after him. If the attacker behaves according to the norms he must grant this request, with the consequence that he (the attacker) must give up his intention to commit a violent act on the defender. Af far as the child named after him is concerned, the result is that he and his descendants then stand under the protection of the tribe to whom the man belongs who has accepted the namesake-relationship, which is in effect a kind of godfatherhood.

Protection of life in its broadest sense extends also to the body of a man who has been killed, which is considered to be inviolable. Mutilation of the body (tashwīh), which takes the form of the cutting off of the nose, not giving burial to the body and theft of weapons are well considered to be "ayb al-aswad" (black shame), although over the last point, the theft of weapons, my informers were not entirely in agreement.[64]

3.4 The autonomy of the tribe.

The tribe considers itself to be a autonomous body, that is to say, a politically independent group which exercises power in the territory where it lives (al-qabīlah tisayṭir ᶜalā ḥurmat al-waṭan). For this reason they have had to make arrangements in customary law, in order to regulate the sojourns of non-members of the tribe on tribal territory. These regulations concern: 1. Right of abode, 2. Right of passage and of temporary sojourn, and rights of hospitality, 3. Right of non-members of the tribe to use the tribal territory in times of crisis, and 4. Right of asylum.

3.4.1 Rights of tribal aliens

3.4.1.1 *Right of sojourn*

The Sādah and the socially inferior groups are guaranteed permanent right of abode under the collective protection of the tribe, in other words their lives and property are considered protected. This was granted to the Sādah as a result of claims regarding the authority of the Zayditic Imams and the settlements of the Qūḍā and Fuqahā can be traced to the same cause; the socially inferior groups own their guarantee to economic factors, as they are able to supply the needs of tribal members with their handicrafts, and thereby contribute to a goal which tribes strive for, at least in theory, namely self-sufficiency. They are however considered to be not legally responsible and thus also not fit to cary arms. As a result groups such as the Muzayyinīn or the Dawshān act in inter-and intera-tribal conflicts as messengers. The relationship these groups have to the tribes, one of being protected, is legally specified with the term "djār", "neighbour"; Jews are considered "djīrān and in the terms of Islamic law as Dhimmiᶜs, and this is why we speak for example of the "yahūd Arḥab", "the Jews of the Arḥab".[66] The term "djār" is used to refer to the socially inferior groups, the potters for example, who are referred to as the "djār djafnah", the neighbour of the bowls. Another expression, "djār al-dukhkhān", neighbour of the smoke" refers to a "neighbour" who has settled in the vicinity of, or right next to the house of a tribal member.[67]

3.4.1.2 *Right of passage and of temporary sojourn*

Two degrees of protection may be distinguished, dependent on the quality of inter-tribal relations, the first of which is the "sayyir" - degree of protection.[68] The prerequisite for this existing is that both the tribes wishing to become partners in this degree of protection should be at peace with one another (ḥāl al-salām). This condition is included in a contract of peace. The degree of protection covers the granting of such guarantees of protection (ḍamān) as a legally responsible member of a tribe can undertake to offer for the duration of a journey through the tribal area in question.

Contrary to this information stemming from the B. Ḥushaysh is the claim of Faḍl 'Alī A. Abū Ghānim, that occasionally the culprit may just have to pay "mahr", to perform an act of penance for the sisters of the victim "hadjar" and to bring her father an expiatory sacrifice (cattle, sheep).[54] This all requires further investigation.

3.2.2 In order to guarantee purity of descent the regulation of group endogamy forbids mixed marriages between tribal members and members as socially underpriviledged groups who are reckoned to be inferior in terms of descent. A tribal member who married a Muzzayyinah would immediately be excluded from the tribe (ikhrādj min al-qabīlah).[55]

3.2.3 A further legal factor which bears on the preservation of purity of descent is the legal status of a married woman whose very position implies protection by virtue of her being a producer of agnates. This fact is expressed in the term "shawfah". Among the B. Ḥushāysh, on the seventh day of a wedding celebration a banquet is prepared in the groom's house, the "ḥaflah al-sabī". Only members of the families of the bride and groom attend this banquet. It is the first time that the bride comes together officially with her husband's male relatives. From now on the bride is known as "shawfah", that is to say, the woman that one may rightfully see, in practical terms, a woman enjoying the protection of her husband's family.[56] It is in this light that we may understand the term "tashwīf", meaning attacks on a married woman, and also compensation for such attacks.[57] In Arḥab this compensation (ṭāqah) is comprised of rolls of cloth (kiswah) and a bull. The term for wife in common use among the eastern tribes, namely "mar^{c}ah" may well correspond to the term "shawfah"; the condition of a woman whose honour has been violated is known as "muta'wwir".[58]

3.3 The lives of tribal members and of their protégés.

It is the responsibility of every man able to wear arms, and thus personablable, to ensure the protection of the lives of tribal members dependent on him for that protection (they are know as bāyis); in this group come children and furthermore women, the aged, the sick, guests, and members of other tribes who as a result of agreements in customary law are living on the tribal territory.[59] I will have more to say later about these arrangements. Suffice it for the moment to say that this guarantee of protection covers all members of the group for which the tribal group in question has undertaken the protection of life and property (including for instance the Sādah or the socially underpriviledged groups). The killing of protégés is reckoned as "ayb al-aswad", i.e. black shame.[60]

In the context of these guarantees of protection, I would like to make one point which I see as being particularly important. It concern the protection of those acting as mediators (ḥākim) in disputes. As these mediators rely for their authority on the tribe – we should not forget that undertaking of arbitration is one of the duties of a tribal member – drastic sanctions are available for their protection. Among the B. Ḥushaysh, for example, if a mediator is killed during the execution of his duty, the culprit must pay a sum ten times as high as the normal blood money (diyah). In such a case, the blood money is not demanded by representatives of the murdered "ḥākim" but the shaykh of the relevant local group and handed over to the family of the victim. In the case of bodily harm a similarly high sum of injury money (arsh) is called for.[61]

Another significant custom which must be mentioned in the practice in customary law among eastern Yemenite tribes in the matter of the protection of life during attacks of a warlike nature. According to this custom a defender can save his life if he pounces on an attacker and laying his dagger to the throat, says "ent temna^{c}nī?", "do you protect me?", or, translated in more concrete terms, "Do you make it a matter of honour to protect me?". If the attacker answers "marḥabammek (marḥaban-bika)" the defender may know that his life is safe.[62]

3.2 Purity of Descent

The regulations in customary law concerning the preservation of purity of descent touch on the following areas:

1. The sexual morality.
2. The obligatory rule of group endogamy.
3. The legal status of the married woman.

3.2.1 There is no doubt that in patrilinear societies the conviction of the husband that he is the father of his wife's child is a prerequisite for the preservation of genealogical continuity. To ensure that this demand that society makes is met, there are strict regulations concernig sexual morality.[51] These regulations are concerned with inviolability of the virginity of girls and extra-marital sexual intercourse among married women. Becuase of the social significance of the preservation of purity of descent, the relevant legal regulations allow for no give-and-take between what is required by the norms and what might be possible in practice. Consequently, in the case of the violation of a girl's virginity there is no alternative for the decision - making authorities but to demand that the girl be put to death; if the violation comes about in the form of a rape, then the offender is punished with the death penalty. In both cases the penalty comes in the category of legitimate killing (qatl bi'l-ḥaqq). In some tribes (e.g. Arḥab) the penalty for a wife found in adultery comes in this category, in other tribes the wife is merely repudiated. That she is allowed to get away with her life is justified on the grounds that a mother of agnates may not be killed.[52]

The responsibility for killing a girl who has been found guilty falls upon her father or brother, that they may restore lost honour.[53] An adulterous wife is killed either by her husband or brother. The execution takes place at a remote place outside the settlement, where the guilty woman is subsequently buried.

What is the decision-making process in a case of rape among the B. Ḥus͟hays͟h in the settlement concerned with? The decision-making authorities (father and elders) are in this case confronted with the following problem: It is really a case of assault on the girl, or are they dealing with a cover-up manoeuvre on the part of the girl, who , having willingly engaged in intimate relations, is pretending to have been raped for fear of the consequences of having broken the regulations concerning sexual morality? The applies especially when the girl's lover is proving unwilling to marry her. The decision then depends largely on the interpretation of the girl's behaviour, that is to say, to what extent is corresponds to the expected reactions of a girl who really has been raped, whether there are noticeable sign of shock and whether she has obeyed the rule of making a public accusation in the presence of witnesses.

The announcement (ẓāhirah / ẓawāhir) that the crime has taken place begins with the cry: "yā g͟hāratāh, yā g͟hāratāh, yā g͟hāratāh", (Help! Help! Help!). According to customary law, this cry is defined as being the result of a moment of lack of vigilance in the case in question. In the interpretation of the B. Ḥus͟hays͟h, the cry specially implies an indictment of the male relatives of the victim, an accusation that they have neglected their duty toward the victim thus enabling the culprit, or making it easier for him, to commit the crime. The point of involving the victim's male family members is to enable her to demand that she be relieved of responsibility for the event. If the girl's account of the event is accepted, the onus falls on her father or brother to pursue the culprit. Since negotiations over possible damages to be paid to the girl's family are quite simply out of question, the culprit's relatives are then confronted with two alternatives, either to hand him over to the victim's family, or to kill him themselves. If the culprit manages to escape he is declared an outlaw and may be killed by any member of his former tribe without legal consequences.

The negative side of the grammar of "honour" presents the acts which come into the categories "^{c}ayb" and "ḥāsham". The latter term stands for shame in a general sense; the former, on the other hand, in conjunction with an adjective can denote varying degrees of loss of honour which then result in the possibility of varying claims for damages. From this evidence we can discern the area of prevalence in which "honour" is a significant concept. Offences classified as "^{c}ayb al-aswad" (black shame) include firstly the illegal killing of a tribal member, of a "ḍayf", "sayyir", "qaṭir", "rabi^{c}", or "rafiq", further, offences against the life and property of a person who stands under a contract of protection (dhmmah) and, finally, violations of the regulations regarding protection for the tribal area (ḥurmat al-waṭan).[42] The category "^{c}ayb al-aḥmar" (red shame) covers the killing of a tribal member with whose tribe the culprit has already concluded a peace treaty.[43] Finally, the killing of a tribal member during conflicts of a warlike nature is classified as "^{c}ayb al-abyaḍ" (white shame).[44] The Yemenite proverb "ḥarb ṭūla 'l-zamān ^{c}ayb", loosely translated "shame is present at every moment of a war", is to be understood in this context, and is indeed quoted as an incitement to bring conflicts to an end.[45] Although in other individual tribes classifications and graduations of shame may befound which differ from the ones quoted here, the classifications all deal with offences against life, physical injury and violations of guarantees of security; they all grow out of inter-relations between tribal members of descent on the one hand and on the other hand out of relations with tribal aliens.[46] These few comments will have to suffice. Even though they are few we can still deduce from them the areas where "honour" is at stake: in respect for the life of tribal members, in the observance of obligations undertaken regarding protection of protégées, in the security of common tribal members, and finally in the recognition of contractual obligations.

On these social level both the claimics of honour and the violation of this normative standard, namely shame proves to be dependent on public opinion; honour is understood in the sense of the recognition of the rectitude of a deed, and shame in the sense of the condemnation of a deed assessed as dishonourable. Shame is a highly effective means of preventing the violation of norms. For this reason the tribes considered here developed a subtile form of legal action for especially serious cases whereby an individual declares his demand for the restitution of honour by settlement by erecting a shame stake (lā'imah/lawā'im, djidhn/djudhūn).[47] This declaration is in accordance with the consensual principle of customary law - it is done in order to mobilise public opinion, and constitutes public announcement that an illegal act is alleged to have taken place. Shame stakes may be erected at points accessible to the public (the entrance to the market or to a settlement or in some cases in front of the plaintiff's house).

The piece of wood used for this purpose is charred at its upper end, stuck in the ground and stones are piled up against it. Then a piece of black material from a women's garment is attached for it. At the erection of the stake the individual whose honour has been injured announces before witnesses the name of the man whom the stake accuses and gives an account of his accusation. The taking down of the stake also takes place in the presence of witnesses and an announcement is made that satisfaction has been made. The person whose act has been denounced with the stake is called "madjūm" (leprous) or "mashtūm" (vilified), which means that he may not undertake any social functions defined by customary law.[48] In this condition he cannot, for instance, act as a guide for travellers, as a witness, or as a guarantor.

Especially honourable acts are also publicly announced among the tribes considered here, namely by the putting up of a white flag (bayḍā')[49] I was able to observe this at a market in al-Ḥayfah (Arḥab), where such a flag was put up by Dawshan, who announced the name of the man he was honouring, and delivered an eulogy praising his deed. P. Dresch reports a special case, the putting up of black and white flags (al-bayḍā' wa'l-sawda').[50] This is a form of legal action whereby the accused is a prior required to bring the conflict to a close within a specified period of time and thereby restore the honour of the plaintiff. Should this claim be satisfied the black flag will be taken away, and if not, the white one.

bility and public opinion concerning acts and behaviour. The factor of personability is made especially clear in a statement of R.E. Serjeant: "The tribesman regards himself as the possessor of the quality called sharaf or honour, but the most important constituent of this honour seems to be the tradition of bearing arms and being capable of defending onself and one's dependents."[37] The emphasis on the carrying of arms testifies to the social nature of personability. It is first and foremost the social aspect of personability which enables an individual to lay claim to, to defend, or to offend against "Sharaf".

We must now turn to the question of the extent of the social validity of "Sharaf". To answer this question, we should bear in mind the proven interdependence between descent ideology and the system of norms in which the concept "Sharaf" is rooted. This interpendence makes it clear that "Sharaf" is only a significant concept for those groups which are considered as having equally of descent, that is to say those of "pure blood". I would also mention that the tribes of Yemen, like all other Arabian tribes are bound with one another by genealogical constructs. Only in this restricted field of reference does "Sharaf" have social significance; those groups whose social position is seen as lying outside the tribal generalogical context (nāqiṣ) are expressly excluded from the area of validity of "Sharaf". Within these social limits all acts are evaluated according to expectations regarding behaviour which are agrees upon by consensus and subsumed under "Sharaf". This is a good point at which to mention that from the collective "Sharaf" we may derive an honour concept valid for the personable individual, and this concept is expressed by the word "wadjh" (countenance, face). "Wadjh" could be understood as personality in the moral sense. For example the arbitration of a mediator in a quarrel between two members of the same tribe is termed "settlement of personal honour" (ṣulḥ fīl-wadjh).[38] The phrase "anta fī wadjhi", "you stand under the protection of my honour, or my personality" suggests this definition. In connection with "wadjh" we find the expression "bayāḍ al-wadjh" used in Yemenite proverbs, which may loosely be interpreted as referring to behaviour in accordance with legal norms. Two such proverbs are: "bayāḍ al-wadjh thamrah", "the fulfilment of legal duties bears fruit", and "al-wadjh min wadjh abyaḍ", "personal honour is the result of carrying out legal duties".[39]

It is not difficult to appreciate that "Sharaf" offers a framework for a theory of actions. To expound this framework it will be necessary to present the tribal grammar of "Sharaf". I refer the reader to the following diagram which summaries the results of my analysis:

Honour	state consequent on a positively evaluated act	state consequent on a negative evaluated act
sharaf	ᶜarḍ	ayb, shame (specific)
wadjh	karāmah shīmah	ḍasham, shame (general

The custom in the spoken language is to use the terms for the stake subsequent to a positively evaluated act, i.e. to behaviour in accordance with the norms, synonymously with "honour". "ᶜArḍ" refers to acts or modes of behaviour which, when seen in context, have a bearing on collective standing, that is to say on the standing of the family, the group of relative and the tribe. "karāmah" refers to acts of generosity, and "shīmah" to moral qualities; the latter is also used with reference to morally estimable conduct of sexually mature girls or women.[40] In connection with this terminology I would like for the sake of completeness to mention that among the tribes I have visited I have never heard the term "nāmūs" which is common in the countries of northern Arabia and Turkey,[41] and Qāḍī Ismāᶜīl al-Akwaᶜ assured me that it is a term seldom used in Yemen.

2.6 The possession of legal authority is determined according to the principle of seniority, and in the case of societies structured in accordance with tribal democracy, by vote, and thirdly by heredity. Thus there are several levels on which legal decisions may be made. Tribal heads may be elected as for example in the case of the B. Ḥushaysh; in cases where hereditary succession is the tradition, the authority of a shaykh will be recognised as legitimate by a consensus of the members of the tribe.[32] Powerful authority is conferred on the Sādah for their familarity with the law, and they are called upon to act as neutral mediators in disputes, chosen for their socially privileged status and for their non-membership of the tribe.[33]

3. **Protected interests**

It may at first seem strange that I should turn to a category from the realm of jurisprudence, but this category is in my opinion a necessary one for the understanding of cusstomary law. In comparison with all representations of customary law up until now, the scope of this category is extended when seen from an anthropological point of view, as some legally protected interests are system-inimanently bound up with patrilinear norms. Briefly, the following protected interests are worthy to mention:

1. Honour
2. Purity of descent
3. The lives of tribal members
4. Autonomy of each tribe
5. A tribe's common property, and the property of individual households
6. Water
7. Circulation of goods
8. The market
9. The Hidjrah, the area of asylum.

3.1 Honour and Shame.[34]

There is one norm which may serve as a useful starting point for an explanation of customary law, namely the moral quality of "honour" (sharaf) which plays a most important role in social interaction. Honour begins to play a part in the face of realities which the group has actually lived through and experienced; in other words it is to be seen in the frame of reference at the legally tolerated and the legally not tolerated. It is clear from the complexity of the relations inrowed in customary law, expressed by the wide range of protected interests, that honour as a moral quality has a bearing on social spheres both within and outside the social group.

To show the great significance of honour, I quote the following statement: "In all our relationships we Bedouins are constantly pursuing honour; we live and die for honour and glory, and when we avenge insult, the shedding of blood, and the violation of pledges, protection, or the security of the tent, we do so only to claim back our lost honour. Most of our punishments are the result of lost honour."[35] We should also remember the "I^{c}tifād" - custom, which was still the norm during the civil war in Yemen (Arḥab), after 1962, as R.B. Serjeant reported: "I^{c}tifād was the final resort of those proud tribal people, frustrated and despairing but unflinching in their resolve to die rather than beg."[36] To avoid the loss of honour which begging would entail they prefer in times of crisis to shut themselves into the houses with their families and to die. What then is the social significance of this concept of "honour"? On the basis of conversations I had in Arḥab, I would say that "Sharaf" is the recognition and respect which a legally responsible individual may claim, as a result of his having rights and obligations from his position within the circle of his legal peers. This throws up two critical requirements which are of definitive importance for "Sharaf", namely persona-

obtain higher damages, for example injury money (arsh / srūsh) or blood money (diyah). This form of customary law is thus distinguished from that of the Shiḥūḥ in northeast Oman, to mention but one familiar example, where for the purposes of the principle of "talio" no such distinction needs to be made.

2. **The principles of tribal customary law.**

It is my opinion that the way this form of customary law functions may be fairly well understood through the fundamental principles which are the following:

2.1 The social equality of tribal members with regard to rights (ḥuqūq) and duties (lawāzim), which results from their having a common descent. Included in the catalogue of duties are those of undertaking mediation in disputes, and furthermore of participating in tribal assemblies (muḥādir, mīᶜād) where cases of law and political issues are discussed and dealt with.

The personability of agnates must be seen in the context of their being able to defend themselves; an angnate becomes personable when a dagger is handed over to him at a time determined by his father, at a banquet with guests present (walīmah).[23] We have insufficient information concerning the personability of women. But we do know that at a birth the husband's mother or sister acts as a sitness, representing the paternal lineage; women are also accorded the right to offer for sale their own wares, that is to say products from their own immediate working area, at the weekly markets and that is this case the woman has the right to determine the price.[24]

2.2 The notion of sovereignity.[25] The tribe as the political manifestation of a community based on descent is grounded in a network of genealogical links. Contrary to a superficial line of argument maintained by some anthropologists, this basis is a decisive factor in social practice. As a political association, the tribe claims autonomy for itself, that is political independence is its willed goal; it is considered a point of no importance whether the political situation at the time allows them to realise the claim in full.

2.3 The intent to bring about solutions to conflicts on the basis of consensus by mediation and in observance of the notion of legal reciprocity. Legal reciprocity is here understood as compensation for damage done, by the restoration of the status quo ante.

2.4 The distinction between lawful killing (qatl bi'l-ḥaqq) and unlawful killing qatl bidūn al-ḥaqq) in the light of the talio,[26] according to which cases of killing which have taken place in accordance with socially accepted norms and are thus considered lawful are clearly distinguished from those which by general consensus cannot be seen to be justifiable. Since they fall outside the law, the latter come in the category of deeds which require compensation.

2.5 The offering of expiatory sacrifice (ᶜaqīrah / ᶜaqā'ir) in inter-and-intra-tribal disputes, and also in the case of asylum; according to the case in question sheep or white bulls are sacrificed.[27] The function of these sacrifices is perhaps best described by J. Henninger, "à assurer la perpétuation du bon ordre de l'univers".[28] In customary law the following bulls are prescribed for sacrifice in cases of killing: among the B. Ḥushsysh, the "thawr al-khīrah", the bull of propitiation, on the grave of the murdered party; "thawr al-ṣawāb", the bull of justice, in front of the murdered party's house at the termination of negotiations over the price and means of payment of the blood money; and finally "thawr al-ṣulḥ", bull of appeasement, sacrificed in front of the murdered party's house after the blood money has been paid.[29] In Arḥab the following bulls are sacrificed: "thawr al-hadjīn", bull of disgrace, "thawr sl-dafn", bull of burial, and "thawr al-radm", which means by extension bull of reconciliation.[30] These expiatory sacrifices must however be carefully distinguished from the beasts which are provided as compensation (ghallāq).[31]

ment" (ḥukm from ḥakama, to make a judgement, to decide). With these expressions a general idea of cognizancis given, which even so requires further explanation. Tecently A. Gingrich demonstrated this with the example of "ᶜurf wa silf" as seen by the B. Munebbih.[13] According to his study, ᶜurf encompasses the whole area of non-codified law, whereas "silf" - understood as being only a part of "ᶜurf" represents the arbitral awards prescribed in writing for particular cases in law.

In literature however, we find yet another expression in use, ṭāghūt, which does require a short digression. The problem is as follows: In a document, published by E. Rossi, in which a discourse from Zayditic legal scholarship is quoted, the bearers of tribal customary law are quite specifically referred to as "ahl al-ṭāghūt" in order to distinguish them from those who observe Islamic law.[14] But what is the meaning of this expression which in all probability is not of Arabian origin? "Ṭāghūt" is, along with the term "Djibt", to be located in the Qorān (Sure 2, 257; 4, 54). In the commentaries "Djibt" is understood quite simply as meaning "idols", and "ṭāghūt" as synonymous with satan. Both terms refer in any case to pagan religious concepts which apparently could no longer be clearly defined.[15] R.B. Serjeant has offered one explanation which is perhaps plausible;" ... that ṭāghūt before Islam, may have included the senses of law and customs in just the same way as "Dīn" means law."[16] It is in any case clear that "ṭāghūt" in its pagan context refers to something which from the Islamic point of view is reprehensible, and was used in this sense as a result of the negative attitude of the Zayditic legal scholars towards customary law. The real problem was focused on by Ed. Glaser, H. Ḥabshūsh, E. Rossi and recently by G.J. Obermeyer. According to Ed. Glaser "ṭāghūt" is a synonym for the above mentioned terms.[17] For H. Ḥabshūsh however "ṭāghūt" is an integral part of customary law: "ṭāghūt and the law)Sharᶜ) of tribal people is not Islamic law (sharīᶜah)", and he notes that it guarantees the upholding of the law.[18] It remains however unclear to us what really is to be understood by "ṭāghūt". The same is true for the following statement of one of E. Rossi's informers: the customs (aᶜrāf) of the qabīlī (tribal people) are committed rather to the memory that to books. The norms of ṭāghūt as a whole are to be foud in the persons of the tribal heads, for example in the shaykhs of Arḥab, Ḥāshid, Dhū Moḥammed and Dhū Ḥusayn. They are neither to be found in the ᶜulamā, not in the religious madrasah because they are forbidden. They are not used by those who follow Sharīᶜah, and indeed are held to be reprehensible by these people."[19] What does the expression "ṭāghūt" refer to in this case? Are we to understand by it a practice about which I will have more to say later, namely the recording in writing by tribal chiefs of cases of precedence? G.J. Obermeyer has recently claimed, on the basis of his researches among the B. Murād in eastern Yemen that the concept of "ṭāghūt" is a part of customary law and that it stands in relation to the concept of honour.[20] "We might say that man functions to restore the balance of justice in society while ṭāghūt is a preventive measure which works to protect the supposed balance in society".[21] But even he gives us no indication as to just what it is within customary law that "ṭāghūt" specifically refers to; the substance of his statement is so generalised that on closer inspection it turns out to have no substance to it at all. During my search for data I was able to establish that tribal members were not familiar with this term. It will be the task of future research to ascertain whether the problem may not be in fact merely an apparent one which may have come into existence as a result of confusing the interpretations of Islamic legal scholarship with those of customary law.

As I mentioned above, the heads of tribes are in the habit of recording in writing the more important requirements of customary law and the ways in which particular cases were settled as a kind of aide-memorie; the latter help them by analogy to come to decisions in subsequent similar cases. Details of documents of this kind have been published by E. Rossi, Faḍḍl ᶜAlī A. Ghānim and P. Dresch (1987a).

A special characteristic of Yemenite customary law as we have hitherto been able to get to know it consists in the adoption of a distinction originating in Islamic law namely that between a deliberate act (ᶜamd) and one committed through culpable negligence (khaṭā), the reference being to act the claimant could

into a protective relationship with the group of question. 2. wa ^{c}Āmir b. Dhubyān wa - hum fī Banī Yashkur ^{c}alā nasibin – the ^{c}Āmir b. Dhubyān joined themselves to the B. Yashkur on the basis of a genealogical linking.[6] These examples illustrate how various social contexts and thus levels of legal status are accorded importance in the light of genealogy.

Knowledge of ties governed by descent is closely related to the need for self-recognition and self-presentation.[7] The identity produced by genealogy determines the membership of the descendency group. In the light of this we observe a complementary relationship between the ego-identity and the group-identity, because the latter is formed by relationships with other people of the same group. In this way EGO's social status is defined and legitimised. But genealogy also functions as a means of self-justification at law. From genealogy are derived the preconditions for the granting of protection, for determining rights in matters of inheritance, and in determining the extent of obligation to give mutual assistance. Just as one example we might remember "^{c}āṣabah", a concept firmly anchored in Yemenite customary law.[8] This term designates a group which includes all of a father's agnates as far as the third ascending generation, formed for the purpose of carrying out blood revenge. It will thus be understood that a prerequisite for the execution of this function is awareness of decendental interdependence.

To some extent genealogy may be understood as a code which not only provides a synoptic view of the group but also of its history, thereby taking on the role of a social memory. The foundation of descendency over a period of time is stored in this code, in order that all resultant modes of dealings may be given their justification and may be understood. But genealogy is more than a formal reflection of a social integration; it cannot be comprehended as a rigid scheme since it turns out in reality to be flexible, as is proven by the empirically perceived processed of "structural amnesia".[9] The Yemenite scholar of the tenth century, al-Hamdānī, has this to say: "That is the way of all tribes in the desert. They imitate in their own name the name of another more famous tribe; they nearly achieve their end, almost managing to derive their descendency from the other tribe."[10] It is of course necessary to add a rider to this, namely that is is only possible for "structural amnesia" to come into play in connection with groups who are socially equal because of equal descent.

My attempt to identify the basic principle of customary law in Yemenite tribes necessitates one final comment about social structure. The tribal societies of Yemen represent the type of tribal class society with characteristics varying from region to region.[11] In the structuring of the classes the tribe occupies the most important and priviledged position; socially inferior groups are classified in the following hierarchical order: the Muzayyinīn or Ahl al-Thulth or B. Khums or ^{c}Anādil, the Dawshān, and finally the Jews. The first-mentioned and the Jews carry out manual work important for the tribal economy (pottery, leather-work and so on) and thus complement the manual activities of members of the tribe (farmer-craftsmen). In the social hierarchy of these societies an especially priviledged position is reserved for the Sādah, as descendants of the "ahl al-bayt". The Sādah like the socially inferior groups stand under tribal protection.

The structure and fundamental principles of customary law among the tribes of Yemen.

1. General remarks

The following terms will be used in the description of customary law: ^{c}urf/ a^{c}rāf (custom) is also found in conjunction with silf (tradition) in the expression ^{c}urf was silf; we also find hukm al-man^{c} or shar^{c} al-man^{c}, and rarely, shar^{c} al-qabā'il.[12] The semantic correlations between these terms point us to "knowledge" (^{c}urf from ^{c}arafa, to know), to "what has gone before" (silf from salafa, to precede), to "prevent" (man^{c} from man^{c}a, to prevent), to "what is prescribed" (shar^{c} from shara^{c}a, to prescribe), and to "judge-

of customary law to be so diminished that it only finds its application in crimes of murder and in punishment; I will rather present it as interdependent with a variety of social topics, such as marriage regulation, purity of descent, honour, property law, water law, the exchange of goods etc. This procedure naturally brings in its wake a number of factual problems, the solution of which must be reserved for future researches to complete. The subject in question precludes the possibility of touching on the relationship between customary law and Islamic law, as the treatment of this problem undoubtedly calls for an interdisciplinary collaboration between competent legal experts and anthropologists and has not been possible here.[1]

The social embededness of customary law

The social world of the tribes of Yemen is characterised by the patrilinear descent system which lies at its heart, and which, with exception of certain southern Arabian cases is a typical feature of the Arabian society. Before entering upon more detailed debate, we must ask the question what we understand by a descent system. As I see it such a system offers a structure for social behaviour. Seen from this point of view it implies the existence of social needs and interests which seek their satisfaction, at there existing in people's minds specific aims and goals which precede those needs, and also of strategies for social integration. In a partilinear descent system the framework for social behaviour is defined by the genealogical nexuses existing between agnates and their paternal relatives. I would like to illustrate this kind of social relationship with examples taken from ancient Arabic poetry. The first example requires the explanation of two terms which stand in opposition to one another: "birr" and "uqūq". The term "birr" refers to the "pietas" of a son towards his father, and also of a father towards his son; "uqūq" expresses disloyalty to ones' group of relatives.[2] Both terms are found in the following text from a Hudhaylite song: "ta^cāwartumā thawbah al-^cuqūq kilākumā abūn g͟hayru wāṣilin"[3] "you have clad each other with the garment of disloyalty (to the group of relatives), a father without "pietas" and a son without a bond." This text presents us with the perception of a society which sees itself as patrilinear with great clarity. The same is true of the following two texts, which I chose with the subject matter of this article in mind. The first is a saying drawn from the writings of the well-known poet Labīd b. Rabī^cah: "sannat lahum ābā'uhum",[4] "their fathers drew up their social customs from them." The second is by Zuhayr b. A. Sulma: "wa-^cawwada qawmahu kamā qad kanā ^cawwadahum abūhu",[5] "he held his group to the custom that his father had been accustomed to."

Nevertheless, an interpretation of Arabian patrilinear descent systems cannot on the strength of these pieces of evidence be considered complete, since we are required to decipher the descent – construct of the patrilinear bond. As far as the substance of this construct is concerned it is quite unmistakably the ideology of "pure blood" which we discover (aṣīl = having a root). The interpretative code of the 'aṣīl'-construct, that is to say the framework in which they think, when seen as as a concept of their own making implies that members of a certain descent group consider themselves to be social equivalent. The result of this is a socially discriminatory evaluation of the status of groups who cannot show equal descent. Thereby the ideologically defined purity of descent is protected by the social mechanism of the prevailing law of group endogamy; in other words the bond of marriage is only possible between parties from families with equal descent. It is in terms of this descent construct that a group sees it own identity; it is thus an operative construct and has an influence on the system of norms.

The social significance of the awareness of descent, and thus of genealogy, springs logically from this descent construct and gives shape to a fundamental and inherent area of social life. Whoever might wish to deny the significance of genealogy in the patrilinear societies of the Middle East, does so only at the price of ignoring social reality. The significance of genealogy can be seen from its relation to the socio-political field, for instance in the following expressions: 1. wa al-Bark dakhala fī D͟juhayna ^calā nasibihi – and Bark joined himself to the D͟juhayna, bringing them under the protection of his own genealogy, i.e. he entered

The Structure and Principles of Customary Law Among the Tribes of Yemen –

"An Anthropological Interpretation"

Prof. Dr. Walter Dostal

This article is dedicated to Prof. Dr. A.R. al-Anṣārī as a modest tribute to his contribution to the building up of the Department of Archaeology and Museology at the King Saud University, Riyadh. The dedication is accompanied by my sincere wish that the future development of the Department may be equally successful.

Preliminary remarks

The title of this article could give the reader the impression that it is based on secure findings and on an ample fund of knowledge. Sadly almost the opposite is the case. Although, thanks to such bold travelling researchers from the last century as C. Niebuhr, J. Halevy or Ed. Glaser, we have a series of important ethnographic sources, we cannot ignore the fact that the anthropological field research of Yemen (Y.A.R) only began in 1970. In view of this prevailing state of affairs, this article can only be rated as an experiment which has necessarily a somewhat provisional character. This being the case, and since I restrict myself to the scope of my title, I have avoided drawing any premature or ill – judged parallels with other Arabian systems of customary law. A geographical limitation of the data was also clearly unavoidable, dictated by the prevailing state of my sources. With a few exceptions the data is derived from tribes of the central highlands and of the eastern part of the Yemen Arab Republic. As a result, the central focus of my study is the customary law of the tribes of these areas.

Apart from the publications of E. Rossi, "I diritto consuetudinario delle tribu Arabe del Yemen" (1948) und von Faḍl ᶜAlī Aḥmad Abū Ghānim "Al-bunyah al-qabaliyah fī al-Yaman" (1985) I know of no work which has conceptualised tribal customary law in Yemen, even in the most modest fashion. We do, though, have at our disposal a series of publications of more recent date by N. Adra, E. Betzler, J. Chelhod, P. Dresch, A. Gingrich, J. Henninger, M. Mundy, G.R. Piun, C. Rathjens, R.B. Serjeant, D.M. Varsico and others including those obtained in 1985 by myself, which provide us with important data about areas of law of the most varying kinds.*

My title is meant to mark out an area for discussion; my intention is to attempt the first systematic presentation of customary law with the social correlations brought clearly into relief. The systematic element which I am aiming for will by no means be manifested in a rigid and inexorable welding together of parts of a predetermined unity but rather in a dynamic and flexible attitude which will bring itself into line with the relevant social conditions and needs. I should make it clear from the outset that I do not allow the field

Contents

English Sectoion:

Arabic Section:

This series of "Dirāsāt fi Al-Ā t ār" are scientific reviewed studies and will be issued from time to time. It is edited by the staff of the Department of Archaeology and Museology of the College of Arts, King Saud University and will be published by the Research Center of the College of Arts.

Dirāsāt fi Al-Ā t ār
Part I

Chief Editor: **Prof. Dr. Abd al-Rahman T. al-Ansary**

Editor: **Dr. Wafik M. Ghoneim**

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على
أفضل المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

Cover and the drawings of the three jackets inside by:
Mohamed Ali Moustafa



Dirāsāt fi Al-Ā t̲ ār
Part I

Refereed Articles

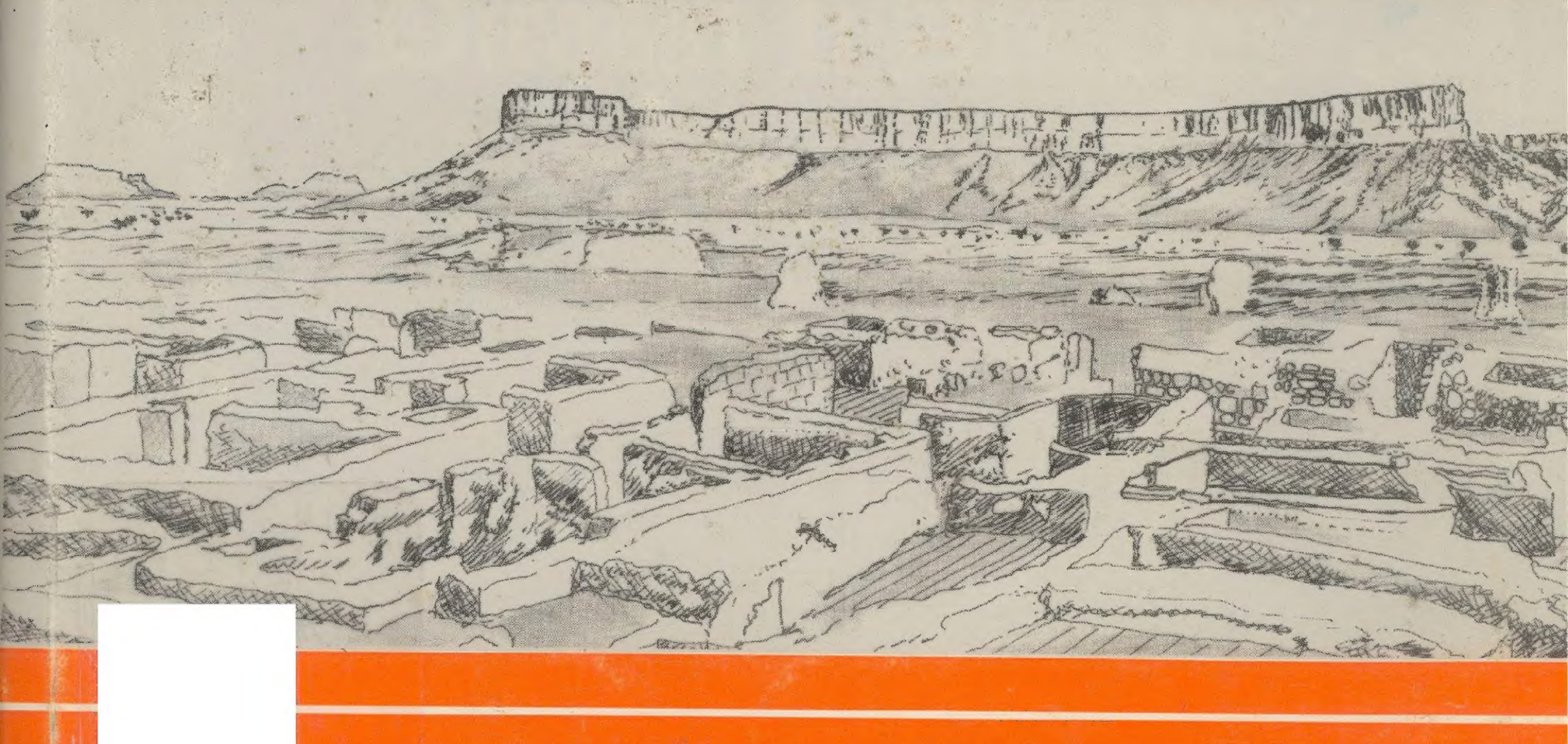


Dirāsāt fi Al-Āṯār

Part I

«Refereed Articles»

Co
Dept. of Ar



Th y of the Establishment of the Department of Archaeology and Museology – King Saud University